

الانقضاء السليعية
عبر الشايع

هاشم معروف الحسني

دار المعارف للطباعة
بيروت

السيد هاشم معروف الحسني سيرة نقية، وفكر نقى...

نقاء سيرته، ونقاء فكره، حقيقتان تراكبان اسمه: حياً وميتاً، حاضراً وغائباً...

ولد السيد هاشم معروف الحسني عام ١٩١٩ في قرية جنتانا (قضاء صور - لبنان الجنوبي) وفي بيت من بيوت الصلاح والتفوى في جبل عامل، وفي رعاية والده السيد معروف، ذلك الرجل الوقور وقار المؤمن، الوديع وداعة الناس البسطاء، الطيب كطيبة الأرض التي كانت تعطيه من خيرها الوفير بقدر ما يعطيها من جهده الجاهد، وصبره المحتسب، وبركة يديه الخيرتين... في ظل هذه المزاي الكريمة لوالده السيد معروف، نشأ السيد هاشم نشأة كريمة اكسبته منذ الفتوة وقار الرجال، ووداعة المؤمنين، وطيبة الناس الطيبين كأرضهم جبل عامل... في ظل هذه المزاي بالذات تخرّس السيد هاشم بأخلاق التواضع والصدق وعفة اليد واللسان والضمير وببساطة العيش رغم انه عاش فتوته وشبابه في بيت ميسور الحال موفور النعمة...

ويشهد الذين عايشوه أو عاصروه في النجف الاشرف وهو يطلب علم الدين والشريعة هناك، ان هذه الاخلاق نفسها، وهذه العفة نفسها، وهذه البساطة الطيبة نفسها، ظلت من مميزات المرموقة التي كانت تكسب احترام اساتذته وزملائه واصدقائه وتلاميذه، بل كانت تمنحه جهم جميعاً.

ونستطيع القول جازمين بأن هذه المميزات التي كانت ترداداً ترسخاً في شخصية السيد هاشم، طول أعوام الدراسة في النجف الأشرف، هي أساس ما عُرف به أيام طلب العلم هناك من مثابرة مدهشة على الدرس والمذاكرة، ومن انكباب نادر المثال على الكتاب لا تلهيه عنه مغريات المجالس العاصرة، يعقدها أيام العطل الأسبوعية، زملاؤه واصدقاؤه ترفيهاً لنفوسهم من عناء الدرس والتدريس . . . هذا لا يعني أن السيد هاشم كان زميئاً، أو انطوائياً، أو متحزباً من مجالس الانس البريئة، أو كان كثر المزاج لا تطيب له مؤانسة الاصدقاء والزملاء . . بل كان أمره على عكس ذلك: كان الشوق مسوِّجاً اللفة طيب المؤالفة، تطرب نفسه للقاء الاصدقاء، يهتز جسده كله سروراً ومرحاً للفكاهة اللاذعة الناقلة ويضحك لها بله صدره، بل كثيراً ما كان هو يبادر بها ويرسلها عفوية ضاحكة محبة . . غير أنه لم يذع لنفسه أن تسترسل في الاستمتاع بهذا كله، كيلا يطغى على استمتاعه الروحي بتحصيل المعرفة والعلم . . لذا كان حريصاً على أن يقيم التوازن بين هذا وذلك في حياته اليومية، وكان ناجحاً جداً في إقامة هذا التوازن بالفعل . . .

السيد هاشم، طالب العلم، كان نموذجاً محترماً للطالب المنظم التفكير والعمل . . كان تنظيم عمله اليومي يتناسب مع نسق تفكيره الدقيق التنظيم . . فإنه بالرغم من تعدد عمله اليومي، كميّاً ونوعياً، كان يبدو صافي الذهن، هادئ، الأعصاب، منهلل الوجه، فكانه يعمل عملاً واحداً سهلاً . . مرجع هذه الظاهرة فيه هو قدرته الفائقة على تنظيم فكره وعمله . . هذه القدرة كانت له عوناً على إنجاز أعماله اليومية كاملة ومتقنة دون أن ترهقه ذهنياً ولا جسدياً . . بهذا القدر من حزم تصريفه الأمور كانت له الطاقة المدهشة في أن يحضر في اليوم الواحد أكثر من حلقة دراسية، وأكثر من حلقة مذاكرة، وأن يمارس التدريس لأكثر من حلقة وكتاب . . غير أن الأهم من كل ذلك أنه كان يتعامل مع زملائه وتلامذته كأنه هو المستفيد دائماً منهم في حين كان هو يفيد أكثر مما يستفيد . . من هنا كان السيد هاشم نموذجاً في التواضع بقدر ما كان نموذجاً في تنظيم عمله وتفكيره . .

كل أخلاقه ومزاياه هذه سواء ما اكتسبه في نشأته برعاية والده السيد معروف، أم ما ترسّخ فيه منها خلال طلبه العلم بالنجف الأشرف، هي جميعا أخذت تبرز وتوحد، أكثر فأكثر، منذ انتهت مرحلة طلب العلم، وعاد الى جبل عامل ليمارس مهنته كرجل دين.. في مرحلته الجديدة تغيرت كل الظروف السابقة، وجاءت ظروف مختلفة جداً.. وتبدلت شروط الحياة وشروط العمل، بل تبدلت حتى شروط التفكير.. بمعنى ان شخصيته الانسانية أصبحت عرضة لأن تتكوّن من جديد بصيغة جديدة. وصار من الممكن والمحتمل أن تهتزّ شخصية طالب العلم حين ينتقل فورا الى مرحلة عليه أن يواجه فيها الحياة والناس والأشياء والقضايا بوجه جديد، بشخصية جديدة، بمواقف جديدة، بعادات جديدة، بمزاج جديد الخ، الخ...

وهنا الامتحان الكبير، العسير، الشاق... هنا التحول من شخصية طالب العلم الى شخصية رجل الدين بكل ما تحتمل شخصية رجل الدين من صفات وصيغ عيش وتفكير، ومن أشكال تعامل، مع الناس، مع الواقع الجديد... لأنه التحول الصعب. فكيف إذن واجه السيد هاشم ظروفه الجديدة، واقعه الجديد... هل اهتزت شخصيته الطلابية النموذجية امام شخصية رجل الدين التي كان عليه ان يتقمصها بسرعة دون اختلال؟

أسئلة كثيرة من هذا النوع تحتشد في الذهن... مع أن سيرة السيد هاشم النقية، وفكره النقي، يقدمان لنا الجواب عن كل هذه الاسئلة بارتياح دون مشقة... فقد بقيا على نقائهما دون انكسار... وبقي السيد هاشم الطالب النموذجي، هو نفسه السيد هاشم العالم ورجل الدين المرتجى... بل أصبح أكثر نموذجية، اي أكثر توهجا، أي أكثر حضورا في ظروفه الجديدة منه في ظروفه السابقة كطالب علم...

كل المزايا التي عرفناها في السيد هاشم طالب العلم في النجف الأشرف، اثبت حضورها الايهي في العلامة السيد هاشم رجل الدين في جبل عامل:

أخلاق التواضع والصنق وعفة اليد واللسان والضمير وبساطة العيش

رغم وفرة أسباب العيش لديه . . كل هذه الأخلاق والصفات فيه، برزت عنده بصيغتها الجديدة منذ بدأ حياته الجديدة كرجل دين .

لكن هذه الأخلاق والصفات ذاتها اتخذت صيغتها الجديدة مسيجة بسياج حصين منيع من الورع بأعمق معانيه وأكثرها شمولية، إنه الورع الذي يصون صاحبه لا من مقارنة المحرمات الدينية التعبدية وحدها، بل يصونه - أولاً وآخر - من مقارنة المحرمات التعاملية بخاصة: دينية، واجتماعية، وإنسانية ووطنية . . إن هذا النوع التعامل من الورع، هو ما يضع الفارق الحاسم بين الورع العادي والاستثنائي، أو بين الورع السطحي والعمقي، أو بين الورع الزائف والحقيقي . .

ورع العلامة السيد هاشم معروف كان ورعاً ذا طيبة شمولية، أولاً، وكان - الى ذلك - ورعاً استثنائياً وعميقاً وحقيقياً . . تقول هذا لا اعتباراً ولا امتداداً . . وإنما نقرله اعتقاداً واستناداً الى الواقع والشاهد والملموس من سيرته النقية . . فنحن نعرف من سيرته بهذه أنه :

أولاً : كان له من صديق إيمانه الديني حصانة قوية وراسخة تمنع عنه الوقوع في شرك المغريات الأئمة مهما تكن عليه من قوة الاغراء وسحره . . وهذا هو الورع الديني . .

ثانياً : كان له من ادراكه السليم وخدمه الصائب ما يعصمه من كلا الشرين : شر العزلة المطلقة عن الناس دون تمييز بعضهم من بعض، وشر الاندماج المطلق بالناس دون الحيطة والحذر من بعضهم دون بعض . بفضل هذه العصمة أمكنه اجتناب اهل الشر منهم، مع الاستفادة من صلته بالخيرين فيهم . . وهذا الورع الاجتماعي .

ثالثاً : كان من سماعة القلب ونبل العاطفة ما يضعه قريباً من الناس الصغفاء والبؤساء والمعذبين . . بفضل هذا انقرب الحميم استطاع أن يأنس ببعض الجراح قدر ما لديه من الممكنات . . وهذا هو الورع الانساني . .

رابعاً : كان له من شرف العقل ونزاهة الضمير ما يبعده عن اهل

الشبهات الذين لا يتورعون عن بيع الوطن والمواطنين لقاء مكاسب شخصية...
بفضل هذا الشرف والتزاهة فيه كان قادراً ان يمتنع عن الانزلاق الى المنحدرات
المؤبودة... وهذا هو الورع الوطني...

دخل العلامة السيد هاشم معروف الحسني عالم الوظيفة كقاضٍ في
المحاكم الشرعية الجعفرية في لبنان... لماذا فعل ذلك؟

نقول واثقين إنه لم يدخل عالم الوظيفة هذه إلا عن ضرورة دفعته الى
ذلك... هذه الضرورة لا يستطيع ان يدركها ويدرك قدرها إلا من عرف ظروف
العيش التي يعانيها رجال الدين في جبل عامل، خصوصاً منهم اهل العفة
والتواضع وصدق القول والعمل... هؤلاء يعزّ عليهم أن تضطربهم ظروف
العيش احياناً الى الخروج - ولو مقدار شعرة - عن اخلاقية العفة والتواضع
والصدق... من هذا الوجه المشروع اضطر السيد هاشم ان يتجنب حالة الخروج
عن اخلاقه الاصيله فدخل عالم الوظيفة كارهاً لا مختاراً... لكنه فعل حسناً...
لقد أثبت ان الوظيفة ليست شراً بذاتها، وإنما هي تشرف بمن يصاحبها بشرفه،
ويلطخها بالدنس من يلصق بها دنس يده وضميره... لقد شرفها السيد هاشم
بالفعل: شرفها بتزاهة يده وشرف ضميره، وشرفها بورعه الصارم... وبسيرته
النقية.

ولقد أثبت السيد هاشم ايضاً خطأ الزعم أن الفُرْقَ في حياة الناس أو
حياة الوظيفة يلغي فرص النشاط الفكري. أي يلغي إمكانات العمل في مجالات
الفكر والعلم...

إن سيرة السيد هاشم وفكره يقولان: لا... بل إن الاتصال بالناس، مهما
يكن واسعاً وعميقاً يكن باعثاً لنشاط العقل، ومصدراً لاغتناء الفكر، ومُلهماً
للعمل والابداع... فقد برهن السيد هاشم، عملياً، أن فرص الانتاج العقلي أكثر
ما تكون توفراً حين يكون العالم والمفكر بين الناس يتعامل معهم ويتعرف
احتياجات عقولهم، ويتفهم قضاياهم ومشكلات حياتهم... برهن على ذلك
بنشاطه المتصب منذ اتخذت تتعدد وتشابك علاقاته بالناس، ثم منذ اتخذت

مهجات القضاء الشرعي تزدحم وتتكاثر عليه في المحكمة وفي البيت على حد سواء.

وبعد، فليس اقوى دلالة على السيد هاشم معروف الحسني من مؤلفاته العلمية والفكرية... مؤلفاته وحدها تقول لكم انه سيرة نقيّة، وأي فكر نقيّ، ترك لنا فقيدا كبيرا السيد هاشم معروف الحسني.

صديق المؤلف



السيد هاشم معروف الحسيني : إنساناً وباحثاً إسلامياً

الإنسان والباحث التقيا في السيد هاشم معروف حتى قبل أن أصبح السيد واحداً من أعلام المؤلفين الباحثين . . . التقى فيه الإنسان والباحث ليتكون منهما - متلازمين متكاملين - هذا البنيان غير العادي : بنيانه اللبني، العصبي، الحشني الأليف، الانبساط، الرومانسي . . . ورومانسيته تكمن في إيمانه وتدينه، وهي تبلغ بحرارتها وصفاتها مبلغ الخلة التي أسماها : الورع . . . لكن اسمها في حالة السيد هاشم معروف الحسيني خصوصاً : الورع العظيم . . .

الإنسان باحثاً : إنسان يطلب الحقيقة . . . والباحث إنساناً : باحث يعشق الحقيقة . . . والسيد هاشم : إنساناً وباحثاً، هو : من عرفناه يطلب الحقيقة بشعور مرهف بالمشق وبالصدق . . . أقول : الصدق، لأنه لا عشق إن لم يكن الصدق . . . ومنذ عرفت السيد هاشم في علاقات البحث والمدارس في النجف حتى وقف قلبي وقلبه، صرفته يبحث عن الحقيقة بعشق وصدق، لكن أيضاً بمنهجية منضبطة ومنفتحة على كل جهات الحقيقة . . .

لا بالحس الضوئي الغيبي حُدِثَتْ فيه هذه الميزة الباهرة . . . كان حُدسي واقعياً جمعت عناصره الواقعية من تفاصيل كنت أرصدها في يوميات السيد هاشم الدراسية، حتى كان ذلك اليوم السعيد عام ١٩٣٦ . . . وهو السعيد بحق لأنني من ذلك اليوم حتى آخر أيام دراستي في النجف وجدت من حلاوة المصرفة ما لم يكن متيسراً لي أن أجده مثله من قبل . . . لم يكن السيد هاشم واحداً من حلقة الأصدقاء لنا، ولا واحداً من زملاء الدراسة . . . لكننا جميعاً كنا نلاحظ كيف

يستخدم وقته بتنظيم بالغ الدقة، ونلاحظ أن وقته المنظم بهذه الدقة معروف على
الدرس والمدرسة... في حين كان وقتنا يتوزع على مشاغل متعددة متنوعة... في
ذلك العام بالذات (١٩٣٦) كنت قررت قراري الأخير: أن أبرمج وقتي
ودراسي برجة صارمة، وأن أُمسح من خارطة يوميائي كل شاغل يدخلها غريباً
عن برنامجي الذي رسمت... لكن هذا الالتزام كان يقتضي - بالضرورة -
التزاماً آخر لا غنى عنه في نظام الدراسة النجفية وقتئذ... أعني كان يقتضي
البحث عن رفيق يستطيع أن يلتزم معي هذا الالتزام، أو عن رفيق يكون له
برنامج دراسي صارم، الذي قررت أن يكون لي... أي رفيق للمدرسة
والمباحثة في موضوعات ومساائل علمية كان علينا استيعابها ذاتياً خارج حلقات
الدروس مع الأساتذة. وكان قد ثبت عندي بالتجربة، خلال سنوات الدراسة
هناك، أن هذا الشكل من الممارسة الذاتية في عملية التحصيل، هو الأجدي في
كسب المعرفة، وهو الأكثر قدرة على تكوين الذاكرة المعرفية الغنية، وعلى تحقيق
استقلالية الشخصية العلمية للدارسين... قلت: الممارسة الذاتية لأنها تعتمد
لدى كل من طرفيها على التحضير الذاتي الجاد، يحفزه، إلى جانب حب المعرفة،
حب التكافؤ العلمي مع الطرف الآخر، وأحياناً: حب التفوق.

كان لا بد أن أبحث عن هذا الرفيق، وكان لا بد أن اقتحم إليه كل هذه
العوائق... وبعد رصد طويل جاءني ذلك الخدس السواقمي الذي حدثت في
السيد هاشم معروف الحسني... وجاءني اللحظة السعيدة ووجدته كان اختياري
مفاجأة له، وكان فرحه بالاختيار مفاجأة لي، وتقاسمنا بالتكافؤ فرح المفاجأة...
وبقي الفرح قسمة بيننا بالتكافؤ أيضاً على مدى زمن الرفقة السعيدة هذه التي
امتدت حتى عام ١٩٣٨، أي حتى آخر يوم من عمر دراستي في النجف... كان
فرحنا يزداد عمقا كلما ازدادنا شعوراً بأن هذه الرفقة تعطينا المعرفة بقدر ما كنا
نعطيها من جهد مشترك.

باعتزاز أقول الآن إن رفقة المدرسة والمباحثة مع السيد هاشم، اعطاني
نعمة الفرحين معاً: فرح الصداقة، وفرح المعرفة... حتى الصداقة هنا كانت
علاقة المعرفة تُربّتها وجذرها اللذين منحاهما ذلك الصفاء والنفاء... والمعرفة

ذاتها هنا كان لها تربتها وجذرها الكامنان في أن السيد هاشم معروف الحسني له شخصية الانسان الباحث، او الباحث الانسان، أو طالب الحقيقة بشعور مرعف بالعشق والصدق... من هنا كان للمعرفة التي نكتسبها معاً، مذاكرة ومباحثة، معنى آخر وطعم آخر... كان لها معنى الاقتحام والمغامرة، ثم كان لها طعم الكشف والاكتشاف...

برنامج المذاكرة والمباحثة الذي وضعناه موضع التنفيذ فوراً، هو نفسه كان شكلاً من الاقتحام والمغامرة... لقد قررنا أن نلتزم مذاكرة بعض الكتب الفقهية/ الأصولية غير الموضوعية للمدرس وقتئذ في النجف، ككتاب «بلغة الفقيه» مثلاً، ومذاكرة بعض الموضوعات الصعبة في الكتاب المعتمد والأهم لدراسة أصول الفقه هناك، كتاب «كفاية الأصول» للأخوند (الملا كاظم الخراساني)، كموضوع ومقدمة الواجب هل هي واجبة، وموضوع «الأمور بالشريعة» هل يقتضي الفهم عن ضده؟

لصعوبة في النص كانت الرهبة تسيطر على الطلبة حين تصل بهم الدراسة في كتاب «الكفاية» الى هذين الموضوعين بالاختصاص، حتى مع حضورهم حلقات الدروس على كبار الأساتذة... فكيف إذن يقتحمها طالبان وحدهما دون الحضور في حلقات الدروس أي دون معرفة الأساتذة...

لقد اقتحمنا بالفعل، واخترقنا سطوة الرهبة التقليدية... وكان السيد هاشم معروف، بدأبه العظيم، وبإصراره على طلب الحقيقة بلهفة العاشق، يزيدني ثقة بجدوى الاقتحام، ويزيدني - بذلك توقفاً الى متابعة الجهد الطموح للكشف المعرفي بشجاعة تشبه المغامرة...

الانسان والباحث اللذان كأنهما السيد هاشم معروف الحسني، بقيا معاً - متلازمين متكاملين - يرهفان رومانسيته الالمانية، ويؤكدان فيه انسانية الباحث عاشق الحقيقة بصدق... ثقياً هكذا هذه المرحلة الدراسية وفي النجف، ثم ثقياً بصورة أغنى وأبهى، في مرحلته الأخرى، أي مرحلة الممارسة العملية المباشرة لصفته كرجل علم ودين، في الوطن، في جبل عامل من لبنان... كنا افترقنا في

هذه المرحلة، لكن ظل السيد هاشم معروف حقيقة نامية بصورة بين أخصر ما
 غرقت السجف في حياتي من حقائق نبيلة لن يهيبها الدبور أبدًا. كنا افترقا في
 هذه المرحلة، لكن لم يمارفني الحزن إلى أن أعرف كيف تصير علاقة الإنسان
 وابيأبحث بشخصيته الجديدة: كمرحل علم ودين... ظل الحزن يتحدد ولا
 يقطع، حتى رأيت كتبه تصدر تصاع، وقرأت معظمها، وطماننت... أقول
 طماننت، ولا أريد فالأطمئنان هنا عهدي يعني عن الكلام الكثير، لأنه يعني
 عهدي أن جموة اعشق للحقيقة، أي لقاربة الحقيقة، أي لاقتحام الصعاب
 ايها، والمعامرة حتى الوصول، هي لا تزال تلك المذوة التي غرقت من قس،
 بل تحولت لي لب ينأجج، لي مصابيح تتوهج وكما عرفت السيد هاشم
 معروف، في السج، طالب يبحث عن حقيقة بعشق هو الصدق، لكن ايها
 بمنهج مصطف ومفتحة على كل جهات الحقيقة، هكذا وجدت السيد هاشم
 دانه، وأفضل منه، في كل واحد من مؤلفاته الأربعة والعشرون المطبوعة حتى
 الآن وجدتني في مؤلفات ذلك انني يقل عن البحث بشوق العاشق، وذلك
 انني يقتحم الصعاب بعزم المعاصر، وذلك انني لا نمره حماسة العاشق ولا
 عزيمة المفتحم عن الانصياع لي منهجيته المصطف والمفتحة على كل جهات
 الحقيقة...

إد استقصى المؤلفات الأربعة والعشرون واستعرض الموضوعات التي
 تناولها المؤلفات، وجدناها نوعين: نوعا يطرق أبوابا للبحث معروفة ومألوفة،
 مثل: «عقيدة الشيعة الإمامية»، و«سيرة المصطفى» (سيرة النبي) و«سيرة الأئمة
 الاثني عشر» و«الحديث والمحدثون» و«تاريخ العقه الحنفي» ونوعا آخر
 يدخل في باب الاختصاص التشريعي والفقهي، أو الفكري والنظري، وهذا
 باب له طابع البحث الاختصاصي العلمي أو الفكري، ومن هذا النوع كتبه
 التالية: «المبادئ العامة لعقده الحنفي» و«نظريه العقد في العقه الحنفي»
 و«المسؤولية الجزائية في العقه الحنفي» و«الولاية والشمعة والاجارة في العقه
 الاسلامي» و«الوصية والوقف والآثار من الاحوال الشخصية في العقه
 الاسلامي» و«الشيعة بين الاشاعة وعنلة» و«بين التصوف والتشيع» الخ

نقرأ - أولاً - في مؤلفات السوع الأول . . هنا نجد السيد هاشم معروف يكتب موضوعه كما يدخل ناداً غير مطروق وغير مألوف . . هنا نجد مفتحاً مقدماً، لأنه واتق أن يصيب جديداً في الموضوع، أن سيصور شيئاً يضيء على المعالجة صالحة هو بالذات وهو نفسه يجعل هذا الموقف الاقتحامي في عنوان كتابه «سيرة المصطفى» حين يصح تحت لعنوان بحرف كبير «نظرة جديدة» . وتساءل أنت ما عساه يكتب جديد أو يظن نظرة جديدة في سيرة النبي . وأنت تبحث في كتاب نفسه عن «نظرة الجديدة» وتجدها نكراً، لن تجد في أسلوب الكتابة أو أسلوب التأليف فلا جديد هنا . إنما هي مباحثك من تبدأ لقراءة مباحثك كما في تلك المنهجية ذاتها التي عرفها قبل أعني المنهجية المصطنعة والمفتحة عن كل جهات الحميم . لنقرأ من بداية الكتاب فهي «مهيبة» يصحبه السيد هاشم بهذا الكلام «وبحاول طريق من لكتاب، التمدني وتحدثني، أن يصوروا العرب قبل الإسلام وكأنه بناء أصيب بزلزال شديد زعزعه من أساسه، فإدرك شيء فيه عبر قائم في محله، وأصبح الدئت راعياً والحائر فاضلاً، محرم سعيد، والصالح محروماً، والعادات تتحكم في مصيرهم ويخربهم إلى إهراء واندمار قد غادى إنسان ذلك العصر في المحور والطعام - على حد رعمهم - إلى الاستهتار بالقيم ومخاربه بعصية، وتعاضى استعمال الرب إلى حدود الاعتصاف والسب، واستحوذ عليه الطمع الجامح والخشع ونهم وسعت به لقسوة إلى حدود وأد البات وهمل الأولاد . ومضى هؤلاء في تجريد العرب من جميع القيم حتى من إنسانيتهم، فقال له ساهى العربي باشجاعه والحدود والآفة، وافتخر على سواه من أساء الأمم لواقعة على حدود منطقته، وبررت هذه الصفات في حيلة الإنسان العربي، ولكن بعد أن أساء استعماله في المحل المناسب، عادت وبالأعلى عليه، فتحويت شجاعته إلى افتتق بالأبرياء، وجوده إلى اسراف وتبذير، وأمنته إلى حبة جديفة، ودكاؤه إلى صرع ويجاد الوسائل التي تنبئ له بكتاب الجرائم وبوقر به اشاع شهواته»

شتم السيد هاشم هكذا في عرض الصور المشعة لعرب ما قبل الإسلام، كما ينصورها، ولتلك الكتب حتى يسلم معظم ما كتبه في هذا الصدد . . وحينئذ يقول موقفه من هذا كله : فلنقرأ موقفه

• وفي عقيدتي أن هؤلاء الذين حاولوا أن يجعلوا من العرب في جاهليتهم الأولى والثانية لا تشبه إلا الوحوش الصارية في مناهات لأحرش والغابات، قد تحطوا لواقع في احكامهم الى حدود الحور، وياضوا الى تجريجهم الى حدود العلو والاسراف، ذلك لأن الناحث في تاريخهم لا يجد أكثر من بعض الموارق بيتهم، وبين غيرهم من الأمم كالفرس والرومان وغيرهم، وهذا ينسب انفسهم تلك الموارق لقلبهم الى دهيعة الصخر القاسية من حيث كونه لا توفر لسكانها سائب لا استقرار التي تستدعي التطور الحضاري ثم يتجاوز هذا البعض الحضي السليبي بعرض مفصل ذلك جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت عوامل تنجيده مساعدت عرب ما قبل الاسلام عن التحول في ظروف التطور والاستفادة من اشكال التطور الحضاري الشائعة وقتئذ في العالم المحيط بهم ولتتعامل معهم

يسوف هذا، حالا. هذا لنقاش الصدامي، أمران شأن أولهما، نصي السيد هاشم معروف الرزدي عن ذلك خوف الاعتراضي والماريخي حيال عرب ما قبل الاسلام وأهمه: ساء هذا أن النصي الرزدي على هذا الموقف يأتي هذه المرة من موقعه الاسلامي نفسه، لا من موقعه القومي، فالسيد هاشم معروف يزعم أن كنههم مؤمن بالاسلام حقاً وصدقاً وهو من هذا موقع ذاته ينصني لدفع تلك المذعة الشائعة عن تاريخ العرب وتاريخ الاسلام كليهما فإن عرب ما قبل الاسلام هم نصهم عرب الاسلام، وتاريخ هؤلاء هو جزء الاساس من تاريخ الاسلام.

أما ثاني الأمرين. فهو موقف السيد هاشم معروف هذا، يظهر عن قاعدة صلبة. راحة تسند صلاتها ورسوخها من كونه مصطفى صحيح للتوجه نحو البحث العلمي في هذا المنهج. كتاب «سيره المصطفى» سررا سيد هاشم بحث يملك الادلة المعرفية والقياسية العلمي للبحث بمنهجية واقعية. ويأخذ بهذه المنهجية بالفعل، ويرفض لأحد بالأوهام والتصورات الذاتية في قراءة التاريخ. نجد هذه المنهجية الواقعية متصورة بصفاء تام هو بأحد، على مدى عشر صفحات من هذا المنهج في تحليل الواقع التاريخي حيث عرب قبل

لإسلام تحليلاً نقرأ خلاله مختلف الظروف والعوامل والعناصر والخوالب التاريخية
مكونة لذلك الواقع بعلاقاته الداخلية والخارجية، وبشروط وجوده التاريخي

يستوفعنا السيد هشام معروف مرة ثانية قبل أن نصل إلى العالم الداخلي
بكتبه «سيرة المصطفى» يستوفعنا «بالقدمة» التي سبقته «التمهيد».. وهي
ببب مقدمة بالمعنى التقليدي المألوف.. إنها إلى الانتهاء أو الشجاعة أقرب.
بها تنوع بخاني إسلامي، ومبهي وأبهي في أن.. هب أبب معرف افتتاحي
جديد، أو مواقف فحامية عدة في مساحة نقل عن ثلاث صفحات.. ولا فصل
بب أن تبعت أببه بساخي النبي المصطفى بببب الصوت المصمبب بتراب
لأرض..

«لبيك سيربك يا رسول الله، إلا قصة بببب قد أبب قلبه لآلام الشر
ومشكلاتهم، فاصبل وشاهد، وببب محرم وثبات وفرة، في وجه لقوى العاشمة
المفرسة، من أجل لإحاء بين أساس، وببب أجل العدالة والحرية، ومن أجل
محبة والرحمة ومن أجل مستقبل أفضل لجميع بببب بلا استثناء البدين
بؤمنون بك مؤنث ورسلك، والببب لا يؤمنون بببب على لسواء»

«إن بخلايين من المسممين لا يعرفون عن سيرتك ورسالتك التي بشبهم
إلى الأرض وخيرتها في ن واحد.. إهم لا يعرفون عنها إلا ما ألصق بب من
القشور والخوارق والأساطير.. وهم يد يعظموك ويصنّون عليك ويسلمون،
بمحسوب ذلك من تعبيد موروث مكلمات تدور على ألسنتهم في كل يوم مشات
المرات، وبمحسوب إهم عظموك وقُدُوك إذا صنّو وسنّوا عبث حتى ولو
بمحروفا مع اطماعهم وشهواتهم عن تعاليمك وسيرتك ورسالتك التي تحدد
لإسلام بالعمل لا بالقول وحده، وبالأواقع لا بالشعارات الخوفا، وبالتعاون مع
لأحرين، لعمل محفص خير الببب لا بببببب واستغلال لآسان لأببه
لآسان»

«لقد انخبوا من سيرتك قصة ينلوها يوم ميلادك وبمعشك صاغوها
بكمات وبعبث خوفاً بكتل.. بببب حبر أونثك الببب ينحرون بميلادك وبمعشك
وبمراحت لأعراض لا تب إلى الببب بصله من لصلاب، وببببوا عن واقعها

وجوهرها وما فيها من دروس وعظات كما انصرفوا عن اوامر قرآنك وسوحيه ومصائبه وما فيه من دعوة بجهاد والكفاح والصبر والتضحيات في سبيل الحق، والتمسك بمكارم الاخلاق لقد انصرفوا عن ذلك أو أكثر . . الى التعمي به في إداغاب من شرق الارض وغربها، وحى من إداغة اسرائيل وصوت بريطانيا وعبرها من محاربون رسالتك وهراسك لأسي بتشكلاان خطر على وجودهم واطماعهم ومصاخهم»

وقد صححت كثيرا في سبيل الله وحرر لانسار، وتعملت ما لا يطيقه احد من اناس، لتضع حداً للفساد والاستغلال والعصرية، وستطمت بعد جهاد طويل ومرير ان تسيطر على تلك الاوضاع الفاسدة التي كان يعاني منها انسان ذلك العصر، ووضعت لحدول لكل ما يعترض البشرية من صعاب، ويعرقل حريتها نحو مستقبل افضل يضمن لكل انسان عزته وكرامته وسعادته في الدارين () ونهيت الى التكون ولاطمعون الى الظالمين»

دكتور محمود السبع الاحكامي ندي سديك السيد هاشم معروف حى في النوع الأول من مؤلفاته، أي نوع المؤلفات التي تكتب في موضوعات كثر الكتانة فهي إلى حد لا شاع فكيف، دد، سيكون منهج الافتحامي في النوع الثاني من مؤلفاته، أي نوع المؤلفات ذات الطابع التخصصي في العلم والمعرفة⁹

بأحد أولاً من هذه المؤلفات كتاب «المادى» لعماد سفيح الحفري،

الجدد لاسعراصي تاريخي لا يغيبها من أمر الكتاب وحده المنهج بحد، منهج البحث، وادف الصدامي لافتحامي الذي يتوصل مع المنهج . وحى نبدأ برى هذه النوجه من الكتاب، من يبدأ المؤلف يعرض منه عن الوضع السياسي في عصر الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق حلان عرصه هذه الملمحة يمحظ أن المشرق نيكلسون حين يصع فرقاً بين ثورة الخوارج الشهيرة وبين ثورة الموي، يصع هذا الفرق على اساس أن الشيعة والخوارج لديهم حجة تجمع لامويين من استخدام السيف في وجههم، وهي محافظة على لقانون ولعظم أو الاسلام . ما امولي فليس هم هذا حق د

نعم (أي الموالي) لا يمكن حجة تجمع الأمويين من استخدام السيف

يتصدى السيد هاشم هـ هذا الحق من التعريب، بالنقد والرد، لأنه يرى فيه خطأ، ويرى مصدر الخطأ جهلاً بالنظام الذي فرضه للإسلام وأوجب على الحكام تطبيقه يعني بذلك أن الإسلام لم يعرق بين لون و لون، ولا بين عنصر وعنصر، ولا بين السادة والعبيد، من حيث القاسون والنظم العام، أو إيلادى، الإسلامية، إلا في بعض حقوق الخاصة بين الأمياد والعبيد أم للفاتون أو الإسلام الذي كان للأمويين يستهترون بهما، فمن حق كل مواطن أن يحافظ عليها ويسرعها، لا يهيئ للجميع من غير فرق بين عنصر وعنصر واجبة لتي يمكنها الخوارج والشيعة في وجه الأمويين يمكنها الموالي ايضاً

هذا إذن موقف يتصل بالمتبع ويتواصل معه، فهو ما يصح استلزام للدفاع من المبادئ الثابتة للشرعية، والدفاع في الوقت نفسه، صلاً عن حقوق الإنسان التي هي المرحح والمصدر بتلك المبادئ لثوابت بشرية وعلى هذا الأساس ذاته يأخذ الكاتب شرع من الوضع السياسي في دولة الأمويين ومن المظاهرات الاجتماعية، السلبية التي كان يتحها هذا الوضع السياسي، ولقي يقول السيد هاشم هـ «كان لها أسوأ الأثر في نفوس الملايين من أبناء الشعب الذي كان الحكام يختصون دماءهم إذا عدت مواهم، وما ذلك إلا لإشباع شهواتهم» ثم يقول السيد «ورد أيضاً في ذلك جرمان سوالي حقوقهم بشروطه، لمروحة هم كمواهم قد مساوهم الإسلام بغيرهم في الحقوق والتواجبات وأصبحت أيضاً اصطهاد الدغيب ومعامتهم بالعنف وفسوة، مع أن للإسلام قد حصن لهم كرامتهم وحفظ دماءهم وأعراضهم وأموالهم، ثم أصعب كذلك معاسيهم (أي الحكام الأمويين) بالشهوات والبلذات حتى منع بهم الحال أن ينصرفوا عي هو مألوف عند العرب والمسلمين من العادات والتقاليد.» «يقول إذا أصف كل ذلك، وحدد هذه الأسباب وغيرها هي الأساس في أن وشاع الاضطراب وعمت الفوضى وانتشرت الفس () واستلعت الثورة في أنحاء البلاد شرقاً وغرباً...»

هنا يدخل السيد هشام في عمية البحث الخاذاً من طريق رخصته لاستقصائي لحركة العمل ورد العمل التاريخيين، أي المعبرين عن حركة الصرع الاجتماعي في انسطح وفي العمى. . هذه المنهجية الواقعية، ذات " هي التارخي، يؤسس بحيث الاقتصادي في المبادئ العامة للفقهاء الاسلامي المعاصري، ونحن نصل الى هذه المبادئ ذاتها بالتحديد والتعيين، بحده حد اكمل عمية تأسيس، بحيث أصبحت كل المبادئ العامة هذه بحكومة بالمبدأ الاساس مصلحة المجتمع. . يرى ذلك تجلي - مثلاً - مبدأ تحريم الاحتكار يقول السيد هـ إن الحق الاسلامي المعاصري قد تعرض الى كل ما يتصل بحياة الانسان ويضمن به الراحة والسعادة. ثم يبادر الى وضع اعتراض يتعلق بنظرية الحرية آتياً من لغات الاجتماعية التي يضر مبدأ تحريم الاحتكار بمصلحتها، أي لغات التحرر الاحتكاريين، ولا اعتراض هو أن مبدأ تحريم الاحتكار يتناق مع مبدأ تشريعي آخر يقو بحق كل انسان في حرية التصرف بنفسه وماله. .

السيد هشام يدفع هذا الاعتراض بأنه وإن كان الاسلام يعنى أن لـلـانسان حرية على نفسه وماله، هو من جهة أخرى يحد من حرته وسطته على ماله وتصرفه حين تكون هذه الحرية ممرحة للمقوق الآخرين في احياء، وهو - أي الاسلام - يكر شذ لا نكر أن يدفع بعض الافراد دفع من أنفسهم ومالهم الى استعمال اغير ولا شراء من أفوت لشعب وضرورياته من أجل ذلك هي لـلـاسلام عن الاحتكار، وحدد موقف الجار من الأسواق؟

وابتلاق من موقف الدقة في البحث، ومن موقف لورع الفقهي، حرم السيد على تحديد مفهوم التشريعي الاسلامي للاحتكار هذا هو يحدده عن النحو الآتي " أن يقوم فرد أو جماعة بشراء سريع من احيات ابي هي في معرض الاستهلاك، وبعد شرائها يتطرق في بيعها ابرج العاشر، مما يؤدي الى يقاع الضرر بالاستهلاك، وعلى الاخص الطبقات الفقيرة؟

عل أن هناك اختلاف في احكام بالاحتكار يرجع الى اختلاف في تقدير نسبة حصة الناس الى مادة بحوسه عنهم، ومبلغ تأثير احتكارها عن الحماة

العامّة. قد يكون الاحتكار مكروهاً وقد يكون كرمياً. وفي بعض الحالات يجب تشريع المادة المحتكرة من ممتلكاتها فهدراً بسبب حاجتها للناس إليها. أما الحكم بكرهية الاحتكار دون تحريره، فذلك في حالة كونه لا يوجب الإضرار بالغير، ويكون المادة الاستهلاكية موحدة في السوق، بمعنى ما مدولة ولا يؤدي إمسакها إلى ارتفاع سعرها ولا ضرراً بالمستهلكين. يقول السيد هشيم هنا إن فقهاء الشيعة يجمعون أنه يجب على الحاكم أن يحرم المحكر مع الحاجة عن عرض الطعام في الأسواق. ومصدر هذا الحكم الاجتماعي هو أن الإمام عند مرّ بالمحكرين فأمر بحكهم أن يخرج إلى الأسواق. وبعض فقهاء الشيعة يرى أن على الحاكم أن يصنع سعرًا محددًا يتفق مع مصلحته لمستهلك والمستهلك في مثل هذه الحالات، ولا يكفي مجرد عرض الصاعدة في الأسواق، لأن ذلك وحده لا يرفع الضرر عن المستهلكين. معوار أن يتحكم لتجار في الأسواق بما يحقق لهم جشعهم ويضر بالمجموع.

وفي معرض الكلام على مبدأ ابرويع من الكتابات، يعرض السيد هشيم وجهات عدة لفقهاء الشيعة في هذا الباب، ثم يستطرد إلى قضية الاجتهاد فيها، فيرى أن الاجتهاد عند الشيعة قسح المحال لكن فرد أن يحكمه فيهم من اصول الاسلام، ولا يتقيد برأي أحدٍ وديهم، فهي ملغ من العصبية في العلم، وقد كان الحال على ذلك بين الصحابة والتابعين وثمة اند هذا الاربعة (المصدر السابق)

وفي كتابه «نظرية العقد في الفقه الجعفري» يعود السيد إلى مسألة الاجتهاد عند الشيعة فيؤكد كلامه السابق، ويضيف أنه - أولاً - تحديد مفهوم الاجتهاد بأنه بدل الجهد في سبيل تحصيل العلم وانظر بالأحكام بطريق التشيع والدراسة واستقصاء الأدلة على نحو يصحح الانسان قادراً على استنباط الأحكام من أدلتها. ويضيف - ثانياً - مسألة وجوب الاجتهاد على كل مسلم يباله التكليف الشرعي، أي أن الوعود هنا وجوب عيني يتوجه إلى كل فرد بعينه دون استثناء، لكن تمتع من الوجوب العيني هذا أن تنفيذه يؤدي إلى العسر والحرج للناس، وإن حلتان الظلم الاجتماعي العام، لأن حسب الاجتهاد يستلزم التشريع من

سائر لأعمال المسجة وغيرها في حين أن التمرع هكذا يعطل حركة العمل والشاغل الاجتماعي، فيقع العسر والخرج ويحتل نظم الحياة فينتج إذن أن الاجتهاد واجب وجوفاً كما أن أي أن قام العصر به يكفي في تحقيق العلية منه، وهي استمرارية حركة التشريع مع استمرارية تجديد الحياة (راجع نظرية انعقد...).

كتاب «نظرية انعقد في عهد الحميري» يطرح مسألة أخرى ذات شأن كبير في هذه المرحلة من عصره يقف السيد المؤلف منها موقفاً اقتصادياً محققاً حين هو يعرضها بنظريته الاستقصائية النوائفة والمتكاملة مع موضوعها المسألة هنا هي مسألة «العقود المستحدثة» أي عقود التعامل بين الناس في العصر الحاضر خصوصاً والتي لا يطبق عليها أحد النصوص المدونة في كتب الفقه الإسلامي. إشكالية المسألة تتحدد بوضع السؤال الآتي

هل العقود المدونة في كتب الفقه هي المرجع في عصرنا، بحيث يكون كل عقد أو تعامل باصلاً لمعقد كونه لا يطبق عليه واحد من النصوص أو أشكال التعامل المقررة سابقاً في فقه الإسلاميين لأولين؟

هذه الإشكالية يضعها السيد هاشم معروف مفتاحاً لمجاله سلاح العلم وسلاح الفقه بالعلم. يبدأ معاشرة الإشكالية بوضع الخائب الآخر من السؤال - هل العقود المقررة سابقاً قد أقرها التشريع الإسلامي كتاباً وسنة، وفوقها المعناه في مجاميعهم، لا خصوصيته بها، ولا لأن الطريق إلى التعامل والاتجار واستكسب يجب أن لا يمحطها، بل لأن التعامل بين الناس في العاصم، في عصور التشريع وما بعده، لم يعد هذه الأنواع من العقود، ولا يرم ذلك أن الظروف والعصارات التي تختلف باختلاف العصور، إذا اقتضت سرياً آخر للتعامل والاتجار لا يحل بانظام ولا بالأداب العامة، يكون مصداقاً للعقود التي أقرها التشريع الإسلامي في الكتاب والسنة.

إن وضع المسألة بهذه الصيغة / أسوأ، يصعب على طريق حل الإشكالية بانحاده لاقتصادي فالسيد المؤلف - بديء الأمر - يجد جداً انعام في القوايين

الحديثة المعاصرة يقضي بأن جميع الاتفاقات والالتزامات، مهما كان نوعها وبأي شكل وجدت، هي من العقود، وتصحح نافذة لدى المتعاملين، إذ لم تحالف اصحاب النظام العام. ثم يجد السيد هاشم ومن المستصحب أن نترع هذا المسأ العام من دفعه الاسلامي، بعدم وجود اصول ولقواعد العامة لي تسمح بدحال كل ما هو مستحدث في النصوص التي اقوت العقود السابقة وأمرت بالوفاء بها. لكن، بعد هذه الحفظات في المسألة، نجد لسيد هاشم يتجه إلى اليسير، أي إلى العمل بما تقتضيه طبيعته ضروريا المعاصرة، أي إلى اثبات مشروعية لعقود المسحقة، استنادا إلى أن اصول لاسلامية لم ترد فيها ما يقتضي حصر العقود في نوع أو صف بخصوصه، ولم تعين نوع لعقد البيع والتجارة، بل أمرت بالوفاء بالعقود، وأجبت لتجارات، وكرمت على المسلمين أن يلتزموا بشروطهم واشتراطاتهم، من غير أن يتعرضوا لأنواع تلك العقود واصنافها، ولا لنهاية التعاقد وكيفها، ولا لشكر الالتزام وموضوعه.

هذا الموقف الاجتهادي الأخذ بمصومية اصول كتاب وسنة، يدعمه السيد المؤلف بالتوجه السامح الذي يثول هكذا

« ومعلوم أن الناس، في عصر تشريع، كانوا يعملون بينهم بالبيع والشراء، ويتعاقدون بجميع الأنواع شائعة في ذلك عصر وقبلة، فلا بد أن يكون الذي يجب عليهم اوفاء به، والبيع لمحل هم، والتجارة المسوغة لأكل المال، والالتزام الذي يجب تعهده، وهو ما يستفهم الناس عقداً وبيعاً وتجارة والتزاماً في عصرهم، وفي جميع العصور، حسب حاجات الزمن ومقتضيات الحياة. وكل ما في الامر أن الحاجة لم تدع في عصر تشريع وقبلة لا لتلك الاصناف من العقود، فهذا دعت في عصر من العصور إلى صف من العقود، كما حدث بالعمل في عصورنا المتأخرة، يكون المسحقة مرد (مصادف) بلعقد الذي يجب اوفاء به يقتضي نص الآلة في أيها الدين امر أو فوا بالعقود. ثم يلخص السيد موقفه الاجتهادي في مسأله قائلاً

« ويتغير أكثر وضوحاً أنه بعد أن فرضنا المشرع لم يخترع أنواعاً واحولاً لتعامل سمي ببيعاً وعقداً وتجاره وما دام الأمر مبروك في العرف، لكل

ما تفرسه حاجة المجتمع ويستعمله الناس ويستعملونه عقداً، يكون مشمولاً لتلك
لأداة العامة التي جاءت لامضاء ما هو متعارف بين الناس في مقام التعامل
والإتجار، (راجع كتاب «نظرية العقد في العصر الحصري»

أطرب البوفوف عبد هذه المسألة، لأهمية مسألة بدائيات في رساله
بالاحص، أولاً والأهمية الموقف الاجتهادي الاقناعي لسيد هاشم معروف
عن هذه المسألة، ثانياً. ولأهمية ما يقدمه السيد هنا من منهجية المصطفة
والمنهجية على كل جهات الحقيقة ثانياً

ولسيد هاشم معروف سناً وباحثاً، هو طالب احصاه، هو عاشق
احميه، ولأنه يجمع بين الطالب والعاشق في موضوع واحد، هو الحقيقة، لا
يكن محايد، لأن الحياد يدحض بعشق، لأن الحياد يعني للعشيق، لأن الحياد يعني
للدات .. يعني للعصية .. أي يعني للحقيقة نفسها

م يكن السيد هاشم معروف، كإسناد وباحث محايد، كان محار
الموضوع عشقه الذي هو موضوع علمه كان محار خصمته التي وضع
منصرف كل حالات الاسناد والبحث فيه تحقيقه هذه ثبات في وحدة
وحدة مكاملة وصلية الاثنان هما الشيعة والمعرفة. كل كتبه الأربعة
والعشر من الموضوع دفاع عن الشيعة، وعطاء سخي للمعرفة هو هكذا،
وكثير سطوع، في كتابه «الشيعة بين الأشعرية والمعتزلة» وبين التصوف
والشيعه .. الأول مهمي دواع عن استقلالية الشيعة فلسفة لكل من الأشعرية
والمعتزلة، رداً على خطأ شائع يساوي الشيعة باعتباره .. يكن الكتاب نفسه
دفاع عميق وشهيد من المعرفة، معرفة الفرق الإسلامية السياسية وعوامل مشاتها،
مع توسع في بحث تاريخ المعتزلة والأشعرية وبرحته وسائر الفرق والمذاهب،
وبحث رتبها ومعتقداتها، مع بحث مستفيض في مقارنة كل من هذه الآراء
والمعتقدات بآراء الشيعة الإمامية ومعتقداتها

أما كتاب «بين التصوف والشيعة» فهو كذلك دفاع عن استقلالية الشيعة
بالنسبة بمنصوفة وللفكر الصوفي، رد أيضاً على خطأ شائع بأن الشيعة واحد من

أوسع الروافد التي انطلق منها التصوف وانتشر في الأوساط الإسلامية . . لكن الكتاب مع ذلك يشكل مرجعاً غنياً وموفقاً وأميناً لدراسة حركة التصوف في الإسلام والمجتمع العربي - الإسلامي خلال العصر الوسيط وما بعده . . وهو كتاب يقدم فيضاً من المعرفة يوترق حتى لساحثين مادة معرفية في الموضوع معروضة بمنهجية واقعية وبتعميق بحثي مشير.

السيد هاشم معروف: اسامياً وبحثاً إسلامياً، هو من عاش فيه كل من الإنسان والباحث بورع عظيم . كان ورع الباحث فيه عطياً بقدر ما كان ورع الإنسان فيه عطياً.

سلام عليك أيتها الصديق لدي مسحتني رفقتك بعملة الفرحين معا . فرح الصداقة، وفرع المعرفة . وهذه كتبتك لمسحتني اليوم فرح اللقاء بك من جديد في زمن لا يزال - كمهدك - زمن المقاومة الوطنية رابعة البار والسور في تراب الجنوب لدحر العدو إسرائيل والياس من دحر إسرائيل . إنه الفرح الساطع أن نلتقائك اليوم من جديد في زمن لا يزال - كمهدك - زمن انتفاض التراب الجنوبي دفاعاً عن شرف الإنسان في لسان، وفي كل مكان

رفيق الدراسة

صديق المؤلف

الانتفاضات الشيعية في التاريخ

يقدم هذا الكتاب صورة صادقة عن تاريخ الشيعية في تعيه هذه الكلمة من
أبي النبي (ص) قد اختار علياً عاماً وحقيقة من بعده بأمر من ربه واصحابه الشيع
بهذا المعنى أصالة غيره كما جاء به محمد بن عبدالله (ص) من أصول ومبادئ
وتشريعات، كما يقدم صورة عن مسيرته الخلاقية لاسلامية وآراء الشعة وغيرهم في
الحاكم الخائر وما ارتكبه الامويون منذ استيلائهم على السلطة من الخرائم وما قاموا
به من محاولات جادة لتحريف الاسلام وشوويه معالمة، وعن الانتفاضات الشيعية
بقيادة العلويين وغيرهم التي رافقت المهدي الاسوي من سطوته حتى لمظ آخر
أنعامه، وحاولت جهشي ان تكون حيادياً ومجرد للمحق والواقع، وأرجو ان كون
قد وفقت لذلك.

هاشم معروف الحسني

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

واحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد المرسل الأمين وعلى آله
الآئمة هداة المهتدين الذين حشدهم الله من حطبه وجعلهم الدعاء في طاعته
ورحمته ويركانه

لقد كان التشيع لعلي (ع) يلحق الذي تعب به كلمة الحقيقة، لا يعدو كونه
امتحاناً لاغنام المسيرة بالاسلام في امجاد هذه الدنيا الواسعة ويهدد الاعتبار كان جزء
من الرسالة التي أرسلت على محمد بن عبدالله ليبلغها الى البشر كغيرها من الاصول
والمبادئ وتشرعها ما دام بين الاحياء، ويتولاها من بعده من اختاره الله لها،
ولا تعني شيك آخر وروء متناهية لمسيرة بالاسلام لتحرير الانسان من التوسيط ومن
سيطرة الاهواء والميوس والشهوات وتخصيص الضعفاء والمعدسين والمستضعفين من
مطغان السادة والحاكمين والمستعبدين

ولما حذر الله رسوله الله واجرأت لامة عن لخط الرسائل واحتيازاها لإدارة
شؤون لامة اوتلتك الذين تعاضدوا على احكام واستخدموا سنة الرسول (ص) التي
كانت مكنته من انصار الحاكمين يعيشون بها، متار تحمي وروء ما كانوا يصبرونه
من سوء لمرساله ومسيرتها، وراحوا يعممون على اظهار لتشيع نبي وآله وكان

حرب من الأحزاب ويذهب كل فريق مذهبا في تاريخ ولاتته يختلف عن مله
الآخرين، ولو أنصف النحوي وتجرد عن برعائهم وأحقادهم لمرونة واستغلو
العقل والمنطق في بحوثهم بدلا من جزار ما تناقلت لهجامع من مصنوعات أبي
هريرة وابن جندب وساء لزيبر ولزهرى وغيرهم لانجهموا الى البحث والتنقيب عن
مصدر التنس وكيف نشأ وترجع في ظل أولئك الذين استحدثوا السنة لتضمي
على عروشهم صفة الإصالة والبيعة لدعوة الرسول ورسالته، وجذبت اليهم تلك
الاموال التي كانت تدفق على المدينة من هاشم الحروب جمهر المسلمين طمعا في
برهم وصلاهم، ولكن القسم الأكبر من تلك الاموال كان يذهب الى القرشيين
وحاشية الخليفة ولا يعمل بغيرهم من عامة الناس وسوادهم الا السزد القليل
وبخاصة عندما انتهت الخلافة الى عثمان واستغل الحزب الأموي خلافته وجميع
مصادر الدولة ومقدرات الأمة، وأصبح مع ذلك يتحاور بالاستهتار بالقيم
والعادات ويكل مظهر الاسلام، بما أثار عصب الجماهير وشعرهم بالحرمات،
وأحد ذلك الشعور بتماثل في الحجاز وخارجه، وبدلا من أن يقبل الخليفة تلك
القيمة العارمة بمحاولة لإصلاح واحد من اسراف امرته في الاستمالة والاستهتار
وهدم أخلاقه، بدلا من ذلك وقف الى جانب امرته وحواشيه ومضى يتبع قادة
المعارضة ويلاحقهم بالنصر والتعيب والطرده الى خارج المدينة كما فعل مع جماعة
من وجوه الصحابة وأعيانهم، مما دعا المسلمين في خارج المدينة الى إعلان الثورة
عليه وحللال المدينة الذي انتهى بمصرعه، وكان اربع الأول من تلك الثورة
معدية من هند وأبي سفيان الذي يجسد أحلام أمة وعاءها لسافر لبيت الهاشمي
والمرساة التي أطلقت منه لنحيم الناس على سعيد واحد وهو الإيمان بالله
والعمل بخير الجميع، تلك الرسالة التي كان يشهد عبي (ع)، ولطف حوله العرب
والموالي يومذاك لأهم كانوا يرويه اعتقد الوحيد من تسلط القرشيين واستملاهم
ولكنهم سرعان ما بدأوا يحضون من حوله بعد أن ساء بينهم وبين الموالي والعبد
وأراد أن يطلق الاسلام بدون تفصيل ومحاباة فكانت سيرته السياسية والاجتماعية
مذابة بحال جديد، فصال المؤمنين بالقيم الإسلامية ولشعارات التي رفعها الاسلام
صد الجاهلية الجسية التي كان يجسدها الحرب الأموي وأعلنها حرما لا هوادة فيها
على تبصع الوجوه في مسيرة لثورة ضد الشرك الذي تسر بالتوحيد وبإطلاء خميف
من الاسلام.

لعد وقف طلحة والزبير وعائشة في حاسبه معكوي الشرك والجاهلية

المحذرين الذين قادهما الامويون و شتركوا في حربه علي، وكان ما كان من امر تلك المعارك في البصرة و صفين و المروان و كنت نتائجها مصلحة الامويين و تمتلئ السلطة اليهم يتداولونها ندول ابكرة كس كان يتعمى هم ابو سفيان بن حرب و أهم النبي (ص) من وراء الغيب يسرور عن مسيره سرور القردة، مراعه ذلك المشهد و جاءت الآية المكرمة لتؤكد به رؤيته:

وما جعلنا رؤيا بني ارباك الا فنة لباس و الشجرة المدعونة في القران.

وانجى الامويون بكل طاقتهم بنسبون عن احمادهم علي بيت محمد بن عبدالله الذي قهرهم و وضع كبرياءهم خلال معاركه معهم فسمو ذريته بالقسل و الاسر و نشره و سه سب ابن عمه علي (ع) النبي قال له اكثر من مرة بحضور حشد من صحابته . يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فقد كفر بالله، فكانت المحارر و قرول الشهداء في العرق و غيره تلاحق على أيديهم و سيوفهم المصنعة عن الخطالين بالحق و تطبيق العدالة التي دعا اليها لاسلام و صحن علي و سوه بأنفسهم و بكل ما يمكن من اجدها ومن اجل الاسان و كرمته و تطبيق العدالة التي تحمط نكل سنان حقه و كرمته و كانوا لقدوه الخيرة المعطاء لكل تائر على ظلم و الظالمين و مراعه المصنوع و سترهم حتى اولئك الذين هدموا الحكم الاموي و انعموا بفسادهم الخاص و طمعوا في السلطة كالسريين و اس الاشعث و العاميين و غيرهم . وقد عرضت في كتابي هذا المراحل التي مرت بها الخلافة الاسلامية و مواقف الشيعة و ألتهم منها و آراء المسلمين في احكام الخائل و موقف الشيعة منه و الاسباب التي قضت على الشيعة ان يكونوا مستهدفين للحكام في مختلف المصنوع و انتفاضات الشيعة في وجه الحكاميين منذ ان اتيح للحرب الاموي ان يتسلم عقائده السلطة و حتى لفظت الدولة الاموية آخر انفسها و ما جعلته عجرة لطف من المرات العيمة في جميع الاوساط الاسلامية، و ما الى ذلك مما يتصل بموضوع الكتاب و اعتمدت في جميع ذلك على المصادر التي تعتمد في بحوثها على المطلق و الحكمة اكثر من تعرض و انقل، و أرجو ان اكون قد وفقت الى حد ما لاعفاء صورة صحيحة عن تلك الانتفاضات التي رافقت العهد الاموي حتى لفظ انفسه الاحيرة بسواعد الشيعة الذين مزعت منهم ثورة الحسين روح الثواكل و الخضوع للظلم و علمهم كيف يعيشون احرار و يموتون كراما في بمنكة الجالدين . و منه سبحانه أستمد العون و التوفيق و السلامة في الدين و الدنيا و ان يجعل عملي هذا خالصاً بوجهه الكريم به سميع عليم.

صالة التشيع ومرقته للدعوة منذ مطلعها

لقد تحدث انقذامي والمحدثون من الكتاب والمحدثين والمؤرخين عن اشيع ودرجته، وأسرفوا في احاديثهم عن ربحه أسر فاقل ما يقال فيه انه يعتمد على التحير لعقائدي ولا يحرف مع تيارات المذهبية النعادية للشيعة منذ قدم بعصور الإسلامية لي تداول لقرشيين فيها اختلاف بعد النبي (ص) فربوا طويلاً، معمدين في بداية معركتهم مع الانصار الذين تطلعوا اليها بعد ان وحدوا في كفه المرحجان اوشكت ان تكون الى جانب مهاجرين المتأمرين على انقراضها من اصحابها شرعيين، معتمدين منذ افرقة القرشية التي كانت تشدهم من ناحية نسب لا غير ان النبي (ص)، في مقابل الانصار الذين تسدحوا بصنتهم بالرسول عن طريق العقيدة والايمان والجهاد والتضحيات التي بذلوها في سبيل الاسلام والمسلمين.

لقد سمح المهاجرون مرشيتهم التي كانت تشدهم الى الرسول وجمعهم وياه على صعيد واحد، صعيد الأسرة والقبيلة التي حاربها الاسلام في عشرات مناسبات والعي جميع ما ه من لامتيازات العرفية بجمع مسلمين كلهم على اختلاف احساسهم وأنواعهم وحياتهم وما في ذلك عن صعيد واحد هو الايمان بالله ورسوله والعمل بخير الناس اجمعين

لقد استخدم مهاجرون في معاني الانصار لغة القربى البعيدة لتشعبه لمروع ولاهواء واسرعات، وبجانبوا الأقرب الى الرسول (ص) في النسب والروح والعقيدة والجهاد وكل ما جاء به من عند الله، وظل لقرشيين من امويين وعباسيين

يعد انقراض عهد الرشد بين النبي لم يجاوز الثلاثين عاماً، يند ولوجها لكثافة انسيب
يسخدمون الحديث المزعوم في مقابل من يسعيها من غيرهم، ويعملون بكل ما
لديهم من جهد ومكانيات هائلة لتعظيم على التشيع بكل وسائل الارهاب،
وبشراء الصنائع وتسخير المحدثين وغيرهم للكذب والافتراء، ووضع الاحاديث لقي
بصور التشيع عني (ع) وكأنه من اسحق المدم والتهريب لكل ما جاء به
الاسلام من قيم ومبادئ وشريع وتنظيم شامل لكل نواحي الحياة ومراحلها

وكما من جهة بقررت جهود حاكمين والحاقدين على التشيع هم اعتبروه
مظاهرة طارئة في المذموم الاسلامي، وقطاعاً من جسم الامم لاسلامية يكون على
مر الرمن تتجه لاحداث وتطورات اجتماعية معينة أدت الى تكوين أفكار وراء في
حجرة من ذلك الجسم الكبير ومن ثم سمع ذلك حزة في ظل ظروف معينة
وأصبح مذهباً لعريق في عداد اممهم والشرق في اقررت الاحداث والتغيرات
خلال القرون الاولى من التاريخ كما يرون

وبعد هذه الافرصات مزعومة راجح جماعة من الباحثين يبحثون عن تلك
الاحداث والمضمرات التي سجلت تلك المظاهرة، وولادتها من ذلك الجسم الكبير
عيب وسهلاً، وحملت آراؤهم في ذلك اختلافاً لا يمس على الملأ ولا على دليل
يمكن لاصمئان اليه، فأسسها بعضهم الى اليهودي المزعوم عبد الله بن صبا مسعياً
بأن السنية قدمت نشاط هدم الاسلام وعريه، وهتف بأحقية عني في الخلافة عن
طريق الوصاية ونكتل حول السنية جماعة من مسلمين ومن هؤلاء تكونت مظاهرة
اشيع بين المسلمين الاوائل

وهناك من يرد تلك المظاهرة الى نغمة انقصيره التي انتهت فيها الخلافة الى
الامام عني (ع) وبه هياكل تلك المرة من أحداث وحروب ومشاكل كادت ان
تستوعب سبي خلافتة القصيرة، وجاء تشيع فيها لعني كرد عني موقف اباكتين
ونقاسطين ومارقين وما ر في ذلك من افكار صهت في ذلك نغمة عن طريق
الخروج كقولهم بأن مامة المسلمين لا تختص بعنه دون الله ولا بعريق من اساس
دون عريق، ولا هو من الواجب على الله وعلى الناس في غير ذلك من افكارهم
ومملااتهم فيها ما بسب اليهم من تكفير عني (ع)، ودعونه في التوبة من خطية
استحكيم، وكان مما لا بد منه بضر الدكتور احمد صبحي وعيره من الدكتوراة وجماعة
من مشرقين، ان يقاس ذلك بتقديس عني (ع) ورفع مقامه الى مرتبة وصي النبي
وحبيته بانهن الالهي

وعصبي أنصار هذا الرأي في إسماعيلهم ومعالطهم الى لقول بأن الدين رجعوا يد به التشيع الى وفد الرمسون (ص) ليس لديهم ما يعتمدونه سوى أنهم وجدوا من بعض المهاجرين القلائل كأبي ذر وعمار وسهال الصرمي وبنو قليس غيرهم تصليب في ماصره وموالاته وتأيدهم له، كي وان الذين رجعوه الى الفترة اسي استولى به على خلافة يعتمدون في ذلك على وقوف كثر المسميين بجانبه في المعارك التي نشبت يوم ذلك به وبين الخرجيين عيه في البصرة وصمين والمنشقين من جيشه في النهرون وكان هو يسمى اصاصرين له في تلك المواقف بالشيعه، في حين ان المناصرين به في تلك المعارك على كثرتهم لم تكن تجمعهم عقيدة واحدة ولم تكن مواقفهم من اصحابهم متباعدة هدف واحد، فلقد كان من هؤلاء الذين وقفوا الى جانبه مع المؤمنين بحقه في الخلافة جماعة يحشون عر مصيرهم من الامويين عينا لو استعصمت لهم الامور ولعل كثر الانصار الذين وقفوا الى جانب علي (ع) كانوا يحسبون ان الامويين سوف لا يقومون موقف كريما من كل من ناصر محمدا بعد هجرته الى المدينة حوى من فريش وقادته، والامويون يوم ذاك من ابرر لقادة المذوئين لمحمد (ص) ودعونه «طلبوا على موقعهم المعادي لها طيلة القرون التي اتيج لهم عيها ب يسمطوا على الناس في شرق والغرب باسم الاسلام.

وهناك من يرد ظاهرة التشيع الى مصرع الحسين (ع) في كربلاء، وهؤلاء كي يبدو من كتاباتهم حور هذا موضوع برحسون ان استشهاد الحسين (ع) كان نقطة تحول عامة في التاريخ تفكري والعقائدي للتشيع، لان آثار تلك المجردة لم تقتصر على ادعاء بار التشيع في نفوس الشيعة وسوحيد مصيرهم، حيث بهم كانوا قبل مقتله متصرفي الكدمة والاهواء، كما وان انشيع قبل مقتله لم يكن مسوى رأي سياسي لم يمتزج بدعائهم، هلي قتل (ع) امتزج بدعائهم وتغلغل في أعماق دعوهم ودموهم وأصبح عقيدة ر سحة عميقة الاثردعنتهم الى التصحية والجهاد في سبيله

ومعني أنصار هذا الرأي ان القول. إن دم الحسين (ع) قد ترك عينا تركه من الآثار ما جعل لتشيع بعد مقتله حركة اشتقاقية على نطاق واسع بين المسلمين، ومن ثم انفصل الشيعة عن لاسلام الستة انفصالا يكاد ان يكون تام في الآراء ومعتقدات

وقد أيد هذا المضمون جماعة من المستشرقين، وادكتور عبي اخراطولي في كتابه: تاريخ العراق في ظل العهد الاموي

وبصر لا سكر على هؤلاء ولا على غيرهم ان دماء الحسين بن علي (ع) أحدثت في الكوفة وحتى في العالم الاسلامي يومذاك هزة من أعنف اهزات ما كتب لحدث لولاها بالرغم من انتقمة لعارمه على حكومة الامويين الذين استعبر اخلافة الاسلامية لاعادة سيطرتهم وتسلطهم وعدائهم السافر بالاسلام وعوده الروح الخائفة الاولى باسم الاسلام، وقد مهدت دماء الحسين (ع) لنشيجة وهياتهم لشوره على ابطاله والظلمين متحدين من مصرع الحسين مثلاً كريماً صبر على البلاء ولا استشهاد في سبيل الحق والمظلومين والمستضعفين في الارض بالرغم مما أحيط بمسلمين من اضطهاد فكري وسياسي بعد أقصى الحدود في العصرين الاموي وعباسي، وكانت الانتفاضات الشيعية التي شهد في هذا الكتاب تشهد شرعيتها وقوتها خلال لقرون التي بليت مصرع الحسين من مبادئ الاسلام ودعواته و الاستشهاد والتضحيات لانقاذ المستضعفين والمضطهدين من تسلط الحاكمين وجورهم، وفي الوقت نفسه قار موقف الحسين (ع) في كربلاء كان ولا يزال مثل الاعى لكن ثائر ومباصل في سبيل حرية الانسان وكرامته.

ولكن الذي سكره على هؤلاء وأمثالهم ممن يرون ان التشيع من الاحداث لطائفة اسحجية على الاسلام كغيره من الفرق التي ظهرت في عهد متأخر عن وفاة الرسول وفي ظل ظروف معينة لم تكن اصابع الحاكمين بريئة مما لاسباب تمكن لهم الاسفراء وتقيهم شرور اهراب والانتفاضات التي كانوا يتعرضون لها بين الحين والآخر ممن كانوا يطالبون بتنفيذ لعداله واصلاح شؤون الدولة وانظمتها المصانة

لذي سكره عليهم هو ادعاؤهم ان انتشع لم يكن قبل مصرع الحسين وان كلمة تشيع لم تكن تعني المفهوم وحسوي الذي ظهر لها بعد ذلك وانه قد انفصل عن الاسلام لسي انفصالا تاما في الآراء والمعتقدات وبصر على انه قد رافق الاسلام منذ مر حبه الاول بمقتضى نصوص الرسول (ص) على عبي للقيام بمهمات اخلاقية وشؤون من بعده تصريحاً تارة وتاميحاً اخرى في عشرات مسائلات والموقف من بعده الله وحتى اللحظات الاخيرة من حياته، وقد حصل له كل ما جعله الله به من الصلاحيات الروحية والاحتياجات السياسية وانه لا يخفى عن الاسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله في شيء لا من الاصول ولا من المروء، وعلى اساس ذلك نقول وبصر على انه أصيل اصنامه الاسلام وغيره كان من الاحداث الطارئة التي فرصتها لاهواء والمصالح

وفيما أطرد من الذي دعا أكثر لبحث في هذه المصيبة في افتراض التشيع من الظواهر الطارئة في المجتمع الإسلامي، هو أن الشيعة لم يكونوا يمثلون في صدر الإسلام إلا مجموعة محدودة من الجسم الإسلامي لأن الأكثرية العالمية من المسلمين بعد وفاة النبي قد وقعت في حجاب حاكمين، واستبدت ثبوت في جانب علي (ع) كانوا محدودتي العدد بالنسبة إلى غيرهم، وبعد أن تعاقب انطامعون في الحكم على الخلافة من أمويين وعبرهم وصرفهم عن أصحاب الشرعيين، حتى انكسروا بمسند انتصارهم من بعض المحدثين والمترفة فكريه لتسبب التي تعني الانسحاب نسبة الرسول، في رجوع الطريق الذي الشيعة إلى الأئمة الشرعيين باعتبارهم يمسكون الإسلام وسنة نبي الإسلام، ليس بعيد أن يكون ذلك هو الذي دعاهم إلى افتراضه من الظواهر الطارئة، مراحوا يبحثون عن سببه من خلال ما طرأ على الإسلام من أحداث وتغيرات أدت إلى ولادة التشيع يعني (ع) ومن بعده للأئمة الاثني عشر حسب التسلسل المعروف لدى الإمامية.

وبلا شك فليس من المنطق ولا من المألوف في معرض لبحث وانحصار من وقع الأشياء لاعتماد على لكثرة العددية أو قوتها واعطاء الأكثرية صفتي الاصلية وسواقعية، والاقبل عددا صفة لظهور الطائفة المشتقة عن ذلك الجسم الكبير لأسباب وأحداث كما يدعيها بعضهم زورا وهنا في حين أنها لا تمت إلى الإسلام وأيدي بصره من انصلاط، ولا يجوز بحال من الاحوال أن يكون ذلك من جملة التصورات التي نبي عليها بحثنا عن لانقسام لعقائدي في الرسائل الإسلامية في شيعه وغير شيعه، كما لا يجوز أن نمرن ولادة التشيع في إطار رسالة الإسلامية بولادة كلمة الشيعة كمصطلح أو اسم لفرقة معينة من المسلمين، لأن ولادة لاسماء والمصطلحات لا ترتبط بشيء محبوس والاتجاه، فدا لم تكن هذه الكلمة متداولة في عهد الرسول وبعد وفاته كما يرغم وثقت الدين بتعلقون باللاهوت والامراضات ليفصلوا لتشيع عن الإسلام كغيره من الأحداث اطاره والفرق التي انتشرت في مطلع القرن الثاني لأسباب وصروف معينة، إذا لم نحصد كما يرغمون فلا يعني ذلك أن النبي (ص) قد اعمل هذا الحبيب من حوائط رسالته ولم يبين من يتبع المسيرة بها إلى جميع أنحاء العالم الذي رسل لاقده عما كان يتحيط فيه أسان ذلك العصر وغيره

وحينما سنعرض تلك الثورة التحريرية التي قادها محمد بن عبدالله (ص) خلال ثلاثة وعشرين عاما من حياته بجميع نواحيها الروحية والاجتماعية

والاقتصاديه والعسكريه والادنيه ولي تشمل جميع حروب احداث الانسانية في شبه
الحريرة وخارجها من دفاع الارض، وما عداها في هذه سبيل من قومه وغيرهم قبل
ان تتقن ماله في ما وراء شبه الحريرة التي كانت تحكمها بالاصافة الى الدول
الكبرى يوم دانت دوليات تتاحم حدود الحجار مطلق الدعوة، وفي بوقت دانه كان
الكثير من عرب الحجار وفائه قد دحرو مع مسلمين وحرصوا في صغرهم ولما
مدخل الاسلام قلوبهم وكان هو نفسه (ص) يحاذر من نقلهم على الدعوة بعد
وفاته كما تؤكد ذلك ظائمه من مرويته لصحيحه حيث يتعرض لساحت كل
ذلك وما كان يحاذر لعرقلة مسيرها حتى في حياته يخرج وهو على يقين من انه (ص)
مد مرحلها الاولى كتاب يسمى لها من يتبع لسيما كما اراده الله ما ويعدده عددا
صالحا لقيام بكل ما تعرضه الظروف والمساكنات وما يحثه يستخلص من تطورات
واحداث على جميع الاصعدة التي تعرق مسيرها، ولعل المساسات التي كان يشير
فيها من احذره الله بتلك المهمة بده ويصرح باسمه ووصفه للجمهور الاعظم
ويحضور من كان يطمع فيها وما تارة اخرى، لعل ذلك من مسانيد بني كانت
من هذا النوع تعدد عشرات كما حصص لجميع لتدريج واخذت اسية
ونشيعية

وقد حدثت عن انتشيع ومراحله وما قيل فيه من ذرء والافكار الحديثة مما
والمدجج في فصل الاول من كتابي (بين الشيخ والمصوف) وعرضت فيه مجموعة
من الاقام التي تؤكد ان اولاده التي جعلها سي (ص) لعي (ع) من بعده هي
عبر الولاية التي جعلها الله له وعن ساسها كان يدارس جميع شؤون الدينيه
وعبرها ومخطط لامداد العالم من اوثقه وما كان يعاينه من ظلم الحكيم والسلطين
حلال المدة التي اقامها في حديه بعد هجرته بها من مكة، بل هي في واقعها
امداد لولايته بقى اسيرة التي استقطبت ثلثه وعشرين عاما من حياته في مكة
ومدة لتحرير العالم بأسره ما كان يتحفظ فيه في طريقه الصحيح، ومن هذه بولاية
وبد انتشيع لعل ممد ان جعلها له التي (ص) عمى اصناد الرعامه له من بعده
وعظائه اصلاحيات التي كان يمارسها ويقوم بها من روحية واجتماعية وسياسية وما
اي ذلك من الشؤون والمهام التي لا يجد لتحرير بولاية عبي واصبح كثر المسلمين
لا يروون بقيادته بديلا، وظلت فكرة اولاده تتدحرج في نفوس مسلمي الحجاب
غيرها من صور الاسلام ومبادئه التي (ص) يعاهدها ويعيد بنوصياها وبصوره
بين الذين والآخر في مختلف المكاتب
وسعه تلك المواقف التي وعدها التي (ص) صهر لشيعة على مسرح ممد

وفاته مباشرة ممثلاً في المسلمين الذين خضعوا لقيادته عميق مد اللحظة الأولى
 بوفته في موقفهم من انطاميين في خلافة ومن تحركاتهم سلاسل على السلطة،
 والنبي لا يراد حث هامة في بيته بين اهله ونبيه، وم يكن جميع الانصار في
 سقيفة بني سعد الا نتيجة تلك المساعي التي كانت تدل جيداً لاجلح سد
 انصاره، وكان بالامكان ان يكون له تأثير مباشر على مسيره انصاره بني كنان من
 برد انطالها انو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح لولا انهم استطاعوا
 تارة المعرات القسمة والاحقاد الكامة بين اخيين الأوس والخزرج والتي كادت ان
 تتلاشي بعد دخول النبي (ص) الى المدينة وتشر الاسلام فيها وقد وقف جماعة
 من اوس الانصار الى جانبهم لا لشيء الا لان سعد بن عذابة الخرجي من ابرر
 مرشحي الانصار وامواهم، ولم يستمر مؤتمر القسمة على المحو الذي انتهى اليه الا
 بعد ان نسب انو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح الى النبي (ص) انه
 قال الخلافة لا تكون الا في قريش لقد بسوا الى النبي هذه المسألة بعد ان
 صحتوا عن معارضة الانصار بالتحجج بني كنانو يشارون بها، وكان الانصار يمتحنون
 بجهادهم وبخدمتهم وتضحياتهم في سبيل الاسلام فهل تجددهم الخجج والحديث
 سرعوم يسادي بأن الخلافة لا تصح الا بكل من يقرض فيه ان يكون قرشاً
 يتنسب الى قهر بن كلاب كما يرى ذلك كثير المؤرخين في حوال العرب قبل
 الاسلام ولكن كثير مسلمين من الانصار وغيرهم يعرفون ان الحديث غير
 بعيد عن مفهوم الاسلام لانه يؤكد مبادئ حامية لعامة على تنموي السلافي
 وانعصبيات القوم وتقليد ويستقص مع المبدأ الاسلامي سدي لغو جميع هذه
 الامتيازات وحاربها في حربه من نظم وأفكار ومعتقدات لم يكن الخير لاسانه التي
 جاءت لشرائع سماوية من اجل عرقها وكرامتها وسعادتها وحبها من حور
 الحكيم وجلس المسلمين والمستظفين

وكان النبي (ص) في اكثر مرفعه يؤكد على انهاء العورق والامتيازات التي
 تصف اناس الى فئات وطبقات، وشريف ووضع، داعي الى وحدة سلامية
 هرونها لتوثيقه الايمان بالله والعمل بما جاء به من عبده، وكان آخر تلك الموقف
 التي كان يفتي من اجل تلك الوحدة لاجتثاث تلك سرعة الخاهلية من نفوس
 المسلمين، موفيه في حجة الوداع بين عثرات الانوف من مختلف اتحاء شبه
 الجزيرة، حيث قال ايها الناس ان ربكم واحد وأماكم وحد ليس بغيري على
 عممي فصل لا مانعوى، كلكم لآدم وأدم من نرب ان اكرمكم عند الله
 اتقاكم

وما يؤيد عدم صحة الحديث هذه النسخة ان لدينا احتجاجا في مقدر
 الانصار وكان من اوفر ادلتهم حفظ في الكتب على الانصار قد تجاهلوه بعد ان
 استثبتت هذه الامور وسائر كذا يريدون، وكأنه لم يكن بين الروايات عن الرسول
 (ص) فنقد روى اكثر مورخين ان عمر بن الخطاب قيل وفاه بعد ان اس
 بخطر موت قار هول لم ير حده شأن من ثولي لخلافه من بعده لو كان سلم
 مولاي ابي حنيفة حيا لوليه، ولو كان ابو عبيدة حيا لوليه، مع العلم بان سئل ليس
 بقرشي ولا عوفي وعنه هو من ملوحي.

ان اندي كان محتج به بدلا من قريب شيت بيعة لابي بكر فقد تراجع
 عنه بعد سوار معلودات وقال ان بيعة ابي بكر كانت فلسفة لم نظم على اسرار
 سيرة وثني لو كان سلم بين الاحياء لسمه خلافة كانت بعد وفاة صاحب الرسالة
 لا تصح عادة الانصار الذين بدلوا علي و سرخيص وحتى دماءهم في سبيل
 الاسلام لاهم لا يكون لفريش، ولخلافة لا تصح لعير لفريش كعثماني
 عدل ومعاوية بن ابي سفيان ويريد بن معاوية وانريد بن يزيد ومثان هؤلاء من
 يثلون شرك ويحسدون بكل اعمالهم وتصرفاتهم ومعتقداتهم

ولو فترصد صحة الحديث وصدره عن النبي فلا بد وأن يكون اشارة الى
 اشخاص معروفين عند مصنفهم واسمائهم نحو انفسه ابحرية وهم اسدس
 عاشر بقوه كما يؤكد المرويات عنه لائمة بعدي اثنا عشر كنهم من ولد علي
 وفاطمة كما روى ذلك جماعة من محدثي معروفين بالشب والثاقفة، كما روى
 حديث لاثني عشر ابحاري وغيره من محدثي لسة، وحياء في بعض مرويات
 البخاري للحديث ان نبي (ص) قال لا يعضي هذا الامر حتى يمضي هيهم اثنا
 عشر حلقة، وفي بعضها هم من قريش ورواه غيره من اصحاب الصحيح بصيغ
 مشبهة واكثرها صريح في هم من ولد علي ودطمة فتكون كمنه قريش ان صح
 ان قد وردت عن لسد النبي عواب لائمة لاثني عشر الذين احبهم الله من
 بين حلقة واحتملهم عبادة الامة من بعده بالتسلسل سدي ذهب له الامامية
 وصفت عليه مروياتهم عن اهل البيت (ع) لانهم يحسدون سيرته لكرامة وتعظيمه
 الخيرة سيرتهم وسنوكهم وجمع نصرهم، لا لاهم من قريش ليكون الحديث
 مدعيا كان يامر به ويدعو به من لعاء انورق الفقيه والمصريه وما الى ذلك
 من الاميانات التي تضع الحنود والنفورق بين الناس

ونظر شيوع الحديث وشهرته عند محدثي لسة وشيوخهم نحو ما يبدو

سبيلا لتجاهده وهو يمينا وشمالا بعد ان تجاوز عدد الخلفاء انعشرات من الامويين
وابعاسيين وكانوا من امراء خلق الله في سرهم وسركهم وتعاطيهم لكن انواع
السكرات ذهبوا يبحثون عن ثني عشر حليلة بين خلفاء الامويين والعباسيين
واحصلوا في تعيينهم اشد الاختلاف، في حين ان اكثر الاحاديث التي تعرضت لهذا
العدد قد اقترنت بما يؤكد به (ص) لا يعني سوى الائمة لاثني عشر من ولد علي
وفاطمة (ع)

ومهما كان الحال فقد وقف جماعة من المسلمين منذ المخططات الاولى موقف
صديقا من خلافة ابي بكر وأصرروا على بيعتهم لعلي (ع) وحده في الاحتجاج
لنظريتي عن ابياد بن ثعلب انه قتل في حجة عمر بن محمد الصادق (ع) جعلت
هذا هل كان احد من اصحاب رسول الله (ص) انكر علي ابي بكر معه؟ فقال
معه بقدر انكرها جماعة وعده منهم اثني عشر رجلا من اعيان المهاجرين والانصار،
ومن مجموع ذلك بين ان بيعة ابي بكر بالشكر اندي تمت عليه وبذلك السرعة لم
تكر لتدخل في حساب اكثر المسلمين لا سيما والي لا تزال مسجى بين اهله
وتوحيه

وبعد النصوص، نكتسه من لسي (ص) على حليلة من بعده وبعد موقفه
الصريح في عذير حم قيس وفاته بأشهر معبودات الذي لا يرل مائلا هم، وبرات
ذلك الصوب الكريم الذي يعبر عن رادة الله سبحانه في وسط تلك الحشود الهائلة
من مختلف سحاء شبه الخريزه لا يراى صده يعاودهم بين الحين والآخر

وم يشأ الانصار ان يفي سب موقفهم من خلافة ابي بكر سرا يمكن تفسيره
على غير واقع، بل كشف عنه احد انصارهم ريد بن ارقم بحضور تلك الحشود
المجموعة لشيع اخنوخ انظار الى مقره الاحير وقال ما رفته وها كنت لعلي
اس ابي طالب لم يخالف ما حد كيا حه في رواية من ابي حديد في شرح النهج
عن الربيع بن بكار، وكما نصت روايه لثوري في لمحمد الاول من تاريخه صيغة
١٩٨ على انه خلال الحوار اندي جرى بين ابي بكر ومن معه من المهاجرين وبين
الانصار من جهة اخرى، اقترح على محتملين في لسيمة ان يسحب لابي عبيدة
او عمر بن الخطاب لاقام ما اتفقوا عليه من استراخ لخلافة من اصحابها
لشرعيين، قال الانصار لا نبايع الا ابي بن ابي طالب

ورجح الاساد توفيق ابو عثم في كتابه اهل البيت ان سعد بن عباد لم

يوشع نفسه في الا بعد ١٠ أيام ان يتأمرين من المهاجرين مصممون على اشرع
الحق من اصحابه

وبلا شك ان موقف الانصار هذا لم يكن مجرد رغبة (ع) كان فصل من
عمره وأصلحها من جميع الوثائق نظامها ، من لاسم بالاصح الى ذلك سمع
الشي في عشرات المرات بذهله لصاده الأمان من بعده بانه ومن عليه نصرته
لا تفصل الأوس تارة أخرى ويؤكد على سببين في يسمعوا له في طين قيادته
الحكيمة لشرا لاسلام واساء صوته وقواعده في شبه خويبر وحارجه ، ولم يكن
استطاعه حد في حد من حشده ويضعهم من دعه ما يعمون من امر الخلافة ،
فلقد وقف سهل من حبيب بن المهاجرين وفيهم د بكر وعمر بن الخطاب بكل
ملك من حراء ونصرته وقال يا معشر قريش اشهد لهذا راس رسول الله في
مسجده وقد احدث بيد علي (ع) وقال يا الناس هذا علي امامكم علي ووصي في
حائي وبعد علي وقصي ديب ومنحر وعدي وأول من يهاجري على حوصي فطوى
من اتبعه ونصره ويويل لمن يخلف عنه وحده

كما وقف نفس موقف ابو يوب الانصاري وقال نفوا الله عباد الله في اهل
بيتكم وردوا ايهم حقهم لدي جعله الله مع فقد سمعتم مثل ما سمع
اخوانكم في مقام بعد مقام وتجلس بعد مجلس من بني رضى وهربقوب اهل
بيتي أئمتكم بعدي ويومى في علي (ع) وهو يقول هذا ميراثه وقاس انكفوه
مجدون من حده ومصو من نصره

ورفع هو هشتم من اسباب من المهاجرين موقفه نفسه وقال شهد
رسول الله (ص) قام علي في عدير حم و لا انصار قاموا فقد قامه حليته ، وقال
جماعة من المهاجرين به اقامه ليعلم الناس انه مؤمن من كان رسول الله مولاً ،
ولما سأل رسول الله (ص) عن مرده فقال انه ولي المؤمنين بعدي وأصبح الناس
لأمي ، الى غير ذلك من الموقف الخريفة بي تؤكد ان اسدين وقفوا في حانه في
المدينة كانوا من عيان مسلمين ووجههم ويقدرون بالثبات لا بالشراب ، ما في
حارجه فانهم الاكبر من وصيهم مؤرخون لا رتداد من الفائل والأحياء العربيه
قد انهم موقف ثبت ائمة من المهاجرين وتجاهلهم بحليته شرعي وهم حليته
عهد بموقف بني (ص) قبل اشهر معدودات من وفاته في عدير حم ، رحيمهم
يومذاك قد باركوا لعلي (ع) فيده للأمان بعد رحيل قائدها الأعظم عن ديبهم
انيسة بالشرور والاشياء ، ووقفوا من خلافة بي بكر موقفاً سبب حيساً بينهم

وتجبرها وفي انوقت ذاته كانوا يمارسون فرائض الاسلام وأحكامه سوى ما يعود
مها الى المصالح العامة التي يتولاها خليفة لسي كلركاه ونحوها كما يشير الى ذلك
أكثر المؤرخين

وجاء في صفحته ٢٢٩ من المجلد الثالث من تاريخ تطيري ان جماعة من
وصفوهم بالارتداد كانوا يقيمون الصلاة وأمسعوا عن تسليم الركعة في اجابة
يومذاك، وأصاف ان عشائر سد وهرره قالو والله لا نطيع ما انفصل الله عنهم
بدلك ما بكر، كما وقف بنو حبيفة الموقف نفسه بقيادة زعمائهم

وجاء في بعض الرويات اهم قالوا: لا مسلم الركاه الا لمن أمرت رسول الله
بجبايعته، فأرسل اليهم يويكر جماعه بقيادة خالد بن الوليد وذات «محررة» التي
قتل فيها مالك بن نويرة وجماعة من أنصاره وبرؤج خالد مروجة مالك بالاسلوب
الذي لا يقره الاسلام مما أحدث صدمة في «مواضع المسلمين» وهادهم ان يحدث ذلك
على حساب الاسلام في مستهل عهد جديد بعد دفن نبيي بأيام معدودات وكان
لابس لخطاب من مقتل مدك واستحلال خالد لروحه موقف كرم تفرغه أصول
الاسلام مهيا كانت دوفعه كما يرى حديث أكثر المؤرخين

ويحمل القوم ان عدد كبير من المسلمين في المدينة وحارجه ظنوا أوفياء
ليبعه علي (ع) ووقفوا من الحكومة الجديدة موقف سب كاذ ان يفرج عن ثوره
عارمة في العاصمة وحارجهما يسعها أعداء الاسلام كأي سبها وأفشاه من
المنافقين وبخاصة صفوة مكة الذين سلمو بعد الفتح، وكان لاسلام لعق على
المسلم لم يخطط قلوبهم ولا اصمات اليه فوسمهم بل حمت قلوبهم هم وخرن مما
انتهى اليه امر لاسلام في شه الحرية من الانتشار، فكانوا في حياة نبي (ص)
يتربصون بالمسلمين المواتر ويكيون هم ما وسعهم الكيد وبجليه عليهم احمد
وتفرج قوسهم لكن ما تصاب به الدعوة من نكاسة وهزيمة في معركة من
المعارك.

هؤلاء وأمثهم قد استنصوا موقف مسلمين في دحر هديته من خلافة
ورحوا يعملون بكل ما لديهم من سوسائش لأرغم موقفه وتعقيده، وبعد ان
ظهرت وتسررت اساء هذا الصراع الى خارج المدينة، خرج مسلمة بمن معه من
بنو حبيفة في الليلة، وطليحة بن حويلد بمن اجتمع اليه من عطفان وسد وطية
وكنانة وغير هؤلاء ممن لم تنبع الدعوة درجه لاحتبار في قوسهم بعد ان رأى علي
كل ذلك وأدرك الاخطار التي بدأت تنوح في الافق هما وهناك، وان اصراره على

موقفه يحقق للمنافقين والظالمين وغيرهم من لم يكن الإسلام قبل انهم في نفوسهم وحالط قلوبهم وعقولهم، يحقق هؤلاء وغيرهم من أعلنوا العصيان وامتدوا كسر ما يصبون فيه ويعصون من أجله في الطلوع، تراجع عن موقفه وترك الخلافه لادحيائها لأن مصلحة الإسلام هي أمر راعى عنده من كل شيء وقد وهب حياته لها وهو في مطلع شبابه، وإذا كان يطالب فيها بذلك لأجل الإسلام ولإنقاذ المسيرة في طريقها الصحيح السليم الذي لم ير النبي (ص) هلاك غيره، وهو فائق والله لأسأل ما سلكت أمور المسلمين ولم يكن حرجاً لأبي حنيفة والصالح في حديث له يصف فيه الموقف بعد وفاة الرسول (ص) فمن راعى إلا التمسك بالسنة صلى الله عليه وسلم فاستسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون أن محق الدين فحشيت أن لم أنصر الإسلام وأنه قد يرى فيه ثلماً أو هداماً تكون العصية فيه عظم من موت ولايتكم اني هي مع باه قلائل يزول منها ما كان كما يرول السراب أو كما ينشع السحاب وحينما وصح يده في يد أبي بكر ليقطع الطريق على مشيري النفس والمنافقين في الداخل والخارج الذين راحوا ينسبون بين الخزيين الموالين والمعرضين وحتى يرى لمن يدين كمشيئة وأمثاله حينما وصح يده في يده لم نشأ له معه الكبرياء وصراحتي في الحق الذي لم يترك له صديقا أن يقف مع موقف الضعيف المهروم وموقف من يسجدني رعد المخلوق بعصية الخلق من صارحه بما أنطوت عنه معه مدون موازية أو محابة وقال له: يا أبا بكر لم يمسحوا عن مبعثك ما نفاست على خير ساقه الله اليك، ونكسا يرى أن هذا الأمر هو حقا وقد استبدتكم به علينا وحلتكم بينا وبينه وقد فرصت علي مصلحة الإسلام أن أنعصى عنه لئلا ما يعرضه من أخطار.

لقد تحدثت معه بتلك الصراحة ليعلم هو ومن حوله من تعاونوا معه على الاستيلاء على السلطة أنه إذا كان يطالب بحقه في الخلافة فذلك لمصلحة الإسلام وإذا عصي عن حقه فيها فلمصلحة الإسلام أيضاً وعليهم أن يتحملوا مسؤوليته ما أقدموا عليه عند الله سبحانه

وطوبى بذلك صفحة من الصراع على الخلافة كانت من أغلى أماني سائس كأي سعيان وأمثاله للذين مهرهم الإسلام عن الخصوع له وانتظروا بضوله، وكان علي (ع) على صلة وثيقة بما كانوا يضمرون له من سوء سمكاتهم المعادية للخلافة أبي بكر وصروهم بذلك أكثر من مرة فقل لا يسيان أحد قادتهم. والله ما ريت تأكيد للإسلام يا أبا سعيان أن المؤمن ينصح بعضهم بعضاً والمنافقون قوم عشتة

بعضهم لبعض وإن فرقت ديارهم وأبدانهم

وبال له مرة وهو يعرض عنه أن يباصره على أبي بكر والله ما أردت بها إلا
الفتنة وإني والله طالما بعيت بالاسلام شرا لا حاجة لنا في نصرته، فانطوى على
نفسه بعد هذه الصعوبات القاسية ولم يعد له من سبيل إلا أن يمتنع ليدركهم
ويمنع على أعتابهم ليحقق ولو شيئا من أمانه، وكان القوم يعرفون بأنه لا يصمر
الخير لأحد ولا يتعامل مع أحد إلا على أساس منفعته، فقل من الخطأ لا ي
بكر فإنا لا نأمن شر أبي سفيان فانترك به الصدقات التي كان النبي (ص) قد كلفه
بجبايتها في الأيام الأخيرة من حياته، فلم يتردد الخيفة في تركها له كما نصت على
دست روايه شرح النهج لاس أبي الخديد في مجلد الأول منه، ومضي أقل من
ستين تسرا له أن يكون ملاد الشام تحت سلطه وبنيه يريد ومعاويه على التعاقب،
وبوفاة أبي الخطاب انتهت السطوة بكاملها إلى بيته. بيت أمية، وعلى رأسه قريه
عشمان بن عفان، فأحسن بأن عهد أمية قد عهد إلى الحياة من حديد وإن ما كان يراد
بحلله بالامس وهو يحارب الاسلام ويشير العس والأمرات بين المسلمين بينهم
وبخاصة بعد وفاة الرسول (ص) يحصل ولو عن ثغرة في صفوف المسلمين يطلق
مها لنعمل مصالح اشرك وابوئيه، تلك الاحلام التي كانت ترويه قد توفرت بديه
بعد أن أصبحت السطوة بيد قريه بشكل أوسع مما كان يتمناه ويعمل من أجله،
وطبق عليه شوه من تفرج والهجته لم يعد يملك معها لسيطرة عن المصريات في
معه من شرك وحقد عن الاسلام وقادته، فمضى إلى المسجد يدب على عهده
وصاح بصوته الرفيع لمعهوها يبي أمية بلقب الكرة فولدي خلف به أبو صفين
ما من جنة ولا نار ولا حساب ولا عذاب، وطبق من قائده أن يخصي به إلى مصادر
الشهداء في أحد حيث الحفرة من عند المطلب سيد من استشهد بين يدي رسول
الله (ص) فيها وما ل وقفه قائده عليه حتى راح يركبه برجيه ويقول بعض يا
أبا عماره لقد صار نبي الملك انني حارسا عليه، وفي رواية ثنية أن الذي يقاتلنا
عليه نقد أصبح تحت أقدامنا، وأيما نكن كلماته في دست سوفه فقد قضا في ثروة
جمعية لا نعرف التزوات أوع منها يا محمد والتضي

ومها كان الحال فقد ظهر الشعب على المسرح السياسي بعد وفاة النبي (ص)
ووقفوا على جانب علي (ع) في مدينة وحارجه باعتباره هو الخليفة الشرعي لسبي
لذي أحاربه لقادة الأمة وانما يسيره بالاسلام إلى ما وراء حدود الحريه العبرية
من ملاد الله الواسعة، ولم يكن موقف من وقف أن جانبه من مهاجرين وأنصار

وغيرهم ممن امتنعوا عن بيعه ابي بكر بتظار ما يصدر انهم من توجيهات
 وتوصيات من الخليفة اشعري مرتجلا ومن نتائج تلك اعادة من التاريخ ، ومن غير
 محقول ان تكون لساعات القلائل التي عررت خلافة ابي بكر هي نقطة الاحياء
 يعني (ع) والتشيع له كما يحاول بعض المحدثين من لكتاب تحديد نبت امرة
 لبعض الاعتبارات لا الذين وقفوا الى جانبه في امنية وخارجها كانوا يدعمون
 تشيعهم له بالمنطق والبرهان ليؤكد ما قد احتضر في ادعائهم نتيجة
 لعشرات المواقف التي وقفها النبي من اختيار حبيته وكان آخرها يوم لعدير قبيل
 وفاته باقل من ثلاثة شهر بحضرة حشد من المسلمين من مختلف اجزاء الحجاز
 ينتمي الى عشائر القبائل التي رافقت النبي (ص) في طريق عودته من مكة بعد
 انتهاء موسم الحج حيث جمعهم الطريق لعرة من الزمر ، فاستعن تلك الصفة
 التي جمعت تلك الحشود قبل ان تنفرد عنه كل من يلد له وباحته بعهد من حبيته
 من بعده بهجة الرثى بدو اوجهه وكأنه كان على موعد مع الموت

التشيع الروحي والتشيع السياسي

لقد ذهب فريق من الكتّاب إلى تصنيف التشيع إلى الصنفين التاليين:

تشيع روحي لا يتعدى الشؤون الدينية كالعبادات والتشريع والارشاد وما إلى ذلك مما لا صلة له بإدارة شؤون الأمة من سياسية واقتصادية وإدارية وغير ذلك مما تدعو إليه الحاجة في جميع المحالات حسب الزمان والمكان.

وتشيع توسع من ذلك تشيع بالأصناف إلى النواحي الروحية ككل متطلبات العبادة من سياسية واقتصادية وغيرها، وأضاف هؤلاء أن ذلك إن التشيع الروحي أقدم عهداً من السياسي، وأن نبي محمد لمبي (ص) علي (ع) ومنه انتقل إلى الأئمة من ولده هو تشيع بمعناه الروحي، وقد انصرف أئمة الشيعة بعد مذبحة كربلاء إلى الارشاد وعبادات والسجدة الدينية، وأضاف بعضهم إلى ذلك أن التشيعين لعلي (ع) في عهد الخلفاء الثلاثة الذين تعاقبوا على الحكم بعد وفاة الرسول (ص) كان تشيعهم روحياً ولا صلة له بالسياسة وشؤونها، ومضى يقول: إن التشيع الروحي لعلي أقدم عهداً من لسياسي وهو يقوم على الاعتقاد بأمامة علي (ع) لمروصه من الله، وقد تطور هذا الاعتقاد وتطور في عقيدة الإمامة المعصومة من الخطأ بعد أن أسس كلامه بقضية انوار المنصور على تلك لإمامة من النبي وبأمر من الله.

وظهرت بوادر التشيع السياسي والولاء لعلي في سبعة بني مساعد حين وقف إلى جانبه جماعة من المسلمين مؤيدين لحضه في خلافة الإسلامية أمثال الزبير بن العوام والعباس بن عبد المطلب وعمار بن ياسر وابن النبهان وغيرهم ممن وقفوا إلى

جانبه، وبلغ تشيع سياسي له أقصى هذه حين بويج له بالخلافة بعد مقتل عثمان، وكان رواد تشيع الروحي يلزمون ماراً على العقيدة التي جادت لأثرهم بمسارده سياسي، وقد تمت بدور المفقه الشيعي ثم تعولت وعرفت في عصره الثاني للهجرة بالمفقه الحنفي، إلى غير ذلك مما يحاوله بعض الكتاب من معالطات والاحراف به عن معناه الاصيل الذي لا يصل التخصيف ولا التحرفة

هذا النوع من التخصيف القائم على الخدس والسطوة السطحية للنصوص التي وصفت مبدأ تشيع وما رفقها من الاحداث ولتطورات يطرأ حده من المذاكرة الى التشيع وتحريره من عهده الذي يتسع لجميع المصالحات التي كانت تلبي من وضع برائه يوم اندر وظل يعاهده وسرعاء حتى لنفس الاحير من حياته وم يكن يستعمل في سبيل تسمية هذه البسرة سوى كتمه اعلى حبيبي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا وبحر ذلك من الصبيح التي لا يستعملها لتكم في مقام التعبير عن ارادته الا فيمن يحده في لقيادة التي كان يمارسها في جميع الحالات من فكرية وميانية وادارية وغير ذلك يبقى بدعوة في طريقها تفهم الصعاب وعروش لطاعة وخسارة وستهم منها الاجيال كل ما تصبو اليه من عزة وكرامة وسعاده، ولا يكن تشيع ان يحراً الا اذا فقد معناه كأطروحه لحية مشغل الدعوة بعد اسي (ص) الذي هو في أمس الحاجة من من يهدف اسي فيه من الباحثين المترعطين

وكان يعني (ع) ولاء واسع الطاق في صفوف مسلمين باعتباره الشخص احدير بمواصلة الدور الذي كان يقوم به اسي (ص)، ومن هذا الولاء هو اسي جاء به الى الحكم بعد مصرع عثمان عن يد مهاجرين والانصار ولواصدين الى المدينة من بعية الانصار بعد ان محرفت به بطاشته عن سيره سلمه ادين ابعوا طريقاً ومهاجراً قرب الى الاسلام من طريقه ونهجه

ولكن الولاء الذي جاء به الى السلطة ليس تشيع سياسياً ولا روحياً وانما التشيع الروحي والسياسي الذي اراده له النبي دحل اطاره، ولم نشأ في الواقع البظرة التي تجزؤ التشيع الى روعي منقسم عن سياسي وم تولد في ذهن الانسان الشيعي الا بعد ان استسلم لدواعي وانطعات جذوة التشيع في نفسه كصيعه محبة لمواصلة القيادة الاسلامية في ساء الامة وسجار عمية التعبير الكيرة التي بدأها الرسول (ص) ونحولت الى مجرد عمية يطوي الانسان عليها قلبه ويستمد منها سلوته وامنه

(١) أنظر تاريخ الإمامية لدكتور عبد الله قياض ص ٤١ و نظرية الإمامة للدكتور محمد محمود صبيح

وبخصوص ما قيل من أن أئمة الشيعة من آباء الحسين (ع) بعد مجزرة كربلاء قد اعزلوا السياسة وانصرفوا بكل امكانياتهم وطاقتهم إلى الوحي الروحية تاركين السياسة وغيرها مما ينصل بشؤون الدولة للحاكمين، فهو من لاخطاء بعضا، ذلك لأن التشيع الذي وصح موسى النبي (ص) وظل يعديه ويؤكدته حتى النفس الأخير من حياته بعد أن كان لا يعني سوى القيادة الإسلامية التي كان يمارسها ليسى لالتحام به الأمة على أساس الإسلام معه التوسع الشامل لجميع سواحي الحياة من روحية وسياسية واقتصادية وما في ذلك من متطلباتها حسب الزمان والمكان، وبعد أن كان اشيع النبي وضعه ليسى لعلي والأئمة من سبه بأمر من الله سبحانه لا يعني سوى القيادة الإسلامية بمصاها لتوسع. فمن غير المعقول أن يتنازل الأئمة عن حقوقهم السياسية وأي جانب مما إلا إذا تنازلوا عن أصل القيادة مع العلم بأنهم لا يملكون الحق بالنارل عنها كما لا يملك النبي أن يتنازل عن سوته والامام عن منصبه، ولم يعترف الأئمة بكل طاقتهم في اخوات الروحية والفكرية من القيادة التي جعلها الله لهم إلا لعدم تمكنهم من ممارسة السلطة التي حالت قوى انحر والهي بينهم وبينها، لأنهم ساروا عنها ولا يصح أن يسمى ذلك تنازلا، كما وان عدم قيامهم بعمل مسلح ضد الحكام الذين عاصروهم من الأمويين والعباسيين لا يعني تنازلهم عن بعض جوانب القيادة التي جعلها الله لهم واحتصنهم بها، بل كان نتيجة لعدم توفر الاجراء المناسب لأي عمل من هذا النوع، وبماكان، ساحت في سيرة الأئمة ومبادئهم أن يستخلص مما أن كل إمام في عصره كان مستعدا لخوض جميع المعارك إذا توافرت لديه بقدرة بوجود من ينصره على استلام السلطة بحري يستطيع أن يحقق الاهداف الإسلامية عن طريقها، ذلك لأن السلطة وحدها لم تكن من اهدفهم بل كانت وسيلة وشرقا لسير بالإسلام في طريقه الصحيح.

ولاكثر من مناسبة كان علي أمير المؤمنين (ع) يقول يوم كانت جهود الحكاميين متجهة بشر الإسلام ما وراء حدود البحار والله لأسأمن ما سئمت أمور المسلمين ولم يكن حور إلا عني خاصة وبعد أن انتهت إليه الخلافة وهب في وجهه الأعاصير من هنا وهناك كان يقول والله أن امرئكم لأهول عسدي من هه أسعل إلا أن أحتق حقا أو أبطل باطلا.

وبد أن السلطة التي يحقق الاهداف الإسلامية تتوفر على القواعد الشعبية النوعية التي هي من الاهداف ويصمد في وجه الأعاصير تخميتها وهذا النوع من

القواعد الشعبية لم يتوفر لاحد من الأئمة (ع) بعد ان نشأت أجيال مائعة في ظل تلك الحكومات التي انحرفت في سيرها وسلوكها عن سيرة النبي (ص) وجرقتها الاهواء والشهوات ولاحقاد اللثيمة و نزوات طائشة لم يعرف لتدريج أثرها والام بها

وفي ظل هذا لواقع الذي اصطدمت به المصادات لشيعه كان لا بد لتلك القيادات من صمدين احدهما لعمل اهادي من اجل بناء القواعد الشعبية الواعية التي تبني ارضية صالحة لتسلم سلطنة، ومن اجل تحميو هذه الناحية انصرف الأئمة (ع) بكل الرسائل الى تربية اخيائه والاجيال تربيته اسلامية توفّرهم المفاعسة الشعبية التي لا يمكنهم ان يعطوا، لتتأجج مطلوبة سدوها

والعمل الثاني هو تحريك صميم الامة الاسلامية وارادتها والاحتفاظ للصمير الاسلامي والارادة الاسلامية بدو حه من الصلابة والحياة في مقبل. ولتلك التحكم المتحررين، وقد مارس هذه الساحة ثائرون من العلويين وعبرهم كانوا يحاربون بتصحياتهم انبائسه ان يحفظوا على الصمير الاسلامي والارادة الاسلاميه خلال القرون الثلاثة الأوئل من تاريخ الاسلام، وفي الوقت ذاته كان الأئمة (ع) يمسكون كثر اولئك الثائرين على جور الحكام وطغيانهم وانحرافهم عن الاسلام وأصوله ومبادئه

وقد جاء في رواية عن الأمام الرضا (ع) في حديث به مع المأمون عن ثوره زيد بن علي بن الحسين (ع) انه قال لقد كان زيد بن علي من علماء آل محمد غصب الله فحبه هذه حتى قتل في سببه، ومضى الامام لرحم يقرب لقد حدثني ابي موسى بن جعفر انه سمع ابيه جعفر بن محمد يقول: رحم الله علي زيدا، انه دعا الى الرضا من آل محمد ولو ظهر لوقي بذلك ولقد كان يقو، لم ياتيه من الناس في ادعائكم الى الرضا من آل محمد

وجاء في سرائر لاس ادرس اخي ان جماعة ذكروا في مجلس الامام الصادق (ع) من حرج من ائمة علي حاكمين، فقال لا ارا انك وشيعتي بحر ما خرج الخارج من آل محمد (ص) ولوددت ان الخارج من آل محمد حرج وعلي بمقة عياله

وجاء في رويه داود امني انه قال حدثني علي بن الحسين عن ابيه عن علي (ع) انه يخرج في ارض الكوفة رجل يدعى له رسد في أهة امك لا يسمعه الاولون

ولا يتركه الآخرون إلا من عمل بمن عمل به يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير أو شبه الطوامير حتى ينحطروا أحمق الخلائق تلتف بهم الملائكة فيقولون هؤلاء حلف الخلف ودعاة الحق ثم يستقبلهم رسول الله (ص) فيقول يا بني قد عملتم ما أمرتم به فادخلوا الجنة بغير حساب.

وجاء عن سيد السيرقي به قال. كنت في مجلس لإمام الناصر (ع) فدخل زيد بن علي (ع) ف ضرب أبو جعفر الباقر على كتفه وقال هذا سيد بني هاشم إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فاصبروه.

إني غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تؤكد ان لأئمة (ع) كانوا يساندون أويك الكثيرين ويدعون الناس إلى ماصرتهم على العظم والخور واسطعيا، وفي الوقت ذاته كانوا يتمنون عليهم التريث والعمل الصامت لتصبح ثورتهم أكثر انتشارا وعطاء كي يبدو ذلك للمع في مواقف الأئمة من تلك الانعصامت المتوالية على امتداد العصور التي أقلمت الحاكمين.

الخلاقة بين النصر والاحتيار

لعل اعتبار الامامة من الواجبات الرئيسية بعد النبوة من الامور المفروغ منها والمسمة لدى عامة المسلمين، ويرى كثرة من بان ما كان من عقل ونص على النبوة بالذات يصحح لان يكون من الادلة على الامامة، لان النبوة مدونة لا تتفق مع جوهر الاسلام، ولانها استغرقت في النبوة في حداثته وبسطت من اجله، فلو حورما ان يكون الرسالة محدودة ولفترة لا تتعدى حياة الرسول وم يختطها من بعده بوصفي امين وحبيب بأهدى واسر بها يعمل بامانة وحلاص وحبرة وتجرد على اشارته الى حيث اراده الله لها بحسب ارمان والمكان لم تحصل العاية منها ولم يقتل في البعد والانتشار بواسع الذي يوفر للبشرية على امتداد العصور ما اراده الله من النكرامة والسعادة وجميع مقومات الحياة، وقد صحح عن النبي (ص) انه كتاب بصول: في كل حيف من امتي عدول من اهل بيبي ينضون عن هذا الدين تحريف الضالين وريف غفريين، ومؤدى قوله هذا ان عدول اهل بيته هم الذين يحرسون الدين ويعرفون عنه تحريف مصالين والمفحذين والمشعوبين ويعفونه الى الاحياء عن واقعه حبا سليبا جيلا بعد جيل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وبعده لذلك والامامة بعدها لصحيح اسلم ليست الا امتدادا لنبوة في واقع الامر جيلا بعد جيل، من اجل ذلك كانت من لاصول الاسلامية التي رافقت مذهب الاسلام وهذا نص لبي عنها كما نص على غيرها من لاصول مذهب الدعوة وظل يؤكدتها على المسلمين في قبين وفاته كما أكدت ذلك نصوص كثيرة منتشرة في جميع الحديث وعن لسان اشقاب من الرواة والمحدثين، وبالاضافة الى ذلك فالحق يؤكد لدى ابط تاملاته لواقع النبوة وأهدى التي تريد من الانسان ان يكون

خليفة الله في ارضه يمثل ارادته ومشيبته التي جاءت الرسالات من احبها

ولقد اختلف المسلمون بعد وفاة النبي (ص) فيما يخصه في الحكم لانتماء
المسيحية بالندوة وادارة شؤون الامم متجاهلين جميع مواضع بشأن من اعدده هذه
الهمة ووصاياه التي كان يكررها بين الخير والآخر وكذا انصراف بيهم في يؤدي
الى حروب دامية لا يبعد منها سوى طوعت قريش من أسية وعيرها، وانهى
الصراع بانتراعها من اصحاب الشرعيين واسيلاء بي بكر عليها، وبعد جدار
وحوار داما بصفة اشهر روى عبي (ع) ان مصدحة الاسلام التي كان يطلب
بالخلافة من جلها تعرض عليه بعد لاحضر اني احدثت بالاسلام ان يعف لي
جانب عره ويتعاون معهم يدفع تلك الاختصار انني اطلب على المسلمين من داخل
لندنية وجارجها، فترك السطة بعيره ومضى مع القوم بكل ما لديه من جهد وقوة
ليرفع الطرب عن سافقين والمريدين ادين اسعولوا معارضه بنحاكم حديد،
ونجح المسلمون بعد الفصاء على المرتدين وبعد ان وضعوا حدا لحركات المافقين
تجهو لخارج الحجار وحلال سنوات معدودات مستصعرو انتعلت عن اعنى لدور
واقواها ومضى الاسلام في طريقه يفتحهم الصعاب والاهوال بيذك عروش خاسرة
ونظافة ويضع حد لاستعباد الانسان واستغلاله الذي ستمر آلاف السنين

وبالرغم من تنوع ردة الاسلام بالشكل الذي انتهت اليه وانصال
اسلمين بعيرهم من الامم التي كان ه تاريخها اخافل بالصرعاب المقدسية
ولعقائدية وها اديانها ومعتقدات المحتشمة وانتشمة، بالرغم من كل ذلك، ومن
تجديد الحوادث ولتقنيات التي طرأت على حياة المسلمين بي كان يعرضها لرمم،
وحتلاط عوب خريرة بعيرهم من تلك الامم فقد اسلموا عن ما كانوا
عليه في عهد رسول (ص) يتحبسون لخصوص انصراف في المعتمدات وفي دانه
سحانه وصفاه وحلق لافعال وعصمة لاساء والخلف ومب الى ذلك من
انصراعات اني شاعرت وتشعبت في اواخر لرون الاور ومضت تسيع وتنشعب
خلال القرن لثاني حتى ساولت كل ما له صفة باندين، وذهب الشعوبيون ان اعد
من ذلك في تميرهم للدين بما يتفق مع المعتمدات التي ورثوها عن اجد دهم
ابوديين والمناويين والنورادنيين وعيرهم من الامم التي لم استطع الصمود في مقدس
اسرحف لاسلامي، هذ انطور بعكزي في الاوساط الاسلامية كان من اسرر
شائحه ذلك انصرع اعدائدي الذي تحول فيما بعد ان احزاب وعرق لا عهد
للمسلمين الاوائل ولا لاسلام محمد (ص) بها

بقدر كان النبي (ص) يحرص على ان يصرفهم عن الخذل الديني والصراع العقائدي لان هذا النوع من الصراع والجدل يفرق ولا يؤلف ولا يربطهم لا حية وصلالاً، وكل ما كان يمه حلال تلك الفترة من حياته ان ينظم علاقته الاساس بربه وبالأخرين وما يجب عليه نفسه وأسرته ومجتمعه

بعد توجه الرسول العظيم (ص) الى اصلاح المومنين وتطهيرهم من أدران الجاهلية ومن يدور اتفاق والاتحاد صلاحاً عظيم يستمد قوته وأصلته من المبادئ التي وضعها القرآن الكريم وأكدها هو قولاً وعملاً في سنته وسيرته، وهذا المبدأ والتراط الذي يوحده النبي (ص) بين أتباعه وصحبه والذي يشكل وحدة مترابطة استطاع بسببها ان يتغلب على الصعوبات التي كانت تعترضه ويرفع سوءه لاسلام عاليه حقائق في شبه الحرية وعلى الحدود بين وبين اعدائهم وأقرباء ومومنين يستعمل به في ما وراء تلك الحدود عندما لم يكن لفرصه لذلك، وكان قد أعد جيشاً حفره بكل الامكانيات المتوفرة لديه بقيادة اسامة بن زيد هذه الغاية، وتساءل الاقدار ان يتقل الرسول ان الرقيق الاعلى قبل ساعات من تحرث الجيش نحو الحدود الشامية وأن يرجع الجيش في قواعد لرفقه ما سيحدث في الداخل ولغير ذلك في لا يعينا امره في المقام، وبعد ان تغلب على الصعوبات التي عترضهم في داخل البلاد انجسوا خارجها واستطاعوا خلال سنوات معدودات ان يمشروا الدعوة ويرفعوا بها في عوصم الدول الكبرى التي كانت تسيطر على اكر مجموعة من العالم يومذاك

اما الخذل الديني والصراع العقائدي عن اختلاف اشكافهم ومواردهم ومن تحدث التاريخ عن وجودهم في تلك الفترة من تاريخهم الخاف من العمل الخير لاسلام، ولم تصل ايديهم عن ذلك لمره سوى بعض الإهكار والنسائلات بعدرة التي كانت تدور بينهم عن لعدد وبعض التعيينات القرائية احياناً ولكنها كانت غير ولا تلبث ان تتلاشى وكان شيئ من هذا النوع لم يعترض بمكر احد من الناس

وجاء في المجلد الرابع من خطط التفسير ان من أهم النظر ووقف عن تار السلف كرم وهو عن يقين في انه لم ترد قط من طريق صحيح او سليم عن احد من اصحابه عن اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم انهم سألوا رسول الله (ص) عن وصف به الرب نفسه في القرآن وعلى لسان النبي (ص) وعن غير ذلك مما شاع لسراعه بعد عصر الصحابة واختلف فيه الآراء والاهواء في مختلف المواضع، وبعد عصره سرور على تطهيره التي رسمها لهم في حدود كتاب الله

وستنه واجتهاداتهم فيما لا نص فيه من كتاب اوستة، ولم تظهر سوادد انصرع
لفكري والعقائدي فيما ظهرت فيه لا بعد ان انتهى عصر لصحابة واستمر يتسع
مع الزمن حتى بلغ اقصى حدوده في لعصر العباسي الاول وجبرهم ذلك انصرع
ان المراسق بالتصديق والتكفير مما اتاح بمحاكمين ان يوفروا الاحواء لتلك
انصرعات والخلافات التي موفت المسلمين في عشرات الفرق ومذاهب

ويحمل القول ان عصر الصحابة كان أشبه بعصر الرسول من ناحية انصرع
مسلمين عن انصرعات العقائديه والمذهبيه ولم يحدث اساريح الا عن نفع من
الخطرات والافكار كانت تعرض لعصمهم بين اخير والآخر حول لقدرة ولاختيار
ولصمات، ومدى صلتها بداته تعالى، وبكتب خطرات وأفكار غابرة ما كانت تتولد
حتى نموت في مهدها لانه لم يجد استعداد من حد للجدل والخصم فيه وحتى في
غيرها من المواضيع العلمية والفكرية، عدا بعض المسائل التي كانت تعرضها
لاحداث المستحددة والتي لم يعرفوها لها نظير من قبل، ذلك لان مسلمين الاوائل
مكس طبقاتهم قد انصرعوا لتأسيس الدولة الاسلاميه وحدوا كل مكائباتهم
وصافاتهم للقصد على اندوس الكيوتوس الواقعية خارج الحدود الخجازية، لان
الدعوة لاسلامية لا يمكن ان يتظم امرها ما دام انصرع والرومان بظهور ان العداء
ها ويمعلان بقصد عليها

وفي ظل هذه الظروف التي احاطت بالمسلمين بعد وفاة النبي (ص) لم تكن
أحواء المسلمين بكل فئاتهم وطبقاتهم مهياة للعمل ولتصكير بعير لروحى اسيسيه
ولعسكرية والادارية، ولكنهم بعد ان طمانوا على مصيرهم واحتسوا المساطون
لتأخيه حدودهم واتصلوا بعيرهم من الامم خلال العصر الاموي واطمع العرب
على معتقدات تلك الامم ورائهم في الاديان ومعتقدات واصبح كل انسان يعتر
عم لديه من الافكار والآراء بدون حرج، ظهرت معتقدات تلك الامم في اوساط
مسلمين وحد صاحبها يقدرون بين عقيدتهم المستحددة وبين ما ورثوه عن آنائهم
وأحدادهم

وكان من نتيجة هذا الاخلاط الواسع وغزو الشعوبيين للمعقيدة الاسلاميه
بفسفائهم وأفكارهم وما الى ذلك مما ادخلوه بين معالم الاسلام كان من نتائج
ذلك ان اتجه المسلمون الى دراسة القرآن والحديث وتفسير بعض المبادئ الاسلاميه
وما الى ذلك من المواضيع والاصرف مما يلتمى مع برعات الفلاسفة ومع بعض

الآراء والأفكار الغربية التي انتشرت في الأوساط الإسلامية لسوفيوس بينها وبين
الأصول الإسلامية

وفي ظل هذه الانتصارات انغمس بواسعها في احتاجت أكثر الموضوعات
وعرضت لكثير من التحريف والتشويه، وقف أئمة الشيعة موافقهم أحارم
الرشيدة من كل ما يسيء إلى الإسلام وعرضوا بعض جوانبه للخطر، وقصروا
يساطرون الوثائق العروة واستحرفوا وصالحات أخاكيم وبدحصول راء الملاحدة
والرئاسة والمروق الإسلامية التي استقرت في أصولها وفروعها على حياء في كتب الله
وسنة نبيه، ولم تكن موقف الأئمة واستحرفين من مدرستهم وجامعاتهم بأقل اثر
من ناحية خدمة الإسلام من جهاد لكفره وإطامس، وفي الوقت ذاته كانت
مواقفهم في مجموعها تشكل تحدياً ثورياً لا وشت الحكيم ونكشف لنمطاً الإسلامى
عن ريف حكمهم وأنظمتهم التي تحمل شعارات الإسلام ولا تحذف في وقعها عن
غيرها من لدول والحكومات التي طاح بها الإسلام

لقد كان الحكم الأموي والعباسي في تلك الفترة من تاريخ الإسلام يشكّل
حصراً عن لخط الرسائل التي جاء به محمد بن عبد الله (ص) لا يقل عن الإحصار
التي تحيط به من الشرع والوثنية وقد فقد كتاب النبي (ص) في حياته متحجب
ومتحجباً تلك الاخطار وحريصاً على أن يولي أمور الأئمة من بعده من يتابع
سيرة بدون تحريف والتواء وحذر هذا الأئمة على شرع الله ووحية كى أمره الله،
وقد بلغ عن ربه ذلك في عشرات المسائل كى كان يبلغ نعمة التشريعات ويؤكد
عليهم حسب 'شامسات حتى لا يبقى غير معتد يوم يقف لدى بين يدي الله
سبحانه، ولكنهم ومع الأسف لشديد وقصروا اختياره وجاهه وصنائه روم يسبح
منهم لا مثل حمل النعم على حد تعبير الصحابي في صحيحه، واختاروا لأنفسهم
فحاز ما كان ويحصره في ظل نمط لا هو من تنكسات في لنظام وأواء في
بيادىء وب نعم عن ذلك من ردة عادات المجتمعات الإسلامية إلى أحياء
العصيات ونجاهل الكفاءات وحتمت مصالحيات وسح التعاليم الإسلامية أو
مسحها وتشويهها واستند لها بالانظمة الطبقية والرأسمالية مسغلة

هذا بالإضافة إلى المروق التي انتقلت للإسلام وراحت تفسر بصورته وحتى
أصوله في يلتقي مع برعائها وعجائتها وكان للشعوبيين الذين دخلوا في الإسلام
بعد هجرة حكوماتهم دور ملحوس في تأسيس نمط اعرف وأعداد لصرع وشموه
لاكثر الموضوعات الإسلامية بما في ذلك الخلاف التي امتدت إليها الأيدي وتنايت

حقوق الافكار والأراء والاتجاهات، والخوارج كاسو يروپ من الحقوق مشروع
 لكن الفئات التي تتألف منها تفرقت وجميع الطبقات في كان جمهور بمسألة
 الحاكمين يحاولون صماء الشرعية واستمقراطيه عن الشكس الذي حرت عليه من
 الصحابة الاوائل ويروپ اب لا تصح الا للقرشيين الاوائل بالنص عيها من
 الرسوب وبعد ان ذهب كثرةم على وحيها على لامة للقرشيين وحدهم في مقبل
 الشيعة الذين يروپ كالسوة مختار من الله من يشاء ولا رأي للامة فيها، وفي مقال
 الخوارج الذين يروپ اب من حقوق جميع القنات وكل من توفرت فيه المؤهلات
 سواء كان من العرب والموالي، بعد ان ذهبوا الى ذلك احتلف الجمهور فيما بينهم
 كلمة الامة وما تعي جميع المسلمين او فئة معينة منهم وذهب الى ان أقل عدد يتم
 به الاجماع وتعمد به الخلاف خمسة من المسلمين وقيل بأربعة وبانسين وبواحد، الى
 غير ذلك من الاقول اي لا مصدره سوى فعل الصحابة الاوائل ولا سبوت
 لدي عتمدوه في مثيلائهم على لاسطة بعد النبي (ص) واصنافوا الى ذلك
 شروط اخرى يرجع بعضها الى الخليفة واسمى الآخر الى لكبه التي يتم فيها
 احساره كما ستعرض لها بعد هذا العرض الموجز بلشكر والاسنوب الذي تمت
 عليه خلافه الرشدين التي انتهت بمصرغ لامام عي (ع) بعد اربعين سنة من
 هجرة النبي (ص) الى المدينة، وبعد المقارنة بين تلك الشروط وبين الشكس الذي
 تمت عليه الخلاف بمراحها الاولى كما وصل اليها سلطة ثقات المؤرخين تساو
 المسافة على واقعها بين خلافه الاثني عشر شرط وان اولئك الذين
 صاغوه بصورة التي وصلت اليها كانوا، بمنقول الى الحاكمين في صيغتها
 ويستخرجونها من رعايتهم وعصياتهم لا من الواقع الذي مهت عليه بعد وفاة النبي
 (ص)

مصدر الخلافة

لقد ذكرنا فيما سبق لأكثر من مناسبة ان لشعة يروى كائسوة لا رأي ولا اختيار لاحد فيها، وأمرها يرجع الى الله وحده فهو الذي يختار للامامة من يراه صالحا كما يختار لرسالاته، وليس للأمة شأن او رأي في ذلك لان مهمة الامام امتداد مهمة نبي من حيث المسيرة بها وتنفيذها الى حيث يمكن من بلاد الله لتوسعة بما فيه من انظمة وتشريعات تحدد من طغيان لاسباب وتسطة على المستضعفين واستهتاره بالقيم والمقدسات، وتحدد تكن المقوميات لثناء الاسباب لصالح واجتمع نصاب حسب الزمان والمكان، ومهمة هذا شأنها لا يمكن ان تترك للأمة او فئة منها لان الامه مهما بلغت من الخطة والحذر وانحدر لتصبح العلم وتشكر لأهواء والمصالح الخاصة لا نسيم في لصالح من الخطأ في اختيار الذي يعرضها لأسوأ المعاطر كما شهد ذلك لدى أرقى شعوب العالم في عصور العصور، وقد اختار النبي (ص) لها يأمر من ربه عليا والأئمة من بعده منذ بعثه الله بشير وبشير وظل النبي يؤكد خلافة علي (ع) تصريح وتلميحاً في عشرات المسامات وحتى النفس الاحمر من حياته كما شرب الى ذلك خلال الفصل الاول من هذا الكتاب، وتكن متأمرين وعلميين فيها من بعده استطاعوا التغلب عليها لا بالعدد لتجبر بقوة النبي لا طاقه يعبرهم بها بل بأساليبهم الخاصة المبروسة بالرغم من معارضة بقوة في المعصية التي يشهد اكثر الانصار الذين كانوا يرددون اسم علي (ع) ويقولون لو كانت لعلي لا يختلف عليه من ثمة، هذا بالاصحاح عدد يسير بالقليل من اعيان المهاجرين، كما في ذلك حرب الاموي الذي تظاهر بالوقوف اي جانب علي (ع) ولكن من ربه اخرى، وحتى في حركتها من

وصنعهم واصنعوا تاريخ اسلامي في اوجر العهد الاموي بالارتداد لاسباب سياسية كان من اهمها العناء الصعبة لشرعية عن معارضتهم واعتبارهم من المتطرفين على النظام لعام كني حبيصة وعبرهم، في حين ان لذين وصمواهم بالارتداد قد اعترفوا فيه ذروه عنهم بأنهم كانوا يمارسون جميع الطموس والوحبات التي فرضها الاسلام ما عد الركبة التي امتنعوا عن تسليمها سحابة من حيث انها من شؤون الولاية التي جعلها النبي لعلي (ع) في مطقة يعرف بالعدير قبل وفاته بأقل من ثلاثة شهر، وظلت المعارضة تمتد وتوسع بالرغم من جميع الوسائل التي استعملتها احكام الحديد وانصوده لاستمصاص الحياه، وكاد الموقف ان يتعجر لولا ان عليا (ع) رأى ان ذلك قد يؤدي الى انتكاسه نسيء الى الاسلام وبؤثر على مسيرته لا صيب وان الاسلام لا يرل فنيا ورواسب الجاهلية لا ترال تسيطر على الكثرين من قهرهم الاسلام على الخضوع ولتسلم لسلطانه، والمتفقون في المدينة الذين مردوا على لنفاق كما وصفتهم الآية الكريمة من سورة التوبة بذهبهم على فرصة تنجح هم ان ينصو عن حقهم المكبوت على الاسلام ونبي الاسلام وقادته بحلصين.

قد وضع علي (ع) في حسابه كل ذلك وتحدثت لديه، لاحتار الحبيصة المحدقة بموقعه السنية من الحكومة الجديدة وما سيحجم عنها من ردة يمكن ان تعيد المجتمع لحجازي الى وثيته وجاهيته، بعد ان وصح في حسابه كل ذلك أثر ان يستسلم بنوافع الحديد صمته هون لشرين ومضى في الطريق الذي يتفق مع مصلحة الاسلام التي وهبها حياته وجميع طاقاته كما شهد به بذلك العدو والصديق متجاهلا جميع ما اقترفته تلك الايدي معه ومع زوجته سيده النساء لا يدخر شيئا من امكانياته في مختلف الميادين بل يوجد بها لصالح الاسلام وللقضاء على المرتدين وعلى احين حاويز ان يستغلوا بوضع المنازم كأبي سفيان ومن عن شكنه من اشركين وثاقمير، بعد كك يوجد مكن امكانياته بنفس طيبة مغطشة وهو يردد (والله لأسالن ما سلعت امور مسلمين ولم يكن جور الا عبي حاصة) وظن عن موقعه هذا مشرق النصر بمسرة الاسلام وانصدراته متتالية على أعقبي اسدول يومناك ويشمى سويتاح له الاشتراك في تلك المعارك ولو بصفة جندي من جنود المسلمين، حتى مضى لاون لسيله وجعلها لاس الخطاب من بعده وكأها من أملاكه التي يساح له ان تنصرف بها كما يشاء ولن يشاء مسجها رأبي الخاصة وقادته بعكر في سنية عاصمة الدولة، وكان في طبيعته معارصين واسامير على العهد

الحديد عند الرحمن بن عوف في حديث به مع أبي بكر في الساعات الأخيرة من حياته بعد أن علم بأنه قد جوعها لأبى الخطاب من بعده، وقد عبر بن عوف في موقفه هذا من اختيار أبي بكر بعمر بن الخطاب عن رأي الأكثرية من قادة المهاجرين والأنصار، وكان طمحة أشد عنها وصراحة من عبد الرحمن بن عوف وقال له جماعة من المهاجرين بعد أن شاع بينهم بأستحلافه لعمر فقد استحلمت عينا بين الخطاب وأنت تعلم بوائفه فيم وعدا تقول لربك وهو يسألك عد عن عملك هذا؟ وقال بعض المهاجرين لعمر أمرته عام أول وأمرتك هذا العام، وبالرغم من تلك المعارضة الشديدة من أمهات المهاجرين والأنصار فقد مضى في طريقه وكأ ذلك معروض عليه وكتب له كتابا أكد على المسلمين فيه أن يسمعوا به ويطيعوا أمره وسمعه الكتاب، وخرج عمر بن الخطاب من محبته وهو يصارع الموت وبينه الكتاب لمخوم، وكان إذا سئل عن عبوه يقول لا أدري لقد أمرني بأن لا أفصح لأبعد وفاته، فيحسبون له نحن نعلم ما فيه، لقد أمرته عام أول وأمرتك هذا العام، إلى غير ذلك من الموقف التي تؤكد أن استحلافه لعمر لم يقابل بترحيب فائقة تفكر وإرأي يومذاك وأنه كان نتيجة لاتفاق سابق وعهود ملزمة بينهم على أن يتداولوها على هذا النحو يوم يكن لأحد من المسلمين رأي في ذلك

ومع أنه لم يشر حندا هيمس يحسه في إدارة شؤون الأمة وإن اختياره لأس الخطاب لم يقبل بالارتياح وقد تعرض لأعنف الطعنات والانتقاص من بعض صفاته ووجوه لصحة كفي تؤكد ذلك الرويات التي تحدثت عن أحداث تلك الفترة من التاريخ، مع ذلك فقد استسلموا مواقف الحديد على مخصص كفي استسلمت المعارضة القوية لسفه بعد شهر من خلافته كفي ذكره، ولم يفكروا بالخروج عليه ولا بمعارضته

ولعل الحروب الطاحنة التي كانت عن أشده يومذاك بين المسلمين خارج الحدود بين الفرس والرومان والانتصارات التي كانت تؤمرهم لأمرهم وشدائد العيش ومع الحياة كانت من وراء ذلك عبء الذي رافق سي خلافته من معارضين لها وبوالبي، ومع أن المسلمين عن اختلاف فقتهم وطبعتهم بعد استسلموا بالأمر الواقع ووقفوا صف واحدا طيلة سي خلافته، فلم يمس للمعارضة موقعها من اختياره وكان رده عليها أن تعرض على وجوه أصحابه وقادتهم الإقامه الخيرية إلى حوار في العاصمة فحاصروا لردته لئلا يفتوا الناس ويعتقوا بأساس عن حد تعبير أبي بكر في وعبه إليه بعد أن اصبح على مواقفهم العاصمة لاختياره

فقد كان يحثي ان يمتسوا بالناس ويستملوا ثمة اخسها هير لنحروج عليه
والعمل من اجل السلطة، وبكده لم يكن يصارحهم بمكان يحشاه، بل يقول لهم
عندما يطوبون منه الخروح من حدة ولو بلاشتراك في انعرك، اي لا استعي عن
توجيهاتكم في يعود لشؤون الدولة وثقفيه الناس، وكان موقف في دارته وحدها في
سببته، وبعد مساعدته الظروف على فرض هيته على الجميع فلوالون والمعارضون
قد ساهموا في بناء الدولة وتوطيد حكم اسلامي في جميع انحاءها، وعي (ع)
منصرف إلى تفقيه الناس وحل مشاكلهم والسير بهم على طريق الاسلام في جميع
المدن والنجاهات، وهو فريز لعين ما دام الاسلام يسير تحت واسعة ان الامام

ومضى ابن الخطاب في سبي حلاته حارما كبير احد بتلك الانصارات التي
حققت ما كان النبي (ص) يلوح لهم به وهم يحفرون الخندق حول المدينة وكسوا
بومدائك ما بين سائر ومستسلم لما لوح لهم به حين احد المعول ليقتل بك
الصحرة البيضاء اي اعترضتهم ولم تصع ب معاوهم شيئا، وحي صرب الضربة
الاولى خرج منها بريق كانه المصباح في البيت المظلم وفي اضرية لشية واشالته
قضى عليها وخرج منها بريق اصعد ما وراء المدينة فكبر النبي (ص) واشرفت له
بعضه اكيرة وراح يتحدث للمسلمين بعد ان سألوه عن سباب تكبيراته الثلاث،
فقال: لقد رأيت في الحريق الاول قصور خيرة ومداين كسرى وأحبري الامير
جبرائيل بأن أمتي ستظهر عليها وفي سريق النبي رأيت قصور احمر من ارض
الروم وفي الثالث رأيت قصور حمراء، وقد استشر بومدائك المؤمنون لانه لا يتلق
عن هوى، وسحر منه المدفون كي كانوا يسخرون من احاديثه عن مستقبلهم،
ورحوا يتحدثون في بيهم وهولون: ألا معجبون من هذا الرجل يحرب بأه قد
بصر عن ثرب قصور خيرة وصنعاه ومداين كسرى وقبصر وأحدا اليوم لا يأمن
على نفسه لقصد حاحه فرلت الآية بهذه المناسبة كما جاء في اكثر شاميع التفسير

فواد يقول المناقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا

غردا

المصير المحتوم على يد الهدابين

وطل اس الخطاب محسكا برمام الامور والدولة نسير كي يسعي هـ ان سير وعري ومن يأوي اليه من شيعته مجلصين للاسلام يسامسون بكل طاقاتهم ومكانياتهم في دفعهم الى الامام، اب الهدابون من المهقير كأي سماء وكعب الاحبار وبن العاص ومعية بن شعبة وأمثام فقد عتصمو بالهدوء وأرخأوا مقامهم وما يصعرونه للاسلام وشخص ابن الخطاب مديان بانظار الأجواء المناسبة وزاحوا يفتشون عن وسيلة تتيح لهم التخلص من الخنعة، لانهم كانوا يحسبون بأنه سيجعلهم من بعده لعلي (ع) بعد ان تروح بيته أم كثوم وقد سمعوه اكثر من مرة بقدر جهاده وبصحياته في سبيل الاسلام ويقول ولله في فام للاسلام حمدا، الى غير ذلك من الكلمات التي نلنطق منه على صلا من المسلمين، هذا بالاصافة الى ما كان يبه ويهمهم من نصر وملاحاة جعلتهم يحقدون عليه، وكان المعيرة في طليعة الخاقدين عنه لاسباب كثيرة من اسرها سترع ولاية الصرة منه وتسليمها بعمره بعد ان تهم بالرقضاء وشهد عليه ثلاثة باحرم المشهود، وقد سلم من اخذ الشرعي بواسطة لشاهد الرابع لانه حاد ولم يكن صريحا في شهادته وكان عمر بن الخطاب يقول له: كتب رأيت حمت ان يرحمني الله بحجارة من السماء اما ابن بعاص فنقد كان كرها له وحبها ولاه بعض المقاطعة، كان يقول كما يحدث عنه لتربيع لعن الله رمنا صرت فيه عاملا لعمر بن الخطاب، والله لقد رأيت أباه وعلى كل واحد منهما عبدة قطونية لا تتحاور ركبته وعن عنقه حرمة خطب، ولعاص بن وائل في قررة الديباح، كما كان يبه وبين طليعة البيمي نمور كائنت تظهر ملاعنه بينهم بين احب وأحر، وقال له بن الخطاب يوم بعد

وفاته برسول (ص) لقد مات رسول الله وهو ساخط عليك لنكلمة التي فنتها يوم
بركت آية الخشب وكان كما يروي المؤرخون قد قال وما يعيه صحابه رسيمرت
عدا وسكجهن من بعده .

اما بنو سبيان فموانع من الاسلام وفدته المحنصين لا يجهلها احد ولم
يستطع حتى التاريخ نحائي بالامويين وبدي خنقته أيدي عملائهم وصنائعهم ان
يصنعوا ولو حبرا يسر حقه على الاسلام وبني المسلمين وقادة المسلمين الذي رافقه
من ظهور الاسلام وحتى النفس الاخير من حياته ، وكان من أشدهم حساسا ضد
خلافة أبي بكر، وبعده لم يبدأ الا بعد ان أخذ وعدا من لقوم بالشكس الذي
سارث عليه الخلافة الاسلامية ، ولكنه كما يبدو قد استطال خلافة بن الخطاب
وحرف ان تتحول الامور لعبر مصدحة بيته لا سيما بعد المصاهرة التي تمت بينه وبين
علي بن أبي طالب (ع) وبعد لتصرعات التي كان يعلب ان الخطاب في مجالسه
ومحاوراته بطقه

واما كتب الاخبار بعد كان يعمل لمصالح كل من يريد هدم الاسلام ،
والخرب الاموي من اسرر العاملين هذا لانتهاه ، وكان به ولا مثاله من الهدامين
والمحربين المكان الاول في مصور حلفائهم ومحاسنهم ولم يكن سعد بن أبي وقاص
بعيدا عن هذه لفئة لانه يتصل بالامويين عن طريق أمه حمته شيمه بي سعيده ،
هذا بالإضافة ان انه في سلامه لم يكن افضل من هذه الفئة التي كادت تسير
الاهواء والمصالح ، بدأ ان اشتراكه في المؤامرة مع أبي سبيان والمعيه ومن انصار
وكتب الاخبار عن حياة الخليفة عمر بن الخطاب لم يكن بعيدا لا سيما وان علامه
جسيمه كان على صند وثيقه بأبي لؤلؤة صانع الخريجه وهرمران ايضا اندي تهم
بالاشتراك فيها ، واستحيص عليها ، وقد قتله مع اهرمران وبه أبي لؤلؤة عبيد الله
ابن عمر مدافع ثار لابي الذي قتل حنجر أبي لؤلؤة ، وأن لعلام كأي لؤلؤة ان
بحراً على من أدب حبيرة بمصور الاكسرة والمباصرة اذا لم يكن مدعوم بقوة
عظمى او مدعوم بمصوم ان الخطاب الأشده في داخل المدينة وم تكن أسطورة
لصريه التي فرضها عليه مولاه ان شعبة كما يدعي اكثر المؤرخين الا من وضع
الامويين وصانعي الخريجه ، وناداهم بمحمد ابو لؤلؤة على من وضع عليه لقصريه
وكان يستعدها لمصلحته لا نصيحة الدولة التي كان يمثلها بن الخطاب

وليس بعيد عن المحظطين للخرجه ان يكونوا هم الذين دفعوا عبيد الله بن
عمر على قتل جسيمه وهرمران وابنه أبي لؤلؤة بثلاث السرعة الخاطفه حتى لا تفصح

معالها وأعدادها بعد التحقيق الواسع معهم بشأنها

والذي يوضح ذلك ان الحرب الذي يوزع الحكم بعد الخليفة الراحل قد حياه
من انقضاء لعادل بالرغم من مطالبة عدد كبير من قادة الصحابة وهوي الرأي
واسين محكمته لأقدامه على قتل طمعة لا يشك احد ببراءتها ولا يجوز ان تأخذ
بدنب ايها

مهزلة السورى

ومهما كان الحال فقد لقي بن الخطاب هذا خصير لذي كان ينتظره،
وصرف في الايام الثلاثة التي كان يصارع الموت فيها بعد تلك الطعنة الى احتياار
من يحلله في اذره شؤون الامة والدولة وراح يتلهف على الاموات ويشيى بقاءهم
أحياء ليولي احدهم شؤون الامة كسالم مولى ابي حديقه وأبي عبيدة بن الجراح
ومعاد بن جبل وغيرهم، وفي الوقت نفسه يقول ليو سألني ربي كتب اقول له
سمعت سيث يقول: ان اب عبيدة امين هذه الامة، وان ساطا شديد الحب لله

لقد تمى بقاء ابي عبيدة وسالم بين الاحياء ليستخلف احدهما لا شيء الا
لانه قد سمع لبي يثني عبيها، ولم يثنى ها عيا (ع) وقد سمع اسي (ص) في
عشرات المناسبات يثنى عليه ويصفه بأطيب الصفات التي كان يحسنه ويغبطه عليها
القريب والبعيد والعدو والصديق وحتى هو نفسه يوم قال له: يبع ببع لك يا علي
لقد اصححت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وسي ما قاله هو لابن عباس اكثر
من مرة لرويتها علي لحمس الناس على المحجة البيضاء وعلى كتاب الله وسنة
نبيه، ولولا سيفه لم قام للإسلام عهد ان كثير من أمثال هذه الكلمات
والتصرحات التي كانت تصدر منه بين احيان والأحر من حيث يريد او لا يريد

لقد تجاهل كل ذلك وتجاهل معه ما كان يصور به ويجول في مقابل لامصار
النبي كانوا يرون نفهم أحقر به منه ومن مرشحته ابي بكر اد كان ولا بد من
صرفها عن اصحابها الشرعيين، لقد كان يحتج عليهم يومذاك بعديث منسب الى
رسول الله (ص) انه قال: الخلافة لا تكون الا في قریش وقد صال وحال به على

معارضته من غير انقراضين ولم يكن لديه غيره يومذاك، وها هو اليوم يذهب بعيد ويتعنى هـ عبر العرب من الموي ولعميد للحناء لا شيء لا لاسم بحور الله ان امره قد ارحل لعريب ولا شيء عرب من به وهو في لمعدت الاحيرة من حياته يعمل في حدود سياسة مدروسة ومنقح عديها من الايام لا يرى لانسراع الخلافة من اصحاب الشرعيين بشكل واضح جاء ينتهف عن الاموات من الموي وعبر نقرشيين ويتمن حياتهم بيسخلمهم من بعده لتضليل الرأي لعام عن ثلث المؤامرة المتو عليه والتي انزم به منذ امراغ الخلافة من اصحاب الشرعيين كما يمدى

وقال لاستاد عند افتتاح عهده ما انتهى به الحديث في موقف من الخطاب وتنبأته في ثلث المحطات الخمسة قال ان من لخطاب حيا تسمى حياه بي عبدة اس المخرج وأسامة بن زيد تذكر عليا وتذكر معه كل ما حدث به هو عه من قبل ثم ذكر الى جانب هـ وذاك قبره لا كما حرب به سيرته على شفاه محبيه فحسب بل كما علمه هو وعيره ومنزه البدر الذي يعلو في غير الآخرين. ولكنه في الوقت ذاته ذكر السياسة العليا التي استنتج بنفسها فريش وقد مرسمها برعته و دفع و مرسمها مسكرها وقد عده في كلا الحالتين التوفيق ولم يتره اسبح لاقوم

ومجلس لعون، لقد تمى بوحصص حية الاموات لوليههم للخلافة وكأب ارث له من بيه لخطاب وهو يقدم ان عليا (ع) لا يعدنه احد من الاموات والاحياء، ومع كل ذلك قسم بتمه له ولا حظر له على ان لا يسعى ويعمن من اجل تفيد محطت كان قد انزم به من قبل، وصمى منه من مسلمين عم ب عليا احدهم، وفي بوقت د به وضع لالاسحاب قيودا وشروط تجعل عثمان بحكم استعين ولا تحيد لاحد هيه، كأنه بباره يها في عهد مكتوب كما ساوله بو بكر من بعد لابن الخطاب ومن غير فرق بينها الا بالشكل والمظهر

بعد جمعها في سنة، وحصل لابي طححة لاصاري بصفه رئيسا بلشره احق في الاشرف عنيهم مع حمير من عوانه وفرص عليهم احصوع لأمره وموصيابه، كما امره بان لا يجههم اكثر من ثلاثة يام وقال له اذا تفق حمة وحالت واحد منهم فاصرب هته وذا انقرب اربعة وحانف ثمان فاصرب عقيهم وادا نقص شطرين متساويين ثلاثة وثلاثة فهي لاحد اثلاثة الذين فيهم عند ارحس بن عوف، وعين ثلاثة الذين لدعه ود حاصوا فاصرب أعقب فيهم بعد اسرع من مساورة وتنصيل جمعها عثمان بن عفان سعيد لمحضط قد لترم به هو

ورقائه للحرب الاموي من قبل

وهذا النوع من الانتحاب المبرور بتلك الشروط لا بد وأن يؤدي الى تلك النتيجة لإبعاد علي (ع) عنها من غير أن يستخدم قسلاً معها لإبعاده لاسيما وقد جعلها لمن يختاره لها عبد الرحمن بن عوف، وهو يعلم بأن عبد الرحمن لا يفضل احداً على صهره بن عوف، كما أن سعد بن أبي وقاص قريب لعبد الرحمن ولعمري النعمة من ناحية مه، فلم يبق من السنة سوى صحبة والزبير وعبي بن أبي طالب، ويعلم من الخطاب بأن طلحة كان يطعم بها نفسه وإذا يش من منها فمن غير الممكن أن يختار لها علي لاسباب كثيرة، كما يعلم بأن علياً سوف لا يحصل على غير صوت الزبير وليس ههنا إلا السيف ذو الحنف من يختاره من عوف بمقتضى وصيته لأهل طيحه لانصاري، ذلك الامر كما صدره وخططه، فلقد وقف الزبير الى جانب علي (ع) ووقف طلحة الى جانب عثمان بعد أن يش منها، كما وهب سعد بن أبي وقاص نصيبه فيها الى قريه عبد الرحمن، ونهت بذلك الحولة الأولى من مهزلة الانتحاب ولعبد الرحمن صوتان كبيره وزاد عندهم أن صوته يعادل صوتين بحكم المرسوم لعمرى، ثم اخرج نفسه منها على أن يجعلها لاحد الاثنين عبي وعثمان بشروطه التي لا يعملها سوى عثمان.

ومن غير التبعيد أن يكون الرضع أثلاث اشروط هو امر الخطاب نفسه، ومضى ابن عوف في نظرية المرسوم له فمرحبها على (ع) بشروطه التي منها ان يعمل بسيرة الشيعين، وهو يعلم ان علياً لا يمكن ان يخصص رأي اشروط ولا ياقض نفسه، وكان من الطبيعي ان يفرضها مع هذه الشرط وأن يضلها بن عثمان يشون ولعبة ويفتح لها عقله وقلبه، ونهت احيراً كما اراده لها الخليفة الراحل بهذا الاستدواب من الفضلين والسموية على جهير التي لم تكن ترى معنى مديلاً ولا ترى لعثمان ما يؤهله لا يسط المبادئ في ماضييه وحاصره، فصلا عن دولة فتيه قد اكتسحت أعنى الدول وأقواها وأصبحت بحاجة من يجسد الاسلام في سيرته وسلوكه تجاه تلك الامم التي استجابت لنداء لاسلام باعناؤه الدين الذي يحقق لها كل آمالها وأمانيتها ويميد لها كرامتها.

وما يدعو الى لعراية بالاضافة الى ما تعلم هو انه قال للملأ الذين كانوا يتدافعون على دابة ليعرفوا مصيره ومخير اخلاقه من بعده: لقد احترت بكم احد هؤلاء الستة لان رسول الله (ص) رحل عن هذه الدنيا وهو راض عنهم وحيب استدعاهم اليه فان هم أملاً انحركم عن انفسكم فقالوا له قل ما تشاء، فالتفت

أى الربير وقال أما أنت يا ربير فهو من مؤمن الرصد كافر العصب يومنا ساء
ويوما شيطان بو فصت اليك لخلافة طبت يوم تلاطم في لسطحاء على مد من
الشعيرة قلعمري من يكون ساس يوم تكون شيطانا ويوم تغضب واستفت من
طلحة وقال له اقول ام امكت؟ فقال له هل فاك لا نقول من الخير شيئا،
فقال له اتي عرفك مد أصيبت اصبعك يوم أحد والى بالذي حدث لك، ولقد
مات رسول الله (ص) ساحط عليك بالكلمة التي قتها يوم سرت آية الحجاب،
كان قد قال يوم ذاك وما يعنيه حجابهم وميمون عدا وسكجهم من بعده

وقال لسعد بن اب وقاص انما اب صاحب مقب من هذه المقائب تقاتل
به وصاحب قنص وقوس وأسهم وما بزهره والخلافة، وقال لعبد الرحمن اما ست
هو ورب نصف ايمان المسلمين بايمانك لرجح ايمانك به وبكى يس هذا الامر لم
فيه صعب كصعبت وما بزهره وهذا الامر، ونجه الى عثمان وكأنه يسأله الخلافة
بكل يديه وقال كاتي بك وقد تقديت هذا الامر وحملت بي أميه وبني بي محيط
على رقاب السى وأثرتهم بالهيء سارت اليك عصاة من دؤنان العرب قد حوكت
على فراشك، والله لئن فعلوا لتعملن وشر فعلت ليمعن بك. ثم تمت الى عبي
(ع) وقال اما أنت هو الله وديها خيلهم على الحق بوضح والمحنة بيضاء

وانخرب في هذا الموضع الذي وقع من استه انه كان قد قال للحشود
لواقعة على بانه أعرف مصير خلافة لقد مات رسول الله وهو راض عن هؤلاء
لسته في حين انه وصف اكثرهم بصفات لا يمكن لرسول الله ان يرضى عنهم
وبخاصة تلك التي وصف بها الربير وعثمان بن عفان ووصف عبا (ع) ب
يجب ان يكون عليه من يحلف لبي في اتمام مسيرته وقيادة الامة، ولم يستمع ان
ينصق به حيب ومع ذلك فقد وضع في صرغه الصعاب والعرايل التي تحوون بيه
وبيها، ومهد طريق ابن عفان اليها بكن ما لديه من الوسائل بعد ان وصفه بأصح
لصفات كشلأعب بمقدرات الامة ويثار لعصاة والمرقة من شياطين بني امية على
غيرهم من صحباء المسلمين ودوي انومي والمكر من أقطابهم مع به وصفه بثلاث
لصفات وأقسم بالله عليها فقد مهد به طريق لوصور ايها كما ذكر، هذا
بالاصح ان ما وصف به طحة من تحديه لرسول الله (ص) وعصيه عليه بالكلمة
التي قالها يوم سرت آية الحجاب وما وصف به الربير واس ابى وفاض من الصفات
لقبيحة وكان قبل ذلك بلحظات قلائل قد قال بحضور حشد كبير من ساس. لقد
مات رسول الله وهو راض عن هؤلاء لسته وأقل ما يصح ان يوصف به هذا

الموقف هو الهديان والهجرج، ومع ذلك لم يقل احد ممن سمع هذه المتناقضات منه ان الخليفة يهجر، وقد غلب عليه الوجد كى قال الخليفة نفسه عن النبي (ص) حينما طلب دواة وكتب ليكتب للمسلمين كتابا حتى لا يصلوا بعده وقد ايقن الجميع يوم ذاك ان الكتاب الذي كان سيكتبه لا يعدو ان يكون عهدا مكتوباً بالخلافة لعلي (ع) لكي يفوت على المتأمرين والطامعين ما اتخذوه من التدابير لاقصائه عنها وتلاعيبهم بالنصوص والمراسيم التي اصدرها يوم الدار وفي عدير خم وغيرها من المناسبات، ولما أدرك اس الخطاب الغبية من الكتاب وأهدافه، قال: ان نبيكم ليهجر، وفي رواية ثانية انه اضاف الى قوله هذا لقد غلبه الوجد حسينا كتاب الله.

لم يقل ذلك احد من تلك الجماهير التي سمعت كل اقواله في تقرير الستة وهجائهم وذهمهم في حين ان موقفه مما يسموه بالشورى ومدحه ودمه لاعضائها في وقت واحد بالشكل الذي يرويه اكثر المؤرخين والمحدثين عنه لا يصح تفسيره مطلقا الا بالهجر والهديان والغرابة حتى عن مطلق السياسيين ومحترفي السياسة.

وانتهت مهزلة الشورى بحلابة عثمان واستسلام علي (ع) للواقع الجديد وهو يأمل ان تسير الامور ولو الى حد ما كما ينبغي لها ان تسير بانتظار ما سيحدث وما يتوقعه اكثر المسلمين في المدينة وخارجها من الحرب الحاكم بشخص ابن عفان، ولم يكن الانتظار طويلا فما هي الا اشهر قليلة حتى بدأت معالم السياسة العمرية تقترب من الاقوال وظهرت بوادر الاستعلال عن اسرة الخليفة وحاشيته مما دعا وجوه الصحابة بقيادة عمار بن ياسر وأبي در الغفاري والمقداد بن الاسود وغيرهم من الحريصين على مصلحة الاسلام الى التحرك، وكان عليا (ع) فرض عليهم التريث في المعارضة ريثما تتضح الصورة على واقعها للجميع

وكانت البادرة الاولى التي قام بها الحرب الاموي ان حملوا الخليفة على اكتافهم من غرفة الشورى بعد البيعة الى داره ليشرّب بحب النصر مع خاصته وحاشيته بدلا من المسجد الذي اعتاد من سبقه من الخلفاء ان يتقل الى بعد تقلده السلطة ليعلن منه على المهاجرين والابصار وعمامة المسلمين الخطوط العريضة لسياسته وادارته لشؤون الدولة ليشاركوه اراي فيما يحطط في مستقبل عهده، هذه البادرة لم تقابل بالارتياح من المسلمين وراحوا يتحدثون فيها حديثا لاغيا للمقربين من الخليفة وحاشيته على امل ان تبلى احاديثهم ليرجع الى الناس ويعتذر اليهم بما يعيد الى نفوسهم الثقة والطمأنينة، ولكن لم يحدث شيء من ذلك بل اقترن تصرفه

هذا بحادث آخر كان وقعه على المسلمين أشد وأوجع فلم ينصرف هذا الاجتماع العائلي المحتفل بالنصر وبأحلام هذا البيت منذ عشرات السنين حتى دخل عليهم أبو سفيان وهو أعمى يوم ذاك يقوده علامة ليضع المنح للحكم الذي وضع تصميمه منذ زمن لعله حين استطاع أن يتزعزع وعدا أو ما يشبه الوعد بعد حوادث السقيفة بوصول الخلافة إلى بيته، فدخل على القوم وقال: هل في مجلسنا أحد ننتقيه؟ فقبل له انطلق لحاجتك يا أبا سفيان، فقال: تلقفوها يا بني أمية فوالذي يخلف به أبو سفيان ما زلت أرحوها لكم ولتصيرن إلى صيانتكم ولم يحدث التاريخ عن أحد ممن كان في مجلسه أن عارضه شيء مما تكلم به، ولم يكتف بذلك بل هشت به أحقاده القديمة التي لم يستطع أن يظهر شيئا منها بعد أن تظاهر بالاسلام لا في عهد الرسول ولا في عهد الخليفين الراحلين، ومشت به تلك الأحقاد التي تأسست من انتصار هاشم على أمية وتمكنت في نفسه من انتصارات سليل هاشم في بدر والأحزاب وحنين وغيرها من انتصارات الاسلام، هل الشك والوثنية مشيت به إلى قبر الحمرة بن عبد المطلب أحد أعمد البيت الهاشمي الذي انتصر على أبي سفيان وحزبه، فركله برحله وقال: انفض يا أبا عمارة فقد صار اليك الملك الذي حاربتنا عليه، لقد قال ذلك في بيعة جاهلية لا تعرف السروات أولع في التشفي والحقد والاباية منها كما ذكرنا من قبل.

وواجه الخليفة الجديد في السنة الأولى من خلافته مشكلة كانت من مختصات القضاء الاسلامي الذي احاطه الاسلام بقيود وحدود ووضع له من الموازين والشروط ما جعله مرجعا امينا وكفيلا باعطاء كل انسان حقه بدون محاساة او تمبير وبخاصة في مشاكل الدماء والاعراض والاموال.

بعد اغتيال ابن الخطاب قدم ولده عبيد الله على قتل الهرمزان أحد امراء الهرس الذين وقعوا اسرى في يد العاتكين من الجيش الاسلامي من غير أن يحاكمه بذنب ارتكبه او بجريمة ادانه بها القضاء، ولم يكن الهرمزان يعرف لنفسه ذنبا يوجب العقاب، كما لم ينسب اليه احد لاشترائه في الجريمة، وكل ما في الامر ان احد المسلمين قد ادعى بأنه قد رآه قتل حدوث الجريمة مع جفينة وأبي لؤلؤة، وهذا لا يكفي للادانة ولا يعد مؤشرا اليها، وكما يبدو من عبيد الله لم يقدم على قتله الا لانه مدفوع على ذلك حتى لا تظهر معالم الجريمة فيما لو بقي حيا وتخضع للتحقيق العادل بها، وبعد قتله التجأ إلى عثمان بن عفان حول القضاء لمصلحته ولمصلحة حزبه فحماه من القضاء بالرغم من مطالبة الجمهور الاعظم بمحاكمته وكان على رأس

المطالين بذلك علي (ع) وذوو الرأي والبصيرة من وجوه الصحابة، ولكن الخليفة لم يبال بغضب الجماهير ولا بنصح الناصحين وأصر على حمايته من القضاء العادل وظل عبدا لله في رعاية الخليفة وأعوذ به محمداً مدلاً كأعز ما يكون عليه لا يأبه للوم لائم ولا لنقمة ناقم ولا لحرمة العدالة والقضاء حتى اشتد الحصار وكانت نهايته، فأيقن عند ذلك ان لا شيء يحميه من لعدالة بعد ان اصبح القضاء بيد علي امير المؤمنين (ع) فالتحق بمعاوية مع من التحق به من الامويين الذين كانوا يعيشون بالقيم ومقدرات الامة وكانت نهايته في صعين مع الفئة الناعية كما تؤكد ذلك جميع المصادر التاريخية

كما واجه المسلمين في مطلع خلافته بمشكلة اخرى لعلها اسوأ مما سبقها، فاثارت القلق والخوف في نفوس الخاصة من ذوي الفكر والرأي والمخلصين للاسلام العاملين على انتظام مسيرته ولربما لحو الذي كان عليه في عهد الخليفتين ولم تكن هذه المشكلة تحدياً للقضاء بحسب بل تحدياً لرسول الله (ص) وفي الوقت ذاته تتعلق بأمن المجتمع المدني الذي كان يعيث فيه آل الحكم من بني ابي العاص، وكان النبي (ص) قد حاول اصلاحهم وتحديد شاططهم بكل الوسائل، فلم يجدهم جميع ما بدله في هذا السبيل لان قسدهم كان اعمق من ان تؤثر فيه النصائح والارشادات والتعارض وجميع المحاولات لاتصاله باحقاق قديمه موروثه تحولت الى مرض لا يريد الدواء الا انتكاساً

وبالاضافة الى هذا الداء واستعماله فلقد كانوا يعملون على شر العوضى والسفه واللامبالاة وبلغ من غرعاتهم ان أقدم الحكم اكثر من مرة على تمثيل النبي في مشينه ومحاكاته في تحركاته محاكاة ساحرة دنيئة فكان اذا مشى خلفه يتغامر ويتخلع وأحياناً يدلج له لسانه، الى غير ذلك من التصرفات الشاذة التي تنم عن مرض خبيث في النفس لم يجد النبي سبيلاً لاستئصاله بالحكمة والتوجيه والموعظة الحسنة.

وقد التفت اليه مرة وكان يمشي خلفه فوحده يتغامز ويتحالح ويتحالح وكأنه يمثله في تحركاته فلم يرد النبي (ص) على ان قال له كن كما انت فبقي على الهيئة التي كان عليها وهو يمثل النبي كالمجرب، وظل الناس بعد ذلك يسمونه الخالع والخليع ويسحرون به، وأحياناً كان يتجسس على النبي وهو في غرفته مع احدي زوجاته ورآه مرة يتطلع عليه من نافذة تطل على العرقة فغضب وقال: من عذيري من هذه الوزعة، ولما شاعت مقالة هذه كان الناس اذا تحدثوا عنه وعن ابيه مروان

قالوا الوزغ ابن الورغ الى غير ذلك من ألوان السفة التي لم يرتدع عنها الحكم ولا اولاده من بعده ولا عما هو أسفه منها وأقبح .

ولما رأى النبي (ص) ان بقاءه في المدينة ربما يجر العدوى والفساد لغيره نفاه هو وأسرته من المدينة الى مكان في الطائف معزول عن الناس (يدعى نطن وج) ونهى المسلمين عن معاشرته والاجتماع اليه حرصا على النفوس البريئة من ان تتلوث بمرضه ولم يقبل فيه شفاعاة احد من الناس كما جاء في أنساب الاشراف للبلاذري وشرح النهج للمعتزلي وغيرهما، وفتح عثمان بن عفان خلافته بإرجاعه هو وأسرته الى المدينة فأثار ارجاعهم غضب المهاجرين والانصار لا سيما وان الشيخين من قبله لم يقبلأهم شفاعاة احد كم نص على ذلك عبد الكريم الخطيب في كتابه علي بن ابي طالب، ولم يكتف اس عفان بذلك بل ولَّى الحكم الطريد الذي كان يؤدي رسول الله ويتجسس عليه، ولأه صدقات قصاعه فلبت ثلاثمائة ألف درهم فوهبها له ولما توفي الحكم صرب عليه عشرين قطاطا فقال عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت لولده مروان :

ان اللعين أباك هارم عظامه
ان ترم ترم مملج محبوا
يضحي خيصر البطن من عمل النقي
ويطل من عمل القبيح بطيا

وقال المحدثون والمؤرخون كما جاء في شرح النهج وغيره : ان رسول الله تصدق بموضع سوق في المدينة يعرف بهرون على المسلمين فأقطع اس عفان الى الحرث بن الحكم شقيق مروان، وأقطع مروان بن الحكم هذكا وكانت لعاطمة الزهراء (ع) وأخذت منها قرا بعد وفاة أبيها، ولما فتح المسلمون أرمينية استولى ابن عفان على حمسها وأعطاه لمروان بن الحكم طريد رسول الله، فأرسل اليه عبد الرحمن بن جبير الحمصي أبياتا جاء فيها :

ولكن خلقت لنا فتنة لكي تنلي بك أو تنلي
وأعطيت مروان نعر الملاد فهيهات سعيك فيمن سعى

وجاء في مجاميع التاريخ أنه كان للمدينة حمى مباح لجميع المسلمين ترعى به مواشيتهم وتركه النبي والخليفتان من بعده لجميع المسلمين عملا بمبدأ المساواة وحرصا على الثروة الحيوانية التي يعود خيرها على الجميع، فأقدم الامويون على تصويته واستغلاله لمواشيتهم وصنعوا اهل المدينة وغيرهم من الانتفاع به فأثار هذا الحادث غضب اهل المدينة وعلى رأسهم عمار بن ياسر، ورأى الناس في الحادث

وان كان صغيرا بالنسبة الى ما ارتكبه من الفظائع، رأوا فيه غزوا يهدد أموالهم وممتلكاتهم وموارد الدولة بالاغتصاب ولاحتكار لمصلحة تلك الطغمة من حاشية الخليفة، ولم يخطئوا النظر ولا التقدير فخلال السنين الاولى من استيلائهم على السلطة رأى المسلمون قصورا للخليفة في داخل المدينة اشبه ما تكون بقصور كسرى وقبصر، ورأوا لمروان الورغ من الوزغ مثلها في ذي حشب تطل على سوق يضارب به عماله بما اختلسه من اموال المسلمين والعقراء والمجاهدين وبالإضافة الى ذلك الجواهر والخلي تترويح في ضوء الشمس كالجمهر المتقد ولكن على صدور بنات عثمان ونسائه ونساء الامويين لا في ساحة المسجد كما كانوا يرونها في عهد الخليفة الراحل حيث كان يصعها ويأمر خدره بتوزيعها على الجميع حسب المقادير التي حصصها لكل فئة من العتات، وقد داهم ان يروها بالامس القريب مبعثرة على رمال المسجد ليأخذ كل واحد من المسلمين نصيبه منها، ويروها الان عمدة في تجسيد هاريء غيف في ايدي الاسرة الحاكمة وعلى صدور سائهم ونسائهم يتباهون بها على ساء المسلمين والمجاهدين الذين غموها سيوفهم ودمائهم خلال معاركهم الصارية مع الفرس والرومان، وأبها التمه المهدمون في المدينة وحارجها خلال العهد العثماني كاسوا يرون الحزب الاموي وحاشيته حارجا على تعاليم الاسلام وسيرة الرسول والشيخين من بعده.

لقد رأوا الكثير الكثير مما لم يعهده ولم يألوه ولم يستطيعوا السكوت عنه والصبر عليه، لقد رأوا الخليفة يخلق في العطاء على احيه من الرضاغة عبد الله بن ابي سرح فأعطاه جميع ما افاء الله عليه من العتائم حينما فتح المسلمون افريقيا في المغرب وهي المنطقة التي تعرف اليوم بالمغرب العربي، ولم يشرك احدا معه في تلك الغنائم على حد تعبير المعتزلي في شرح النهج وغيره من المؤرخين، واس سرح هذا كان قد اسلم قبل ان يدخل النبي (ص) مكة فاتحا والتحق بالنبي في المدينة، وبطرا لانه كان يحس الكتابة فقد اتحمه النبي كاتباً لمدة من الزمن، ثم ارتد عن الاسلام ورجع الى قومه في مكة وجعل يحدث قريشا بأشياء لا عين لها ولا اثر ويعتري على رسول الله، وما قاله لهم ان رسول الله كان يملي عليه من الوحي احيانا فاكذب ما يخالف قول الرسول ثم اعرضه عليه فيقره الى غير ذلك من الافتراءات التي كان يتقرب بها من لمشركين فأرسل الله فيه كما جاء في انساب الاشراف.

ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً وقال اوحى الي ولم يوح اليه شيء ومن

قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون في همرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴿١٠﴾

ولما كان عام الفتح أهدر رسول الله (ص) دمه فيمن أهدر دماءهم من المشركين والمنافقين فتشجع فيه عثمان وألح على رسول الله في أمره والنبي ساكت لا يتكلم ولما أدناه من النبي صرف وجهه عنه وهو يأمل أن يسرع أحد المسلمين إلى قتله، ولما استمر ابن عفان في الحاحه لم يرد رسول الله على قوله نعم، ولما انصرف به عثمان قال النبي لم كان حوله: أما كان فيكم من يقوم إلى هذا الكلب ويقتله، فقالوا لو أومأت اليها لفعلنا، فقال اني لا أقتل بالاشارة.

ومع ان رسول الله (ص) قد وصفه بالعداء لله ورسوله وأمر بقتله ولو كان متملقا بأستار الكعبة فقد كان الخليفة يمدق عليه العطاء وولاه مصر من سنة ٢٥ إلى سنة ٣٤ وخلال ولايته على مصر استعملها للاستثمار بحيرات النيل وثروات العمال والفلاحين وموارد الدولة مما أثار غضب الجماهير المصرية بقيادة محمد بن أبي حذيفة ففر منها إلى عسقلان وأقام فيها إلى أن قتل بـعثمان.

ومضى ابن أبي الحديد خلال شرحه بلحظية المعروفة بالشقشقية يقول: لقد أعطى ابا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بمائة ألف بعد ان زوجه ابنته ام انا، وجاءه ابو موسى بأموال كثيرة من خراج العراق فوزعها على الامويين كما أعطى مبلغا كبيرا من المال للحارث بن الحكم بعد ان زوجه من ابنته عائشة.

ولما وجد زيد بن ارقم المسؤول عن بيت المال ان موارد الدولة جفها يذهب لحساب البيت الأموي حواء بمفاتيح البيت ووضعها بين يديه وبكى فقال له: أتبكي لاني وصلت رحمي، فقال له: والله لو أعطيت مروان بن الحكم مائة درهم لكانت كثيرة عليه، وبالإضافة إلى كل ذلك فلقد كان مروان بن الحكم وأبوه وأخوته في المدينة يأمرون وينهون وعندهم تصدر الأوامر والمراسيم للداخل والخارج ومعاقبة يحكم بلاد الشام بلا حسيب أو رقيب، واس ابن سرح الذي أنزل فيه ومن أظلم عن اقترى على الله كذباً على مصر، ولوليد بن عقبة شقيق الخليفة لأمه على الكوفة، وقد تولاهما قبله جماعة من أجلاء الصحابة كعمار بن ياسر وابن مسعود وسلمان الفارسي وابن أبي وقاص وغيرهم، فولاهما عثمان في مطلع خلافته لشقيقه

الوليد الذي كان يعرف هو واخوته بصية النار، لان النبي (ص) عندما أمر بقتل ابيهم عقبة بعد معركة بدر قالوا له: من لبصية يا رسول الله فقال: لهم النار، فسماهم المسلمون بعد ذلك (صبية النار) وعقبة والد الصبية كان جده ابن ابي عمرو عبدا لأمية بن عبد شمس ونساء أمية، وقد تزوج من اروي بنت كريض فأولدها عثمان وتزوجها من بعده عقبة فأولدها الوليد وخالد وعلمة ويتا تدعى ام كلثوم، فنشأ الوليد في أحضان عثمان، وكان سكيراً فاجراً لا يصحح من السكر حتى في ايام ولايته على الكوفة، وقد بلغ به الحال ان سهر ليلة مع قيانته وندمائه يشربون ويعشون حتى الصباح، وخرج من مجلس الشراب الى المسجد ليصلي بالناس كما كانت عادة الامراء فصلى صلاة الصبح اربع ركعات، فأدرك المصلون انه فاقد لعقله وادراكه، وراح يطر بعضهم بعضاً، فالتفت اليهم وقال: اذا شتمتكم، وتوالت حرائمه حتى صبحت الكوفة من سوء تصرفاته وتوافدت حشودها على الخليفة شاكية فلم يجد بدا من استدعائه اليه، وما ان دخل المدينة حتى احتوشه المسلمون من كل جانب وهم يطالبون باقامة الحد عليه ولما اشتد اللغط وتصاعدت الغمة سمح لهم الخليفة بجلده وتحركت شفاته بذلك وكان احداً كان يقص عليها ولكن ملامح وجهه كانت تأني عليهم ذلك فلم يجرؤ احد على القيام بهذه المهمة وراح كل واحد يطر الى الآخر، وهذا والخليفة مطمئن الى انه سوف لا يجرؤ على القيام بهذا الواجب احد منهم، وفاته ان عليا (ع) الذي لا يرهبه غضب الحاكمين ولا يهادن احداً على حساب الحق مهما بلغ شأنه، وكان الفاسق الذي وصفه الله في كتابه هذه الصفة كما تشير الى ذلك الآية التي نزلت على النبي في حادثة تتعلق بالوليد نفسه «ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيروا قوماً بجهالة» لقد كان يراقب عليا الذي تولى قتل ابيه عقبة بن ابي معيط بعد معركة بدر ولا يخشى احداً سواه، ولما أحس بأن عليا تحرك لاداء هذا الواجب بنفسه بعد ان تهيب الحضور اداءه قام يحاول الهرب وكأنه احس بوقع السباط قبل ان تمس جسده فتناوله علي (ع) وجلد به الارض وانهالت سياطه عليه وطلت تتساقط وتهوي عليه حتى بلغت الثمانين فتركه عند ذلك يتململ ويتلوى من ألماها، هذا والخليفة المسؤول الاول عن تنفيذ حكم القصاء في مرتكبي هذا السوء من الجرائم قد أربد وجهه واعتبر ذلك تحدياً لخلافته فأدار وجهه نحو الجماهير المحتشدة فوجد بواذر الاغتباط والارتياح بادية على كل وجه، ومع ذلك فلم يستطع ان يكتم ما في نفسه من مرارة وألم، فاحتج على علي (ع) مدعياً بأنه قد تجاوز العقوبة المفروضة لمثل هذه الجرائم،

لأنه قد جلد به الأرض، ولكن احتجاجه لم يقابل بغير السخرية من الجميع.

وطلت الأحداث المخالفة لانظمة الاسلام ومبادئه تتوالى من جميع الأجهزة الحاكمة وتعرض فريق من أعيان الصحابة كعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وأبي ذر العفاري وزيد بن ارقم، وحتى عبد الرحمن بن عوف الذي سلمه الخلافة كما ارادها له الخليفة الراحل هؤلاء وغيرهم من اعيان الصحابة تعرضوا لاقسى العقوبات وأسوأ المعاملات كما تؤكد ذلك جميع المصادر التاريخية التي احصت أحداث تلك الفترة من التاريخ. لقد تعرض أجلاء الصحابة المقربين من رسول الله (ص) لعضب عثمان وحاشيته والتكيد الوحشي بهم لا شيء الا لانهم انتقدوا مساوىء العهد وامراف حواشيه في المكرات والطعنان وامتدت ايديهم الى ابن مسعود وتعاقبت سياطهم عليه حتى كسروا صلعا من أصلاعه وطل يضطرب بين ايديهم حتى غاب عن الدنيا وحمل الى بيته وهو يصارع الموت، فسمعوا الناس من الاتصال به وعيادته، ولما أحس بدنو أجله أوصى عمارا بالصلاة عليه وودعه حتى لا يحصره الخليفة أو احد من حواشيه، وبفقد وصيته عمار بن ياسر كما اراد فصلى عليه وودعه هو وجماعة من المهاجرين في أجو هادي بعد عن الخليفة وحواشيه.

كما تعرض ابو ذر العفاري لأسوأ المعاملات، واستمر في معارضته غير مال تهديد الخليفة ووعيده فنهأ الى الشام وأوكل امرء الى معاوية وأمره بالشدة عليه والعنف في معاملته ولكن تهديدات معاوية لم ترهه وطل يمارس نشاطه ضد الحكم الاموي المنحرف واحتار معاوية في امره بعد ان وجد ان الشدة لا تشيه ولا تحمد من معارضته بل تريده صلالة، وقد هاله ان يرح به في سجنونه او يقتله لان ذلك لا يعصمه من نقمة المسلمين الذين سمعوا النبي اكثر من مرة يقول: ما اكلت الخضراء ولا اقلت العبراء اصدق لحجة من أبي ذر، وسمعوه يقول له: يا ابا ذر تموت وحدك وتحشر وحدك وتدفن وحدك ويسعد بك قوم من اهل العراق يتولون عسلك ودهلك.

وحينما وجد ان لا سبيل لإسكات أبي ذر وتعاضيه عن جرائم الامويين كتب الى عثمان يستعيث به ليخلصه منه فكتب اليه أن يرده الى المدينة على احشن مركب، وكان ذلك من أعز أمانيه فأرحمه كما يريد الخليفة ولم يصل اليها الا بعد ان اكلت الاقتاب لحم فحديه وتكسرت عظام ظهره من العنف الذي استعمله معه مرافقوه، وفي المدينة عرضه ابن عمان على الجلادين فأغص عليه اكثر من مرة وسياطهم تتوالى على جسمه النحيل بدون شفقة او رحمة، وأحيرا نهأ الى الرسنة وترك امر

اخراجه من مدينة الرمول مروان بن الحكم الطريد بن الطريد، ولم يجرؤ احد من
 المسلمين على وداعه خوفا من سباط الخلاطين غير علي والحسن والحسين وعمار بن
 ياسر وودعه علي (ع) بكلمات هون عليه فيها ما يلقاه من القوم وسوء صنيعهم،
 وبعد غياب ابي در عن المسرح بقي عمار بن ياسر على موقفه المتصلب من الخليفة
 وحاشيته واتفق هو وجماعة من المهاجرين والانصار على كتاب لعثمان يعددون فيه
 مساوي العهد وما تعابه الامة من اسرته وحواشيه، ويطلبون فيه ان يرجع الى
 الاسلام او سيرة سلفه على اقل تقدير او اعماء الامة من بيعته التي ارهقت
 المسلمين وجرعتهم ألوانا من العسف والخور، ولم يجرؤ احد على حمل الكتاب
 للخليفة غيره، وبعد حوار دار بينهما تدخل فيه مروان بن الحكم وقال لعثمان: الى
 متى نصبر على هذا العبد الاسود الذي جرأ الناس عليك وحملهم على ما ترى، فلو
 قتلته ارهبت من وراءه وجعلته بكالا وعرة لعيره من المتمردين عليك، ومضى
 يشحنه عليه ويهون على الخليفة ما يحثه من عواقب التكيل به حتى استبد به
 العصب واشترك هو وغلماؤه بجلده وظلت سباطهم تنهوى عليه حتى أصيب بعنق
 وأعمى عليه فحملوه وألقوا به في الطريق، ولما أصبح الناس ووجدوا عمارا بتلك
 الحالة ارتفع الصبحج والصراح فأطلت راحة النبي (ص) أم سلمة من عرفتها
 المجاورة للطريق لترى اسباب الصبحج فوجدت عمارا معثيا عليه فأسرعت اليه
 وكلفت من يحمله الى غرفتها وهو في غيرة مطقة فاته خلالها ثلاثة من فرائضه
 اليومية، ولما أفاق من عشيته وملك وعيه واستعاد شيئا من نشاطه اسرع ليؤدي ما
 فاته من المرائض، وبعد ادائها جعل يستعيد ويردد ما لاقاه من ابي جهل وأبي
 سفيان وغيرهما من عتات قريش حين آمن برسالة محمد (ص)، وقال لئن ضربت
 وعدت اليوم على يد سليل أمية فلقد لقيت من أسلافه اذى كثيرا وعذابا مرا يوم
 آمنت بمحمد ورسالته وأنا الان ألاقي ما لاقيت من اجل رسالته وعند الله أحاسب
 ما ألاقه من عثمان وحاشيته

وظلت الاحداث تتوالى حتى بلغت النقرة في المدينة وخارجها من تلاعب
 الامويين وأحلافهم بأموال الامة ومقدرات لدولة واستهتارهم بالقيم والمقدسات
 اقصى حدودها، وبخاصة بعد ان امتدت لايدي الاثيمة الى اعيان الصحابة كعبد
 الله بن مسعود وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وغيرهم ممن بلغوا القمة في
 جهادهم وتضحياتهم في سبيل الاسلام وحبير المسلمين، ولم يعد صبر المسلمين في
 المدينة وخارجها يتسع لما حدث ولما كانوا يتطرون حلوته من الخليفة وحواشيه بعد

مواقفهم المستهترة الساخرة وعدم الاعتداد والتقدير لما بذله علي (ع) وظل يبذل
حقى اللحظات الاخيرة من الصائح والارشادات للخليفة وحزبه ليرجعوا لرشدهم
وينظروا الى الموقف المتصجر من زاوية العف والمصلحة الاسلام قبل فوات الاوان،
وعبثا كان يحاول ويكرر المحاولة بين جميع الاطراف المعنية بالامر كالبريد الساعي،
فما كان يتبناه من مطالب الثوار العادلة كن اذا وافق عليها الخليفة ترفضه حاشيته
وتعمل بتوجيهات الورغ بن الورغ عن تأريم الموقف. وانتهى الصراع القائم بين
المهاجرين والانصار ووفود الامصار من جهة وبين عثمان بن عفان وحزبه الاموي
من جهة اخرى، بمصرع الخليفة الذي خذله عامله القوي من اسرته معاوية بن ابي
سفيان عن قصد متعمد بعد ان استجد به اكثر من مرة وكأنه كان مطمئنا لانتقال
الدولة اليه اذا اتحد من دم عثمان سببا لذلك كما فعل، وانتهى بمصرعه عهد ثلاثة
ممن يسموهم بالراشدين.

وجاء دور الخليفة الرابع صاحب الشرع الذي اتفق عليه المهاجرون
والانصار بالاصافة الى تلك الحشود هائلة التي زحفت على المدينة معلنة عن
سخطها على الحرب الحاكم، وقد حاول علي (ع) ان يتهرب، ولكن محاولاته
اصطدمت باجماع جميع العتات الذين اهابوا عليه من كل جانب واجتمعوا حوله
كربصة العنم على حد وصفه لموقف المسلمين على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم من
خلافة كما جاء في حطته المعروفة بالشقشقية، ذلك الاتفاق الذي يعبر عن اجماع
الامة بما لهذه الكلمة من المعنى الذي يتسع لجميع افراد الامة او لا كبر عند منها كما
اشارت الى ذلك اكثر النصوص التاريخية التي وصفت موقف المسلمين منه يومذاك.

وجاء في انساب الاشراف للبلاذري ان عليا (ع) قد لزم منزله بعد ان يتس
من اصلاح الامر بين العريقين فلما قتل عثمان وفرغ الناس من امره جاؤوا كلهم الى
علي يهرعون ويقولون: اميرنا علي بن ابي طالب فدخلوا عليه الدار وقالوا: امدد
يدك حتى نبايعك، فقال ليس ذلك لكم وانما هو لاهل بلد فمن اختاره البصريون
فهو الخليفة، فلم يبق احد من البصريين لا اتاه وهم يقولون. لا نرى احدا أحق
بها منك.

ووصف الطبري موقف المسلمين من خلافة علي (ع) في الجزء الخامس من
تاريخه بما حاصله ان عليا (ع) بقي مصرا على رفضها والناس يحذقون بداره
ويتوسلون اليه بالاشتر النخعي وغيره من اعيان المسلمين الذين خوفوه من وقوع
الفتنة اذا بقي مصرا على رفضها وبعد حوار طويل بينهما وافق عليها بحضور جميع

الطبقات والفتات ثم دخل المسجد والناس يحذقون به فأول من بايعه وجوه الناس من الصحابة وغيرهم بما فيهم طلحة والزبير واثال عليه الناس من كل جانب.

كما وصف ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة وغيره ممن تحدثوا عن أحداث تلك الفترة موقف المسلمين من خلافته بمثل ذلك، وأصاف ابن قتيبة الى ما تقدم براويته عن أبي ثور انه حاول ان يتهرب من الناس فدخل حائطاً من حيطان بني مازن فلحقوا به وألحوا الى نخلة وأخذوا ذراعه وجعلت الأيدي تختلف عليها وما زالوا يتدافعون عليه حتى أدخلوه الجامع فبايعه طلحة والزبير وأصحاب النبي وجميع من في المدينة من المسلمين، وكانت تغص بالجماهير التي زحفت عليها من مختلف العواصم والمقاطعات الإسلامية لابقاذ العاد من الحرب الحاكم.

ومهما كان الحال فالذي تؤكد المصادر الموثوقة ان المدينة بقيت بعد مصرع عثمان بن عفان لمدة ايام بدون خليفة وفي عهدة العافقي بن حرب زعيم الثوار المصريين، والمسلمون بكل فئاتهم متفقون عليه ولا رأي لهم في غيره، وخلال تلك الفترة كان يتهرب منهم ويفضل ان تؤول الى غيره حتى آل امره ان التجأ الى الساتين واعتصم بها وكانوا يلاحقونه أينما ذهب ثم وبعد الإلحاح الشديد عليه من عامة الصحابة والثوار، والخوف على نصير الإسلام ان هو ظل مصراً على رفضها، لم يجد بدا من قبولها، ولم يتخلف عن بيعته سوى معاوية بالشام ومصر من الأمويين وأحلافهم لا يتجاوزون عدد الاصانع قد استعصوه من البيعة فنزكهم وشأنهم، وأحسن المسلمون في المدينة وحارجه بالانصراف واثاروا يتطلعون الى غد مشرق، ومجتمع افضل بنعم بالحرية وسيادة الحق والعدالة

واصرف علي (ع) بكل طاقاته ومكائباته مدة الايام الاولى لخلافته يضع الخطط لاصلاح ما افسدته بطانة عثمان في جميع شؤون الدولة واجهزتها وكانت الاولويات تستأثر بمكائباته وطاقاته ومن بينها مشكلة الولاة والسياسة الاقتصادية التي كانت متبعة قبله واثارت عصب الجماهير في الحجاز وخارجه، والتي استجاب واصعواها لمصالحهم وعواطفهم وعنصرياتهم لا لمبادئ الإسلام وسماحته، ووقف بين تلك الجماهير الملتعة حوله ليعلن على الملأ تلك الخطوط العريضة لسياسته فقال: ألا وان كل قطعة أقطعها عثمان بن عفان وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود الى بيت المال، فان الحق لا يظلمه شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء وملكت به الإماء وفرق في البلدان لرددته الى اهله، وأيما رجل استجاب لله ورسوله فصديق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام

وحدوده فأنتم جميعا عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه
لاحد على احد الى غير ذلك من بيانه التاريخي الذي وضع فيه جميع الفئات بما
فيهم الموالي والعبيد في مستوى من كانوا يتمتعون بالامتيازات السياسية والاقتصادية
على حساب غيرهم من الطبقات الكادحة والمستضعفين

وعز على جماعة من المهاجرين والانصار ان يكونوا كغيرهم من سائر الطبقات
وان تصدر ممتلكاتهم لمصلحة الدولة وبخاصة طلحة والزبير اللذين كانا يملكان ما
تقدر قيمته بملايين الدينارين كم تؤكد ذلك جميع المصادر التاريخية وكما بالاضافة الى
أطباعهما الاقتصادية يطعمان في هذا العهد الجديد في ولاية المصريين البصرة
والكوفة، وحيثما طلبا منه ذلك اجابهما برفق ولين: احب ان تكونا معي ألجمل بكما
وأستأنس برأيكما، لان أطباعهما التي كانت تتسع لطلب الخلافة لم تكن لتتغنى
عليه وقد عرفهما صعيبرين وكبيرين، وبالرغم من ان ابن عفان كان يفتدق عليهما
العطاء فقد رأهما بالامس القريب يحرصان على قتله لا غصبا لله ولا حرصا على
مصلحة الاسلام بل طمعا في السلطة من بعده، اما وقد سمعا بيانه ورفض ان
يجعل لهما ميرة على غيرهما وحتى في العطاء الذي سوف لا يالان منه الا الشيء
الهربل اليسير، هذا بالاضافة الى الاقلية الجبيرة التي لوح في فرضها عليهما وعلى
غيرهما من ذوي الاطباع وطلاب الجاه.

لقد أيقنا انهما لن يحققا شيئا من امانيهما ما داموا خاضعين لحكمه، منضمين
الى لوائه، وما عليهما بعد ان تسرب اليأس الى نفسيهما الا ان يفضيا الى الحرب
الاموي المعارض، وقد بدأ معاوية يغازلها منذ الايام الاولى لمصرع الخليفة الراحل
ويعددها بالاموال وبكل انواع الدعم ان استمرا في معارضتهما لعلي بن ابي طالب
واتمام البيعة لهما بالشام.

وجاء في كتاب كتبه الى الزبير بن العوام كما في رواية شرح النهج جاء فيه
لعبد الله امير المؤمنين الزبير بن العوام من معاوية بن ابي سفيان لقد بايعت لك
اهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق حلب فدونك الكوفة والبصرة قبل ان
يسبقك اليهما ابن ابي طالب وبايعت لطلحة من بعدك واستمر يشحهما بوعوده
ومغرياته ويضعهما في جو الخلافة وكأنها سهمة المنال لكل طامع فصمما على الثورة
والتمرد على الخليفة الشرعي الذي بايعاه بالامس طائعين غير مكرهين واستغلا
عداء عائشة لعلي (ع) المتحكم في نفسها منذ الايام الاولى لرواجها من النبي
(ص)، وقد بلغ من عدائهما له ان فقدت رعيها وخرجت عن المألوف حينما بلغها

ان المسلمين قد اجتمعوا على عي (ع) وأصبح قريها طلحة صفر اليمين منها وقالت ساعة بلغها امر الخلافة: ليت هذه اطلقت على هذه، لقد قتل عثمان مظلوما، وقبل قتله بأيام قلائل كانت من أكثر المسلمين عداء له وتحريضا على قتله وتسميه باسم يهودي قذر خسيس كان يسكن المدينة وتقول اقتلوا بعثلا فقد كفر، وتعني عثمان بهذا الاسم الى كثير من مواقعها المعادية له ولما بلغها مصير الخلافة راحت تنذبه وتبكيه وأخيرا ترجلت واشتركت مع الطامعين والمفسدين في حرب امير المؤمنين فأركبوها جملا حملوها عليه الى البصرة، وراحوا يعيشون في الارض فسادا ويقتلون الارياء والصلحاء من عبيد الله، فاضطر الامام (ع) للخروج في أثرهم قبل ان يستحل خطرهم وكانوا قد دخلوها من قبله واستولوا على بيت المال بعد ان قتلوا حراسه وجماعة من أنصار الامام، وبعد وصوله الى البصرة ومحاولاته الكثيرة بارجاعهم الى رشدهم وانصاتهم الى عامة المسلمين التي جاءت بالفشل لم يجد سبيلا سوى مقابلة تلك الطغمة بالخر وكانت المعركة الحاسمة المعروفة بمعركة الجمل حيث سببت الى حمل كانت تركبه عائشة في وسط المعركة والمقاتلون من انصارها محذقون بها، ولم تنته المعارك القصارية بين الطرفين الا بعد ان أصيب الجمل وسقطت عائشة مع هودجها في ارض المعركة وتفرق عنها من بقي حيا من انصارها بعد مصرع طلحة والزبير، وبدلاً من ان يقف منها ومن الذين يفرروا بها الى هذا المصير السيء موقف المنتصر الذي تأخذه نشوة النصر على اعدائه، وقف موقف الحزين الكتيب لانه لم يكر ينقذ لهم هذا المصير السيء الذي لا يتمناه لاحد، وأرسل الى صاحبة الجمل اخاها محمد بن ابي بكر ليتولى رعايتها حتى لا تمتد اليها ايدي الدين وترتهم حربها باخوانهم وعشائهم. واتجه بعد معركة الجمل الى حرب معاوية الذي استغل مصرع قريه عثمان بن عفان وراح يطالب بدمه وبالثأر له في حين انه قد خذله في احرح ساعات المحنة وهو يستغيث به ويستنصره على الثائرين من داخل المدينة وخارجها.

لقد اتجه علي (ع) الى حربه بعد تبادل الرسل والرسائل بينها يدعوه فيها الى الدخول فيها اجتمع عليه المسلمون، ومعاوية يتمحل في أجوته ويتلرع بدم عثمان وهو يعلم ان عليا بريء منه براءة الذئب من دم يوسف، وبعد حوار من طريق الرسل والرسائل دام اشهرا وبعد ان تكشفت نوايا ابن هند للملا على واقعه اضطر الى قتاله في المكان المعروف بصفين، وجرت بين الجيشين معارك ربما تكون من اشهر المعارك وأشدّها خراوة كادت ان تلحق الهزيمة بمعاوية وجنده لولا ان ابن

العاص اشار عليه برفع المصاحف والدعوة الى الاحتكام اليها، فأدرك الامام (ع) اهداف هذه العملية وما يكمن وراءها من النوايا الدنيئة المبيتة.

وكان من الطبيعي ان يرميها ويكشف لاهل العراق ما تنطوي عليه، ولكن اكثر القادة في جيشه المشتركين في وضعها رفضوا الانصياع لوامره فاضطر الى قبول التحكيم بعد ان وجد ان المص في القتل لم يعد لمصلحته، وكانت الهدنة التي انتهت بالتحكيم نتيجة لمؤامرة واسعة بالاشتراك مع الاشعث بن قيس وجماعة من قادة الجيش ورؤساء القبائل، منح عنها ن تمرد جماعة من الجيش وراحوا يعيشون ويفسدون حتى اضطروه الى قتالهم والقضاء عليهم في مكان يعرف بالنهروان ولم يقلت مهم سوى بفر قليل كانوا لواء الاولى لم يسموهم بالخوارج الذين شغلوا فيها بعد وأقضوا مضاجع الامويين والحاكمين قرابة قرن من الزمن، وبعد القضاء على المنشقين عن جيشه في النهروان رجع الى الكوفة وعلامات التمكك والتخاذل بادية على اهل الكوفة، فاستغل معاوية ذلك وشط أنشأه في التحرش بالحدود العراقية وبالمناطق الاخرى الموالية للحكومة الشرعية في بقية المقاطعات حتى بلغت الحجار والبس وقتلوا الاسرياء من الاطعماء والشيوخ واعتدوا على الممتلكات والاموال فصاح الناس من حرالمهم واستغاثوا بامير المؤمنين (ع) فاستنصر الناس وحرصهم على الدفاع عن حدودهم والخروج لحرب معاوية بن همد، وفيما هو يعد العدة هذه العاية، واذا به يمر صريحا في محراب مسجد الكوفة في فجر اليوم التاسع عشر من شهر رمضان ببلدات سنة احدى وأربعين للهجرة سيف عبد الرحمن بن ملجم المرادي تنفيذ المؤامرة تهن عليها معاوية وابن العاص والمعيرة بن شعبة مع جماعة من رؤساء العشائر وقادة جيش في الكوفة أعراهم معاوية بالاموال كما اثبتنا ذلك في كتابنا سيرة الائمة الاثني عشر

وطويت بمصرعه صفحة نفة بيضاء من ابرر صحائف الاسلام العظمى تمتد جوهرها الى كافة الابعاد الانسانية وتمثل صرح طاق من طاقات الفكر الاسلامي والاخلاق والمبادئ الاسلامية تاركا للتاريخ وللعالم دروسا في المعرفة والاخلاق والعدالة وفي جميع الميادين الانسانية والاسلامية والمكرية لا تزال عباقرة العصور تستلهم منها الكثير من عوامص الحياة وأسرار الكون.

كما انطوى بقتله عهد الخيمة الاولى من الخلفاء الاثني عشر الذين اختارهم الرسول الاعظم بأمر من الله لقيادة الامة من بعده، ولو قدر للامة ان تنفذ فيهم امر الله ورسوله وتختارهم لقيادتها لوجد المسلمون في قيادتهم ضمانا لحياة اسلامية

سعيد. ما عرف تاريخ البشرية أسعد منها وظهر وجه الاسلام للعالم على واقعه المشرق الذي يستولي على العقول البيرة والقبوب الصافية ويشدها الى أنظمتها ومبادئه وتعاليمه السمحاء، وبدلاً من ذلك فقد انتقلت الخلافة وقيادة الامة الى الامويين اعداء الاسلام اولاد ابي سميان وأحماده وأحفاد الوزغ الحكيم طريد رسول الله يتوارثونها خلفاً عن سلف كما يتوارثون متروكات آبائهم وممتلكاتهم، وراحوا يعملون باسم الاسلام لاعادة الوثنية والجاهلية بكل أشكالها في شرق الارض وغربها وتركوا وراءهم وبخاصة في الاسدلس وجهاتها صوراً من حكمهم باسم الاسلام لعلها من اقبح ما عرفته البشرية في تاريخ الحكاميين وانقرضت دولتهم بعد ستة قرون او اكثر على تأسيسها في المغرب وتلك البلاد لا تعرف صورة للاسلام غير الصورة التي تراءت لها من خلال حكم لامويين وسيرتهم، ولو انهم اعطوا العالم ولو صوراً محدودة عن الاسلام وتعاليمه وسماحته لكان الاسلام كغيره في الغرب ان لم يكن اكثر انتشاراً وشيوعاً.

ومهما كان الحال قلقت قدمت ليقراء بهذا العرض الموحى صورة عن الخلافة الاسلامية في المرحلة الاولى من مراحلها كما وصفتها المراجع المعتمدة في تاريخ السلف وآثارهم بقصد المقارنة بين الواقع الذي سارت عليه الخلافة وبين الصورة التي وصموها للخلافة الاسلامية في عصر الصراع العقائدي والمذهبي لإصغاء الشرعية على خلافة الثلاثة الذين تعاقبوا على الحكم بعد وفاة الرسول (ص).

شروط الخلافة في المذاهب الإسلامية

ومجمل ما قيل حولها كما جاء في المذاهب الإسلامية لأبي زهرة وغيره، هو أن جمهور أهل السنة بعد أن اتفقوا على وجوب علي الأمة واختلفوا فيما تسميه كلمة الأمة، أجمعها أم أهل الحل والعقد منها أو غيرهما؟ بعد أن اختلفوا في ذلك اتفقوا على أن الخليفة لا بد وأن تتوفر فيه أربعة شروط لتكون إمامته خلافة سوية ولا تكون ملكا عضويا، القرشية والبيعة العامة والشورى والعدالة، واستدلوا بالشروط الأولى بما رواه الشيخان أبو بكر وعمر في سقعة بني ساعدة حينما ادعاهما الانصار لانفسهم في مقابل الحرب القرشي الذي رشح له أبو بكر ففسا له انه قال: الخلافة في قريش وأضاهها إلى ذلك انه كان يقول: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان، والناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم، وجاء في رواية البخاري عن معاوية بن هند انه سمع النبي (ص) يقول: ان هذا الأمر في قريش لا يعدلهم أحد الا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين، وروى الشيخان هذه الرواية بعد أن أخرجها الانصار وكثر اللغظ والتهريج بعد ما نسبوا إلى النبي ذلك استغل الموقف عمر بن الخطاب وصفق هو وأبو عبيدة على يد أبي بكر وساد الموقف جو من القوضى وهتف جماعة من العامة باسم أبي بكر على سبيل المحاكاة التي تندفع الجماهير في مثلها عاليا، والباقيون من ذوي الرأي والفكر لم يجدوا مجالا للتعبير عن آرائهم في تلك البيعة التي تمت على هذا النحو الذي لا يخفي ما وراءه من التخطيط لها منذ زمن لعله يعود إلى ما قبل وفاة النبي (ص).

وأغرب ما في الأمر ان الذين استطاعوا الهيمنة على الانصار بما رواه عن

النبي (ص) من انه نص على ان الخلافة للقرشيين مع انهم كانوا يدعون ان امرها لا يعود للنبي وقد رحل عن هذه الدنيا وترك للأمة ان تختار لنفسها من تراه لم يجدوا سبيلا للاستيلاء عليها الا هذا نص الذي يجسد الروح القبلية التي حاربا الاسلام بكل الوسائل ورجعوا الى النص الذي انكروه على اهل بيته ولكن هذا الشكل المشير.

ويبدو ان الحرب القرشي قد اضطره الانصار لان يسب الى الرسول هذه المقالة كما اضطر الخوارج معاوية لان ينسبها الى الرسول بتلك الصيغة التي تهدد وتتوعد غير القرشيين ان تعرضوا لها لان الخوارج كانوا يرونها من الحقوق المشروعة لكل مسلم عربيا كان او من الموالي، وقد تعرضوا لهذه الرواية في اوائل هذا الفصل وقلنا بان الصيغة التي وردت على لسان الشيعيين على تقدير صدورها من النبي (ص) جاءت لتأكيد ما تواتر عنه من ان حلفاءه اثنا عشر وانهم من ولد علي وفاطمة، كما يجوز ان تكون على تقدير صدورها منه احبارا عما يقع في المستقبل من استيلاء الامويين والعباسيين عليها كما انهم عن غيرها من الاحداث بما في ذلك ارتداد اصحابه من بعده وليس في معرض العمل والتأكيد على انها من حقوقهم التي لا يجوز الاعتداء عليها والتعريض بها كما حاول الشيعان التصويه على الجماهير بذلك

اما الصيغة التي رواها البخاري عن معاوية بن ابي سفيان الذي كان يتحدث بها في مقابل الخوارج الذين كانوا يرونها من الحقوق الساتعة لكل من تنوافر به المؤهلات لادارة شؤون الامة حتى ولو لم يكن عربيا فلا سبيل الى افتراض صحتها وصدورها من النبي (ص) بعد اشتغالها على تلك الفقرة ولا يعاديه احد الا اكره الله على وجهه في النار.

وقد ذكرنا ان الشيعة يدعونها لعلي والائمة من نبيه (ع) ولا يدعون ذلك على اساس قرشيتهم او قرانتهم القريبة من لرسول اللذين يرجعان الى تحكيم النظام القبلي الذي حاربه بكل الوسائل ولا على اساس بسوتهم له والعمل بمبدأ الوراثية، بل على اساس الحبل الالهي الذي ينعه لسي الى الامة تأمر من ربه كما بلغها غيره من التشريعات والفرائض والسنن وغير ذلك مما يتعلق بشؤون الدين والدنيا. لذلك كان التشيع لعلي بمعنى الالتزام بدمته وحلفته من بعده اصيلا اتصالا غيره من التشريعات وجزءا من الاسلام، وكانت خلافة غيره وما تشعب عنها من الاحداث الطارئة التي فرصتها الاهواء والاطماع والخروج عما حطط له الرسول

وظل يؤكد منذ ارسله الله الى ان فارق الدب كما تؤكد ذلك اكثر مجاميع الحديث والتاريخ . وما ادري كيف جوز هؤلاء ان يذهب النبي الى مشواه الاحير بدون ان يستحلف من يقوم مقامه ليتابع مسيرته مع من كان يرى الاخطار محدقة برسالته من الداخل والخارج والوصي يحذره منهم وينذره سارتدادهم من بعده كما نصت على ذلك الآية

﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا﴾ .

وهل يجوز عليه مع ذلك ان يتركها مشددة لدوي الاطماع والاهواء وشياطين بني أمية بدون وصي أمين يتمتع بالخصال والمرايا نفسها التي كان يتمتع بها النبي حتى لا تتعرض للتلاعب والتشويه من أعدائها الألداء الذين انصموا الى المسلمين حقاً وطمعاً من غير ان يحالط الاسلام نفوسهم وقلوبهم، هذا بالإضافة الى ان أعنى الدول وأقواها يومذاك كانت تربط عن حدود الحجاز وتنتظر الوقت المناسب لعزو المسلمين في ديارهم وأوطانهم قبل ان يمحروا برسالتهم الى ما وراء حدود بلادهم وقد حاولوا ذلك اكثر من مرة في حجة اليمامة (ص) وكانت غرخته التي جمع فيها اكبر عدد من المسلمين ثبوتك رداً على بعض تلك المحاولات كما تؤكد ذلك اكثر المصادر التي تحدثت عن سيرته، وفيها قد استحلف علياً على المدينة، وعزاً عليه ان تفوته غزوة على رأسها النبي لمعابلة دولة من اكبر الدول يوم ذلك وأعناها بالعدد والعتاد، وقد وضع علي (ع) في حسابه ان النبي (ص) سيكون مستهدفاً اذا حصل صدام بين الطرفين وليس باستطاعة احد ان يقوم بدوره ويهديه بنفسه كما كان يصنع هو في معارك النبي مع العرب وقريش في بلد واحد والاحزاب وحزبن وغير ذلك من معارك الاسلام مع لشرك والوثنية، ومع انه (ع) كان يتحمل بين يدي النبي (ص) ليكون معه في تلك العروة، فقد أصر النبي على بقاءه في المدينة وقال له : أما ترعى ان تكون معي بمرلة هارون من موسى ولا ينبغي ان أذهب الا وأنت حليفي كما جاء في مسند احمد بن حنبل ومنه النسائي وفي المواهب للحافظ الدمشقي وجمع الزوائد للهيتمي وغير ذلك من المصادر التي اشتملت على هذا النص .

ومن كان يرى ان الاخطار المحدقة برسالته لا تسمح له ان يتغيب عن عاصمته لا يام معدودات بدون ان يستحلف عليها من يقوم مقامه ويتابع مسيرته فكيف جوز عليه هؤلاء ان يرحل عن دنياهم ويتركها لدوي الاطماع والاهواء ولا

يختار لها من يحميها من التحريف والتخريب والتشويه او يجعلها من الحقوق المشاعة لجميع القرشيين بما فيهم مروان بن الحكم ومعاوية بن ابي سفيان وأمثالهما من شياطين بني أمية.

الشرط الثاني من الشروط الاربعة البيعة العامة من أولي الحل والعقد وفوي الرأي، أي ان اهل الحل والعقد والجسود وحماهير المسلمين يعطون الخليفة عهدا على السمع والطاعة راضين غير مكرهين، وهو بدوره يعاهدهم على اقامة الحدود والمراضى وإحقاق الحق والقيام بمصالحهم في مقابل طاعتهم وإرامهم بكل ما تفرضه مصلحة الدولة، وأصاف الى ذلك الشيخ ابو رهرة في الجزء الاول من كتابه تاريخ المذاهب الاسلامية: ان علماء المسلمين في ظل الفترة الاسلامية المستقيمة والنظم الاسلامية المقررة في الاسلام قد انتهوا الى هذا العقد وجعلوه واقعة عملية ولم يكن فرضا مفروضا، ومضى يقول في صفحة ٩٧: ان المسلمين تتابعوا على بيعة ابي بكر عندما قال له عمر بن الخطاب في السقيفة امد يدك أبايعك وكان الامر كذلك عندما عهد ابو بكر من بعده لعمر بن الخطاب وأخذ البيعة له وتتابع الناس على بيعته، وكذلك كان الحال عندما اختار السنة عثمان بن عفان، وأصاف ان بيعتهم كانت تقوم على الرأي الحر والتزام الطاعة اختيارا الى غير ذلك مما جاء في مؤلفات السنة عن الخلافة الاسلامية لأعضائها الصفة الشرعية في مقابل الشيعة الذين ذهبوا الى انها لا تكون الا بالنص عليها من الله، لان الخليفة كالسي يجب ان تتوافر فيه كل صفاته ومميزاته، والذي يرسل السي ويحملة تلك المسؤولية الكبرى التي تقرر مصير الاسابية بأسرها هو الذي يختار لها من يتابع المسيرة بها بعد تكاملها بواسطة الرسول (ص).

ولو افترضنا ان خلافة الثلاثة الذي تفمضوها بعد السي على التوالي وقعت على النحو الذي اشترطوه للخلافة في العصور المتأخرة بعد مضي اكثر من مائة عام على وفاة النبي (ص)، لو افترضنا انها قدمت بالاختيار الذي يمثل الرأي الحر والرضا من الجميع او من ذوي الرأي ومكر والحل والعقد، وبعد افتراض ان النبي (ص) قد رحل عن هذه الدنيا وترك للمسلمين حرية الرأي في اختيار من يتولاها ويتابع المسيرة بالرسالة في احواء الدنيا، لو افترضنا ان النبي لم يعين خليفته من بعده وان الأمة قد التزمت طريق الاختيار والانتخاب القائمين على الرضا وحرية الرأي، وانما تمت بناء لرغبة الاكثرية المطلقة، لكادت خلافة الثلاثة شرعية ولا سبيل للاعتراض عليها، ولكن ذلك مجرد افتراض بعيد عن الواقع تُعد السبا،

عن الارض والحق عن الباطل شهادة التاريخ الذي احصى أحداث تلك الفترة من حياة المسلمين وتحدث عن خلافة ابي بكر والاسلوب المرتجل الذي تمت عليه ولم يكن نتيجة لتمحيص الآراء ولا لاستفتاء شعبي ضم أكثر الفئات الشعبية وذوي الرأي والبصيرة في الدين، لقد تمت وسي لا يزال مسجى في بيته بين اهله، وفريق من الصحابة من مهاجرين وأنصار كانت وفاته قد اذهلتهم عن كل شيء وانصرفوا الى تجهيزه الى مقبره الاحير لا يعرفون شيئاً عما كان يجري حول خليفته من مقررات وتدابير، ولانها لم تقم على أسس ديمقراطية صحيحة ولم تكن نتيجة لتمحيص الآراء والافكار ولا لاستفتاء شعبي، ورافقتها مع ذلك موحاة من الارهاب والتصليل كما تحدثنا عنها في العصور الاولى من هذا الكتاب وفي غيره من كتبنا، ولانها كانت على هذا النحو قال عنها عمر بن الخطاب الذي كان من أبرز العاملين من اجلها، قال عنها بعد ان انتهت الخلافة اليه كما نص على ذلك ابن ابي الحديد في شرح النهج وغيره من المؤرخين: كانت بيعه ابي بكر فلتة وفي الله المسلمين شرها وأقل ما نعينه كلمة المنة انما كانت مرتجلة وفي غير محلها

وبعد الدراسة الواعية لطروفها وملابساتها قل عنها الاستاد علي عبد الرزاق في كتابه الخلافة وأصول الحكم: وأذا رأيت كيف تمت البيعة لابي بكر تبين لك انها كانت بيعه سياسية ملكية عليها كل طوائف الدولة الجديدة المحدثه وانما قامت كما تقوم الحكومات الجديدة على اساس القوة والسيف

وقد تنه جماعة من المؤلفين الى نتائج المترتبة على اعتبار هذا الشرط، وأدربوا ان اعتباره لاجل تصحيح خلافة الثلاثة يؤدي الى عدم هذه النتيجة لعدم توافر هذا الشرط في خلافتهم كما تؤكد ذلك الارقام التاريخية التي لا يمكن تجاهلها او التهرب منها، ومن هؤلاء الايجي في مواقفه حيث قال ان اجماع اهل الحل والعقد على الخليفة لم يقم عليه دليل من العقل او السمع بل يكفي في صحة الخلافة وانعقادها الواحد والاثنان لعلما بأن الصحابة مع صلابتهم في الدين قد اكتفوا بذلك فقد عقدها ابو بكر لعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف لعثمان ابن عفان، ولم يشترطوا اجماع من في المدينة ولا غيرها.

كما جاء في المذاهب لابي رهرة وغيره، ويعنون بها ان خلافته لا تكون شرعية وناقلة الا اذا كان اختياره ناتجاً عن تمحيص الآراء سحوا لا تستقل باختياره فئة دون

اخرى ولا فرد او افراد دون غيرهم، واستدلوا على ذلك بالآية ﴿وشاورهم في الامر﴾ وبالآية الثانية ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾، وبأن النبي كان يستشير اصحابه احيانا في بعض الامور التي لا وحي فيها، واذا كان الحكم الاسلامي يقوم على اساس الشورى فاختيار الحاكم لا بد وأن يكون بعد التشاور وتمحيص الآراء اذ لا يمكن ان يكون الحكم عن طريق الشورى والخليفة مفروضا بحكم الوراثة على حد تعبير الشيخ ابو زهرة في صفحة ٩٩ من كتابه تاريخ المذاهب الاسلامية، وأضاف الى ذلك ان عمر بن الخطاب قال من ديع رجلا بغير مشورة المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه، ومضى يقول ان لقرآن قد امر بالشورى وألزمها السنة ولكن لم يبين طريقة الشورى ولا اهلها وترك للناس تطعيمها وتعرف طريقها. واستطرد يقول: ان المسلمين في اختيار خلفائهم استعملوا ثلاثة طرق من طرق الشورى.

الاول الاختيار الحر بدون عهد من احد، ويتمثل ذلك في اختيارهم لابي بكر بعد النبي (ص) مباشرة، لثاني ان يعهد الخليفة لشخص لم تكن بينه وبينه قرابة ويتمثل ذلك في اختيار ابي بكر لعمر بن الخطاب، فقد كان عهده اليه بمثابة اقتراح منه لم يكن الدافع اليه سببا او سببا بل الاحلاس لديه وللمؤمنين، وقد بايعه المؤمنون طائعين مختارين

الثالث من طرق الشورى ان يعهد الخليفة لواحد من ثلاثة او اكثر يعدون افضل القوم ويمثل ذلك على حد تعبير الشيخ ابو زهرة فيما فعله ابن الخطاب حيث جعلها في ستة من المسلمين يختارون واحدا منهم وقد احتاروا لها عشرين بن عمان، ونقل عن ابن حزم انه قال: ان هذه الطرق الثلاثة هي التي ينحصر فيها طريق اختيار الخليفة ولا يجوز لاحد ان يتدع طرقا غيرها لانه يكون خروجا على اجماع الصحابة (١)

والذي يدعو الى الدهشة والاستغراب ان الدين وضعوا شروط الخلافة الاسلامية في عصور الصراع العقائدي واعتبروا الشورى من الشروط الاساسية وفسروها بالرجوع الى اهل الحل والعقد ودوي الرأي والفكر ليختاروا لانفسهم من يروته صالحا لها بعد التداول وتمحيص الآراء بنحو لا تستقل بالامر فئة دون اخرى واستدلوا لها بمقالة عمر بن الخطاب لتي تتضمن عدم شرعية البيعة اذا لم تكن برأي المسلمين وموافقتهم، وبعد ان فسروها بما يسجهم ومعناها ذلك المعنى الذي

(١) انظر ص ١٠١ من المذاهب الإسلامية.

يعرض شرعية الخلافة الإسلامية في مراحلها الأولى للانبياء لأن المعارضين لخلافتهم من ذوي الرأي والفكر ووجوه الصحابة كانوا أكثر من الراضين بها والمقتنعين بجدواها. هذا مالا صافه الى ما كان يرافق استيلاءهم عليها من الأساليب التي لا تحمي ما وراءها من تحطيط مدروس للوصول اليها سواء رضي المسلمون أم كرهوا، ويدل على ذلك ما رواه في شرح النهج خلال وصفه للكيفية التي تمت عليها خلافة أبي بكر فقد جاء في روايته انه بينما الناس خارج السقيفة واذا بأبي بكر ومعه ابن الخطاب وأبو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة معتمرون بالآزر لا يميرون بأحد الا خبطوه وقدموا يده ومسحوها على يد أبي بكر ليبياعه شاء ذلك أم أبى، كما لم يحدث التاريخ بأن ابا بكر قد استشار احدا في اعطائها لعمر بن الخطاب، والدين اطلعوا على ما كان قد صمم عليه قد أنكروا عليه كما تحدثنا خلال هذا الفصل عن ذلك وعن الشورى التي تتر بها ابن الخطاب لإيصال الخلافة الى البيت الاموي وكأها عهد مكتوب.

لقد اعتبروا الشورى من شروطها الرئيسية بما لها من المعنى الصحيح، ولكم بعد ان وحدوا ان الحمود على معصاها لصحيح يعرض خلافة الثلاثة للانبياء وعدم الشرعية توسعوا في معصاها محتجين لذلك بأن القرآن والسنة لم يجعلها لها معنى معصا ولا كمية محددة بل تركها للناس تسطيعها وتعرف طريقها، وبما ان خلافة أبي بكر تمت باختيار عمر بن الخطاب وأبي عبيدة وبعض المهوشين، وخلافة عمر تمت باختيار أبي بكر وحده، وخلافة عثمان باختيار عبد الرحمن بن عوف، لم يعد لهم من مجال لتفسير الشورى الا بما يتلاءم مع الشكل الذي تمت عليه خلافة الثلاثة حتى ولو لم يتفق ذلك مع اللغة ولا عرف والمناصب التي كان النبي (ص) يشار فيها اصحابه ليطلع على آرائهم، ويستخلص منها الاصلح لمصلحة الاسلام والمسلمين

لقد كان النبي (ص) يشار ذوي برأي والفكر ووجاه الصحابة في بعض الاحيان حتى في الامور الصغيرة لأسباب تعرضها لمصلحة ويستقطب العدد الاكبر منهم، ومن هنا انطلقت فكرة الشورى كما يدعي واضعو هذه الشروط في عصر الصراع العقائدي ولكن الشورى عندهم تتم باختيار الخليفة لشخص لم يكن بينه وبينه قرابة لأن ابن الخطاب قد اختاره ابو بكر واختاره هو عبد الرحمن بن عوف ليسلمها لابن عفان كما ذكرنا.

صحيح ان ابا بكر وعمر لم يسلمها لاحد من اولادها وأحفادها كما كان

يصنع الامويون والعباسيون ولكيها لا يختلفان عنهم من ناحية الاستقلال والاستعداد بأرائهم وعدم الاعتداد بأراء المشيرين والناصحين وتجاهل ذوي الفكر والرأي من الخريجين على مصلحة المسلمين ومسيرة الاسلام.

لقد اشتهر عن عمر بن الخطاب انه كان يقول في مختلف المناسبات لولا علي لهلك عمر ولا أبقاى الله لمصلحة ليس لها ابو الحسن ونحو ذلك مما كان يصدر منه بين الحين والآخر عندما كان لا يرى للمشاكل التي يستعصي حلها على الجميع غير علي (ع) ومع انه كان لا يرى لمشاكله غيره ويتمنى لنفسه الموت اذا اعترضته مشكلة وأبو الحسن عائب عنه، فلم يرد عنه في حديث صحيح او ضعيف انه فكر في مراجعته وتداول الرأي معه في مشكلة الخلافة التي يرتبط بها مصير الامة ومصير الرسالة، وقد فوحىء علي (ع) حينما بلغه انه احتار لها هذا الاسلوب وأدرك كل نتائجها وما سيجمع عنها ولكنه أثر ان يمضي معهم الى النهاية ليكشف للملأ ربهها وأهدافها.

الشرط الرابع من الشروط التي يجب ان تتوافر فيمن يخلف الرسول في ادارة شؤون الامة العدالة. وجاء في تحديدها كما يدعي الشيخ ابو زهرة وغيره من المؤلمين في هذه المذاهب والمعتقدات الاسلامية، انه لا بد وان يكون عدلا في ذاته بحيث لا يؤثر قرابة في حق من حقوق الله ولا يقدم احدا على احد لهوى في نفسه من صحبة ونحوها وما الى ذلك من جهات القرب والبعد بحو يكون مصداقا للاية الكريمة ﴿يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولي بها فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا او ان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾.

وأضافوا الى ذلك ان عدالة الامم تفرض عليه ان يولي الامور من يصلح لها من اهل العدالة والرفق لان النبي (ص) كان يقول، من ولي من امر امتي شيئا فأمر احدا بحماة فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، وأضاف (ص): من استعمل رجلا على عصاة وميهم من هو ارضى منه الله فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

ومضى الشيخ ابو زهرة في عرصه لرأي الجمهور ان على الامام ان يعامل حتى اعداءه بالعدل كما تؤكد ذلك الآية ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى﴾، وتتسع عدلة الامام عندهم للعدالة الاجتماعية التي تنظم التكافل الاجتماعي، والعدالة لاقتصادية التي تمكن كل قادر من العمل

وتوفره له، فمن تجوز له الامامة هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينقاد له ويقودهم وهو كالاب الحاي على ولده يسعى لهم صفارا ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم في حياته ويدحر لهم بعد مماته، وكالام الشفيقة الرقيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها ورثه طفلا تسكن سكونه وتفرح بعافيته وتغتم لشكايته، وكالقلب بين الخوانح تصبح الخوانح بصلاحه وتفسد بفساده، الى غير ذلك مما ذكره في تحديد عدالة الامام الذي يخلف الرسول ويتولى ادارة شؤون الامة.

لقد اشترط اهل السنة في الخليفة لعدالة في مقابل الشيعة الذين يشترطون عصمة الامام لان الدواعي التي اقتضتها لالبياء المرسلين تقتضي ثبوتها لمن يتولى شؤون الامة وتنفيذ الرسالة، وفروها به لا يختلف عن العصمة التي انتهت الشيعة للائمة والانبيا راعين ساتها بكل اعدائها وشروطها ومقوماتها كانت من ابرر صفات الخلفاء الثلاثة، في حين ان اكثر نكث الشروط لم تتوافر فيمن تعاقبوا على السلطة بعد النبي وبخاصة ثالثهم الذي قرب اعداء الاسلام الذين لعنهم النبي (ص) وطردهم من حواره وسبهم الارزاق، ولم يكتب بارحاعهم مكرمين محالفا وصية رسول الله فيهم بل جعل لهم من الامسيارات ما لم يجعله لاحد من قادة المهاجرين والانصار وأعدى عليهم العضاء من بيت المال، وولى ارحامه (صيه النار) امور المسلمين في المقاطعات الاسلامية وكانوا يتجاهرون بالمكرات ويعدسون الصلحاء بأوامره بالنصر والتشريد والقتل لا لشيء الا لاهم كانوا يكررون عليه اسرافه في تبذير الاموال على اسرته وذويه وحاشيته من الحزب الاموي، وكان في سيرته وسياسته لا يختلف عن حكم الامويين المتأخرين في شيء.

في حين ان محاميعهم تروي عن النبي (ص) انه لعن الولاة والحكام الذين يحانون احدا في توليته او يستعملونه على عصاة وفيهم من هو ارضى منه لله ولرسوله، ومع كل ذلك فقد وصفوه بالعدالة والقداسة كما وصفوا معاوية ومن حرج لحرب امام المسلمين في البصرة وغيرها بذلك، وبدلا من ان ينزلوا على حكم الكتاب فيمن بغي وأفسد في الارض وحالف الحق وأهله ذهبوا يمينا وشمالا يتلمسون الاعذار والمبررات لعثمان وحزبه وللساكئين والقاسطين لتفطية جرائمهم فقالوا: بان ما صدر عنهم من نوع الاحتداد الذي لا يضر في عدالتهم وقداستهم، وذهبوا في اصولهم الى اعد من ذلك وقاؤ ان الصحابة كلهم معتهدون والمجتهد لا يخطيء في شيء لان الواقع مرهون باجتهاده، إم لانه لا شيء في الواقع وراء ما

يؤدي اليه اجتهاد المجتهدين، او لانقلاب لواقع الى ما يتوصلون اليه باجتهادهم كما هو مذهبهم في التصويت.

وعلى اساس ذلك فلا مجال لوصفهم بالعصيان مهما حدثوا وغيروا وبدلوا حتى ولو كانت أحداثهم من النوع الذي اقترفته حاشية الخليفة الثالث وقريبه معاوية بن ابي سفيان وغير هؤلاء ممن حاربوا امام المسلمين في البصرة وقتلوا الالوف من الانبياء والصلحاء ومن عرصوا سنة رسول الله (ص) للتحريف والتزوير واستخدموها لمصالحهم وأهوائهم

وقد ادرك جماعة ممن تأخروا عن لعصر الذي وصفت فيه هذه الشروط للخليفة ان اشتراط العدالة في الخبيثة لا يمكن تغطيته بشيء ولا الدفاع عنه بعد المحالقات المصاحبة والتجاوزات المكورة التي حصلت من عثمان وحواشييه ومن معاوية ومعاونيه، ولارم اشتراطها بطلان خلافته وعدم شرعيتها فيتعين القول بعدم اشتراط العدالة في الخليفة، وحاء في الفصل بين اهل الاهواء والبدع لاس حرم ان الصحابة وفقهاء التابعين وأحمد والشافعي لم يشترطوا العدالة في الخليفة، ومن صرح بعدم اشتراطها وشرعية امامه القاسم صاحب العقائد السقية، حيث قال لا يعمل الامام بالفسق والخروج عن طاعة الله والخور على عواده لان القاسم من اهل الولاية عند ابي حنيفة على سجد تعبيرة، وأصناف الى ذلك ان القسق والجور لقد ظهر من الخلفاء والامراء بعد الراشدين ومع ذلك فالسلف كانوا يتقادون لهم ويقيمون الجمع والاعياد نادهم ولا يرون القسق مبررا للخروج عليهم ومخالفتهم.

ومن التزم بهذا المصمون من علمائهم ومؤلفيهم الباحوري في حاشيته على شرح الفزي حيث قال وهو يعدد شروطها، ثالثها استيلاء شخص مسلم دي شوكة على الامامة ولو لم يكن اهلا لها كصبي وامرأة وفاسق وجاهل فان امامته تنعقد لينظم شمل المسلمين وتمدد أحكامه وتجب طاعته على الرعية ولو كان فاسقا، ومن أكد هذا المصمون كل من الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة وزين بن نجيم في كتابه الاشياء والنظائر والشريبي في كتابه المعني المحتاج

وكما قلنا من قبل ان هؤلاء بعد ان وجدوا ان الالتزام بتلك الشروط التي نسبها ابو رهرة لجماعة من المسلمين الاوائل يعرض خلافة عثمان وغيره للخطر وعدم الشرعية، لم يجدوا بدا من لغائها وفتصر بعضهم على اشتراطها ابتداء عند استلامه للخلافة بمعنى ان الخلافة لا ترتبط ببقائها فلو فسق بعد انعقادها واستعمل جميع المنكرات ومار ونمادى في النفي والجور لا ينزل ولا يصح الخروج عليه.

وكان معاوية كما ذكرنا قد سخر جماعة من وضعوا انفسهم في صفوف الصحابة والرواة لاحاديث الرسول لوضع طائفة من الاحاديث تحذر المسلمين من الثورة على الحكم مهملين بالغوا في الجور والظلم وترين لهم الرصوخ والابقيد للحكام مهملين كان حالهم وتوهمهم بان الثورة على الظلم والسمي لاقامة نظام سليم وعادل لا يتفق مع الدين.

ومن تلك الاحاديث التي وضعها له لمرتزقة من المحدثين ما رواه جماعة عن عبدالله بن عمر كما جاء في البحاري وغيره من مجاميع احاديث السنة ان رسول الله (ص) قال: انكم سترون بعدي اثره وامورا تكروها، قالوا: فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: ادوا اليهم حقهم وسلوا الله حقكم، ومن رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فان من فارق الجماعة شبرا ومات مات ميتة جاهلية، ورووا عنه انه قال: ستكون هنات وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جمع قاضيه بالسيف كائنا من كان.

وحدث المحاح عن ابي هريرة انه قال له: ممن انت؟ فقال له: من اهل العراق، قال: يوشك ان ياتيكَ بغير اهل الشام فيأخذوا صدقتك فان اتوك فتلقهم بها فاداً دخلوها فكس في اعاصمها وحل عنهم وعما وانك ان تسهم فانك ان سيبتهم ذهب اجمرك وأخذوا صدقتك، وان صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة الى غير ذلك من الاحاديث التي تدعو الى الخصوع للظالمين والصبر على جورهم وطغيانهم.

ومجمل القول ان الشروط التي وضعها المسلمون السنة للخلافة الاسلامية يوم تفرق المسلمون شيعة واحزابا بعد عصر الخلافة الراشدة بما يقرب من مائة عام لتصحیح خلافة الاوائل في مقابل القائين بأن النبي (ص) قد نص على حليفته من بعده، هذه الشروط لا تتفق بحال من الاحوال والواقع الذي مضى عليه خلافة الثلاثة كما تؤكد ذلك جميع المصادر التي تعرضت لاحداث تلك الفترة من تاريخ الاسلام، كما تؤكد تلك المصادر ان تلك الشروط بكاملها قد توافرت على الوجه الاكمل في خلافة علي (ع) ذلك لان القرشية التي نعي الاتصال بالنبي نسباً هو من ابرز المتصفين بها وبالاضافة الى ذلك لقد كان من اقرب الناس الى النبي نسباً وروحاً، ولذلك فقد قال حينما بلغه ان المدعين بالخلافة قد اعتمدوا القرابة خلال مواجهتهم للانصار قال: لقد احتجوا بالشجرة وتركوا الثمرة ونسب اليه انه قال مخاطباً لابي بكر:

فان كنت بالقري ملكت أمورهم ففكرك أولى بالنبي وأقرب
وان كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب

وأما البيعة العامة التي لا تتحقق الا باعطاء اهل الحل والعقد وجاهير المسلمين عهدا بالسمع والطاعة في المشط والمكره على حد تعبير الشيخ ابو زهرة فالبيعة بهذا المعنى لم تحصل لاحد من الثلاثة كما ذكرنا ولقد كان اكثر اهل الحل والعقد كارها لخلافتهم كما تؤكد ذلك اكثر المصادر السنية، واستسلامهم للواقع المرير على ما بينهم من الاختلاف في دافعه لا يعبر عن الاختيار الحر الذي تعنيه كلمة المبايعة ولم تتحقق معيومتها الصحيح الواسع لغبر علي (ع) كما ذكرنا وقد بقيت المدينة بعد مصرع عثمان خمسة ايام بدون خليفة والمسلمون بكل فئاتهم لا رأي لهم بغيره وهو يتهرب منهم حتى التجأ الى احد بساتين المدينة وهم يلاحقونه أبى حل وذهب، وقد وصف هو (ع) اجتماع الناس على بيعته كما جاء في شرح النهج بقوله . ويسطتم يدي حكمعتها ومذمومها فقضتها ثم تذاككنم على تذاك الميم على حياصها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطىء الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم ابهى ان هدى إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكعاب وانتهج بها الصغير

والكلام نعبه بالنسبة للشورى التي يجب ان يترك فيها الرأي الحر لأهل الحل والعقد ودوي الرأي والفكر من اقطاب المسلمين وقادتهم المخلصين، لا بالشكل المربل الذي وقعت عليه وكانت في واقعها لا تختلف عن العهد المكتوب لعثمان الا بالشكل والمظهر كما ذكرنا خلال حديثنا عنها من قبل . ولو ان ابن الخطاب استمق المهاجرين والانصار وقادة المسلمين استثناء حرا نريها بعيدا عن الهيمنة والتشويش لم يكن لعثمان نصيب في غير اصوات الحرب الاموي ولا احسب ان احدا غيرهم كان يقدم على احدا، ومن المؤكد انه كان سيصوز بالاكثرية المطلقة من الاصوات ان لم يكن بجميعها . اما العدة التي يرونها من اهم شروطها كما يدعي ابو زهرة وغيره فالمسلمون بكل فئاتهم وطبقاتهم بين قائل بعصمته وانه كالنبي من هذه الناحية في جميع ادواره ومراحل حياته وبين من وضعه في القمة وأثبتوا له مرتبة من العدالة ليست لاحد سواء، وحتى ان ألد اعدائه وأشرس خصومه لم يستطيعوا ان يجدوا ولو ثغرة في تاريخه الخافل بالاحداث الحسام في حين ان اكثر المسلمين قد وقفوا من غيره موقفا مليئا بالحذر والتشكيك بل أدانهم جماعة من المهاجرين والانصار ولم يجدوا سبيلا لتبرير ما ارتكبه من أخطاء ومخالفات صريحة لسنة

الرسول وسيرته وروح المتأخرون يشعلون لشعبيتها بالاجتهاد والمجاهدة بزعمهم لا يؤخذ على شيء من تصرفاته مهما بلغ حجمها ومن هذه الزاوية عدوا معاوية وطلحة والزبير وابن العاص وابن شعبة وغيرهم من عدول الصحابة مع العلم بأنهم قد ساهموا في أكثر الجرائم والمفاسد التي وقعت في تلك الفترة من التاريخ كما يؤكد ذلك تاريخهم المليء بالاختطأ والمخالفات والمكرات.

وفي مقابل هذه الشروط التي لا تتم الخلافة بدونها عند الجمهور ذهب الامامية الى ان الامامة من أصول الاسلام لا من فروعه والمرجع الاول والاخير في أصول الدين هو الله ورسوله ولا رأي للأمة في ذلك ولا يتميخ الامام الا بالنص عليه من النبي او من الامام الذي نص لسي عليه وله السلطة نفسها التي كانت للنبي (ص) وقد نص النبي على الأئمة بأسانئهم كما نص كل امام على حليفته ولا بد مع ذلك من كونه افضل من غيره في جميع الصفات الكريمة كالعلم والشجاعة والحلم والزهد والكرم وما الى ذلك من الصفات التي يتفاوت الناس بها ويتفاضلون على اساسها وانه لا بد وان يكون معصوماً من صعد الذنوب وكنارها سحر يكون الامام في مرتبة من السموات والارض والخلق يجعله قدوة لتابعيه ورمزا حيا للشرعية التي يمثلها ومثلا اعلى لمن يمثلهم ويحكمهم، ولو حار عليه ان يفعل المكرات والقبائح وأن يظلم ويعتدي كان في حاجة لمن يرضيه ويرده الى الطريق الصحيح والنهج السليم، هذا بالاضافة الى ان الدعوة التي جاء بها وحاهد من احلها جهادا مريرا لما كانت بحاجة لمن يتابع المسيرة بها الى حيث راده الله لها لا بد وان يكون لمن يمثل هذه المهمة من الصفات ما يؤهله لان يملأ الفراغ الذي أحدثه برحيله عنها، ومن لم يكن بهذا المستوى من السموات والارض والخلق والدين يجعلان منه قدوة لتابعيه ورمزا حيا للشرعية لا يملأ فرع النبي ولا يحقق العاية من اختياره.

وليست العصمة التي يدعيها الشيعة لسي والامام من الأمور التي تجعل منه انسانا آخر لا يحس بما يحسون من لذات وآلام ولا يلتقي مع غيره من بني الاسان في الخصائص والأمال والاحلام، بل هي عبارة عن ملكة نفسية قوية تمكنه من التغلب على ما يختلج في نفسه من أهواء وشهوات وبروات وتدفعه لفعل وتحركه على فعل الطاعات والطيبات في حال كونه قدرا على ارتكاب ما يختلج في نفسه من لذة زائلة او نزوة طائشة، ولعل هذا هو الذي يعيه الامام زين العابدين (ع) بقوله في جواب من سأل عن العصمة، انها الاعتصام بحبل الله، ثم تلا الآية الكريمة: «واعتصموا بحبل الله جميعا».

والعصمة بهذا المعنى ليس فيها من الشدوذ والعربة ما يبرر تلك الحملات المسعورة على الشيعة والانتهاكات القاسية التي يذهبون فيها الى ان الشيعة يرفعون أئمتهم الى مرتبة الالهة بالصاق العصمة بهم على حد تعبير بعضهم، ذلك لان عصمتهم لا تعني اكثر من انهم يملكون قوة تغلب على ما يجتليج في نفوسهم ويتحرك فيها، وهذه القوة تستمد فعليتها من وعيهم الكامل بما للطاعة من خير وصلاح، وبما للمعاصي والمكرات من عيوب ونقائص يجب ان يتسامى عنها كل من يشعر بكرامته كإنسان وبمسؤولياته تجاه أوامر الله ونواهيه وبعمه التي لا تحصى، وفي الوقت ذاته لا يفرح عن كونه اساسا كعامة الناس يحس بما يحسون من لذة وآلام وتعرضه أحلام وأمان وخطرات لا تتفق مع الخلق والدين ولكنه يستطيع التغلب عليها في جميع الحالات ويمتلك لقدرة والسيطرة على جميع ما يعرضه وما يمر في خاطره في حالات الرضا والعصب والحب والكراهية وغير ذلك

لقد أنكروا العصمة واستعربوها على علي ولأئمة من به الدين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وجعلهم النبي (ص) كالكتاب وكسفية موح لا يضل من تمسك بهم ومن الجأ اليهم، هكأ بالاضافة الى تاريخهم الغني بالادلة والشواهد على انهم فوق مستوى المخلوقات بكل صفاتهم ومواهبهم وحتى ان الد أعدائهم وأكد خصومهم كما ذكرنا لم يستطيعوا ان يصفوا هم عيبا مشيا او سيئة من السيئات، لقد أنكروها على علي ولأئمة من درة النبي الذين كانوا يجسدون الاسلام بكل مصوله وخطوطه في تصرفاتهم وتحركاتهم السياسية والاجتماعية والتربوية والخلقية وغيرها وأثبتوها من حيث يريدون او لا يريدون لأعداء الاسلام ممن أسموهم بالصحابة كالمروانيين والعشنيين والناكثين والامويين ومن كان يدور في فلكهم كالغيرة واس العاص وغيرهما من الكذبة على الله ورسوله والمتسترين بالاسلام الذين وصفهم النبي بالارتداد عن الاسلام من بعده في عدد من الاحاديث رواها عنه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما كما رواها غيرهما لقد وصفوا جميع هؤلاء وغيرهم عن رأي النبي وسمع حديثه حتى ولو آراه قبل التكليف وهو في سن الطفولة بالصحة، وكل صحابي عاذل ومعلور في أخطائه ومكراته لانه مجتهد والمجتهد لا يتصور في حقه الخطأ كما ذكرنا خلال الصفحات السابقة.

ان هذا الافراط في العلو بالصحابة بما فيهم معاوية ومن على شاكلته يفوق مستوى العصمة التي يؤمن بها الشيعة للانبياء والأئمة الاثني عشر بمسافة لا يكاد

يذكر حدودها وخطرها على الاسلام ومسيرته الا من كان رائده الحق والحقيقة من
الباحثين المجريين، وما أقل هذا النوع من البشر في كل زمان.



موقف المسلمين من الحاكم الجائر

بعد هذا العرض لشروط الحاكم مادام لم تتوافر فيه تلك الشروط كما لو استولى على السلطة بالقوة والغلبة وكان من غير القرشيين وجائرا في حكمه فقد ادعى الشيخ ابو رهرة في كتابه «المذاهب الاصلية» ان الجمهور لا يعتبرون ولايته خلافة نوية بل ملكا دنيويا، ومن هؤلاء يزيد بن معاوية وغيره من الامويين على حد تعبيره واصافوا الى ذلك كما ينسب اليهم ان هؤلاء الملوك ان كان في معاملهم امام عادل قد استوفى شروط الولاية والخلافة والتف حوله جماعة من الناس وبايعوه عليها مبايعة حرة يجب اطاعته ويكون انتعلب على الملك في مقابله باغيا يجب قتله او ارجاعه الى الحق ونجى مساعدة العادل عليه لقوله تعالى.

﴿وان طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فاصلحوا بينهما فان بلغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله﴾.

غريب امر هؤلاء انهم يذهبون الى انه اذا كان في مقابل من لم تتوافر فيه شروط الولاية امام عادل قد استوفى شروط الولاية والامامة يجب على المسلمين مساعدته على التسلط على الامة بدون رضاها واختيارها بمقتضى الآية التي تعده باغيا ظلما، ويعترفون في الوقت ذاته بان عليا (ع) قد توافر لخلافته من الشروط ما لم يتوافر لمن سبقه فضلا عن معاوية الذي استولى عليها بالقوة والاحتياال ولم يتوافر له شيء من شروطها، وقد خرج على الخليفة الشرعي وقتل آلاف الابرياء والصلحاء وكان من الباغين بحكم الآية وقد جعلها لولده يزيد من بعده بسلال والسلاح وهو وحده يتحمل مسؤوليتها ومسؤولية من جاء بعده من طواغيت بني

أمية، مع أنهم يعترفون بأن معاوية لم يتوافر فيه شيء من الشروط وكان في مقابله إمام عادل توافرت فيه جميع الشروط وتم اختياره للخلافة بإجماع الصحابة والوافدين على المدينة من مختلف الأمصار، وقد معى عليه معاوية وقتله ومع ذلك لا يعتبرونه باعياً وظالماً، بل عدوه من الصحابة الذين عناهم النبي (ص) بقوله: أصحابي كائنحوم بأنهم اقتديتم اهتديتم كما نسب إليه أبو هريرة راوية معاوية وقريبه عثمان بن عفان.

ومهما كان الحال فإدا حار احكام وخرج عن العدالة فقد ذهب جمهور السنة الى وحبوب الصبر على ظلمه وحرره وعدم حوار الخروج عليه، وسوا القول بذلك لكن من الفقهاء الثلاثة الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل لأن الصبر على طاعة الخائرين أولى من الخروج عليهم لما في الخروج عليهم من استبدال الخوف بالامن وإهراق الدماء وفساد الغارات والفساد ودك اعظم من الصبر على جورهم ومسقمهم. وأضافوا الى ذلك ان الاصول تشهد والعقل والدين ان اقوى المكروهين أولى بالترك

ومضى ابو زهرة يقول: ان الإمام أحمد ~~شرح~~ موحوب الصبر عند الجور وهو عن الخروج على الخائرين والانتفاء الى الخارحين بها صريحاً وقال: لا يجوز الخروج على الامراء بالسيف وان حاروا، لأن النبي (ص) قال كما جاء في صحيحه مسلم والبخاري انكم سترون معدي اثرة وامور تكروها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم، وقال ومن ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع يدا عن طاعة. (١)

ونسب السمي في شرح العقائد الى أبي حنيفة عدم جوار الخروج على الخائرين ايضاً لانه من اهل الولاية، ومضى يقول: لقد طهر المسق واشتهر الجور من الأئمة والامراء بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا يقاتلون اليهم ويقيمون الجمع والاعياد معهم ولا يخرجون عليهم.

وجاء في نظام الحكم والادارة في الاسلام ان الساجوري في حاشيته على شرح الغري وأحمد الدهوي في كتبه حجة الله البينة، وابن نجيم في الاشباه والسطائر، والفتاوي في شرح جامع المقاصد وغيرهم صرحوا بعدم جوار الخروج على الخائرين

(١) أنظر ص ١١١ من المذهب الإسلامية.

ووجوب الصبر على ظلمه وجوره مهما بالغ في الظلم وأسرف في الجور والعدوان، وأضاف إلى ذلك الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة أن الخليفة لا يعزل إلا بالكفر ويانكار ضروري من ضرورات الدين، فلو فسق وظلم وتعدى حدود الشريعة لا يضر ذلك في خلافته^(١) إلى غير ذلك من النصوص التي تعبر عن اتفاقهم تقريباً على أن الخليفة لا ينحل إذا ظلم وجار وارثكب جميع المعاصي والمكرات، ولا يجوز الخروج عليه بحال من الأحوال، وأكثرهم يصرح بأن الخارج على الخليفة الذي تتم خلافته ولو بالقهر والغلبة والاحتيل يجب قتاله حتى ولو كان الخارج عليه عادلاً لإحقاق الحق، وقد ذكرنا بعض المرويات المسبوبة إلى النبي (ص) حول هذا الموضوع في الفصل السابق.

أما الإمامية وأكثر المعتزلة فقد ذهبوا إلى وجوب مبارعة الخائر ومقاومته بكل الوسائل إذا لم يصح حداً لجوره وحوار عماله وحواشيه بالطرق السلمية، ولا يجوز السكوت على ظلمه وجوره والتعاصي عنه مهما كانت النتائج ولو أدى ذلك إلى قتاله وإراقة الدماء؛ والدماء على حرماتها وكرامتها ترحص في سبيل إحقاق الحق والعدل على حد تعبيرهم، ولأن القتال في سبيل الحق والعدالة من حملة أبواب الجهاد الذي اعتبره الإسلام ركناً من أركانه وأصلاً من أصوله، وقد نبى عليه الإسلام وحث عليه القرآن والحديث بمختلف الأساليب التي افترت في العالم بالترغيب عليه والترهيب على تركه.

وجاء في الآية من سورة نوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُقَاتِلُوا وَيُقَاتِلُوا وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

إلى غير ذلك من الآيات التي أكدت رجحانه ووجوبه في سبيل الحق والمستضعفين في الأرض من الرجال والنساء والولدان.

وقال الشيخ السحفي في كتاب الجهاد من موسوعته الفقهية المعروفة بالجواهر: بعد أن تحدث عن موارده وعد منها جهاد الكافرين بالله ورسالاته والباعين والخائرين من الحاكمين على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم، بعد أن تحدث

(١) أنظر من ٩٨ و ٩٩ من نظام الحكم والإدارة للشيخ محمد مهدي شمس الدين.

عن موارده قال: وهو ذروة سام الاسلام ورابع أركان الإيمان وباب من أبواب الجنة وأفضل الأشياء بعد الفرائض ومباحة أمة محمد التي جعل الله عزها بسنابك خيلها ومراكز رماحها، ومضى يقول: لقد جعل الله الجهاد من أفضل أعمال البر ولو قتل المجاهد في سبيل الله فليس فوق ذلك سرّ أو معروف، والخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الساس إلا السيف، وأضاف إلى ذلك أن السيوف مقابليد الجنة، وللجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه وهم متقلدون سيوفهم، ومن غزا عزوة في سبيل الله فما أصابه فطرة من السماء أو صداع إلا كان ذلك له شهادة يوم القيامة، وأن الملائكة تصلي على المتقلد بسيفه في سبيل الله حتى يصعبه، واستطرد يقول: إن الآية إن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم، والآية لا يستوي القاعدون، والآية كتب عليكم وهو كره لكم، وغيرها من الآيات التي فرضت الجهاد أكثرها وارد في قتال الكفار على الدخول في الإسلام وألحق الفقهاء به قتال من داهم بلاد المسلمين من الكفار، وقاتل الباغي ابتداء ليرجعوا إلى الحق، ويتسع لمعظ الباغي للظالم ولكل من حرج عن الحق وطاعة الإمام (ع)، ومضى الشيخ الحنفى يقول: إن رسول الله (ص) قال إن الله قد كتب على المؤمنين أن يجاهدوا في الجنة كما كتب عليهم جهاد المشركين معي، فقال له السائل: يا رسول الله، وما الفتنة التي كتب فيها الجهاد؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وهم يخالفون لسنتي منحرفون عن ديني، فقال له: يا رسول الله فعلام يقتلهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: تقتلهم على أحداثهم في ديني ومواقفهم لأمري واستحلالهم دم هرتي، وقال (ص): ما من مسلم يظلم مظلمة فيقتل إلا قتل شهيداً، وقال: إذا رأيت أمتي عاب الظالم أن تقول له أنت صالم فقد تودع منها.

ونص الفقهاء كما جاء في حواهر سجنى على أنه لو كان لأهل البعي فئة يرجعون إليها حاز الإجهاد على جريحهم وقتل أسيرهم وملاحقة مدبرهم، وإذا لم يكن لهم فئة يرجعون إليها فقتلهم إنما هو لتشتيت أمرهم وتفريق جمعهم وكلمتهم، ولا يجوز ملاحقة مدبرهم ولا الإجهاد على جريحهم وأسيرهم بلا خلاف في ذلك على حد تعبير الشيخ في جواهره.

وفيما جاء عن الأئمة (ع) فيمن حرج على حكام الجور، جاء عن الإمام أبي عبد الله الحسين (ع) أنه قال: حدثني به أنه سيكون ما رجل اسمه ريد يخرج ويقتل فلا يبقى في السماء ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يتلقى روحه ويبعث هو

وأصحابه يتحللون رقاب الناس فيقال هؤلاء دعة الحق.

وجاء عن الإمام علي بن الحسين (ع) أنه قال: حدثني أبي عن أبيه علي (ع) أنه قال: يخرج مطهر الكوفة رجل يقب له ريد من علي في أبيه الملك لا يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل عمله يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير أو شبه الطوامير حتى يتخطوا أعناق الخلائق فتتلقاهم الملائكة فيقولون هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق ثم يستقبله رسول الله (ص) فيقول يا بني قد عملتم بما أمرتم به فادخلوا الجنة بغير حساب

وجاء في رواية عن الإمام الصادق (ع) أنه كان يقول: من حرج على هؤلاء وقتل فعلي نفقة عياله ويريد هؤلاء حكم الجور من العباسيين والامويين وغيرهم ممن يستهترون بالاسلام ومقدساته وحقوق الإنسان وكرامته

كما جاء عنه أنه قال: من أرمى سلطاناً جائراً سحقه الله حرج من دين الله، وقال الإمام الساهر (ع) لا دين لمن دان بطاعة من عصي الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي عهد الرشيد كان صفوان الجهمي أحد أصحاب الإمام وثقاته يملك عدداً من الجمال ويكرهاً هارون الرشيد حين يذهب لفتح بيت الله فدخل يوماً على الإمام موسى بن جعفر (ع)، فقال له: يا صفوان كل شيء منك حس وحليل ما خلا شيئاً واحداً، فقال: جعلت فداك، أي شيء هو؟ فقال: كراء جمالك من هارون، فقال: والله ما أكريته اشراً ولا بطراً ولا لصيداً أو لحوولكي أكريته إياها للطريق مكة ولا أتولاها نفسي بل أعت معها علماني، فقال: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: أولست تحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قال: نعم، قال: من أحب بقاءهم فهو منهم ومن كان منهم فهو في النار، فذهب صفوان وباع جماله عن آخرها، فبلغ ذلك الرشيد فاستدعاه إليه وقال له: بلغني أنك بعت جمالك، فقال: نعم إن العبد لا يقومون بالأعمال وأنا شيخ كبير لا أطيق خدمتها، فقال له: هيهات، أي لأعلم من أشار عليك بذلك أنه موسى بن جعفر، فرد عليه قائلاً: ما لنا ولموسى بن جعفر يا أمير المؤمنين، فقال له: دع عنك هذا والله لو لا حسن صحبتك لقتلتك.

وكتب المنصور إلى الإمام الصادق (ع) لم لا تعشاننا كما يغشانا الناس؟ فأجابه الإمام: ليس لنا من الدنيا ما نخافك عبه ولا عندك من الآخرة ما نرجوك به ولا

است في نعمة فنهتلك ولا في نعمة لعزيبك، فكنت اليه المنصور. تأتينا لتصحنا، فاجابه الامام (ع): من أراد الدب لا يصحبك ومن أراد الآخرة لا يصحبك، فقال المنصور: والله لقد مير عدي منازل من يريد الدب ممن يريد الآخرة.

وجاء في رجال الكشي عن عبد الرحمن بن سبابة انه قال دفع الي الامام الصادق مبلغا من المال وأمرني بتوريعه على عيالات من أصيب مع عمه زيد بن علي (ع) فقسمتها عليهم وأصاب عيال عبد الله بن الزبير الميسان أربعة دنانير وكان الامام الصادق يقول: ويل لمن سمع داعيته ولم يحبه

وأحاديث الامامية في هذا الباب لا يلعبها لاحصاء ومن أجل ذلك نجد السر في مقاطعة علماء الامامية في مختلف العصور لرجال الحكم وابتعادهم عن السياسة وتجارها فلقد توارثوا ذلك حلعا عن سلف عن الأئمة الاطهار (ع).

لقد قاطع علماء الامامية الحكام وأفتوا بتحريم التعامل معهم ولم يستشوا الا ما فيه النفع للمؤمنين ودفع الحيف ونظم عن المظلومين، ولم يكتفوا بذلك بل أفتوا بأشياء تتصل مباشرة بأعمال الحاكَم، فلفظ شرطوا العدالة في امام الجمعة والجماعة وكان الحاكم في الغالب هو الذي يؤم الناس وبحاصة في يوم الجمعة ولأرم ذلك ان صلاة المؤمنين به باطلة لا ينقلها الله مع علمهم بسفه وجوره، هذا بالاضافة الى ان اشتراط العدالة في امام الصلاة يشعر بأن القيادة في كل شيء وبحاصة في ما يتعلق بقيادة الامة وادارة شؤونها لا تصلح الا لمن كان معروفا بالاستقامة والامانة والاحلاص. ومحمل القول: ان الخروج على الظالم الخائر من أفضل أنواع الجهاد الذي فرضه الله وان خائر الظالم المستر بالاسلام اسوأ حالا من الحاكم المشرك اذا كان معتدلا في سيرته وسياسته

وجاء عن أمير المؤمنين حول هذا موضوع انه كان يقول. الكافر العادل خير من المسلم الخائر، ولعل هذا الموقف يسلي من الحاكَمين في جميع المراحل من تاريخ الشيعة كان أبرز الاسباب التي جعلتهم يتجهون بكل ما لديهم من قوة للتنكيل بالشيعة ومطاردتهم ورحهم في سجون والمعتقلات وبلغ الحال بهم ان صفة التشيع ولو كانت محولة تجر على انهم بها اسوأ أنواع التعذيب والقتل أحيانا ومصادرة كل ما يملكه المتهم بالتشيع وسع بهم حال في مطلع العهد الأموي كما ذكرنا من قبل أن الرجل كان يتمي أن يوصف بالبردقة والكفر ولا يوصف بالتشيع، الى كثير من أنواع العنف والخور التي لا نظير لها في تاريخ الأمم

والحاكمين، وتوالت عليهم السكبات والأحداث ممن تعاقبوا على الحكم من أمويين وعباسيين ولم تكن مواقف الأمويين بأشد وأقسى من مواقف غيرهم.

وروى الرواة عن المنصور الدوانيقي أنه كان يقول قتل من ذرية فاطمة ألفا أو يزيدون وتركتم سيدهم وإمامهم جعفر بن محمد

وجاء في كتاب التحاصم بين أمية وهاشم عن المقرئزي وغيره، أن المنصور في سفرته الأخيرة قال لزوجة خليفته المهدي ربيعة: إذا أمانت في سفرتي فلا تفتحي تلك العرف، (وأشار إلى بعض العرف في قصره) إلا بحضور زوجك المهدي، ثم سلمها مفاتيح الغرف فظلت أمانا تحوي على كميات كبيرة من التحف والأموال والمجوهرات وتشاء الصدفة أن يتوفى المنصور في رحلته تلك، ولما أخبرت زوجها المهدي بوصية والده اليه تقدم إلى الغرف ليفتحها وهو يظن أنها مملوءة بالأموال، ولكن أمانيه وآماله العراض قد خابت عندما وجد مئات القتل من العلويين في تلك الغرف وفي أذن كل قنيل مهم رقعة من الحاس بسبه واسمه، فأمر المهدي جماعة من حاصته وحواشيه بأن يحفروا لهم حفرة واحدة تسع للجميع ودفنهم فيها، وتوالت الأحداث على العلويين مشيختهم من العباسيين وأعوانهم في مختلف العواصم والمقاطعات منحولم يعرفوا له مثيلا من قبل وقال قائلهم:

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في البار

وقال أبو فراس الحمداني مخاطبا حكام العباسيين وأعوانهم:

ما نال منهم سو حرب وإن عطمت تلك الخرائم إلا دون سيلكم

وقد بلغ من جورهم على العلويين والشيعة أن المتوكل العباسي قد استعمل على المدينة ومكة عمر بن العرج الراححي ومبها عدد كبير من العلويين وأوصاه بالشدّة عليهم والتكليف بهم. وبفد الراححي أوامر الخليفة فمنع الطالبين من سؤال أحد كما منع الناس من البرهم ولا حسان إليهم، وبلغ به الحال أنه كان إذا بلغه عن أحد أحسن إلى علوي أو طالب عاقبه ونكل به ليكون عبرة لغيره حتى بلغت الحاجة أقصى حدودها وأصبحوا لا يملكون ما يستر ساءهم، وأعد النسوة ثوبا للصلاة يصلين فيه الواحدة تلو الأخرى ثم يرفعه ويجلسن على مغازلهن حواسر ليلهن وبهارهن.

ولما انقضى عهد المتوكل وقام من بعده ولده المتنصر كتب إلى واليه على مصر أن لا يلزم صيغة لعلوي وأن يسمعهم من ركوب الخيل واتخاذ العبيد، ومضى يقول

في وصيته اليه: ومن كان بينه وبين احد من الطالبين حصومة فاقبل قوله بدون بيّنة ولا تسمع لطالبي بيّنة أو قولاً، وكتب الى عماله في مختلف الاقطار بذلك. (١)

وكان المتوكل قد منع الناس من زيارة الحسين وهدم قبره وحرث محله حتى لا يبقى له اسم ولا اثر وفي ذلك يقول البسامي احد شعراء الشيعة:

تالله ان كانت أمية قد اتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثله هذا لعمرك قبره مهذوما
أسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتنبهوه رميها

لقد وجه الامويون والعاسيون كل إمكانياتهم وحل طاقاتهم من سياسية واقتصادية واعلامية للقضاء على العلويين وشيعتهم وأوسعهم ارهاقاً وعسفاً وجوراً وسخروا عريقا من العلماء والمحدثين لوضع الاحاديث التي تخدم عروشهم وتخريف النصوص التي تحملهم مسؤولية تقاديرهم في الحمي والظلم والخور. ومسح الاسلام من خلال الاحاديث التي وضعها ابو هريرة وعمرو بن الزبير وسمرة بن جندب ومحمد بن شهاب الزهري وغيرهم من كانت تندفق عليهم هبات الحاكمين بدون حساب، حتى اصبح الاسلام وتعاليم الاسلام آلة يستعملها المجرمون لخدمة الجاهلية السفاحية التي يمثلها الحاكمون من العباسيين والامويين، ورجالات الاسلام قد تطوعوا لخدمة الحاكمين في جورهم الزهيد والتعبد والعمى والحشمة ليس لها ادنى حظ من الصدق والشرف، وساحة الدعاع عن الحقيقة والعدل والحرية والاسلام الحق حالية الا من المتطوعين لخدمة الحاكم باسم الدين والاسلام فالمنابر تخاف وتخاذ وتزور في دنيا الاسلام شرقها وغربها، والرهاد والرواة اشبه بعجل السامري يتعطلون ويزورون، والمساجد اشبه بمسجد ضرار محطات للمؤامرات والجماعة المصلية كالاصحاح بيد الجهار الحاكم يصنعها كالانعام تردد في المحارب مسة علي وآل علي (ع) وتخرض على قتل شيعته وعبيده، ولم يكن بمقدور الأئمة الذين اختارهم الله للقيادة والذين رافضو تلك الظروف التي بلغت اقصى حدود السفى والخور والطفيان القيام بأي محاولة عسكرية للاطاحة بتلك الانظمة الجائرة، لان كل محاولة من هذا النوع ستؤدي الى استهدافهم، والشهادة اذا لم تجعل من دعاء الشهداء ثورة على الجلادين والجائرين كما صنعت ثورة الحسين (ع) لا تكون شهادة بالمعنى المطلوب من الشهادة، بل تصبح ميتة لا تعطي الثمار المطلوبة من دعاء الشهداء ولا يستعيد منها سوى الاعداء الذين يسمونهم أمراء

(١) من المخطوط للمفريزي ج ٤ ص ١٥٣.

المؤمنين، وهم في واقعهم لا يختلفون عن أمراء الكافرين إلا في المظاهر والطقوس والشعائر الشكلية، وكانوا مع ذلك محاطين بالفقهاء والوعاظ والمحدثين الذين يؤيدونهم في كل ما يفعلون ويدعون لهم مطول البقاء ويتحلون لهم المبررات والمسوغات لكل عمل من أعمالهم حتى ولو كان دنيئاً وجائراً، وإذا اصطدموا مع عالم أو واعظ أحياناً وصارحهم بالحقيقة وحذروهم مما ينحبطون فيه من الحرائم وظلم العباد كما حصل للرشد مع سفيد الثوري وغيره بتظاهرون بالخطأ والندم ولا يغضبون لأنهم يجدون غيره من مثبات الوعاظ والفقهاء يتزلفون إليهم بتزكية جميع تصرفاتهم وإسرافهم في النفي والمكرات.

لقد كان الأئمة يدركون كل ذلك ويعلمون أن الثورة الثقافية أوسع للإسلام وأجدي له من جهادهم بالسيف والرمح، لذلك فقد انصرفوا إلى الجهاد الفكري والعقائدي ليقطعوا الطريق على مخططات لعلميين على تشويه الإسلام في الداخل والخارج من الشعبويين وغيرهم، وبلا شك فإن مواقفهم هذه كانت أنفع وأحدى من استشهادهم في تلك الفترة من التاريخ، كما كان استشهاد الحسين في وقته هو العلاج الوحيد للحد من استمرار الأمويين في جورهم واستنهارهم بالإسلام وقيمه ومقدساته.

ولولا مواقف الأئمة وشيعتهم وتحميد التشيع للإسلام كانت نهايته محتومة، لأن جهود الحكاميين من أمويين وعباسيين كلها كانت متصافرة للقضاء عليه، ومع كل ذلك فقد ظل شامخاً يناطح جميع الحكام دون أن يخذ له أوار وثورة على الظلم والظالمين، والثوار في كل زمان ومكان يعرفون بأن فساد المجتمع يشأ في الغالب عن فساد حكامه ولا سبيل إلى الإصلاح إلا إذا تولى أمور الأمة أناس صالحون يحسون بالآلام الأمة ومشاكلها ويعملون من أجلها.

ويقول الأستاذ علي الوردي في كتابه «وعاظ السلاطين»: إن التشيع في وضعه الراهن أشبه بالبركان الخمد، وكان نائراً ثم خمد على مرور الأيام وأصبح لا يختلف عن غيره من الجبال الراسية إلا بمرهته والدخان المتصاعد منه، والبركان الخمد لا يخلو من الخطر رغم هدوئه الظاهر، أنه يمتاز عن الجبل الأصم بكونه يحتوي في باطنه على نار متأججة لا يدري أحد متى تنفجر مرة أخرى، ومضى يقول إن عقيدة الإمامية التي آمن بها الشيعة جعلتهم لا يعترفون عن انتقاد الحكم ومعارضتهم والشعب عليهم في كل مرحلة من مراحل تاريخهم الطويل وهم يرون كل حكومة ظالمة طاغية عاصية مهما كان نوعها ولا تتصف بالشرعية إلا إذا تولى أمرها إمام عادل أو معصوم من آل علي بن أبي طالب (ع) وعلى أساس ذلك كانوا

ثورة متصلة لا يهدأون ولا يفترون ويفسرون كل حاكم بما عندهم من مقاييس
الامامة المعصومة ويرويه ناقصا وعاصفا، وأدت هذه العقيدة الى استفحال العداء
بين الشيعة والفتنات الحاكمة مدحجرا الاسلام وحتى عصرنا الحالي واتهموهم
بالزندقة والالحاد والرفض لهذا السبب وأصبحت صفة الرفض تؤدي ضمنا معنى
الرفض للدين والدولة معا، ولكثرة ما مر عليهم من الاضطهاد والتعذيب كانوا
يفضلون ان يقال لاحدهم زنديق او كافر ولا يقال له شيعي او رافضي، ولم يترك
معاوية ومن تلاه من الحكام الامويين وعباسيين اسلوبا من أساليب الاضطهاد
والقهر والتنكيل الا وجربوه للفصاء عبيهم وبءت جميع محاولاتهم وجهودهم
بالفشل، وصمد التشيع في وجه تلك الاعاصير الهوجاء وسيبقى يتحدى الجسارة
والطعنة والعائشين بحقوق الانسان وكرامته، في حين ان التاريخ تحدث عن فرق
ظهرت في القرون الاولى واشترت بومذاك بين ذوي الفكر والرأي كما تحدث عن
مذاهب فقهية وعبرها راحت في شرق البلاد وعربها برعاية فريق من أقطاب الفكر
والعلم ومساعدة ذوي النفوذ من الحكام وأتباعهم، ولكنها اندثرت ودانت وكأها
لم تكن لمجرد رفض الحكام لها ونسبهم لغيرها من الافكار والمذاهب، ولم يحدث
التاريخ عن افكار وآراء ومذاهب أُنبت في وجه الاعاصير السياسية والاضغوط
الخائرة او العادلة ولو لفترة طويلة من الزمن، كما جرى للنشيع الذي اصطدم تلك
الاعاصير الهوجاء العاتية منذ ولادته تقريبا، ولا يزال ينمو ويسير بحطى واسعة
وكان جميع القوى التي حارته بكل أسلحتها كانت تعمل على شره وتسهيل
مسيرته، وبلا شك فان ذلك لم يكن عمودا وعن طريق الصدفة بل لا بد لذلك من
اسباب اقوى من تلك الضغوط والاعاصير الهوجاء التي رافقت ولادته تقريبا ولا
ترال، وهذا ما سنحاول بيانه في الفصل التالي.

الاسباب التي ساعدت على بقاء الشيع

لقد ظهرت في القرون الاولى الاسلامية فرق وأحزاب كان من امرز اسبابها اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب التي غرأها الاسلام واضطرها للاستسلام والخصوع لسلطانه، وغالى المعنيون بالحدِيث عن تلك الفرق علواً معروفاً في وصفها واحصاء مقالاتها حتى وكأهم لا يلتفتون الا الى عدد محدود من أصوله ومبادئه يتراشقون بالتعكير والتصيق وتبادل التهم وما يمزق شملهم ووحدهم التي ساءها الاسلام بتعاليمه السهلة السمحاء، وقد انهى اكثر المؤلفين في الفرق والمذاهب ما يسمونها بالفرق الشيعية الى سبعين فرقة او اكثر وحسب تقديرى ان الباحث المصنف اذا درس المجاميع التي تعرضت لاحصاء تلك الفرق وما يسبب اليها من الاقوال والمعتقدات سيجد ان اكثرها من نسح أخيلة اولئك الذين تظاهروا على التشيع وكانوا يكيدون له بجميع ما لديهم من لامكانيات لمسخه وتشويه أصوله ومعالمه، وراحوا يلحقون به العلاة والحدولين وما الى ذلك من الفرق الضالة الدخيلة على الاسلام بواسطة الشعوبيين والحاكمين لذين كانوا يسهلون انتشار تلك الافكار والآراء ليصرفوا الانظار عن جورهم واستهتارهم بالاسلام وتعاليمه وإلهاء المسلمين بتلك الصراعات الجانبية

هذا في حين ان أئمة الشيعة يوم كان المسلمون بين شيعتهم يتظاهرون بأفكارهم الشاذة ويلصقون بالأئمة ما لا يليق بغير الله سبحانه، كانوا يعلنون براءتهم منهم وكفرهم في مجالسهم بجميع المناسبات، وظل الغلو بالأئمة وما يستلزمه من الحلول والتناسخ والانحداد من اسوأ أنواع الكفر والالحاد عند الشيعة

منذ ظهور تلك الفرقة او العكرة وحتى يومنا هذا كما يبدو ذلك من اوضح الواضحات في مؤلفات الشيعة في الاصول والفروع منذ اقدم العصور

اما بقية الفرق الاخرى التي تنسب الى التشيع، فلو افترضنا وجود بعضها في عصر من العصور فقد كانت لفترة او فترات محدودة لاسباب سياسية او لناحية استتار الامام الشرعي من حيث الصفوط التي كانت ترافق حياة الأئمة (ع) وتفرض عليهم التستر والتكتم حتى على المعروفين بالتشيع لهم، وقد افترضت تلك الفرق خلال أعوام قليلة من ولادتها ولم يبق منها سوى البعض من فرق الزيدية والاسماعيلية وهؤلاء ليسوا من الشيعة بالمعنى الذي نعنيه كلمة التشيع التي ترادف كلمة الامامية اي امامة الاثني عشر حسب الترتيب الذي ورد النص فيه من النبي والأئمة (ع).

هذا بالاضافة الى ان للاسماعيلية والزيدية في ماضيهم وحاضرهم من الاصول والمعتقدات والطرق وبخاصة بعض فرق الاسماعيلية ما لا يتفق مع اصول الاسلام فضلا عن التشيع الذي يراها الحبيب الى الاتحاد منها الى الاسلام ولو تخاضعنا عن كل ذلك فالفرق المسوطة الى الشيعة بما فيها العلة ليست بأسوأ حالا وأبعد عن الاسلام وأصوله ومبادئه من الفرق الإسلامية السية كالمجعة والموضوعة والمجسمة والمرجئة والصوفية وغير ذلك من الفرق التي ليست بأقل خطرا على الاسلام من الغلو المنسوب لأدعياء التشيع هذا بالاضافة الى الفرق الكبرى التي ظهرت في اوساط اهل السنة كالحوارج والمعتزلة والاشاعرة وغير ذلك من الفرق التي كان لها اثرها في تاريخ المسلمين الاوائل وتوجيه معتقداتهم وآرائهم في اصول الاسلام وفروعه وادخال بعض الآراء والافكار العريية عن اصول الاسلام ومعتقدات المسلمين التي نجر من ورائها اشع انواع الكفر والاتحاد والزندقة كما سنشير الى ذلك.

وقد تفرق الحوارج والمعتزلة والاشاعرة والمرجئة والجهمية والبهكية والضرارية والكرامية الى اكثر من تسعين فرقة كما احصاها البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق وغيره من المؤلفين في الفرق والمذاهب.

ونص البغدادي في صفحة ٩٣ من كتابه الفرق بين الفرق ان المعتزلة قد افرقوا الى اثنتين وعشرين فرقة منهم فرقت الحابطة والحبارية على حد تعبيره الخلقها بالغلاة مع انها من فرق المعتزلة والساقية وهو عشرون فرقة كل فرقة منها تكفر

الأخرى على حد تعبيره، ومضى يقول. ان جميع تلك الفرق قلبية محضة يجمعها كلها في بدعتها أمور نفيها عن الله سبحانه الصفات الازلية وقولها انه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية ولم يكن له في الازل اسم ولا صفة ولا يرى نفسه ولا يراه غيره.

وأضاف الى ذلك البغدادي انه مع اتفاقهم على ذلك فقد اختلفوا في انه هل يرى غيره ام لا فأجابه قوم منهم ونفاه آخرون، ومضى يعيد آراءهم ومبانيهم حتى انتهى الى الهذيلية أتباع ابي الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف، وعد من فضائحه التي يوجب اكثرها كفره عشرة فصائح منها فناء مقدوراته تعالى بنحو يكون بعد فناء مقدوراته غير قادر على شيء، وان نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار يفتيان ويبقى اهل الجنة واهل النار خامدين لا يقدرون على شيء ولا يقدر الله عز وجل في تلك الحال على احياء ميت ولا على اماتة حي ومحريك ساكن او تسكين متحرك ولا على إحداث شيء او افائه.

ومضى البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق يتحدث عن فضائح المعتزلة التي عدّها من موحشات الكفر والزندقة حتى انتهى الى ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام ووصفه بالكفر تارة وبالعتق اخرى وسب اليه الادمان على شرب الخمر والفجور وعدّه له اكثر من عشرين رأيا يخالف فيها الاسلام والمسلمين على حد تعبيره.

وجاء في العشرين من فضائحه كما يدّعي البغدادي وأكثر المؤلفين في الفرق والمذاهب، جاء فيها ان العقارب والحيات والحفاس والذباب والحملان والكلاب والخنزير وجميع الساع والحيوانات والحشرات تحشر يوم القيامة وتدخل الجنة وان ابراهيم ابن رسول الله وغيره من اطهار المؤمنين كغيرهم من الحيات والحشرات والحفاس والكلاب والخنزير في الجنة، ولا فصل لاطهار المؤمنين من الانبياء وغيرهم على تلك المخلوقات على اختلاف انواعها، وسب الى الله المعجز وعدم القدرة على تغيير اولاد المؤمنين والانبياء عن الحيوانات والحشرات لتساوي الجميع في عدم العمل، وأضاف كما يدعي البغدادي ان الله لا يتفضل على الانبياء الا بمثل ما تفصل به على البهائم.

كما نسب لبشر بن المعتز احد زعمائهم في معرض حديثه عن فضائحه وآرائه المنافية للاسلام نسب اليه انه كان يقول: ان الله سبحانه قد يغفر للانسان ذنبه ثم يعود فيما غفر ويعذب الانسان عليه اذا عاد لمعصية ثانية، وانه سئل عن كافر تراجع عن كفره وأمن بالاسلام ثم شرب الخمر بعد توبته من كفره من غير

استحلال لشربه، وقبل توبته من شرب الخمر عاجله الموت، فقال: ان الله يعذبه على الكفر الذي تاب منه

وكان يلتزم بأن عذاب الكفر لا يخفف عن عذاب المسلم اذا عصي الله ولا يزيد عليه، وان الله قد يعذب الطفل الصغير طمأناً له في تعذيبه اياه واته لو فعل ذلك يلزم ان يكون الطفل بالغا عاقلاً مستحقاً للعذاب. كما نسب الى المردارية اتباع عيسى بن صبيح المعروف بأبي موسى المردار الذي كان يلقب براهب المعتزلة انه كان يقول: ان الناس قاذرون على ان يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه كما يدعي استاده النظام.

ومن مقالات الخاطئية أتباع احمد بن حنبل القديري احد اصحاب النظام وكان هو وفصل الحديثي يدهان الى ان لخلق ربي وحالقيين احدهما قديم والاخر مخلوق وهو عيسى بن مريم، ورعما ان المسيح هو الذي بحاسب الخلق في الآخرة وهو الذي عناه الله بقوله وجاء ربك وملكك صفا صفا وهو الذي خلق آدم على صورته وهو الذي عناه الله بقوله. ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وان عيسى هو العقل الذي خلقه الله وقال له اقبل فأنت وأدبر فأدبر واته هو الذي بحاسب الخلق في الآخرة

وأما الخمارية من البعدية فيدعي البعداني اهم من معتزلة عسكر مكرم وقد احتاروا من بدع اصناف البعدية ضلالات مخصوصة فأخذوا من ابن حنبل قوله تناسخ الارواح في الاحساد والقوالب، وأخذوا من عباد بن سليمان الضميري قوله: بان الدين مسحهم الله قرعة وحذير كانوا بعد المسح ناسا على حد تعبيرة وكانوا معتقدين للكفر بعد المسح ورعما بان الانسان قد يخلق اسواعا من الحيوانات كما لو دس اللحم في التراب او وضعه في الشمس فان ما يتولد من الحشرات هو من خلق الانسان، الى غير ذلك من المفاالات والآراء التي نسبها البعداني وغيره من المؤلفين في الفرق والمذهب للمعتزلة^(١) والتي تتنافى مع الاسلام وأصوله ومبادئه مما لا يعيبا احصاؤها في كتابنا هذا ولعلنا نعون الله وتوفيقه بضع جميع مقالات الفرق الاسلامية السنية من معتزلة وأشاعرة ومرجئة وقدرية وكرامية وشطحاتهم بين أيدي القراء في كتابنا ونظرات في لفرق الاسلامية ومقالاتهم ونترك للقراء الكرام تقدير المسافة التي تفصلهم عن الاسلام، وبما يلفت النظر في المقام وان كانت جميع مواقف السنة من الشيعة بكل فئاتهم من محدثين ومؤرخين

(١) انظر ص ٩٣ وصحفة ١٥١ وص ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ من الفرق بين الفرق للبعداني.

وحاكمين تتسم بالحق والعداء والتحرير السي لا مبرر له ولا تفسير له الا بالعداء
السافر والمحاولات اليائسة للقضاء على الشيعة .

ومما يلفت النظر ان الباحثين ومؤلفين من القدامى والمحدثين قد تجاهلوا
جميع بدع المرجئة والمعتزلة والقدرية والكرامية التي تتسم بالكفر الصريح والتحويل
لتعاليم الاسلام وأصوله وتكذيب القرآن كما جاء في مقالات عيسى بن صبيح
راهب المعتزلة ومقالات الحابطية والعلاوية الى غيرها من مقالات بعض فرقهم،
لقد تجاهلوا وتركوا وراءهم جميع تلك المقالات وراحوا ينسبون الى الشيعة فرقا
وأحزابا لا واقع لآثارها والواقع منها لا صلة له بالتشيع من قريب او بعيد، وقد
اعلن أئمة الشيعة كفرهم وحروجه عن الاسلام في عشرات المناسبات كما تؤكد
ذلك جميع الروايات عنهم ومواقف علماء الشيعة في مختلف العصور والمناسبات، في
حين ان مقالات تلك الفرق المزعومة وحتى ما ينسب منها الى العلالة ليست بأسوأ
ان لم تكن أقل سوءا وخطرا من مقالات الحابطية والهلالية والقدرية والمردارية
والصفوية، كما يبدو ذلك من الفرق بين الفرق للعددادي وغيره من المحاميع التي
أعدت لاحصاء مقالاتهم وآرائهم وما ادخلوه على الاسلام من البدع والتفاسير التي
تجر من ورائها اسوأ انواع الكفر والالحاد والزندقة .

والذي يعيبنا الان من هذا العرض اليسير لبعض الفرق والمذاهب الاسلامية
التي اشتد الصراع بينها وبلغ أقصى حدوده خلال القرنين الثاني والثالث هو التمهيد
لبیان الأسباب التي ساهمت في بقاء التشيع بالرغم من مطاردته في حين ان أكثر
تلك المذاهب قد نشأت في أحضان الحاكمين وحصلت على تأييدها ومساندتها
وبخاصة منها مذاهب الاعتزال والارحاء والخبر وعدالة الصحابة، وظل الاعتزال
برعاية الحاكمين أكثر من ثمانين عاما تعرض فيها أحصام المعتزلة لاسوأ أنواع البلاء
وأصبحت تعرف تلك الفترة بعهد المحنة

وظل الاعتزال يتسع ويتشتر حتى طهر ابو الحسن الاشعري وراح يفد أفكار
المعتزلة وآراءهم بمساندة الحاكمين الذين مثلوا مع أنصار الاعتزال الدور نفسه
الذي مثله الحاكمون قبلهم مع الفقهاء والمحدثين ومن كان يرى رأيهم

وكما انتشرت وتعددت المذاهب العقائدية ظهرت المذاهب الفقهية في كل
قطر ومدينة وأصبح لكل مذهب أنصار وأتباع وكثرت المذاهب حتى أصبحت تعد
بالعشرات في مختلف الاقطار فكانت أكثر رواجاً من المذاهب الأربعة التي احتفظ
بها الحاكمون الذين فرضوا إلغاء بقية المذاهب الفقهية والعقائدية وعلى رأسها

الاعتزال، وطلت المذاهب الاربعة الفقهية والمذهب الاشعري من بين المذاهب العقائدية هي المذاهب لرسمية لدولة في الاصول والصروع، اما بقية المذاهب الفقهية والعقائدية فقد اندثرت ودايت وكأنها لم تكن، في حين لم يتعرض مذهب من تلك المذاهب التي لم تثبت امام صعصع الحاكمين لمثل ما تعرض له المذهب الشيعي باصوله وعروعه وطل قويا ينتشر ويتسع في جميع المراحل التي مر بها بالرغم من الصعاب والعقبات والمحن التي اعترضت طريقه وطريق المتتبعين اليه، كما اشرب الى بعضها خلال الفصول السابقة لا يبالي بكل ما يعترضه من ارهاق وعسف وحوار منمردا على جميع تلك الادوار الصاحبة العاتية وعلى كل ما ألصقوه به من الحرافات وما رموه به من المفتريات ولاصاليب التي لا تزال تجترها الالسن وتزخر بها المؤلفات ويستعملها المترلفون الى الحاكمين من الكتاب والدكاتره في هذا القرن لقاء المبالغ التي تندفق عليهم من مدعي الاسلام وأعداء التشيع

وكان من المفروض بالقياس الى غيره من عشرات المذاهب الفقهية والعقائدية والفرق التي كانت منتشرة هنا وهناك واندثرت بتلك السرعة الخاطفة، كان من المفروض بعد ان كان مستهدفا بكل الاسلحة وفي جميع مراحلها من الحاكمين والمؤلفين وغيرهم ان يساهم في ظل تلك الاغصان الموحدة المزهقة العvisية التي احوشه من كل جانب وأد يصح أثراً بعد عين ويتلاشى كما تلاشت بقية المذاهب والفرق وبخاصة تلك التي كانت تستمد قوتها وأصلتها من الاحكام أنفسهم.

لقد امتار التشيع لعلي والأئمة من سبه هذه الظاهرة التي تكاد ان تكون فريدة في تاريخ الاسلام وحتى في تاريخ غيره من الشعوب والامم، فلم يحدث التاريخ عن امة من الامم ولا عن فرقة من الفرق تعرضت للمطاردة والارهاق والتعذيب والقتل وكل انواع التكيل لمجرد لاثام بالتشيع طيلة قرون من الزمن ومع ذلك فقد ظل يسير الى الامام بطابعه لوهاج وقتوته المتدفقة بالحياة منمردا على الحاكمين وأجهرتهم وعلى كل ما حيكت حوله من مؤامرات وحرافات وأباطيل ومفتريات.

ويمكن تحليل ذلك بأن التشيع لعلي (ع) أصيل أصالة الاسلام ولا يختلف في شيء عما جاء به في كتابه وسبه سبه ورافق مع ذلك الدعوة الاسلامية منذ بدايتها ابتداء من يوم الدار الذي أعلن النبي (ص) فيه استخلاف علي من بعده وما تلاه من المواقف التي كان النبي (ص) يقدم فيها علياً على جميع أصحابه وبعده للقيادة

من بعده، وكان مع ذلك في جميع مواقف الاسلام وحروبه مع الشرك والوثنية القوة الضاربة والقاعلة في جميع الانتصارات التي حققها الاسلام مع خصومه الألداء والاشداء، وليس بإمكان أحد من خصومه ومبوءيه ان يتجاهل هذه الناحية من نواحي عظيمته، ولاكثر من مرة كان عمر بن الخطاب يردد على ملا من الصحابة: لولاء لما قام للاسلام عمدا.

وحق ان معاوية نفسه الذي فرص سبّه على المدبر وعاقب على تركه كان يعترف له بالفصل الذي لم يستطع أحد مجاراته فيه من حيث لا يريد كما حدث له مع ضرار والاحنف بن قيس وبعض الرواديات عليه بعد عام الجماعة من الساء اللواتي اشتركن في معارك صفين وغيرها.

وقد حدث الرواة عن عبد العزيز بن عبد الملك بن مروان كما جاء في شرح النهج وغيره انه كان عندما يأتي الى ذكر علي (ع) وفي خطبة الجمعة ليشتمه كما كان يفعل الأمويون في خطبهم ومساكنهم الدينية، كان يتعثر في حديثه ويشتمهم وكأنه من أعيا الناس، وكان ولده عمر بن عبد العزيز يراقب فيه هذه الطاهرة ويستغرب ذلك منه، فقال له يوما بعد ان فرغ من خطبته: انك من أفصح الناس وأبلغهم فما لي اراك اذا مررت بذكر هذا الرجل صرت الكن عيبا، فقال له: يا بني ان من ترى تحت منبرنا من اهل الشام وغيرهم لو علموا من فصل هذا الرجل ما يعلمه ابوك لم يشتموا منهم أحدا^(١).

وفي رواية ثانية انه كان يلعب مع الصبيان عندما يخرجون لقضاء فترة من الوقت خارج المكان الذي يتعلمون فيه، وكانوا يلتهون بسب علي وشتمه كما فرض معاوية ذلك ليشب على هذه السنة السيئة الصعبة ويشب عليها الكبير، فمر عليه معلمه كما حدث هو عن ذلك وهمس في أذنيه قائلا: يا بني متى غضب الله على اهل بدر بعد ان رضي عنهم؟ فقال له: أصيب: وهل كان علي من اهل بدر؟ فرد عليه بقوله: وهل قامت بدر الا بسيف علي.

وظلت هذه الصور عالقة في ذهن لعلام الى حين استيلائه على الخلافة فراح يعيد النظر في كل ما أحدثه أسلافه من طم وجور وأنظمة كانت الامة بكل فئاتها تضج منها وكان في واقعه أثرا بالمعنى السليم لهذه الكلمة على الأنظمة الفاسدة أكثر منه خليفة بالمعنى التقليدي لهذه الكلمة، وكان مما غيره من مخلفات أبيائه وأجداده ان أصدر أوامره الى ولاته وحطباء المدارس في الأمصار بعدم التعرض في خطبهم (١) المجلد الأول صفحة ٣٥٦ من شرح النهج طبع مصر.

ومجتمعاتهم لعلي وآله سوء واستبدال الكليات التي كان الخطء يستعملونها عند ذكر علي وبيته (ع) بالدعاء للمسلمين بأن يجمع كلمتهم على الحق والهدى، إلى كثير من الشواهد التي تؤكد أنه قد كان لعلي (ع) في نفوس عامة المسلمين من شخصيته وعلمه الواسع ومواقفه الخالصة في سبيل الإسلام والمسلمين ما يفرص على المسلمين بكل فئاتهم وفي مختلف العصور تقدسه وإكباره في قرارة نفوسهم، وفي الوقت ذاته لقد كانت مصالحهم السياسية وحقدهم الموروث على الرسالة وعلى الإمام والأئمة من سبه الدين كانوا يجسدونها بكل فصولها ومراحلها ويحمونها من حقد الحاكمين وعتث المحررين تعرض عليهم تلك المواقف العدائية الطلقة، فالأئمة الذين هم قادة الشيعة والمحمور لسطرية التشيع، لهم من مواجهم الشخصية أمثلة قديمة تسمو بطاقاتها ومستواها على جميع من سواهم ولم يستطع الحكام بكل ما بذلوه من جهود أن يغيروا من هذا الواقع الذي ستهود على النفوس والقلوب، مع ما لنظرية التشيع من الطابع السلبى بالنسبة لأولئك الحاكمين الذين كانوا يمارسون جميع المنكرات والشهوات على حساب الإسلام، تلك النظرية التي كانت بقيادتهم الرشيدة تحامي وتدافع دفاعاً شراهدير في الحياة عن بيضة الإسلام والوحدة الإسلامية العامة في ظل ولئك الحكماء الذين كانوا يتحدونه أداة للحكم والتسلط وممارسة جميع المنكرات، وليس أدل على ذلك من قول الإمام (ع) بعد مؤامرة السفينة: إن سلامة الدين أحب إليا من كل شيء، ووقوفه إلى جانب غيره من الحاكمين منجهاً كل ما مضى منهم لسحق المرتدين ومطاردتهم، وقوله بعد أن عهد أبو بكر إلى ابن الخطاب بالخلافة تاركاً وراءه آراء المشيرين الناصحين: والله لأسألك ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن حور إلا علي خاصة، إلى غير ذلك من مواقفه التي كان مسيراً فيها لمصلحة الإسلام.

ومن أمثلة ذلك وما أكثر الأمثلة على عطمة علي والأئمة من سبه وتهميهم في خدمة الإسلام، أن علياً كاد أن يقطع يده أم كلثوم لأنها استعارت عقداً من بيت المال لثلاثة أيام عارية مصمومة برصا المسؤول عن تلك الأموال، وأحمى حديدية لأحميه عقيل ولدعه بها ليذكره بحرارة جهنم وأهوالها لا لسبب إلا لأنه طلب منه أكثر مما يستحق من العطاء ومن أروع الأمثلة على مثاليته التي رافقته حتى النفس الأخير من حياته أنه كان يعنى العناية الكاملة بتوحيد الصف وحفظ الدماء والعمل الخاد المخلص للمصلحة العامة ولو أدى ذلك إلى القصاص على جميع اعتباراته الشخصية وحقوقه الخاصة وحقوق بنيته من بعده، ولقد قال وهو على فراش الموت بعد تلك الضربة العذرة التي كانت من نتائج التآمر على حياته قال:

يا بني عبد المطلب لا العينكم تحوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قتل أمير المؤمنين
 إلا لا يقتل بي إلا قاتلي، فكان يتحوف من أسرته الأقربين إليه أن يتخللوا من قتله
 وسيلة للتشفي والتدريج به إلى المطامع الدنيوية وطلب الحياه والسلطان ويستغلون
 بقتله تلك الأهداف التي لا تخدم مصلحة الاسلام كما فعل معاوية بن هند، حين
 استغل مصرع عثمان الذي وقع على أيدي المهاجرين والانصار، وسيلة لتحقيق ما
 كان يحلم به هو وأبوه وأسرته من قبل، في حين انه كان في طليعة الذين خذلوه في
 أحلك ساعات المحنة بالرغم من الاستعدادات التي وجهها اليه لينقله من الحصار
 المضروب عليه.

وما أكثر الامثلة على مثاليات الإمام والأئمة الاثني عشر الدين ينتسب اليهم
 التشيع وأروعها، تلك الامثلة التي لا نظير لها في جميع ما سطره لنا التاريخ وتناقله
 الرواة من السير الاخرى والتي تدل على ثقل الثقة بهم كانت متكاملة الحدود زاخرة
 بالمحبة والتقدير والتعالي في سبلهم على محو لم يتوافر لغيرهم من القادة وذوي
 الرسالات كما تؤكد ذلك مواقف الكثيرين من أصحاب الإمام والأئمة من بينه
 كحمر بن عدي الكلبي وميثم التمار ورشيد الهجري وسعيد بن جبير وعمر بن
 لحق الخزاعي والفقاري وعمار بن ياسر وغيرهم من اعيان الصحابة والتابعين
 كأصحاب الحسين والتوابين والوفاء الثابتين من المسلمين الذين ألحقت العقيدة
 نفوسهم وعلت فيها دماؤهم فأثروا الموت في سبلها وأقبلوا عليه بنفوس مطمئنة
 وكأنهم يعانقون عادة حساء، في حين انه كان من أيسر الاشياء عندهم ان يدفعوه
 عنهم ولو بكلمة لا تتجاوز ألسنتهم ويسترون بكل ما يعتقدون ولكن نفوسهم أبت
 إلا أن تَجهر بكل ما تؤمن وتعتقد، فلقد حدث الرواة عن ابن السكيت اللغوي
 المشهور انه كان المعلم لولدي المتوكل العسقي فأراد ان يختبره المتوكل بعد ان اشتهر
 بتشيعه وولائه لاهل البيت، والمتوكل يومئذ من العالين في عداوته للعلويين، فقال
 له في بعض مجالسه معه أولادي هذان أحب اليك أم الحسن والحسين؟ فقلت
 العقيدة الصادقة في دمه ولم يعد يملك دفعها، فقال له: ان قنبرا خدام الحسن
 والحسين خير عدي منك ومن ولدك. وبذلك كانت نهايته بعد ان استخرج لسانه
 ومثل به، الى كثير من أمثاله الذين كان الحاكمون يسومونهم سوء العذاب على
 ولائهم لاهل البيت (ع)، في مختلف العصور، ومن غير السير استئصال الولاء
 عندما يكون بالغاً أقصى حدوده وقتناً عن أسس منية من العقيدة والعلم والمعرفة
 لا على الدوافع العاطفية النابعة من بعض الهاشميين للامويين من جهة، والعلويين

للعباسيين من جهة اخرى، ولا على الدوم مع انصاحية السابعة من الصراع على السلطة بما هي سلطة وتسلط كما حرت عليه سيرة الحاكمين كما يبدو ذلك للمتتبع في التاريخ الثابت للقيادات الشيعة وعلى رأسها أئمة أهل البيت (ع) الذي ينبغي عنهم هذا الاتهام ويشت ان حياتهم كانت سلسلة من التصحيحات في سبيل الصالح العام وانهم انما غلوا مع حصومهم الامويين والعباسيين وغيرهم من الحاكمين في معاركهم السياسية والعسكرية لانهم كانوا يتعمدون في تعاملهم مع الامة ومع انصارهم مبادئ ومقاييس تسع من شعورهم بمسؤوليتهم الاسلامية وحرصهم على الاسلام ومبادئه وتعاليمه في الدرجة الاولى

ويكفي للدلالة على ذلك بالاضافة ان ما ذكرناه من الامثلة، ان الإمام علي ابن الحسين زين العابدين الذي شهد نفسه فاجعة كربلاء وعاشها بجميع مراحلها وبكل آلامها وأحزائها ساعة بعد ساعة عن يد الامويين، كان يدعو لأهل الثغور جنود النظام الاموي الذي ارتكب جريمة كربلاء، والذي أسره مع عياله وأحواله وغيرهم من نساء الانصار وأطفالهم الى الكوفة ومب الى الشام عاصمة الامويين بناء لطلب يريد يومذاك، ولم يكن دعاء الإمام زين العابدين كما ورد في المجموعة المعروفة بالصيغة السجدة الاوعيا وتقديرا منه لدور تلك الحشوش التي تراط على الشعور الاسلامية لحفظ المجتمع الاسلامي من اعداء الاسلام الذين كانوا يجمعون قلوبهم وقواهم لتسلل الى المناطق الاسلامية المتاخمة لحدودهم لتتكيل بالمسلمين وإيقاع الادي في صومهم

لقد كان يدعو لتلك الحشوش هذه العدة وهذا الدافع وان كانت في الوقت ذاته تحمي النظام الاموي وتعمل تحت لونه، ولكن ذلك لم يكن ليثني قادة الشيعة وعلى رأسهم الأئمة الاطهار عن العمل الجهاد المحلص لمصلحة الاسلام حتى ولو كانت فيه نهاية حياتهم اذا كانت التصحيحة بها تجدي الاسلام والمسلمين نفعا كما فعل الحسين بن علي (ع) الذي بدل نفسه وكل ما يملك من اسرته عندما رأى تيار الجاهلية بكل اشكالها يهدد رسالة الاسلام وتعاليمه

هذا بالاضافة الى ان التشيع يمثل جوهر الاسلام وصفاة تمثيلا صادقا وسليما في جميع اصوله وفروعه ولم يكن شيئا آخر وراء الاسلام، وقد سبقت دعوة النبي (ص) الى ولاء علي وقيادته من بعده اكثر الشريعات التي جاء بها الاسلام كما تؤكد ذلك اكثر المصادر الموثوقة، وما أحدثه مهاجرون بعد وفاة النبي (ص) كان من الاحداث الطارئة التي فرصتها السياسة ولاخفاة لجاهلية، ولم يكن لدى علي وبقيته

الأئمة (ع) ومن كان يدين بالولاء لهم شيء غير ما جاء به الكتاب وما ثبت عندهم من أقواله وأفعاله، واعتمدوا هذين الأصلين وحدهما أساساً للتشريع وليبيان الأصول التي لا يتم الإسلام بدونها، وأعلنوها حرباً لا هوادة فيها على جميع الآراء والأفكار التي ظهرت بين بعض المندسين في صفوف الشيعة وفي أوساط السنة ومحدثيهم كالقدرية والمجبرة والمرجئة وشبهة والمتصوفين وما إلى ذلك من الآراء والأفكار الغربية التي عزت الإسلام وأصوله عن طريق الشعوبيين وأعداء الإسلام من تلك البلاد التي أرغمتها الحيلوش الإسلامية الغازية على الاستسلام للنظام الإسلامي الذي كان قائماً يومذاك وعادت التيارات الجاهلية والنوئية إلى الظهور ولكن بلون آخر وتحت ستار الإسلام.

التيارات الجاهلية الجديدة

لقد مضى اعداء الاسلام عن ارغمو على الانصواء تحت لوائه يعملون لتشويه الاسلام ومعتقداته شكراً مستر حياً وأحياناً بشكل دعوات مسخرة في العصر الاموي، وتستعد ذلك بعض فرق المعتزلة والاشاعرة الكثير من تلك الآراء والافكار كما اشرنا الى بعضها خلال الفصل السابق، ولم يكن توسع احد من فقهاء ذلك العصر ومحدثيه عبر الأئمة وتلامذتهم ان يصمد في وجه تلك المحطات التي كان قادتها يستخدمون الفلسفة تحت ستار العمل والمنطق حتى في تفسير القرآن والسنة النبوية للترويج بيهب وبين تلك الافكار مما أدى الى انتشار تلك الافكار والآراء العربية عن الاسلام ووصوله حتى بين الفقهاء والمحدثين فقد سبب الاشعري في مقالات الاسلاميين نقول بالارجاء والقدر الى كل من ابي حنيفة وحماد بن ابي سلمة، كما سبب في مقالته هو والشهرستاني في الملل والنحل القول بهما الى ابن ابي ليلى وغيره من الفقهاء، وفي مقابل القول بالقدر انتشرت فكرة الجبر بين عامة الفقهاء والمحدثين، هذا بالإضافة الى مقالات الدهريين والشوية والديلمية التي انتشرت لتشكيك المسلمين في دينهم ومعتقداتهم، وكانت القيادات الشيعية التي كان الأئمة (ع) يتعهدونها بأفكارهم وتوجيهاتهم في طليعة المتطوعين لخوض تلك المعارك مع المعتنات لعازية لإحباط محاولاتها التي كان الحكام أنفسهم يساعدون على نجاحها ويمنون دعواتها بكل أساليب العون والمساعدة والرعاية.

لقد تجردوا لاحباطها بالمنطق والعقل وكل أنواع المعرفة برعاية الأئمة وإشرافهم، وأحياناً كان الأئمة (ع) أنفسهم يتولون مناظرة أولئك الغلاة وتفنيدها

مزاعمهم ومفترقاتهم مما أدى الى اقتناع الكثير منهم بالاسلام واعتناقهم لأصوله ومبادئه .

لقد ساعد الحاكمون أنصار تلك التيارات الجديدة التي كان يتلهم بها المسمون عن الواقع السيء الذي اعتادوا على ممارسته ، لقد ساعدوهم وناصروهم على نشر تلك التيارات واشاعتها بعد ان وحموا ان أسلحة البطش والقهر والقمع وحتى سلاح المال عاجزة عن توفير هدوء والاستقرار وصرف الانظار عن استهتارهم بالقيم والمقدسات وكرامة الاسان فراحوا يروجون تلك الاسلحة التي تهدف الى رعيعة الايمان وتجميد الافكار وشل القيم واطلاق الرغبات والزرعات واشاعة الانتدال وحقن الحريات وجميع لقيم التي فرضها الاسلام وطمس قواه ومعاله من النفوس والقلوب ، ذلك لان مصادرة ارث الاسلام بالسيف والمال والتشريد وان كان يحقق لهم نوعاً من الهدوء المحدود على جميع الجبهات الثورية الاسلامية كما حصل لهم في ثورة المهاجرين والانصار الاولى بقيادة ابي ذر وعمار بن ياسر وغيرها من اعيان الصحابة ووجههم الأوفياء لرسالة محمد (ص) وفي ثورة الحسين بن علي وحجر بن عدي وأصحابه الكرام لبررة الدين وقفوا بحزم وصلابة في وجه معاوية وحلادته وصحوا بأنفسهم من آكل الحق والعدالة وثورة الحسين بن علي (ع) وما تلاها من الانتفاضات التي كانت تقمع بالسيوف والاموال وتحقق لهم الهدوء ، ولكنه كان هدوءاً مريباً يصم في عماقه شرارة لم تلت ان تشتعل وتلتهم وتمتد لتولد الانفجار ، وما داك الا لان الاسلام بالرغم من جميع تلك الوسائل بقي موحوداً في معاقله داخل الافئدة والقلوب والعقول ، وطلاب العدالة والحرية ما زالوا هناك على امتداد الوطن الاسلامي بقيادة أئمة الشيعة وغيرهم يستغلون المناسبات والظروف لاتفاضة جديدة ، لان الاسلحة التقليدية التي كانت وسيلة الوحيدة لقمع الانتفاضات كالدراهم والسيوف والحرارين كبسر بن اوطاة وزيد بن سمية وولده عبيد الله والحجاج بن يوسف وابن هبيرة وغيرهم لم تعد تحقق للحاكمين ما يريدون ما دامت العقول والقلوب هي المصادر للخطر والانتفاضات بين الحين والآخر ، فعليهم اذن ان يستعملوا اسلحة جديدة يستعمرون بها القلوب والعقول ، وهذه الحرب الجديدة ستتخذ من القرآن سلاحاً ومن السنة مراساً ومن الايمان اداة ومن الفكر قاعدة لها ومن الاسلام راية تحقق في سبائها ، ومن العقول والقلوب ساحة ، وأصحت العقول والقلوب وما يشتعل فيها من صوء الاسلام

وثورته الاصلية مستهدفة بداتها في هذه الحرب الجديدة.

وأعد الحاكمون لها جيشا من المفسرين والفقراء والمتكلمين والمقهاء والقضاة ورجال الدين وما بقي من الصحابة وأولادهم قادة لهذا الجيش وأصبح الاسلام وسيلة للسلطة ومررا لكل اعمالها وسيئاتها ونجاوزاتها.

لقد شاهد المسلمون مقالات انشئة والمحنة والذهرية والديصانية واليهودية والنصرانية تنتشر وبطول الصراع حولها بما يشمل عقول الناس وقلوبهم، وأفكارا مستوردة من الصين والهند وفارس ومن غيرها مما حملته ازمنعوبيون وأدخلوها على الاسلام تحمل شعارات الرهد والتصوف ومحاربة الشهوات والفرائر بالالتجاء الى الكهوف والعبادات وليس المرفعات وما الى ذلك من الطرق والاعمال التي تؤدي بهم على حد رعمهم الى الفناء المطلق وسيطرة على جميع الكائنات، والاتصال بالمبدأ الاعلى مباشرة بدون حاجة الى الرسل والانبيا، لان البحار التي يخصصونها تقف الانبياء على سواحلها ولا تستطيع خوضها كما يدعي البسطامي وغيره من متصوفة القرنين الثاني والثالث.

وبالرغم مما تحمله افكار المشبهة والتجسيم والذهريين وغيرهم من الزنادقة والمشعوذين الذين أعدهم الحاكمون لترويج هذه الافكار وإشاعتها ليصرفوا الافكار والعقول عن تصرفاتهم وسيئاتهم بالرغم مما تحمله وتنطوي عليه من أخطار على الاسلام وأصوله وما توفره للحاكمين من صمانية واستقرار وبالرغم مما تنطوي عليه هذه الافكار والآراء من سموم وتحريف ونشويه لاصول الاسلام، فالتصوف والخبر والارجاء أشد خطرا على الاسلام ومن أسوأ الاسلحة التي استعملها الماهلية الجديدة لتفوس روح الثورة والانتماءات التي كانت تعصف في وجه الحاكمين وسياستهم الجائرة.

فللمتصوفة الدين لسوا ثياب الزهادين في الدنيا وملذاتها والتحاوا الى الكهوف والغابات مكتفين بالقليل القليل مما يتنافس عليه الناس ليصلوا الى مرتبة الفناء المطلق التي تمكنهم من الاتصال بالله مباشرة والاتحاد معه او حلوله بهم وبالمستحسنات من الصور وهم في جلايب الدروشة يعرون الناس بالرديلة والاستحفاف بتعاليم الاسلام وتأويلها كما يشاؤون ويشتهون وما الى ذلك من اساليبهم التي هيمنوا بها على الكثيرين بمسدة الحاكمين، هذا السوع من التصوف الذي ظهر في الاوساط الاسلامية بعد مرور اكثر من ثمانين عاما على وفاة الرسول (ص) بواسطة الشعوبيين وبرعاية حاكمين الدين وجدوا فيه كل ما يصبون اليه

من تحذير للعقول والقلوب وتقوية لروح الثورة واستخفاف بالقيم والشرائع
الساوية وكل ما عجزت عنه ميوفهم وحيوشهم .

ولا شيء أجدى للحاكمين وأعر عليهم من ان ينصرف الناس عن شؤونهم
وتصرفاتهم وملاذاتهم الى الكهوف والغدات والجوامع والمعابد والاغراق في التفكير
والتأملات في عالم السماء والغيبيات وفي لطرق التي تشدهم الى هذه العوالم بالبعد
عن دنيا الناس وما فيها من متع وملاذ تحول بينهم وبين السماء التي صعد اليها
السطامي والشبي والسري السفطي والجديد وغيرهم ممن أقيمت لهم الحفلات في
السماء بحضور إله الصوفية ورهط من الملائكة المقربين .

وجاء في الفتوحات المكية لابن عربي انه صعد الى السماء ونصب له الملائكة
كرسيا بين يدي الله وجلس حولها عطية الملائكة والانبياء وفي هذا الاجتماع حتمت
الولاية به ، ولم يكف الصوفية جمود احكامين باغراء الرجال وتضليلهم وإلهائهم
بتلك الشبهات عن تصرفات الحاكمين وجورهم بل جعلوا يتسللون الى البيوت
لإغراء الساء وتضليلهم وإفساد المجتمع من كل نواحيه كما جاء ذلك في مؤلفات
الصوفية ومن كتب عنهم ، ومن أراد الاطلاع على آرائهم وشطحاتهم فليرجع الى
كتابي (بين التشيع والتصوف) .

ولقد جاء في شطحات الصوفية بعبد الرحمن بن ذي ، ان امرأة من نساء الملوك
رهدت في الدنيا على طريقة ابي يزيد السطامي في الزهد وكانت والهة به وبذكره ،
فقيل لها اخبرينا عن كرامة الله لك ، فقالت . فيما كنت ألجج بإشارة ابي يزيد
سألت ربي ان يرنيه في الغيب ، وبينما ما أسأله اذا أسري بي ذات ليلة الى السماء
حتى جاوزت الهواء السامع وصرت الى العرش فوديت من جهته اقبلي اقبلي ،
فتساهيت الى العرش وطرت الى المحجب ، ثم نوديت ادني مني فحرقفت الحجب
ورأيت الحق فقلت لمن كان معي : اير ابو يزيد السطامي ؟ فقيل لي : ها هو
امامك ، الى كثير من أمثال هذه الخرافات التي شاعت عن الصوفيين والصوقيات
واستجابت لها عقول السطاء والمستضعفين من الناس .

وبلا شك فان الحاكمين يرحبون بكل هذه المظاهر ويسهلون لها سبل البقاء
والانتشار ، لان المجتمعات التي تظهر فيها هذه الاوبئة لا بد وأن تنقسم على نفسها
وتكون مسرحا للجدل والصراعات الفكرية وللعوضى التي تشغل العقول وتصرفها
عن الحاكمين وجورهم واستغلالهم لخيرات الشعوب ومقدراتها وذلك أجدى لهم
من السياط والسيوف كما ذكرنا .

الإرجاء

ولم يكن الإرجاء بأقل تأثيراً على تقويض روح الثورة ومسارها من التصوف، بل كان له التأثير والناتج نفسه، وكثر أكثر دعاته من العلماء ورجال الدين والمتكلمين، والذي نعيه كلمة الإرجاء إن كل شرير واثم وحاكم متسلط ظالم مهما بلغت جريمته عليه أن يرحو معصية الله ويستظهر رحمته ولا يتناق ذلك مع إيمانه ويصح وصفه بالإيمان، وإن كان من الحكيم يفتي على أمراء المؤمنين، وقد اسد هؤلاء فكرتهم هذه إلى العراة مسندلين عليها بآلية الكريمة ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ أما يعبدهم أو يتوب عليهم ﴿

ولما كان كل مجرم يستظهر من الله العفو والرحمة وهو العفو الرحيم كما وصف نفسه، فعلى الناس أن لا يشجوا عمل ظالم مهما تمادى في ظلمه وجوره، ولا مقاومته ووصفه بالظلم والخور لأن الله سبحانه قد رجأ أمره ليوم الحساب حيث تقام الموارد وهو العفو الرحيم، فمن حكم عليه في الدنيا بحكم يتناق مع إيمانه فقد تدخل في صلاحيات الله سبحانه، وعن الناس جميعهم مهما بالغ الظالم في ظلمه وتمادى في جوره نتيجة هذه الأفكار التي خرجت من قصور الخلفاء وراح الخطباء والعلماء يتداولونها في حلقاتهم ومن على مابر المسلمين، أن يصبروا على الخور والظلم ولا يتحيروا للمظلوم ضد نعمة الحاكمه الطالة ويتركوا ذلك له وحده لأنه هو الذي يقرر يوم الحساب مصير المؤمنين والعصيين والظالمين.

والنتيجة الحتمية لذلك أن على الناس أن يتركوا لبي أمية وغيرهم من الحكام حرية التسلط والحكم والسيادة مهما أوغرو في المعى والطغيان والتجبر، وهذا هو الذي كان يشده الحاكمون من الإرجاء لبي حرج من قصورهم ومهدوا لانتشاره

عن طريق العلماء وحطباء الجوامع وغيرهم من لعنات التي كانت تتفاضى الثمن على نشر هذه الافكار وتقويض روح الثورة ومساوها.

ومن نسب لهم القول بالإرجاء من العلماء ابو حنيفة وحامد بن ابي سليمان وابن ابي ليلى كما ذكرنا خلال لصفحات السابقة وأضاف الى ما ذكرنا جنود الإرجاء لتبرير تصرفات الامويين ان الايمان هو التصديق بالقول دون العمل وان ما دون الشرك معذور للاسان مهما كان نوع الجريمة وان العبد اذا مات على التوحيد لا يصره ما اقترب من الآثام واجترح من السيئات.

وقال الدكتور محمد اسماعيل في كنه الحركات السرية: ان الإرجاء في واقعه تبرير واضح لاغتصاب بني أمية حق الامامة بوسائل التدليس والاعتيال وأساليب الترغيب والترهيب، ولذلك كد الإرجاء دين للوك، لان المرحلة لم يعارضوا الحكومة الاموية كسائر الفرق الاخرى، بل اعترفوا شرعيتها ونادوا بوجوب طاعتها، ومضى يقول: ان شيوخ هذا المذهب قد حظوا برعاية الامويين الاوائل وأقاموا الى حانتهم في عاصمتهم دمشق، بينما تعرض غيرهم من الفرق الاخرى لضروب من التعذيب والاصطهاد.

اما الخوارج فقد لاقوا عنتاً شديداً من ولاية العراق مما اضطرتهم الى نقل مسرح نشاطهم الى بلاد المشرق، وظل الشيعة في الكوفة وغيرها يتعرضون للمحنة والاصطهاد، وأخيراً أرغموا على مسعدة ولائها في قتال الخوارج كيما يضعف بعضهما البعض الاخر فينخلص الامويون من العدوين في وقت واحد.

ومضى الدكتور اسماعيل يقول ان المرحلة قد نعموا بالاقامة في البصرة دون ان يجذوا عنتاً من ولائها فعملوا على نشر هذا المذهب بين اهلها وكان حسان بن بلال المزني اول من دعا الى مذهبه بينهم ولقيت دعوته قبولا حيث وجد البصريون في الإرجاء ضالتهم لمشودة ولأهم سئموا الحروب وأثروا السلامة والعافية من جراء ما لاقوه من أهوال في معارك الجمل وصفين والحيلة، وأصبح الإرجاء بمثابة الصيغة المذهبية التي تمسك رعتهم في برودة الركود الى الراحة وتحول معظمهم الى الإرجاء وانصرفوا لامورهم الداعية دون نظر الى نوعية السلطة الحاكمة التي لم تكن حسب مذهبهم حكومة خارجة خالصة^(١).

(١) انظر ص ٣٥ و ٣٦ من الحركات السرية بدكتور محمود اسماعيل وحسان بن بلال المزني من التابعين الذين رووا عن عهد بن ياسر وعن قتادة، وكان يحيى بن كثير من اعلام المرحلة الاوائل كما جاء في خطط المقريري وميراث الاعتدال للذهبي

ويبدو من أكثر المصادر التي تحدثت عن الفرق والمذاهب ان أكثر قادة المرحلة كانوا من الانتهاريين الذين تسيرهم المصالح والاهواء بحيث كانت القوة تجذب المرحلة الى جانبها يمهّدون الطريق للحاكمين لمواصلة سياستهم وتبرير تصرفاتهم، وحينما بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الاموية وأحسوا بأن سقوطها أصبح أمراً لا مفر منه، التحقوا بالتيارات المعادية للامويين التي تصدت للدفاع عن العدالة وتظاهروا بالتراجع عن بعض افكارهم فيما يعود الى الايمان، ولم يجدوا غضاضة في اقتباس بعض آراء القدرية أصلاف المعتزلة والنكسر لمعتقداتهم السابقة كما نسب ذلك اليهم بعض الكتاب، وبعد انهيار الدولة الاموية كانوا ينضمون الى كل شائء فانخرطوا مع الخوارج والشيعة في بعض مواقفهم المعادية للحكام، ولما ظهرت الدولة العباسية على المسرح وأصبحت الوريث الوحيد للامويين في المشرق كان لا بد لها وان تستخدم المرحلة وغيرهم من مرق بالروح والدوافع نفسها التي استخدمتهم بها الدولة الاموية، وقد لبس كثير من المرحلة ثوب الوعاط فراحوا يرددون في خطبهم ومحال القصص قول الله سبحانه وأطيعوا الله ورسوله وأولي الامر منكم وأولو الامر هم السلاطين فتجب طاعتهم بحكم القرآن ولو كانوا طالمين، كما وحد الحكام من العلماء استطاعوا ان يجلدوا المسوعات الشرعية لكل اعمالهم مهما كان نوعها

وكان الحكام في الغالب لا يقدمون عن عمل إلا بعد ان يجمعوا له الفقهاء ويعرضوه عليهم، والفقهاء يطورون حينذاك الى السلطان عاداً وجدوه مصمماً على ذلك العمل اسرعوا الى ما في حجتهم من آيات والاحاديث المتناقضة فيفصونها امامه ليختار منها ما يلائمه والله غفور رحيم يوم يحاسب الناس على اعمالهم.

كما كان السوعات والفقهاء حين يذكرون الخليفة يدعون له ويشون عليه ويرجون من الله ان يمد طله على الارض ويرزون جميع اعماله وتصرفاته، اما حين يلتفتون الى عامة الناس ورعايا الخليفة بأحدون بالتهديد والتخويف والتحذير والتهويل كأن افراد الرعية هم الطامنون والخلعاء هم المظلومون، وكان الخليفة يشعر من جراء ايماء المتزلفين له بأنه ظل الله في الارض له الامر والهي وعلى رعاياه الطاعة فان عصوه كانوا من الرنادقة الملحدين يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.

لقد كان الوعاط يُعطى من أموال المسلمين بمقدار ما يتحذلق به من جيد الالفاظ والثناء على الخليفة والدعاء له، لذلك فان عدد الوعاط في الدولة العباسية اخذ يزداد وينمو نمواً فظيماً، وكل وزير وأمير كان يحصل جزءاً كبيراً من الاموال

التي ترد لبيت المال من مختلف المقاطعات لسترفية عن هذه الطبقة من المرتزقة الذين كانوا يأوون اليه ويباركون جميع اعماله وتصرفاته .

لقد كان الخليفة العباسي يتظاهر في مجالس الوعاظ والفقهاء بالدين والتقوى فيبكي ويتظاهر بالخشوع والتعفف والزهد، وحين يجلس في ديوانه ينظر في امر الخراج والولاية وشراء الجوارى لا يختلف عن جالوت ونبيرون بشيء، وإذا أكثر الواظ من الحديث طلب اليه ان يختصر لينصرف الى مجالس المغنيات والجوارى والتكيل بمن يطالبون بالعدالة وانصاف المظلومين والمعتدين، وكانوا في مجالسهم مع الوعاظ لا يختلفون عما جاء في بعض الامثال عن ذئب وقع في قبضة رجل فجعل يعظه ويقول له : اياك ان تأخذ أغنام الناس ومواشيهم لثلاث تعاقب على ذلك، فقال له الذئب : خفف يا احي واختر من حديثك فهناك قطع من الغنم اخاف ان يفوتني .

وما بلغت النظر عند المقارنة بين لعهدين الاموي والعباسي ان الامويين كانت تسيطر عليهم النزعة البدوية او القبلية ولا يزالون بما يقول الفقهاء والوعاظ كما كان يصنع العباسيون وجل اهتمامهم كان منصرفاً الى تدعيم ملكهم ولو بحد السيف على الطريقة البدوية والقبلية . وفي الوقت ذاته لم يجدوا بداً من اللجوء الى مصانع الحديث التي أسسها لهم ابو هريرة وكعب الاحبار وسمرة بن جندب وحمزة ابن الزبير والزهري عند الحاجة في مقابل احصائهم العلويين والى المرجئة والحرورية وما الى ذلك مما يصفى عليهم صفة الايمان ويضع عنهم مسؤولية اسرافهم في المنكرات والتكيل بالشيعة والمستضعفين من الناس .

ولما جاء العباسيون الى الحكم حاولوا ان يظهروا بمظهر اكثر التصاقاً بالدين لان اخصائهم الامويين قد تجاهلوه وكانت تعلب عليهم النزعة الجاهلية، فتظاهروا لاسباب سياسية بالحرص على السنة وراحوا يتصلون بالفقهاء والوعاظ للتوفيق بين سياستهم التي لا تختلف عن سياسة الامويين وبين الذين يخدعون مصالحهم من تلك الفئات، ووجدوا من يدهون لهم ويسألون الله ان يمد في ظلهم ويقول للناس : اطيعوا الله ورسوله وأولي الامر منكم، ثم توجه الى الخليفة ويقول له : كأنك من بعد الرسول رسول، وفي الوقت ذاته يطبقون جميع اعمالهم على الشريعة كما كان يفعل ابن ابي ليلى وأبو البحتري قاضي القضاة وأبو يوسف وأمثالهم من فقهاء القصور .

ومع ان فكري الإرجاء والحر كانتا قائمتين فلم يعد الخليفة العباسي بحاجة

اليها ما دام يجد رتلا من الفقهاء والوعاظ والمحدثين يباركون جميع أعمالهم
وتصرفاتهم وكأنها من وحي السماء، هذه لظاهرة في مواقف الوعاظ والفقهاء من
الحاكمين كانت أسوأ وأشد صرراً على الإسلام والمسلمين من مرحلة الأمويين
وأصحاب مصانع الحديث كما تؤكد ذلك الدراسات الواعية لمواقف الحاكمين
وجودهم من الوعاظ والفقهاء وانعكاسها على الإسلام وأصوله ومبادئه ومسيرته
وما خلفته تلك السياسة من صور كريمة للإسلام لا يزال أعداؤه يستعملونها للتشويه
والافتراء وأكثرهم يدرسون الإسلام من خلال حكمه، وصدق من قال: انهم لم
يفعلوا شيئاً غير أنهم أقاموا امبراطورية مكن أخرى وقصوا على الأكاسرة يضعوا
محلهم أكاسرة آخرين.

صلاح الجبر

ومهما كان فالارحاء والنصوف يساهمون مساهمة فاعلة في تقويض روح الثورة ومسايرها ومن افصل الاسلحة التي استعملتها الجاهلية الحديدية المتحسدة في سياسة الحاكمين ومخططاتهم المعادية للاسلام، فالنصوفة يدعونهم الى الاعراض عن الدنيا وما فيها من متع وملذات بالالتجاء الى الكهوف والعبات ولسن المرقعات ورياضة الصبر بترك حاجات الجسم ليصل الانسان الى اعلى مراتب القضاء ويتصل بالله مباشرة وتتعم بلقاؤه الى غير ذلك من طرفهم، هؤلاء يحققون للحكام كل ما يريدون، ومن اعلى اماميتهم ان يفرق الانسان في مثل هذا الظلام ويسرح في المناهات ليصرف عنهم وعن حرائمهم ومكرتهم

اما الارحاء فهو كما ذكرنا مدعو بصراحة الى عدم حوار تجريجهم ووصفهم بالمسوق او الكفر، ويدعو الى وصمهم بالايما وبعيهم المعيرة وعمو الله الذي يسع المؤمنين العاملين والخمارة الطعة في وقت واحد والى حجاب هذين الوباءين انتشار الوباء الثالث وباء الجبر ودعا اليه المرتقة والمتزلزون للحاكمين وحرر دعائه من قصورهم، واتخذ دعائه من القرآن الكريم وسبحة لصد الناس عن جهاد الحاكمين والظالمين وشمل الافكار والعقول المهضة للحكم الاقوى، واعتمدت مدرسة الجبر على ان الحاكم المطلق للعالم هو الله وكل ما يحدث فيه هو من ارادته ومقتضيات مشيئته، والاعمال خيرا وشريرا من مظاهر مشيئة الله سبحانه، والانسان حيرا كان ام مجرماً، بريثا ام مذنباً، حاكماً مسيطر ام محكوماً مكللاً لا شأن له ولا اختيار في شيء من ذلك وكله من الله الذي يؤتي الملك من يشاء ويرعه ممن يشاء.

وقد انتشر هذا الوباء بين متديبي ذلك العصر وتسليح دعائه بظواهر بعض

الآيات القرآنية والاحاديث التي كانت تتحجها باستمرار معامل بعض الصحابة وتابعيهم كأبي هريرة وعروة بن الزبير وممرة بن جندب والزهري وأمثالهم من الاولياء لقصور الخلفاء وموائدهم الشهية الطيبة.

وقد وجد الحاكمون في هذا المذهب أعرامانيهم وأعلاها لانه يبرر جميع تصرفاتهم واعتداءاتهم على الشعوب وحرياتنا لان الله اراد لهم الحكم وحيث يحكمون ويظلمون ويتسلطون على عباد الله يحققون ارادة الله سبحانه وجميع ما جرى على ايديهم من قتل الحسين وغيره من آلاف الصالحاء ومن المنكرات التي اقترفوها قد اراده الله لمصلحة لا يعلمها غيره واقتضتها حكمته التي لا ندرك كنهها ولا تقع في دائرة اختيارنا ومشيتنا، وأي اعتراض على تسلط الحاكمين ويطشهم وظلمهم هو اعتراض على المشيئة الالهية وحكمة الربانية.

وقال الدكتور محمود اسماعيل في كتابه الحركات السرية في الاسلام: ان المعتزلة كانوا يضمرون العداة لشي أمية ويعتبرونهم من الخابرة المعتصين للحلابة وقد فرضوها بحد السيف وراحوا يبررون ظلمهم واغتصابهم لها بارادة الله وقضائه، ومصى يقول: ان معاوية اول من قتل بالخبر ودعا اليه ودافع عنه وسحر من اعوانه الرواة من يصح له الاحاديث التي تدعوه، وكان يرى ان ذلك عذره في كل ما جتته يده من المنكرات والمؤثفات. وأصاب قاتلا. وكما كان الخبر من اسلمحتهم الهدامة لئلاسلام ومبادئه كان لإرجاء من حملة تلك الاسلحة ذات الحدين لانها في الوقت الذي تعطي فيه للعصاة صفة الايمان تفتح لهم باب الامل بالمغفرة على مصراعيه بالرغم من إصرارهم بالجرائم والمنكرات.

عدالة الصحابة

والى جانب التصوف والارضاء والخير برز في مطلع العهد الاموي سلاح آخر
لعل اثره على العقول والقلوب والافكار ومساعدة الحكم الاموي لا يقل عن آثار
الاسلحة الثلاثة، ذلك السلاح هو عدالة الصحابة. لقد برزت هذه الفكرة في
مطلع العهد الاموي بعد ان اكلت الحروب الكثير منهم وصارت اكثر الباقين
بأجلهم.

وكان من الطبيعي بعد ذلك التاريخ الذي تركه الامويون الملوث بالشرك
والخرائب والذي كان ماثلاً لدى الجميع ان يحاولوا استبدال تلك الصورة الكريهة
العالقة في الادهان عنهم نتيجة لمواقفهم المعادية للإسلام حتى بعد ان دخلوا فيه
مكرهين، كان من الطبيعي ان يحاولوا استبدال تلك الصورة بصورة تناسب مع
مراكزهم التي تسنموها باسم الاسلام فوضعوا فكرة العدالة لجميع من عاصر
الرسول من المسلمين حتى ولو لم يره أو يسمع منه شيئاً، وتوسع بعضهم فيها
وأثبتها لكل من ولد في عصر الرسول، وما دام ابو هريرة ورملاؤه من الوضعاء في
تصرفهم فمن السهل عليهم ان يحصلوا على عشرات الاحاديث التي تدعمها،
وظلت فكرة العدالة لجميع الصحابة التي تنسج للامويين وعلى رأسهم ابو سفيان
والحكم طريد رسول الله (ص) تسير وتتداعل حتى اصبحت وكأنها من الضرورات
عند السنة وحكامهم في عصر الصراع العقائدي لانها تخدم مصالحهم ومبادئهم التي
اعتمدوها في سيرة الخلافة، ومواقفهم المعادية لاهل البيت (ع). ولم يكن الصحابة
انفسهم يتصورون بأن الغلو بهم سيتهي الى هذه النتيجة، وتكون لهم تلك الحالة

التي استخدمها معاوية لخدمة الجاهلية التي تجسدت في البيت الأموي، ذلك البيت الذي ظل يحارب الإسلام منذ أن بزغ فجره وحتى اللحظات الأخيرة من حكمهم.

وتعني عدالة جميع الصحابة فيما تعنيه، أن كل من عاصر الرسول أو ولد في عصره لا يجوز عليه الكذب والتزوير ولا يجوز تجريجه ولو قتل آلاف الأبرياء وفعل جميع المنكرات، وعلى أساس ذلك فجميع الطبقة الأولى من الأمويين كأبي سفيان وأولاده وعثمان بن عفان وحاشيته وجميع الروائيين بما فيهم طريد رسول الله الوزغ وأولاده الأوزاغ والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب وزبيد بن سمية وعمرو بن العاص وولده عبد الله الذي كان في حدود العاشرة من عمره حين وفاة النبي (ص) ومع ذلك فقد نسوا إليه مجموعة من الأحاديث كتبها على النبي في صحيفة يسمونها الصادقة، فجميع هؤلاء الذين هم من أشد الناس عداوة للإسلام ولله ورسوله من العدول ومروياتهم من نوع الصحيح حتى ولو كانت في تجريج علي وأهل البيت وفي التقريظ والتقديس لعبد الرحمن بن ملجم.

وكل ما روه ونفوه في فصل الصحابة الأوائل وفضل الأمويين ومعاوية والشام وما إلى ذلك من آلاف الروايات التي كانت تنتجها مصانع أبي هريرة وكعب الأحبار وسمرة بن جندب وابن العاص وولده عبد الله وغيرهم من عشرات الرواة الذين استعملهم معاوية للدرس والكذب وتشويه الإسلام، هذه المرويات يجب قبولها ولا يجوز ردها لأن روايتها من العدول والعادل لا يعتمد الكذب، والذين اتبعوا معاوية وسائرهم طيلة ثلاثين عاماً من حكمه، هؤلاء كانوا على الحق والهدى وحق الذين سموا الحسن بن علي وقتلوا الحسين وأصحابه وفعلوا ما فعلوا من الجرائم في الكوفة وغيرها كانوا محقين أيضاً ومن المهتدين، لأن النبي (ص) قال على حد زعمهم: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. ومن هو أولى بالاعتداء به من معاوية الذي كان الوحي كلما نزل على النبي يتعقده ويسلم عليه ويوصي به كما تدعيه مرويات تلك الطغمة من أمصاره إلى كثير من أمثال هذه الأحاديث التي أفرزتها مصانع أبي هريرة وابن العاص وابن جندب وكعب الأحبار وغيرهم في معاوية وبني أمية ومن سقاهم من الخنفاء وغير ذلك، واحتلظت بين الصحيح من حديث الرسول (ص).

ولولا المحلصون من أهل البيت وشيعتهم وقليل غيرهم من بقية المحدثين لفقدت السنة أبرز سماتها وانطمست معانيها وكوزها بسبب ما أدخلوه عليها من

التعريف وابتدع والمفتريات.

لقد كان أصحابه يعشق بعضهم بعضا ويشتتم بعضهم بعضا وانفق اكثرهم على صلال عثمان وحاشيه وأنصاره وسحلالات دمه وكان طليحة والرير وعائشة من اكثر الناس تحريضا عليه، وبلغ الحال بعائشة ان كهرنه واستعدت له اسمى ليهودي كان من أقدر أهل مدينته يسمونه بعثلا وقالت اكثر من مرة افتنوا بعثلا فقد كفر، وأحدثت بينها قميصا كان لرسول الله (ص) وقالت: هذا قميص رسول الله لم يبل وقد ابل عثمان سنته

وبعد مصرع عثمان على يد المهاجرين والأنصار تحريضا وممارسة اسوؤود التي رجعت من مختلف الانصار اتجهت تلك الوفود ارجعة من مختلف الجهات وجميع المهاجرين والأنصار الى علي (ع) وتصبحت تحت لوائه وكثر المهاجرين وجدوا انهم قد حققوا بهذه الشيعة وصيه رسول الله (ص) وأمر أديبه وان جاءت بأجرة عن وقتها وراحوا ينتظرون حجرا حديدا مشرفا بتعاليم الاسلام ومبادئه وعاداته

واتجه العريق الذي سرق في قتل عثمان وكان من أشد الناس تحريضا عنه من الصحابة الى حرب الخليفة لشرعي الذي تمت خلافة بالاحماع والاحبار وبكل الشروط التي وضعوها للخلافة في عصر الصرخ لعفائلي الذي وضعه فيه لشروط للخلافة لاسلامية تصحيح خلافة الدين بمصووف بعد وفاة اسرسل (ص).

وبعد ان بدل لهم إمام المهدي جميع الوسائل ليرجعوا عن عيهم وصلاتهم فسم يسمعو له قولاً ولا رعو انه وللابرياء حرمه وكانت المعركة لعير صالهم كما هو المعلوم من حالها، واتجه بعضهم معاوية خربه في هن الشام ومعه فريق من يسموهم بالصحابة حسب لتحديدات التي وضعوها بصبغة لتستطب اولئك المهاجرين الذين كانوا يسرون في ركابهم ويصرعون على أعقابهم لقاء مبالغ من اموال لامة وضعها ابن هند في نصرهم ليضعوها الحديث في انقاص علي ودويه (ع) وفصل الامويين والساتيرين في ركابهم، وكانت مصدع ابي هريره وكعب الاحبار وسمرة بن جندب وابن العاص وولسه عبد الله نتج هم ما يشاؤون ويشتهون من مختلف لالوان، ولعل با هريره واس جندب وكعب الاحبار كانوا من ابرز المقربين لمعاوية في صنع الحديث من بين من سموهم بالصحابة، وحامت لطفة الثانية وعلى رأسها عروة بن الرير ومحمد بن شهاب الزهري وعيهم من عشرات الروا، ومحدثين الذين عتمدوا مصانع الطقة الاولى ومضوا على الطريق

بمنه الذي يخدم مصالح صاحب العصور وأهملهم مستقرين بقداصة انصحية وعذلتهم وما نتجته مصانع ابي هريرة وكعب الاحبار وسمرة بن جندب وابن انعم بن وولده عبد الله الذي شتمت مروياته عن الرسول (ص) وهو يوم وفاته لم يتجاوز سن الطعونة، فيما اشتمت عليه صحيفه عرفت في اوساطهم بالصحيفة انصديقة كما ذكرت وظلت تلك الاحاديث الى جانب المرويات الصحيحة عن الرسول (ص) من اشد الاسخه فتكا بين الحكمين اعداء الاسلام الذين تسروا به ليطعموه من الداخل بنك الاسخه التي رفرها لهم عدو الصحابة، وفي الوقت ذاته لإصفاء اشعره على حكمهم الذي استمر مر به من الرس.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من اكبر محدثين وعلامهم كما جاء في شرح نهج لستعرتي ان اكثر الاحاديث في فضائل لصحابه فتعلت في يوم بني أمية تقرأ اليهم بما يظنون بهم يرفعون أنوف بني هاشم.

ومع ان تلك الاحاديث قد صنعها لوصاعون نصيحة المروانيين والعثمانيين رأي سفيان وولده معاوية وأنصاره بعد صناعته بأسلوب محسن من كل صحابي عدوة صالحة لأهل الارض ونصب النعنت على كل من سب أحد منهم أو اتهمه سوء كما جاء فيما رواه عن انس بن مالك ان نبي (ص) قال من سب احدا من اصحابي فعليه لعنة الله وللائكة والناس اجمعين، ومن عابهم أو انتقصهم فلا تزاكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه.

مع ما جاءت به الاسوب ولم تفرق بين صحابي وصحابي، فقد مرص معدوة سب علي (ع) وشقوصه في جميع مقطعات التي كانت تخضع لحكمه بما في ذلك الكبر وجهها التي تجرعت كل انواع لاذي والظلم لكثرة المرويين فيها يعني وريده (ع) الذين مرصوا لعتل واحسن والتشريد، وكان يقول في جواب ما صحبه من أنصاره الذين كانوا يروون ان هذا لاسلوب من السبامة اخرقاء يخدم عليا وشيعته اكثر مما يسيء اليهم والله لا ادع منه رشتهم حتى يهرم عليه الكبير ويشب عليه الصغير.

وقد يدل نصحابي سمرة بن جندب خمسمائة نف درهم ليروي ع عن نبي (ص) ان الآية ﴿ومن الناس من يعصك قول في اخياء الدين ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصم﴾، وإذا تولي سعي في لارض ليعسد فيها ويهدت اخرث

(١) أنظر ص ٢٢٨ من كتاب الكبائر لمحافظ الدمي

والنسل والله لا يحب الفساد ﴿١﴾ برلت في عي بن أبي طالب، وإن الآية، ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرصاة الله﴾ تربت في عبد الرحمن بن ملجم لأنه قتل علياً (ع) أي غير ذلك من الموضوعات التي كان يدل لصانيتها بسخاها لا حدود له، مع أنه فعل ذلك بإجماع المؤرخين، فقد بقي من جدول الصحابة كما بقيت منتجات مصانع الوصاعين ممن كانوا يسرعون على اعتاب قصر الحمراء وغيره من قصور الحكاميين التي كتب تعج بالفساد والظلم والمنكرات إلى جانب غيرها من مروييات الثقات عن الرسول (ص) ومن صاحبها لها من صنع الصحابة والصحابة كلهم من الجدول ومن سبهم أو تنقصهم فعليه لعنة الله، ولم يستش منهم سوى علي (ع) ومن وقف إلى حاسه من صحابة الرسول لا وحياء برسالة الاسلام وتعاليمه هؤلاء سطر معاوية وزبائنه كانوا، سعون في الارض ليعسوا فيها ويهلكوا الخرب والنسل والله لا يحب الفساد.

لقد بقيت لي جانب غيرها من مروييات جدول انصحية مرحما بجمهور في التشريع وغيره على اختلاف مذاهبهم وبرهاتهم الفقهية، وعلى اساس ذلك غلب عليهم اسم السنة في مقابل الشيعة الذين رجعوا إلى الأئمة من أهل البيت (ع) وإلى ما وراء ثقات الصحابة عن النبي (ص) بالاصح إلى كتاب الله في جميع ما جاء لاسلام من اصول وفروع وتشريعات، ولم يعرف الجمهور بهذا الوصف قبل اواخر لقرن الاول، وبهذا الاعتراف يمكن اعتبار النسخ من الأحداث الطارئة ومخاصمة عندما سلاحظ ان مفهوم السنة خلال تلك الفترة من تاريخ المسلمين قد أصبح اوسع مما كان عليه في عهد الصحابة والصيغة الأولى من التبعية، فبعد ان كان عد وائلهم لا يتجاوز قول الرسول وأفعاله وكسوا يلاحقون الراوي للتأكد من صدقه، وبعضهم يستخلصه ويتجنب كثرة مروييات في هريرة وكعب الأحبار وأمثالهم ممن كانوا لا يتورعون عن الكذب والافتراء على الرسول (ص) بالمرغم من ان دره بن الخطيب كانت لهم بمرصاد بعد ان كانت لا تعني اقوال الرسول وأفعاله عند منقضي الصحابة اصعب في العصور التي تعددت فيها المذاهب وتوزعت في انصاعم وبقية الاعطار بسطر العلماء وأئمة المذاهب تسع لراي الصحابي وقوله اذ لم يجدوا نصا عن حكم الواقعة في كتاب الله وسنة الرسول، وأصبحت آراء انصحية في أحكام الحوادث التي كانت تعرض عليهم المصدر الثالث من مصادر التشريع بعد كتاب الله وسنة رسوله، وتعد أئمة المذاهب الثلاثة وعليهم الاحناف والمالكية والحشوية أكثر بعصب لآراء انصحية

واجتهادهم من الشواهد كما يبدو نثبت من نصريحتهم ومحاميتهم الفقهية، ومع
أي حجة كان متحمسا بقاس زياد من فصل المصادر بعد كتاب الله كد يقدم
رأي الصحة فيه اذا عارض في مورد من المورد

وجاء عنه انه كان يقول ان م جد في كتاب الله ولا في سنة سواه احدث
بقول صحبه فان حثمت آراءهم في حكم الواقعة احد بقول من ثبت وأدع من
ثبت ولا انزعج من قوهم الى قول غيرهم من التابعين^(١)

وجاء في اعلام سوفي لاس الميم ان اصول الاحكام عند الامم محد
حسب الاول النص الذي فتوى صحبه وان الاحناف والحنابلة قد ذهبوا الى
تخصيص لكتاب بعض الصحابي، لان لاصحابي العالم لا يترك العمل بمسوم
لكتاب الا لدليل فيكون عمله على خلاف عموم انكسب دبلا عن التخصيص
وقوله عملة عمل^(٢)

وما بعد ما بين هؤلاء وبين القائلين بعدم حوز الاعباد عن السنة في مقام
التشريع الا اذا ثبتت نايه من نهران لان فيه بيان كل شيء، وقد نزل برقة
عنوت وبأسنوب يفهمه كل عربي، ذلك لان السنة روه عن رسول حمده يجوز
عليهم خطأ والكذب وقاوا لا يصلون مرويات بعضهم احيانا ويعمل كل منهم بما
يرحبه اليه اجتهاده وقد تراشعو بأسوأ نتهم ويستخلص بعضهم دماء بعض
الآخر^(٣) ومن كان لخال عاقوان الصحابة وراؤهم واجتهادهم كتاب من ابرر
اصول التشريع عند الجمهور بعد كتاب الله وفي اوقات دنة يخصصون بها عموماته
ويقيدون به مطلقته وكما في وحى اسماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خفيه

ومن المعلوم ان هذه نعتي قدس الصحابة النبي لا يختلف عن لمصمه
في شيء ويسع للمنازين منهم وحتى يمشركين من أرعمو عن التبطهر بالاسلام
كأي سميان وولده معاونة ولرويين وعبرهم من كانوا بكيسون بالاسلام وعموم
لأحياء مظاهر الجاهلية التي حاروا من أحياء نحو من عشرين عاما أو تزيد، هـ

(١) التكملي لغيري ص ١٣٥ و ١٣٦

(٢) أنظر أبا حجة لأبي دهره ص ٣٠٤ ولإمام ريدنه أيضا ص ٤١٨

(٣) للتدخل اي علم اصول الفقه المعروف الفولبي ص ٢١٧

(٤) أنظر تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف موسى عن كتاب الأئمة الشافعي ص

ومشركين لأنهم من الصحابة ودمجوا كالكجور بأنهم اقتدى لانتسان يهدي كما
سب الوصاعون إلى رسول (ص)، هذا في حين أن الشيعة يأخذون برواية الراوي
إذا كان نعمة ومستقيما في دينه مهما كان مذهبه ولا يشترطون في الراوي أكثر من ذلك
كما تؤكد ذلك مجاميعهم التي وضعوها في أحوال الرواية والرواة.

مواقف ائمة الشيعة من تلك الاسلحة

في هذه الاحواء مظلمة ومشحونة بالافكار العنصرية المستوردة التي استعملها الحاكمون لتخدير العقول والقلوب والتخلل من مسؤوليات تصرفاتهم واسرارهم في اراقة دماء الابرياء والصلحاء واسلامهم لخيرات الشعوب ومقدرات لامة لصالحهم وكأن الناس كل الناس يستأن لتقريش وحكامها كما يدعون، في هذه الاحواء المشحونة بالمخاطر على الاسلام وتعاليمه ومبادئه وقف الائمة (ع) وشيعتهم مرفق في منتهى انصلاية والخيطة في وجه تلك التيارات والمحاولات التي كانت تهدف فيها تهدف الى تحوير الاسلام وتحريده من معتواه، يدافعون وياضلون عن مبادئه واصوله بالحجج الدامغة والمطلق السليم في مختلف الجاهدين، وقد علقوا في مختلف مناسبات خروج انشبه والمجسمة والمرجئة والجبرية والصوفية وغيرهم عن الاسلام بعد ان يسوا من ارجاعهم الى حظيرة يكل ما توافر لديهم من الوسائل كما تؤكد ذلك المؤلفات الشيعية المنتشرة في جميع انحاء العالم

لقد تجرد الامامان الباقر والصادق في المراحل الاولى من ولادته تلك الافكار وانتشارها في الاوساط الاسلامية لخصوص اصناف المعارك مع دعائها وانصارها وحياط جميع محاولاتهم الهادفة الى تشويه الاسلام وتحوير مبادئه واصوله لصالح الحاكمين واعداؤه، بالنطق والعنف وغيرهما مما نتج عنه تراجع جماعه عن تلك الافكار والحد من نشاط المعالين في نصليهم وعنادهم، ولم يكن لاحد من سبيل لانكار باعهم الطويل في الاطلاع والاحاطة بكافة مروع المعرفة والافادة منها وتسخيرها لخدمة الاسلام وانتشاره، وحيثما كان يذكر التشيع في مطلع القرن الثاني وبعبه كان يقترب

بالمبحث لنظريه و مذاهب فلسفيه ومدارس حكمه وك انواع المعرفة

وقال سيد مرتضى في كتابه تاريخ العرب وهو يتحدث عن تلك الحقبة من تاريخ المسلمين: ولا يهوت ر بشر لي ب اسدي برعم احركه بعصيه في تلك لفته التي كان فيها نصر ع اعفائي عن نفسه هو حميد الامام علي ع بي طالب جعفر بن محمد المشي بالصادق، وهم حل حب أهل تصكيم بعبد عو لعقل مله كن الامام بعلوم عصره، ويعبر في اسر قع و من أسس المدرس الفلسفيه المشهوره في الاسلام وم بكر يحصر حركته لعصيه ابنك الدس اصحوا مؤسسي مذاهب فحسب بل كان محصرها طلائ لعصيه والمتقدمون من جمع انحاء العالم

بؤائد المصادر الفقيه واخذته ن ائة ثمة المذاهب ثم ائت الذي عاشر و حاسهم أكثر يابه في عديده وأي حبيفة يدي لنحو بمسرة لأه من اسافر والصادق رح عده سنتين بعد ان فر من حسن المصور، وهذه مناسبة كان عو بولا اسنان لملك سمران ثم جاء في أكثر مصادر التي تحدث عنه، وسامعي في فقه الحديث الذي سبب له خلال إقامته في مصر حيث كان يدعي كثيراً سحاق من الامام الصادق وروجه اسيله بيمه ست احسن الانور بن ريد بن الحسن السط (ع)، و صاف ي ذلك عوفيق بو عده في كتابه أهل سب بها كات مرحع لبرسح بن سليمان المرادي وسامعيل بن يحيى المزي وعده يه بن حكم الفقيه مالكي وعبره من فقهاء مصر في الحديث والفقه الى كثير من الامثلة التي تؤكد ن اشبة وأمثهم كانوا من أعى مصادر في جمع مواضع للإسلامة وعس صبه وثيمه مصادر لنفسه التي انتشرت في تلك الفرة من تاريخ المسلمين، وهم وقرو بحرم وصلابة في وجه تلك عده التي سخدمها اكمون ولشعوبيون لتشيويه الاسلام وسيطره على عموم والمول التي كانت تحفظ وسدر للانفصات ولثورات صدمهم بين الحين والآخر

ومن يذكر محمود إسماعيل في كتابه عركاب سره في الإسلام ي ب البيت كانوا يثبون أقوى أحراب عارضة سيامة ع كمين من حيث سبهم لقضية عده بالمشهور الإسلامي كما كده الإسلام وكاب من أمر دعواته، ومضى يعو إ ب آت لبيت كنو أفند المسلمين عن فهم الإسلام وكثرهم إحصاء

(١) تاريخ العرب ص ٧٦

(٢) أنظر ص ٥٩١ وما بعدها من كتاب أهل البيت لتوفيق أبو علم

لمبادئه وأشدّهم حرصاً على تطبيق تعاليمه، وقد ورنسوا مباشرة النضف في الدين ولاخاطه بأصناف العلوم من إمامهم الأول علي بن أبي طالب، ولا سبل لإسكار بعضهم الطويل في البحث والاطلاع على كافة فروع المعرفة والافادة بها في خدمة قضيتهم^(١)

ولعل الباحث المصنف من خلال مواقف الأئمة وشيعتهم وقضيهم قضيتهم لعدنه بمهمومها الاسلامي يدرك أصالة لتشيح انسي رافق مطلع الدعوة الإسلامية ولم يحرف لا نقادته ولا بتعاليمه عن خطورتها ومضوئها في جميع مراحلها وحتى في أحدثك لأزمات التي كانت تعترض سيرته لانه كان يجسد الاسلام كدياً وستة من جميع حواسه برعاية الأئمة من ثورة الرسول الذي كان فيهم كلمته المشهورة: إني نرك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيي، ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، ولن يفترقا حتى يرثا علي اخوص.

لقد تحولت لثورة التي قادها وحمل لواءها الحسين بن علي (ع) ضد الأمويين الأوائل وعلى رأسهم حفيد أبي سفيان دعاه الشرك والنوئية وانطفاها، تلك الثورة التي شهدت إبادة عظم فعدة من قوع الكداح وأخصص كتبة من كتاب الجهاد، لما تحولت إلى ثورة فكرية وروحية قادها الامامان الكفر والصادق (ع) بعد ان وحدا لاسلام ورسالة بيي الاسلام آبه بيد المحرمين يستحسبون لخدمه الجاهلية السامحة، ورجالات لاسلام وفهدهم قد تطوعوا لخدمة الحاكمين في زهد وتعبد وعمة وحشمة ليس لها أدن حظ من اصدق واشرف، وبعد ان وجدا ساحة اسدفاع عن الحقيقة والعدل والحرية ولالاسلام اخق خالية مصممة الا من سامعين واجلادين والعترون التي تتعبد للعلس والبطن

لقد تحولت تلك الثورة إلى ثورة فكرية وروحية تولى قيادتها الأئمة (ع) وشيعتهم لاوقياء تعاليم الاسلام ومبادئ الاسلام التي يجدها التشيع ووقفوا ذلك الموقف الحازم في وجه تلك الهجمات النوئية التي تبس ثوب الاسلام والتي هي أشد حصر على الاسلام من سيوف المشركين والنوئين في يسر وأحد والاحراب، يعرضون الاسلام ومبادئه بسجاهير المسلمة على حقيقته ووقعه بعيدا عن تحريف الملحوفين وتشويه المشوهين وعبيد الخاكيمين من الفقهاء والمحدثين، الاسلام الذي يلعب النظم والاعمال وسوعدهم بالعداب والحقيم كما يلعب

(١) انظر ص ٢٧ من احركات السرية للدكتور محمود اسماعيل

الساكنين وتعاونيين في القول والفعل وحتى انه يعبر الساكنين عنهم من حرس الشياطين

ان الاسلام الذي يضع عن الحكامين وأعوامهم مسؤولية جورهم لاهلها لم تصدر برادتهم وممرضة عليهم كمن ذهب الى ذلك اعرسة ونساء المحدثين والفقهاء والأشاعرة الذين حاولوا لتهرب من اجبره التزموا بالكسب اي بوجود ارادة للاتباع حين العمل ولكنه مع وجودها يفعل ويصنع كل شيء بإرادة الله سبحانه، والاسلام الذي يرجى الحكم عندهم ان يوم الحساب ويصنعهم بالانحياز والنقوى ويعددهم برصون لله ومعرفته، والذي يدعوهم الى الكهوف وليس المرفعات وامانة لحسد بالخروج والتعذيب يصل الى مرتبة الله مع انه او الانحياز به مباشرة من غير حاجة الى لانبيا ورسالاتهم وما الى ذلك من الافكار والآراء التي راجت في اوساط مسلمين بعد ان مهد لها لحاكمون وعملوا على شيوعها وانتشارها، هذا بلاصافه الى عدائه اصحابه التي ليست بأقل خطراً من غيرها

هذا النوع من الاسلام كان الائمة يرويه اكثر خطراً عن اسلام محمد وعبي (ع) من جور الحكامين وسوء المشركون لانه اذا استمر في طغيانه يحتل المعول والقنوت ويوفر أسباب السقوط على العهد وانحكم في مصير الأمة ومقدرها وطاقتها

نقد وقف الائمة في مقابل هذه التيارات الخبيثة يجسدون الاسلام بصورته المشعة المصينة التي تحدد للحاكمين صلاحياتهم ومسؤوليتهم وتقدم لعدالة بأرواح صورها وأشكالها متمثلة في مساواة بين الحاكم والمحكوم في الحق والقبول وتنمطي الأمة الحق المصون في اسرقبة الوعينة التي تنطلق من مبادئه وتشريعاته حتى اذا انحرف الحاكمون يكون هم بالمُرصدين الى ما هناك من مبادئه وتشريعاته والانظمة التي تكاد الائمة يجسدونها في أمواتهم وأفعالهم في جميع الأحوال والمسببات

نقد عيش الائمة أزمة من أعنف الارمات الفكرية والاجتماعية في ظل الحكامين الأموي والعباسي حيث فقد الحكم عمق أصابته انسانية ونجود عن انصيعة الملائمة بالاسلام وتكشف عن صلب عصوص في الوقت الذي لم يبلغ الشعور انساني بين العالوية العظمى من المسلمين مرتبة تمكنه من التغلب على العثرات واستغل ذلك الارسالك ناس من محربي الحياة والعبور ليمتجروا بالحق واليسين وأكثروا من البدع في الاسلام وبخاصة بعد تغفل الشعوبيين اسدين حملوا لفلسفة لصيبي

واهندوسية واليودية ولانوية وانيونانية ومعتقداتهم وترجوهو، إلى اعربية
 هبرت في اوساط مسلمين وتسربت إلى عقولهم وقلوبهم وظهر من آثاره عدد كبير
 من التريفة والملحدين بصعور الشكوك والشبهات حول الاسلام وما جاء به من
 اصول وتشريعات، في هذه الاحواء المتأزمة والمتحيرة بالافكار والآراء العريبة
 وقف الإمام الباقر والصادق وتلاميذه الذين نخرجوا من جنمهم من البيت الذي
 رحل اليها آلاف الطلائع والعماء من مختلف العواصم والاقطار، تلك المواقف
 الحادثة يدفعون ويواصلون من لاسلام ومبادئه وتعاليمه ويدحضون شبهات
 المدعين والملحدين بالاساليب العنمية التي ترددهم على أعقابهم حاسمين

وكان من الطبيعي لمواقفهم تلك التي وقعوها في معاش تلك الثورات العريبة
 الدخيلة لي اظهر اصحابها الاسلام ويطروا على الكفر والحريه والالحاد، كان
 من الطبيعي ان تعلق مرفقهم اولئك انظمة الدين استعبر تلك الثورات وما نجم
 عنها من التصليل ولارتباك التمكري لإنشاء الخيبر عن واقعهم وسببستهم التي
 احاطوها بأسوار من الصعظ والارهاب، وكانوا يدركون ويعلمون ان الصعظ
 والارهاب وحتى لعتل الجماعي وكل نوع العسف والحدود لا تحيدهم شيئاً ما دامت
 العقول والافكار وقلوبهم تعمل وتفكر وتراقب كل تحركاتهم وتصرفاتهم، وهم
 يعلمون ان لسيوف والسجون والسموم لا تقضي على الافكار والعقول ولا تحجب
 الاشعة الخيرة المطلقة من افكار المصلحين وعقولهم مهي اثار وحشدت حوهم
 من انصار والضاب

نجد كاد الأئمة وشيعتهم في حرب فكرية شرسة مع تلك الانحرافات
 ومحاولات التعبير والتشويه للاسلام من قبل الحاكمين وجنودهم من بعض الفقهاء
 والشموس والمحدثين، بذت كاد كل من يتولى الحكم منهم يتحده بكل امكانياته
 لمقاومة الامام المعاصر له ويعمل بكل ما لديه من وسائل للقضاء عليه وعلى
 الاصوات الخيرة التي سطلت من حوله بالدعوة لاسلامية الصريحة بما فيها من
 الافكار الثورية التي كان الأئمة بكل الاساليب يعملون على تركيزها في أعين
 القلوب والنفوس من خلال مواقفهم اسلبية من الحاكمين وأعوامهم وتحريم التعاون
 معهم لتضييق دائرة مؤيديهم كما يبدو ذلك من خلال دعوتهم المتتالية إلى العدل
 كقولهم العدل احسن من الماء بصيبه انظرون، وقول الامام لصادق (ع) في حديثه
 عما يحتاجه الناس ثلاثة أشياء يحتاج اليها جميع الناس العدل والعدل والخص،
 وقوله: فصل الملوك من أعني ثلاث حصل الرأفة والحد والعدل، ولا يجوز لهم

ان يضطر في ثلاث في حفظ لشعور وتفقد الخطم وحتار اصحابه لاعمالهم،
وقوله لعدم الظلم وراحي به وعين له شركاء، وقوله ان عوان الظلمه يوم
القيامة في سردي من ما ، ان كثيرا من مواقفهم لصريحه انه صرح من الحكم
اعطاهم الذين كانوا يجرمون العدو معهم ويدعون ان محظيهم ولاجهار عليهم
من غير ان سمعهم بسماعهم حتى لا يستغل خباياهم ويسعد الشعوب وينصي
على مصالحه لانه وكرهه

وكذا من سيحة مواقفهم من المحررين وعور الحاكمين من العقلاء
والمحدثين والشعوب الذين كانوا يحاولون بثوبه الاسلام وحق ندوات اشوبه
فيه ، وسيدهم بالظلم والفساد وعدم السماح لاحد من اصحابهم بالتجاوز
واستعمال معهم ، كان من نتيجة ذلك انه ان تعرض لائمة وشيعتهم للاضطهاد
واشتريد وسحبوا نظمهم وعمل بمحتجب الاسلحة ، ولكن اماليه اعنف هذه
انني سمعته الحاكمون باسم الاسلام لم تكن باقل عدوا من الاساليب التي
استعملتها حذرهم مع مؤسس تلك بانيه التي بعهد انتشيع وقبادة لتشييع
بمحاييه من المحررين والعدائين ، وكما لم تستطع تلك المقاومة العقيمة ان تحجب
انتشيع خطر تكريم الذي انطوى من محمد رسول (ص) ، لم يستطع ظلم
الاحقاد ان يحجب وهو في رغبة ابناء الرموز والمدرسين لخطاه من شيعتهم
واتباعهم الاوجه

وحصل ائمة شيعه على صمودهم في وجه تلك الاحداث والهجرات اسوئية
انعائية التي خبعت ثوب اشرك واثوئية بسببهم ثوب الاسلام بعد ان وجدت
ان مهادنة الاسلام بهذا الثوب اجدى لها واكثر نفع

ومحسن لقول ان ائمة الشيعه وشيختهم كانوا محسبون بسلام محمد (ص) كما
جاء به من بعد ذلك ، ان الاسلام الذي ظهر من بعده الحاكمون لانه يدعم
عروشهم ويمكنهم من السط على الشعوب ومفسد بها فهو من لاحداث بظارته
وقد ظهرت بؤره بعد وفاة الرسول مباشرة وراح يتسع وينتشر كما نشاء له سياسته
الحاكمين الذين وجنوا حولهم اكثر عدد من مسعين يدركون خطورتهم خوفاً
وطمعا ويمسرونهم بصوص الاسلام بما يحبون ويرغبون وتصرفه ببيستهم
المستفيدة من وانهم لا من واقع الاسلام ، في حين ان ائمة الشيعه وشيعتهم مد
الراحل الاولى بحلافة الاسلامية التي بصفون حكامها بالراشدين كانوا يعرضون
هذه الاتهام ويعشرونه بديه لحمله جديدة لاعداءه لروح اخيهية التي حارب

الأمويون الاسلام من حلقها وظنوا يحاربونه حتى سباه عهدهم تحت ستار الاسلام،
 هذا الاتجاه كان الشيعة وأئمة الشيعة يحاربونه محرم وصلاية ويتحدون للحاكمين
 والمرترقة من أعوامهم عندما يرون بصوص الاسلام تتعرض لسجور والحريف من
 أوثك المروقة بديلة لرحبات الخلفاء وولايتهم.

ومن لأمثلة على ذلك ما جاء في مروج الذهب للمسعودي، ان أبا ذر
 العفاري رحمه الله حصر في بعض عجائس عثمان بن عفان وفيه كعب الاحبار وعبره
 من مرويين. فقال عثمان أريتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال له كعب
 الاحبار. لا شيء عليه يا امير المؤمنين، فسفع ابو ذر في صدر كعب الاحبار وقال
 له: كذبت يا ابن اليهودي، ولا الآية: ﴿ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
 المشرق والمغرب﴾.

لقد قصد عثمان بن عفان بسؤاله هذا التعريض بأبي ذر الذي كان يسدد
 بإسراف عثمان وحاشيته واستهتارهم بمقدسات الامة وحقوقها وكأنها من متروكات
 أنائهم وأمهاتهم. وقد أراد أبو ذر ان يقول له ان مجرد ذلك لا يكفي ما دم يستعمل
 أمور المسلمين ومقدسات الامة لمصالحه سرته وحاشيته لئلا يعثرون بحقوق
 العباد وكرامتهم.

ودخل عليه بعد رجوعه من الشام وعنده كعب الاحبار وجماعه من أهوايه
 وأقربيه وقد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف فصب الدر حتى جالت بين
 عثمان وبين المرجل الصائم، فقال عثمان اني لأرحو لعبد الرحمن خير لأنه كان
 ينصني ويقرني لصيفي وترك ما ترون، فقال كعب الاحبار صدقت يا امير
 المؤمنين، فقال أبو ذر لعص وصبرت بها رأس كعب الاحبار، وقال يا ابن
 اليهودي تعول لرحل مات وترث هذا المال ان يله اعطاه خير الدنيا وخير الآخرة
 وتقطع عني لله بذلك، وان سمعت رسول الله (ص) يقول ما يسري ان اموت
 وأدع ما يرن خير ط، الى كثير من مواضع ومواقف عجز بن ياسر وعبرهما مع الخبيثة
 وحواشيها للمرتقة والمافقين كأبي هريرة وكعب الاحبار وأمثالهما ممن تقمصوا
 لاسلام خدمة اعاهية خدسه التي لا تخلف عن جاهلية بن سفيان وأبي جهل
 الا بالشكل والمظهر، وقد قدمنا في هذا الفصل من العرض لوسع للمرحل التي
 مر بها تشيع والاسلام من الكسب والهجيات الشرسية، وبما قدمه أئمة الشيعة

من الخدمات الخالصة والنصحيات التي لا تسعها المكاتب حد من غيرهم في مختلف الميادين الى غير ذلك من جهات خاصة التي امتازوا بها على غيرهم من المسلمين، هذه النواحي بمجموعها قد ساهمت في بقاء وتشجيع حياة قويا يتحدى جميع تلك الصعاب والخصوم وجنودهم واسلحتهم المختلفة التي استعملوها لتشويه وطمس أصوله ومبادئه، وسيبقى حيا قويا مشرفا يتحدى جميع المحجمات ومن اصنع الوجوه التي تعبر عن الاسلام الى ان يرث الله الارض ومن عليها، لانه يستمد اصله وقوته من اسلام محمد (ص) وبجسده بكل قصوره ومرجله وكنوزه، ولم يكن كغيره من المذاهب العقائدية والفكرية التي استمدت وجودها وقوتها من انفاكمين وتخرج دعائها وقادتها من قصورهم ومن على مواثيدهم وحسدوا لها كل امكانياتهم المادية ونسبية لشططهم ان نهض وتثت في مهابل أئمة الشيعة وشيعتهم لذين تخرجوا من مدرسة محمد وعلي (ع) لا من مدرسة ابي سميان ومعوية لي كان ينشد ابو هريرة ومرة من حديث وكعب الاحبار وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري وغيرهم من المثبات الذين جسدتهم الامويون لمكذب ولافتراء على الله ورسالاته

المراحل التي مرت بها الانتفاضات الشيعية

لعل أول ثوره في الاسلام ضد الحاكمين كانت لوضع حد للتسلط الاموي في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان بعد ان تسم المروانيون والامويون السلطة في المدينة وعبرها من لقاطعات وامسب هو مروان بن الحكم وانصارهما استبداد لم يعرف له المسمون نظير في عهد الخيفتين من قبله وكان هذه الثورة بالرغم من اشتراك المهاجرين والانصار فيها الطابع الشيعي بنظر اكثر المؤرخين واسؤلين وسبوا حيوطها لعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء الذي حترع فكره لوصاية علي (ع) كي يزعمون، وراح مع ذلك يتجول في الانصار يحرض الناس على عثمان حتى توافدوا على المدينة فقتلوه وبادعوا عباً، وأصابوا الى ذلك به ظل الى جانبه في معركة البصرة كاداه بالتحريب و لعتنه عن حد تعبهم، وذهب في طريق الصبح اسبي كذا ان يتم في البصرة بين الفريقين لولاء ونهى دور ابن السوداء المزعوم بالرغم من ظهور معاوية عن مسرح انسيامي معروض لعلي (ع) ولجند المعارك بشكل أشد شراسة وعنف في صيفين وم يعد لابن السوداء على لسان المؤرخين ذكر فيها، وكان دوره المزعوم قد انتهى بمصرع عثمان ومعركة البصرة، ونحن نؤكد بأن الثورة النصيبجية التي انتهت بمصرع عثمان واحتبار علي (ع) بإجماع المسلمين للاحلاقة من بعده كان أعباء عليها الصانع الشيعي بالرغم من اشتراك جماعة من المهاجرين والانصار بها ووجود انعمهم الاسلامية الذين استمرتهم سياسة عثمان وظم ولاته وامرهم في المكوات والاستغلال لموارد لدولة، بالرغم من ذلك فقد غلب عليها ذلك الطابع لان عمار بن ياسر وأبا ذر وغيرهم من الموالين لعلي (ع) كانوا أكثر حماساً وتصلباً من غيرهم ضد الاسعراف والتسلط والاستغلال الذي

ر من خلافة عثمان من المروانيين وبقية الامويين وأبصارهم

لقد وقف عمر بن ياسر وأبو ذر العفاري يحرم وصلاته ضد المتسخط انقرشي
لدي كان يعثر السود بسدا نفريش، وقادا حركة الثورية ضد الخليفة وأبصاره
بعد ن عشوا بكرامه لامة واستأثرو بأكثر مراكز الحساسه واستهتروا بالدين
والمقدسات، وكان ذلك من برر لاسباب التي حدثت نوحه انقطاعات والمعواصم
الاسلاميه في الصحراء الواسع لصلالة خليفة يصحح م فسدته بطلاته او تنازله
عن خلافة وسلميها لمن يرضيه الامة وتنظمش ليه، وقد درك الامويون وعى
رسهم معاوية بن عبد الله الأبحه وأدركوا بن جانه ان حليفهم لرو استجاب
طلب المعارضة ومات عى فرشه او تدرن عنها ستتهي ر عى بن ابي طالب (ع)
مخضم الحيد لابي سعيد وبيته وم بعد للامويين وسيلة لمطالته فيها، فراحوا
يعملون لعقد الامور وباريها لكي تنهي الامة بن م انتهت ليه ويتاح لهم
استعمالها لمصلحتهم كما حدث بالفعل.

وطن عمر بن ياسر من كان يري دانه كأي در م بن مسعود وعبرهم بمسكين
بوماء اشوة ويلاحقون عثمان وخواشيته من الامويين وعيوهم، وقد تولت أخذ ثهم
ودرك ذلك أكثر مسلحين في مدينة وحارجه، ويوجد سلمون ان الامور سير من
سوء بن سوا وبحاصه عند استعمل حاه بوليد بن عتبة على الكوفة وبن ابي
مرح سبي مصر وودع الامويين والأروع من بني حكم عى الامصار كك كك
محظوظ به مستشاره لار مرون بن حكم وتنت لاجبار من مديته وبقية
الامصار باستهتار حواشي الخليفة وولاته بمبادي، لاسلام واستعلاءهم موارد الدولة
وشاعت حيا بوليد عى كك لا يترك الخمر في ليه وسهارة به قد صلي اساس
صلاته لصبح اربع كعات وضوع في الحرب، ثم كتبت الى من كك حنقه من
مصلين وقال ريدكم ان ستم، وكك مع ذلك يجمع ان، ل، حرة والمشعودين
ويدعو اساس بن محاسهم بسد عليهم عمائدهم الى عر دسك من انكرات
ولاستحفاف بالدين وحقوق المسلمين.

وجدت لأمور تسر من سوء ان سوا في مدينة وحارجه، بعد ن وجد
المسلمون كل ذلك واستعرضوا لأوضاع بعامة عى صوره م تجري وب يقوم به
تلك الصعقة حكمة من استهتار بالقيم والمبادئ لكك الله وسه سوله وبعد
الساور فيها يجب اتخاذه لعقبا عى ان يرفعوا كك عثمان مصفته سؤوان الامن عى
كك ما يقصد من اسرته وعياله معمر بالاراء التي لاتقبل مراحمه، وتوى عمار بن

ياسر تسميته لكتاب، فلم سلمه اليه وفراً شطراً منه سألته عن بقية الخوفعين عليه، ورد عليه عمار قائلاً: لقد تفرقوا حول منك، فقل له: ماذا فعلت عني من بينهم؟ فأجاب: لا بي أصحابك، فقال له عثمان: كذبت يا ابن سمية، فرد عليه بقوله: والله إن أمي سمية وأبي ياسر، فأحسن عثمان بوطانة حوانه وبك يعنيه فتناول عصا وصرب به عمار من ياسر وأمر عثمانه فطرحوه واسحق عليه يرفسه برجيه على مداكيره بقسوة لا يعرف الخفق أثر من منها حتى أصيب نفس ورصوص في يده وغاب عن الدنيا فأمر عثمان من عمار عثمانه باخرجه من الدار فأخرجوه ولقوه على جانب الطريق بجاذبه بيت أم المؤمنين أم سمية فحملة جماعة من المسلمين وادخلوه بينها، فأنكرت هذا لتصرف وجعلت تسعصر موقف عمار وجهده في سبب الاسلام وصلاته المثبة برسول الله (ص) وثأمه انبائع عبده، وحيثما بلغت أخباره عائشه اخرجت ثوباً من ثياب رسول الله (ص) وقالت بحضور حشد من المسلمين هذا ثوب رسول الله لم يمس وقد أمس عثمان ستته، ووقف منه نفس موقف مرة ثانية حيث احد سقط من بيت مال مملوء بالخلي والمجوهرات وورع ما فيه عن سانه فأنكر المسلمون عليه هذا التصرف الذي لم يمهونه من سبقوه، ولم يلبه استنكار المسلمين هذا اتحدني السافر لشعورهم بحظ اناس وقال: انا سأحد حاجب من هذا حال وان رعب أنوف أقوم، وكان عبر المؤمنين (ع) حاصر وعن انكر عليه هذا لاسراف والاستهتار بمعدرات الامة فقل له: قمح منه ويحال بينك وبينه، كما رد عليه عمار بن ياسر بقوله: ان أنهي لأول رعم مر ذلك، فقل له عثمان: أعني يا ابن سمية تخزي من بينهم، وأمر عثمانه فمالوه عليه سياطهم وحمل مروان محرصه على قتله ويقول: ان هذا العبد لاسود هو الذي يجرى، عليث الناس، فقام اليه وجعل يرفسه برجيه حتى غاب عن الدنيا، وثأف من عشته جعل محمد الله ويرقد ما كان يلاقه من أبي سميان وأبي جهل وغيرهم من حاضرة هريش الذين اذقوه كل انواع الآدى والعداب لانه من برسالة محمد وسد أصنامهم وأرلامهم وأصرف الى عباده الواحد الاحد الذي لا شريك له ولا ولد، وبشارت بين موفهم منه ومواقف عثمان والحلادين من خلأورته وما يلاقه منهم من التعذيب والتكيب لا شيء الا لانه يضال بنصيب العدالة لبي فرصها الله وسكر على الخيفة وحاشيته يسرفهم في سدير الامور واستهتروهم بالقيم وبهدسات وكرامه لاسد

لقد تذكر في تلك اللحظات التي كانت تنهال عليه فيها سياط عثمان وعثمانه

كل ما قساه من حيازة قريش وفاء ان هذا ليس أول يوم أودينا فيه من اجل
 الاسلام ومبادئه الاسلام، ان عمار بن ياسر لم يستغرب ما يلاقيه هو ورفاقه
 الاحرار من احقاد أمية وأبناء الحكم طريد رسول الله (ص) لان الاحقاد يومذاك
 قد استعملوا الاسلام لتحقيقوا بلاجداد الاماني ولاهداف نفسها التي حاربوا محمدا
 وعديروا اصحابه من اجلها، لذلك لم يجرع عمار بن ياسر لكل ما اصابه من الازي
 وأعلن استمدهه لتحمل ما هو اشد وأقسى في سبيل الاسلام بقوله: ليس هذا
 بأول يوم أودينا فيه من اجل الاسلام

أبو ذر الغفاري

وكان من الطبيعي أن يتحرك الصحابة الذين رفقوا بعمر بن عبد مناف في جميع مراحله مع لاسلام وسعوا ما قامه الرسول فيه وثناءه البالغ عليه لك يلاقيه عمر من عثمان وعثمان وأسرة وأبستهم وأن مستمرهم ذلك لعمالة لاصحاب الرسول الاوهياء لرسائنه وتعاليمها بالاصحاح الى ميقات حواشيه ونحوه، ومع كل ما حدث لعمر بن يامر فلم يحسن لسياطهم ولا لوعيدهم واستمر على موقفه من تلك اسطفة لتي تحت بحيرات ابلاد وكرامه الاسان مستعنه عهد الخليفة وصعده، يقتصمون ما كان الله قسم الانل نية الربيع كما وصفهم امير المؤمنين (ع) في خطبته الشفشفية بقود المعصية والى جانبه ابو ذر الغفاري رحمه الله وكان من احلاء الصحابة واحياءهم المغيرين الى اسرصول (ص) بعد ان تجسدت فيه جميع طوائف لاسلام وعناصره ومقوماته ووعى حقيقته وواقعه، وكان من السابقين الى اعتناقه والخاصين في الاسلام كما جاء في طبقات ابن سعد، وحيث تجاهر بالاسلام تعرض كغيره لسياط القرشيين وتعديههم حتى كاد ان يهلك من ذلك كما جاء في مسند احمد وجميع الروائد، ولكن ذلك لم يغير موقفه من لاسلام وظل كما ورد الجبار يتحدى قرشا ومبطلهم، وراح يدعو قومه الى الاسلام ويحجر الاصنام ولاوثان، واستجابوا له، ومضى في طريقه صادق في اسلامه سحيا في البذل والعطاء من اجل الاسلام، راعيا في الدين ومفادها ويحيها وهل فيه رسول الله (ص) ما اطلت الحضرة ولا اقتب العبراء اصدق هجة من ابي ذر، وقال فيه من سره ان ينظر الى ربه عيسى بن مريم فينظر الى ابي ذر كما جاء في سنن ابن ماجه، وكان احد الثلاثة الذين احبهم الله وأمر نبيه بحبهم كما جاء في مجمع اسرورائد، وحيث عهد النبي

(ص) يعني (ع) بخلافه كان في صبيحة الديرمين بها والمولدين لعلي واثناعشر له
والعاملين عن انتشاره واتزام المسممين بها وظل على ولائه وبيعه به يرمم خطه
ويتهل من علمه ويلزم شوجيهاته، بسلم من سام ويعادي من عادي لا يهجم الا ن
يسير الاسلام في طريقه الصحيح السليم وتسمع رفته في انحاء هذه الدنيا

وم يحدث لتاريخ عنه ساءه معرض لاحد خلال خلافة الشيعيين اب بكر
وعمر مع به كان يراهم من لعاصي، ولم يكن ذلك الا لان عسا (ح) كان مسنا
هما ما دامت الامور يسير في طريقها الصحيح الى حد ما ولا اسلام يسير بحظي
صريحه خارج الحار تتحدى اعنى حذره عصمه وقواهم عدد وعاداً وفي مثل
هذه الظروف كان يرد ويعمل عن توفيق الهدوء في الساحل ويرى ذلك من
الضرورة لكي تتوفر جميع الجهود نحو الاهداف الاصلية وتصدير الاسلام الى
جميع انحاء العالم سعاهلا حقوقه الخاصة وما حقه ايدي لقوم معه ومع روحته
بصحة لبي (ص)، وكان يردد في محاسن مع العامة والخاصة والله لأسأل ما
سلمات امور المسممين ولم يكن جور الا علي خاصة.

ولما تنقبت خلافة ن الامويين حسب التخطيط المرسوم لها صد وفه النبي
او فيها استعلاها الامويون بصيحتهم ورواحو بعثوا بحراب بلاد وحقوق اعداء
واسخدموا لاسلام الخدمة اجهلية وهداهي، ورأى العقاري ومن كان عن رايه
صاحب عن الشرعي في الخلافة يتدمر ويتنوى من تلك لصاهرة احديده
والاوباع لقاسدة ابي توشك ان تعيد حقه ابي سفيان واي جهل وأمية بن
عباد وعمرهم من قادة قذش، وسمع ان سفيان حين انتهت الخلافة الى سليمان
أمية يخلف ببلاد والعرب ان لا حبه ولا بار ولا حساب ولا عذاب وسادي قومه
ان يلقوه كما ينقفون الكرة ليعود ن صبيحتهم أحماد أمية وحكم ظريد رسول
الله، لما رأى إمامه تلوى من تلك الاوضاع ويصبح عثمان وحاشيته ن يعودو الى
رشدتهم ويسروا ولو بسيرة من سقتهم ورأى اقوام جديدين معززين في غيرهم وصلاحهم
وسنتهم بهم ناهيهم والقديسات وقف منهم موافقه شهيرة يطالب بوضع حد
بدهور اندي تنهت ليه الامور والعدالة الاحتشاعه واحتفاظ بأموال لدولة
لصحة مسلمين ولعمل على ازالة شبح نبؤس الذي حيم على كثر انكاث ورح
يدعو الى شوره لتصحيح ما أفسده الحاكمون وإحياء انظام الاسلامي الذي بعصي
كن سدان حقه بنون سواء ومحبة ولا يفرق بين الحكم والمحكومين ولا بين
قريب ولعيد ومطر الى الناس، جميع الناس، من خلال اعينهم وخدمتهم وم

يقدمه كل فرد لأمنته ومجتمعه لا من خلال أنفسهم وأسياسهم

بعد أنكر أبوذر رحمه الله على أولئك المعصين في الطرف والشدح ولاسيما
بالتقييم وحقوق الصادق ، ندفع بوجهي من عقيدته ووعيه بواقع الاسلام ومبادئه
وعاليه يندبهم داعياً صحتهم لرسول ورفقه في الجهاد والتصحيبات ان السقوط
صف واحد في وجه ذلك التيار الجاهلي من مثل تلك العصبة الحاكمة بالسوء كما
لاقاه هو وعلماء بن ياسر و بن مسعود من لعنت واخو والادى الذي اودى بحياة
بن مسعود وكاد ان يودي بحياته

وحول مواقف أبي ذر ورفاقه الارار من بن عفاق ورفاقه الحكمة قال سيد
قطب في كتبه « بعدة الاجماعية » ان صحبه في در كات دفعة من دعوات
السروح الاسلامي انكرها عليه اولئك الذين صدمت عقولهم وسوءهم ولا يزال
ينكرها أمشعهم من مضايا لاستغلال في هذه الامور ، ومضى يقول فقد كانت تلك
الصيحة بفظه صميم لم تحدره لاطمح هم قضجهم فاحش في انذوات يهون الجمع
الاسلامية الى طبقات ومخطم لاسس بني جاء هذا لدير لبقيمه

بعد مصي أبوذر في ثمرته على نظم واسطلمين غر هاب بهيديهم
ورعيتهم ولا يسياسهم التي كانت بها على جسد علماء بن ياسر وعنده من
مسعود ولا غيره من اساليب التعذيب والارهاب التي هيموا بها على اجمعهم
وكان يهبط على سوب اولئك النطعة الذين مكهم حينه عسر من خطابات من
السط على جميع مرافق الدولة وهو ذهب ويتروا لاية «والذين يكثررون الذهب
والفضة ولا يعقوبها في سبيل الله فشرهم بعدا ابيم» .

وبد شكاه مروس من الحكم بن عثمان ارسل اليه يهدده ويتوعده ، ولكن نفسه
المكسرة ان يحيى او يخفف من حيشه لتهديد عثمان ووعيدله ورجح يردد في
لمتحمات ان عثمان سرمد ان يبعي من قراءة كتاب له فله لار اوصي الله
بسط عثمان اخصب الي وحيه في من ان اسخط الله برصه

وقد ذكرت سابقا انه حضر يوما في مجلس من مجالسه فقال عثمان : أيجوز
لجميعه ان يأخذ شيئا من أموال المسلمين بقصبة حاجته ود ، اسر قصه ورده الى
بيت المال ، وكان يعرض تأبي في لانه كان يكر عليهم النصف وبلاعب بأموال
المسلمين فأسرع كعب لاجبار الى الجواب وقال لا رى سبب ساسا في امير
مؤمنين ورأى أبوذر ان سكوت عن كعب الاحمر يشجعهم على الدخول في أمور

الدين فخصه الامويين وهو من ينتهين في دينه واسلامه سطر اكثر الصحابة.

وكان يضع لاجبر اني تنفق مع مبول الحاكمين ورعياتهم وينسب الي
التوراة والكتب، لمدمة ولد واحد فيه اخاكمون معد عينا هـ السوع من الاحبار
قريبه وادسوه واعدقو عليه من امور المسلمين والمساكين فلم يستطع بود ان
يسكت عن كعب لاجبر وهو من المنتهين في دينه واسلامه فرد عليه قائلا
انت وهذا، اتعلمنا ديت يا بن اليهودية، فاستند لعصب بعشاه وجعل يعكر في
مره وفي نوع العقوبة انني يمكن انراهم فيه وراح يستعرض انواع العقوبات التي
كان يستعملها مع غيره كاحد واخمس والقتل، ويسعرض في الوقت ذاته ترويح
في دروب له من المكانة لرفعة عند صيانة الرسوم على اختلاف نزعاتهم وميولهم
لدين كانوا يظنون اليه تنتهي الاحلال ولاكبار ويقدررون إخلاصه لاسلام
ولخصه مسلمين

بعد ان استعرض كل ذلك وأدرك ان حبسه وقتله يعجزان الوصف المشام
لغير مصدحته ومصدحة اسرته، فلم يجد سبلا أسير عليه من الخروجه من مدينة
التي كانت يومذاك كالركان هيا للانفجار بين حين وآخر، ولكن في اين ما ترى؟
فالعوصم الاسلاميه، الكوفة ومصر والبصرة وان كان حكمها من البيت الاموي
وأعوامهم، ولكن ان در سيحد بين سكان تلك لافطار أعداد كبيرة تدين بالولاء
لعل (ع) وسيلتمون حول بي در ويناظر منه وباناسلي ربما تكون النتائج سواء من
النتائج المترتبة على نقائه في المدينة، فلم يبق غير انشام الي احتتها الامويون مد
احتج الاسلامي وثوى ادارة شؤونها اشان من نولاد ابى سفيان يريد ومعاويه للذي
سنت فيها مسك الاكامرة ولقيهمه وحمل من المجتمع الشامي موثلا لسيادة
نقوشية والاستيثار الطغياني لذي يؤمن بمبدأ العقبة ومبدأ المساواة الذي جاء
به الاسلام

وقد رحل انبيهم معظم المرشيين الذين كانوا من طرار معاوية حيث وجدو في
المجتمع لشامي الذي أسسه معاوية ما يصبون اليه

وقد استنور عي لوردي في كتبه وعاط السلاطين وبعد لا نغلي اذا قل
ان انشام قد صحت في عهد معاويه هي العاصمة الحقيقية لدولة الاسلام
الناشئة، ويصح ان نقول ان معاوية صر آنذاك الخليفة الفعلي، وما يدل على
ذلك ان جميع من كان منهم عثمان وولاه في الامصار امحلته كانوا يساقون الى
معاوية ليرى رايه فيهم، فأودر وثوار بصره والكوفة سيقو الى معاويه وكنت

بودر الثورة على عثمان قد ظهرت في الكوفة، ومبنيها مباشر هو نصريح سعيد بن العاص الأموي والي الكوفة حيث قال: السواد سستان لقريش، مقام ليه أفراد من القبائل العربية يردون عليه ضائيق. اتى السواد في أمد الله عينا وما نصيب قريش إلا كصيب عرفت من المسلمين. وأحد جماعة من الأعراب يتدمرون من هذا الاستغلال وشاعون فكتب الولي بشأنهم ان عثمان فأمره ان يسفرهم الى معاوية بأشام فأرسلهم الى الشام ليرى رأيه فيهم

وأضاف لي ذلك ان رجلا من أهل البصرة كان متقشرا وهذا حرم على نفسه أمور أحببها الله لعباده واشتهر عنه انه كان لا يأكل اللحم ولا يرى لرواح ولا يشهد الجمعة فكتب الولي في البصرة يأمره الى عثمان فأمره ان يسفره الى معاوية بأشام. وفي الشام امتحنه معاوية ووجد ان لا بأس منه وأبقاه عنده، وهكذا كان بالنسبة لكل من يظهر بفكرة أو رأي يخشى لحاكمون من عواقبه عن سياساتهم ونظامهم الطغياني الذي فرصوه في عهدهم الجديد

ويبدو من ذلك ان معاوية كان هو المدير الفعلي لشؤون سياسة الاسلامية منذ ان حصلت السلطة في أيدي الأمويين، فكل من كان يتحرك لغير مصلحتهم أو يدعو إلى رأي جديد يساوي إلى معاوية ليرى رأيه فيه ويقرر مصيره، فادم يجد فيه ضررا على سياساتهم الجديدة أو كان يخدم نركه وشأنه وأمهاده عنده كما فعل مع 'نصيفي'، لأن 'نصوف' بما يحمله من أفكار عبادة تعاليم الاسلام وأنظمة من انفس الاسلحة التي توفر لمحككم الهدوء والاستقرار، ولذلك عدم راجع 'نصوف' خلال القرن الثاني بوسعة لشعوب اعداء الاسلام رحت به احكامون ويسروا له البقاء وانتشر، وان وجد معاوية يشكل خطرا على سياساتهم القائمة على الاستغلال الطغياني حارب بكل وسائله حتى الفكرة أو الانتفاضة وأن بالقضاء على صاحبها وبعده عن الشام قبل ان تنسرب إلى اصحابات ولافراد تنبئ لهم اشام مركزا وطيدا يسيطرون من خلاله على بقية الامصار عندما تدعو لذلك الحاجة

لقد كان معاوية يعمل لتوطيد أمره في الشام وجهته ولا يبالي في الامصار الأخرى، من كان ينسى ويعمل لانتشار الفوضى وللشعب فيها حتى لا يتفقو بعد عثمان على احد لاسميا ون الانظار كلها كانت متجهة نحو علي بن ابي طالب (ع) نحو الولد لقرشيين الذين وتروهم بأسيانهم وأحداهم في معركته مع بني (ص)، ولعل، باحث في أحداث تلك الفترة وما رافقها يجد أكثر من دليل على ان

معاوية بن أبي سفيان كان من ورء تعقيد الامور وتولاهم ثنته في الشيعة بني
 مهت اليه، وانه كان على انتصار دثم عمرو بن حكيم القابع بجانب عثمان
 يصرف الناس بعضهم ببعض، والساسيون في كل عصر اد حطمو ما انتفاضة
 شعبية لا يورعون من استعمال عملاتهم لاريم حوقف اذا كان يحكم مصالحهم،
 وفيها في حث عقيم والسياسة لا دين ها ولا مدأ وقد ادرك معاوية ان حل
 لازمة يسطرو سلمية ابي كان يصعب علي (ع) لا يخدم القرشيين وسكوب
 لتنازع بعد صالحهم، لانه عثمان بن عفان كان يومئذ في حدود سبعين من عمره
 واصحابه هذ السن ينظرون بوث ساعة بعد ساعة، وعندما يموت ابن عفان على
 فرشه يسوف لا يتردد احد في حير عي من بي طاب ها ولا يحد هو ما يبرر
 معارضة و مطانته به لاسيما به وابه من اشد عدااء لاسلام، و سيموب كنهم
 يعرفون ذلك، ومن يصعب على رجل حارب الله ورسوله مع هذه واسرته كثر من
 عشرين عام ان يصح خليفة لرسول في حربه بعد زمن قصير ما م تسافر به
 ظروف غير اعيادية

وحاء في كتاب بي در لعفاري لعبد الحميد السحار ان معاوية رد عثمان
 بان شداد لشورة عليه فصحه ب بقس عدياً ووطحة والسرير وقال له : اذا لم
 تقنهم سيسبون فرفض بصيخته، وذا اصر على رفضه دل به معاوية بجعل في
 حجر وطلب سمك د قست، فاجابه في ذلك واعطاه ما يريد

وهذه بروية تؤكد ان معاوية كان يدرك مدى لفائدة ابي سبيحيها من مقتل
 عثمان على يد الثوار وانه كان يسعد عن قتله بواسطة مروان بن الحكم وعبد
 كان يسرب عثمان كي يربدون ويعملون عو تاريم الموقف وتعقيد ليهي نفس
 عثمان كم كان يحطط له معاوية بن ابي سفيان، وعنده قتل وانقصى حدود السمة
 ارسل له الامويون في المدينة قميصه واصابع روحته وعبد وصوبه وصعبي عن سر
 وحمل بده ويقول لشاميي : قد قتل بكم مظلوما، واجمع حوله سامس
 يكون ويسبون، واستعن معاوية الآس العربيه، وومن قتل مظلوما فقه حرك
 لوليه سلطان فلا يسرف في القتل، وراح يطسب بدمه من علي ر، فكان هذه
 المصير من برر لاسباب لتي اوصلته في خلافة، وم يحث السريح عن قميص
 اشترك في تأسيس دولة كما حدث لقميص عثمان بن عفان.

ومهي كان خال فتقد رسل عثمان بن عفان ب در اي الشام يكون تحت
 رقانة معاوية كي كان يرسل اليها عمره من عتيدي سيمسه وسوكه وسبوت عماله

واسر قهم في لبعي والمنكرات، وفي الشام وقف أبو در رحمه الله من معاوية الموقف نفسه لذي وقفه من عثمان وحاشيته في المدينة، وأنكر عليه وعلى الحرب البصري الذي أسس فيها عهده الجديد أمرهم في استغلال عبود بلاد واستنهاهم بالقيم ومبادئ الإسلام ثم ترويه تحذيرات معاوية وسبأه ولا تحبسه المنظمة وحارب معاوية تحذيره بالأموال، فأرسل إليه كفي في روايه بن لاثير ألف دينار مورعها على البصرة في صحبه للينة التي قصصها فيها، ولما صلى معاوية صلاة الصبح قال بلرسون بني ارسب معي اذهب لي بي در وفل له العهد جدي من عذاب معاوية فانه ارسلني بسلع لي عرك وقد اخطأ وسلمه اليك، ولما حضر من معاوية قد استغرب من أبي در فيسونه بلمع ورد ان يعرف ما اد كتاب قد حره نفسه ليحارب تحذيره وشراءه بملأ كيا كان يصنع مع غيره، او به العهد على الفقراء واحتاجين ليبحث عن وسيلة اخرى لاسكاته، ولما ذهب اليه برسول قال له ارجع الى معاوية وقل له لم يبق معي من ضاميرك شيء أحرب ثلاثة أيام بكمي بجمعها بك، ولم ارجع اليه برسول وأحربه بمقالة بي در ادرك انه ليس من أولئك الذين تغريهم الأموال ويتأذلون عن مبادئهم من حلف وروح يبحث عن علاج حره يعالجه به، وفي الوقت ذاته استمر أبو در رحمه الله على موقفه انقصب من معاوية وحربه، ولما بقي قصر الخصر قال له ما معاوية ان كان هذا المال الذي أنفقته لبناء هذا القصر من مال الله فهو الخيانة وان كان من مالك فهو الاسراف، وكان ينفق في كل يوم عن باب معاوية ويصرح بأعلى صوته شر الذين يكفرون لذهب ولعنة بمكوي من نار

وجاء عن حبيب بن سلمة البصري انه قال لمعاوية. يا ابا در سيهصد عليك انشام فتدارك الامر ان كان لك بالشام حاجة، فاستمعاه معاوية اليه وحارب ان يستحلله بكل ما لديه من اساليب التعذيب والتعذيب فم يبعد الى ذلك سبيلا ولما يش منه حال له يا عدو الله لو كنت قائلاً أحداً من أصحاب محمد بعير ادن من عثمان لقتلتك، ولكي سرف استأذنه فيك، فرد عليه أبو در بحرائه المعروف عن أعداء الاسلام قائلاً ما انا بعدو الله ورسوله بل انت وأبيك عدوان لله ورسوله اظهرنا الاسلام وأبصتنا شرك وانفاق وبعد بعت رسول الله (ص) ودعا عليك مرات عديدة ان لا تشبع، وسمعتك تقول ان نوى أمور الامه الأعين لواسع البصم انني يأكل ولا يشبع فسأحد الامه حشرها معه، فصر له معاوية ما انا ذلك لرحل، فرد عليه أبو در بقوله بل انا هو كما حربي بدمك رسول

الله (ص). وسمعته يقول است معاوية في البدر، فصاحت معاوية وأمر بحبسها، وكتب معاوية إلى عثمان يسأله عن أمر أبي درودان في إنا نهي أبو در في الشام سيفند علي الناس وقد استغفرت جميع الوباء لاسكنه هذه ألتكن وكذا الله عثمان أن يردته في المدينة على أسوأ حال ومركب فحمته معاوية عن صواب حال وأمر من معه أن يسيروا به بيل ولهم حتى يصل إلى المدينة فقلدوا فيه أمر معاوية ووصل إلى المدينة بعد أن ساقطت حم فحذبه من المهد.

وما ادخلوه عن عثمان قال له لا أنعم الله بك عيب وحبس، فقال له أبو در رحمه الله لقا سيدي رسول الله عدا الله وحبس اسم رسول الله علي مسمي، فرد عليه عثمان وثلاثا ملك يتزعم أن يقول بأن الله فقير ويحب عيب، فقال أبو در لو كنتم لا تقبلون ذلك لأبغضتم قال الله علي عده وشهد أن رسول الله كان يقول إذا منع ولد في لعاص ثلاثين حلا حبسوا مال الله دولا وعبدته حولاً ودينه دحلاً وكان علي (ع) في المحسن يسمع الحور بينهما، فأنف عثمان إليه وقال أصبح ابن رسول الله (ص) قد قال ذلك؟ فرد عنه بقوله: أن ما در صادق فيه يقول لأن رسول الله قد قال فيه ما أنظمت المختصر ولا أنت بعواء تصدق هججه من أبي در.

وحده في دويه الواسي أن الصراع قد نشد بين عثمان وأبي در وحول عثمان بكل وسائله ومعياته أن يضع حد لثورة أبي در واستجلائه، ولكن إنا ذر لم يكن مستعد لأن يجاهي أحد، فهي كانت مزلته على حساب دبه وعمدته فكان عد كل محاولة من عثمان برداء تصل في موقعه منه ومن حشاشيه الذين عاثو في الأرض فساداً وجور.

وم بعد إمام عثمان سوى مرير ما العسل وهو الأمر مفصل عند حوشي الخليفة الذين كانوا يرحلون به كل ما يريد من غضب الجاهل ويقسمهم عليه كما كان يحفظ لهم حاكم الشام السدي كان يسمى به أن يقول علي يد الثور رقت أن يموت على فراشه.

ولكن فكره الجمل بنوعه من إجماع حاشيه عليها قد استطاع أن يحاشيها لأنه كان يقدر له مكانه عند أكثر المسلمين ويرى أن مستجر عليه غضب الجاهل في اند حل والخراج وأنساع نعمه عليه لا شيء وهو يرى أن كثير نصحابه وأساتهم كانوا يبدكون موقف أبي در منه ومن أسرته الخائفة، فلا بد من حواجه من

أندية ولكن إلى أين يا ترى؟ إلى المسد والعواصم؟ إن ذلك لا يحل المشكلة بل يزيدنا تعقيدا وحصرنا بعد التجربة الأولى التي حوَّجها فيها روح يستعرض الرأي المقفلة فاختار له الريلة من بينها وأمره بالرحيل إليها وأرسل أمر إخراجهم من روان بن الحكم طريد رسول الله (ص).

وقد عزَّ على المسلمين أن يروا طريد رسول الله يطرده من مدينة انرسوب صحابياً ممن اجتمعهم رسول الله (ص) وفضَّهم على الكثيرين ممن صحبوه وتذعَّوه ولكن انصلحة قد فرحت عليهم أن يصررو ويهابو هذا الحدث العظيم بالحكمة أي أن تكتمل عناصر الثورة ومقومات نجاحها، ولم يخرج سوادهم سوى عي (ع) وعقيل بن أبي طالب والحسان (ع) وعمار بن ياسر، وأقلَّ عبيهم مروان بن الحكم لينضمهم من وداعه وقال: ألا يعمسون بأن الأمير قد غي عن وداعه، فتقدم إليه أمير المؤمنين (ع) وضرب بسوطه رأس رجليه وقال له: تبع نحاتك الله إلى لبار، فرجع شاكياً إلى عثمان صنيعة معه فتفقَّ عثمان عيباً عصباً على حد تعبير المؤرخين، وفي كلمة لوداع الموحدة حمد أمير المؤمنين وعمار بن ياسر موقفه من لقوم ومرفقهم منه فقال له الأمير (ع) يا ناذر إن القوم قد معوك دنياهم ومعنتهم ديت قم أحوحهم إلى ما متعتهم وما اعنك عما معوك، وقال له غير شركه الأول في ثورة ورفقه في جهاد العدلين والله لو أردت دنياهم لأموك ولو رصيت عن اعياهم أو تعاويت عما لاحوك، وما مع الناس أن يقولو بقولك لا ارحم باندنيا والخرع من الموت، كما تكلم الباقون بما يتناسب مع صحفهم الحادث

ويكي بوذر عبد ودعهم وقال: لقد ثقلت على عثمان بالحجاز وعلى معاوية بالشم، وكره أن اجاور اخاء وابن حاله بالمصريين، وهو يعني بأبيه وابن حاله الوليد في الكوفة وابن حاله ابن أبي سرح في مصر، وكان ابوذر قد طلب منه أن يسير إلى الكوفة وفيها اخوه لأمه الوليد بن عتبة أو إلى مصر وفيها ابن أبي سرح، ومضى يقول لقد سيرني إلى أرض ليس لي فيها مصر ولا دفع لا الله، والله لا أريد غير الله صاحباً.

وعاش ابوذر في الريدة ما بقي من حياته عريساً بعيد عن الناس في أرض مقفرة من السكان وحتى من الطير والوحش إلى أن وافته ميتة ويسر الله به وقد من أهل العراق كانوا في طريقهم لحج بيت الله الحرام وفيه كانت زوجته تنمى من اجله وفي حيرة من أمرها تنظر في تلك الصحراء المقفرة من يساعدها على تجهيزه بما مقوه الاحير، وقد سوه من الكوفة في طريقهم حج بيت الله الحرام بهم

مالک بن خریز و لا شتر اسحی مع جماعة من اعداء الشيعة و بين الضرب
 الذي يمسك ابوه مساه بعيدة فباحت هم ثوب في مدها و جعلت تصرح رسول
 عيالوا اليه و حبيب عرفوا ان اسحی هو ذلك الصحابي الجليل الذي كان رسول
 الله (ص) بجده و بقضه على صحابته اصابوا بالدهشة و اندهوا من استعجاب
 عثمان و الحرب القرشي لحاكم بالاسلام و كرمه الانسان و اصابوا ذلك الى مئات
 عماله و سرفهم في البعي و المنكرات، و تولو تجهيزه لقره الاحير، و بعد مواراته في
 قبره حمو ررجته و ابنته الى مدينه، و صلبت ليه قول رسول الله (ص) في عروه سوك
 بعد ان حق بقاطلة المسلمين يا ابا ذر تعيش و حنك و تدفن و تحشر و حنك
 و يسعد فيك قوم من اهل العراق يتولون غسلك و موارنته في قبرك

لقد كافع و داصل بود در رحمه الله صبة حياه من حل المثل بني جاء به
 الاسلام و من اجل العدالة و الحرية و حقوق محرومين و اعديين انني حسنته بدت
 لعصاه احكامه، ثم سرهيه سياصه و لا سخوت المظنه في عديده و شام و ظر
 يكافح و داصل لي ان وقته صيته في صحراء لربسة، و يمكن في جميع موقفه من
 حاكمين مدني و دني و عتيد اسسوا لا يقره بالاسلام بل كان هو و عمار بن ياسر
 و من عني رايب من احواء لصحابه يتوسمون خطي عبد (ع) و يهلون من معيه و لا
 يكن ثورتهم لا من احد العدالة، الاسلاميه و الاحتفاظ بمو رد اندوه مصححه
 لاسلام و المسلمين و العاء جميع لامتدات بني حارب الاسلام و عاده احارب
 لاموي لحاكم باشع صورها و اشكاه، مما ما قيل حول موقفه موقف بي در
 و عمار بن ياسر في ثلث الفتره من حياهه بار موقف بي در كان سجه اي لاشتركيه
 و يدعو ليها، سيما كان عمار بن ياسر ثائر على طرفين من فريش لاهم كسوا طره
 بصوب الشر و يندوهون بالاسلام، و يمكن متحمس في الاشتراكيه كاي در رحمه
 الله كما ذهب بن ذلك جمعة من لكاتب المحدثين، و عبر بعضهم هذين الصهرتين
 في ثوري عمار بن ياسر و ابي در اعطري اي لبيته اي نعت حبه كز مهيا، عالم
 نر من حيث كونه مدويا على حد تعبير للدكتور الوردي في كتابه و عاظ اسلاطين،
 و قد اعتاد حياهه لنفسه لتي كان يقوم عن مساوذين بين سوء فقيهه الواحد
 و لا شتران في عائلتها و مرفقها عن اساس متعارف بينهم، و من حل ذلك كان في
 ثوره على عثمان و حاشيه يبعه ان الاشتراكيه و يشار العدل و مساو في تودع
 مال اما عمار بن ياسر فقد كان حصاريا و عاش هو و ابنه و امه في مكان تحت رحمه
 نقرشيين و قد لاقوا جميعهم من الاصطهاد و التعذيب على اسي العرشين ما اودى

بحياة أنبياء، ولم يكن مضطراً لاسلامهم، وكان يستنجد بغيرهم بالاسلام من
 مستهزئهم بتعاليمه، واستعلاهم بجميع مبادئه ومبادئهم، بل قد سمع
 ثورته عليهم السلام، ولم يكن محمداً للاشترائية في توزيع المال بقدر حماسه
 لدعوتهم إلى تصحيح انهم بالاسلام ومبادئه التي غير ذلك مما قيل حول اختلاف
 مواقف الطرفين من عشر ومن حاد به من القرشيين، هذا التصيف مواقفهم
 وأبي ذر من عشر ومبادئه في منتهى اسطحية والعرافه ذلك لأن ثورتها على
 لا وصاع الفاسقة يومئذ مستوحدة من لاسلام الذي ليس جميع الامتيازات
 لتبعية والعصرية التي كانت سائدة قبل الاسلام وحل محلها العدالة الاجتماعية
 والمساواة من جميع الناس في الحقوق والواجبات، وكما أن سواد يطالب بحقوق
 الفقراء في أموال لأغنياء كما جاء في كتاب الله وتوزيع موارد انبياء ثورته عادلاً
 على جميع الطبقات بالتساوي بين من يسمونهم بالموالي والسادة والقرشيين وعمرهم،
 ويندد باستغلال أخليعه وحوشيه لمعزات الامه واستهزائهم بحقوقها، كان عمار
 من يامر يطالب بذلك ويندد بذلك الطغمة المحيطة بعشائرها مسائرت بالقسم
 لاكثر من تلك الاموال كما شهد بذلك موقعه مع خيمه بقي معرض من حلها
 لسيطهم ونعديهم، وليس فيها ما يشير من قريب وبعيد إلى انها كانت من أجل
 مواقف القرشيين منه ومن انبياء وأمه في فجر الدعوة، وهو رفع شأن من يستعمل
 عنزوف للتنصيص على حقده الذين على القرشيين يدين فتور أساء وأمه وكادوا
 يلحقوه بها بولا انه اتفاهم وتصاهر بالبراءة من محمد واصلامه وأمر يقتض حقه من
 عبر عزمائه، بل كانت انتقامهم كما يؤكد جميع المصادر من حل لاسلام
 والمسلمين وحقوق الفقراء والمحرومين والمعدمين، وبين هذا من اشركه لشيوعيين
 الهوجاء التي بحرب هل ملكية وتسخر اشعوب لغائب محسوبة ونحو الخريبات
 والاتصافات الشعب التي تعذب بالحرر من تلك الاسطمة الحائرة التي فرصت
 على الشعوب بأسلحة الدمار والخراب

بما ذكر رحمه الله كان يقف على أبواب الحكمين في المدينة ولشتم ملو
 الآب، والذين يكرون لذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعداد
 أليم، ولم يكن يعني سبب من يملكون بجهودهم وبالطرق المشروعة،
 وما كان يعني ثلث الذين كانوا يستلمون موارد انبياء وعائهم سبحانه الذين
 لشهوانهم ويجهلون آلاف الفقراء من كانوا يقامون من لأم حاجة والفقير
 ووجوع.

نقد كان يعني أولئك الذين اعانوا الخاضعة وبرعاتها بأصح صورها وأشكدها
ويحولون إلى السود مستن بعريش، ويحرقون الدين عتقوا لاسلام من نية
الامم ويسمونه بالموالي وسعد والخمر وما إلى ذلك في يشعر بتحقيقهم ويرددون
النمل القائل لا يقطع الصلاة الا ثلاثة كلب او حمار او مور، وان السود في
أوءه الله علينا

انه كان يعني هؤلاء الذين حكموا هذه الروح انثيمة الخافدة وكان عهدهم
انتكاسا مكشوف للاسلام الذي ساوى بين اساده واعبيد والحاكم والمحكوم وجميع
بني الانسان. هذا الاسلام الذي دهن مع محمد وعبي في مديها وأصبح اسلامهم
الذي تستر به لا يخفف عن الكسوة الا بطلاء خفيف من نظفوس كس هؤلاء
يستعملون الانسان باسمه وأولئك يستعملونه باسم هرمز.

ان يا ذر رحمة الله كان يعني أولئك الذين حاربوا محمدا ورسائله سمحاء
أكثر من عشرين عاما وبعد ان قهرهم ودخلوا في مديها اسفروها لصحبتهم
واسعافة جميع ما كان في المجمع الذي من ترث احوالو ان يجمعو من
محمد (ص) بطلا قوميا أمثال جنكيزخان لا من اصحاب لرسالات الذين ارسو
جميع بني الانسان وخبر الانسانية جمعاء ورجوة للعالمين.

ومهما كان الحان بالعدالة لاسلاميه التي كان يشهد ابو ذر وصهار بن ياسر
ورسائلها الاسرار بدين كانوا يرسمون خطي عبي (ع) ويهلون من معيه معين
الاسلام هي التي تحفظ لكن سان حقه وسدعه الى العمل استج الذي يحفظ له
كرامته وعترته ونصع الحدود لصلوات الحاكمين بالحقوميز والمحكومين بعضهم مع
بعض ويب وحدها نحن مشككة بشرية من جوع وستعلال وحروب هوجاء تسير
لصالح والاسباب تنصفي على الملايين من لارباء لا بالراسالية المستعنه ولا
بالشيوعية لصاة التي تحارب الاديان والقيم، ولا بالاشراكية التي يتاحر بها
الحاكمون في عصرنا الحالي

كما وان اساد الثورة على عثمان وطغت و عند الله من ما ادخل عبي
لاسلام كما ترعه روية سيف من عمر التي اعتمدها كثر المؤرخين والكتات وكتاب
من وحي الله المر وانه هو الذي اخرج فكره بوصاية لعبي (ع) على حد نصبرهم
وراح يتحول في لامصار يؤلب الناس على عثمان ويشجعهم بالحمد عليه حتى
اجتمعوا على قتله، وكان على رأس وفد العراق الشامي مالك الاشتر على حد تعبير
محمد ندين المحيط في كتبه بعد صم من لقوهم وقاد الثورة في المدينة بو ذر

وعمار بن ياسر، ومالك الأشتر وغيره من سرت إلى عموم فكره الوصاية التي
 اخترعها اليهودي الدجيس عبد الله بن سبأ كما ترجم روايه سيف بن عمير الذي
 عاش كل حياته في النصف الاول من القرن الثاني، بعد سبوا لأمير سبأ وعمار بن
 ياسر وأبي ذر بالرغم من اشتراك المهاجرين بالثورة على عثمان وتحريضهم بالواقع
 الاليم الذي انتهت اليه الاوضاع الفاسدة في المدينة وخارجها من تصرفات مروان
 ابن الحكم وبقية الامويين واسرافهم في البعي والمكرات والتسلط وبالرغم من ان
 مواقف عمار بن ياسر وأبي ذر العماري والأشتر وغيره من وفود الامصار من عثمان
 كانت تنقسم بالاعتدال اذا قيست بموقف طلحة ولربيع وعائشة لانهم لم يطسوا من
 الخليفة اكثر من تطبيق العدالة وعداية ذويه وأنصاره على تصرفاتهم ووضع حد
 لها، او التحي وترك الامر للمسلمين ليحذرو لانفسهم من يروقه مصالح للقيم
 بمهمات الخلافة، وم يحدث التاريخ عن علي (ع) وعمار بن ياسر وأبي ذر وغيرهما من
 الموالين لعلي (ع) ان احدا منهم كان يعمل للمصير الذي انتهى اليه ابن عماد بل
 كانت جهودهم متصافرة لإصلاح الاوضاع المتردية في حدة وخارجها ووضع حد
 لتسلط الذي استمرى في جسم الدولة من تصرفات الامويين الذين استعلوا خلال
 عثمان وضعفه وأسرفوا في البعي والمكرات. وقد وقف امير المؤمنين (ع) موقف
 حاراً في سبيل ذلك، وكان كالبريد ساعي بين الخليفة والثائرين من مختلف
 الامصار لوضع حد لثأر النساء وحبها بالطرق التي تعقد للخليفة حقه وحرمة
 وتناسب مع مصلحة المسلمين، وكان كل وضع خلا رواق عليه العرفان يقصه
 مروان ويشعه على المهاجرين والانصار ووفود الامصار فترداد الامور تعميدها
 ونورها، وأخيراً لم يجد سبيلاً لا الاسحاب من المعركة هو وشيعته وأنصاره، وفي
 كان يعمل لحل الامر خلا ملحقاً ويدر كل ما لديه من جهد لانهاها كان طلحة
 ولربيع وعائشة من أشد الناس تحريض على قتل عثمان، ومعارية بضع العرابيل في
 طريق لصدح وعلى اتصال دائم بالخطريين من دعاة لعتة كمروان وأمثاله حتى لا
 يخضع الخليفة لأي طلب يقدمه اصحاب النوايا انطوية والاسراع في الاجهر عليه،
 وينع حال عائشة انها كانت تهتف بفناء الرمود الراحه قائلة: اقتنوا بشلا قتله
 الله

ومع كل ذلك فقد اسد لامويون جميع ما حدث في تلك المعركة لعلي (ع)
 ولعبد الله بن سبأ انسي اخترع فكرة الوصاية وراح ينجول في الامصار ويحرضهم
 على مهاجمة وقتله ويدبر من ملاسات تلك الاحداث اب الذين سبواها اي عبد
 الله بن ميناورة وابن السوء، اخرى كانوا يعصون عمار بن ياسر لان الخافدين عليه

كانوا احياناً يسبونهم الى امة تخفيهم له، وقد اعتاد العرب ان يسبوا اخصمهم الى اب وصبيح او م وصبغة حتى ان قريش في مطلع الدعوة كانت تسب النبي (ص) الى ابي كعبشة زوج مرصعة حبيبة لسعدية وتنسب عمر بن الخطاب الى جدته حثمة، وكان عمار بن ياسر ثقبلاً على القرشيين لانه كان يندد بهم ويتهمهم بالتأمر على علي (ع) وفضائه عن اخلافه، وقد سموه بن لسوءه وبن سمية وبن المنكأ، وقد سماه عثمان بن اسوداء في حياه النبي وفي لسه اني دخل انبي (ص) في بيت المدينة وشرع في بناء المسجد، على اثر جدان ذريين عثمان وعمار، وهذه الحاسية قال النبي (ص) ما هم وعمار مدعوهم في الحجة ويدعوهم الى النار ان عمارا جسة في بن عبي رهي وكان هو يعلب عنه السوء ويوصف به احياناً

وحاء في كتاب التخصيم بين امية وهاشم ان يوسف بن عمرو عامل هشام بن الحكم على الكوفة كان يدور في بعض خطب الجمعة ، ول من فتح على سائر باب محنة وسفك السماء علي بن ابي طالب وصاحبه لرجحي، كي وان تسميه بالن ساء جاءته من ناحيه كونه يماي الاصل وكل يماي كان يصب في ساء هذ بالاضافه الى ان ساء من حلة اجداده ويقع في سبيلهم، فقد جاء في طبقات ابن سعد انه بن ياسر بن مالك بن عوف بن حذرة بن عامر بن مالك بن عريب بن كهلال بن ساء، وقد نكد اسمائه الى ساء كل من صاحب فوج سيدن ورس حديثون .

اما تسميته بعد الله فقد كان لتعبير ولا يرأل عن اشخص بعبد الله سائداً ومستحسناً وكانت جميع المسائل التي تصدر من اخلاء والامراء واعادته تصدر غالباً بقوم من عبدالله فلان لعبد الله فلان واكثر اسام د لم يشأ ان يعصح عن اسمه يسمي نفسه بعبد الله، هذا بالاضافه ان انه لو كان يصدر لتنت الأحداث ذلك اليهودي المزعوم لورد ذكره على لسب السنين دونوا لتاريخ حلال الصف الثاني من لقرون الاول المحجري كمروة بن الزبير وأبي بكر من حرم وابرهري وموسى ابن عقبة وأبان بن عثمان وغيرهم في حين ان التاريخ لاصلامي لم يعرف عن ذلك الطلل الاسطوري شيئاً قبل الصف الاول من القرون لثاني الذي ظهر فيه سيف ابن عمرو الذي نمره بتلك الاسطورة وعنه اخذها مؤرخون والمحدثون من اعداء الشيع والشيعة

ويؤكد جميع المصادر اني تحدثت عن سيف بن عمرو بأنه كان معروفاً بين

لمحدثين والباحثين في احوال الرجال والرواة بالكشف والتزوير والتعلق بالحاكمين من بني العباس الذين كانوا اسوأ من الامويين مع اخصائهم العلويين وقد تحدثنا عن هذا البطل الاسطوري وما قيل حوله بشكل اوسع واشمل في كتابنا بين التشيع والتصوف وقد جرد الحديث عن تلك الثورة التي كان عمر بن ياسر وبنو در من اخلص قادتها الى اعطاء هذه الصورة الموحرة ممن يسمونه من السوداء نارة وابن مسأ اخرى الذي اخترع فكرة الوصاية علي وجعله في مستوى لاهة كما يرفعون

ومها كان حل فلهذا مضى ابو در لسببه والثورة على الظلم والفساد آخلة في الاتباع والاستعداد لحسم الموقف وبقي عمار بن ياسر واخوانه من المهاجرين والانصار وقعدة الثورة على مواقفهم من عثمان وبعثاته يطالبون بتطبيق العدالة وبنصاف المظومين، وعلى (ع) كالحريد الساعي بينهم وبين الخليفة لا يرحله ذلك التصير الذي انتهى اليه وهو على ارباب التسعين من عمره، ولكن الامويين وعلى رأسهم معاوية يعرفون بأنه لو مات على فراشه يفقدون جميع الفرص التي تمكنهم من الاستيلاء على السلطة، يستنصر الى علي (ع) بجماع الامة بصرا جهوده في سبيل الاسلام وتصحياته ومن غير الممكن ان يفكر احد منهم في معاوية وكلهم يعلم بأنه وأبناؤه من الداء الالهي في الوقت ذاته لا يسيرون سيرا للمطالبة بها والاستيلاء عليها ما لم يقتل علي يد الثوار ليحذف من منه وسيلة لتشجيع علي عبي واصحابه وكان قد صلب من عثمان ان يجعل له حق في المطالبة بدمه اذا انتهت حياته على يد الثائرين على سياسته وبعثاته

وكان مروج كما رآهم مجتمعين يدعون الامر في بيهم حل السرع ادي يحفظ للامة حقوقها وللسلطة كرامتها وراى سواد الامم تلوخ في لافى بصرح فيهم قائل، ما شاكم قد حتمتم كاكم حتمت نهى، شامت الوجوه لمد حتم تريدون ان نزعو ملك ارجعوا في مارككم فدا وقت ما نحن مغلوبين على ما في اديب

مد ك ان احكم ون لوزع يعتبرن خلافه عثمان مدك به ولامرته ويعتبر المطالبين بالعدالة خصوصا معنيين بحصولهم في صيهم هذا ان يهبوا ملك امية والاراع، ومرة اخرى صاح بهم في وسط المسحدهم بحارود التعاض مع الخليفة لتوصل الى حل سديه وعادل، صاح بهم قائل ان شتم حكمنا يسا ويبيكم سيف، وكان بالاضافة الى ذلك عدم يتم الاتفاق بين الطرفين بواسطة امير المؤمنين ومكتبهم قتاد عطائهم مكتب اس احكم ان لولاء في الامصار بما

منافس كتاب الخليفة ويوقعه محاميه ويأمر «بولاة بمعاينة سوهود عند رجوعهم كما يأمر حامي تلك الرسائل بالسير و جانب سوهود الرحمة وحداق صمولهم بين آخرين ولاخر يشرروا انسابهم ويظنوا على ما معهم من اسرائيل، وبم المروان بن الحكم ما اراد بعد ان استولت السوهود على تلك الرسائل بوقعه محام الخليفة وكن لا يد للوهود ان ترجع وتجدد الحصار على الخليفة.

ان حواشي الخليفة لا يريدون من «بولاة ان يقصر الثوار ولا يرضون بقتلهم لان الثورة اذا انتهت بالحصول للسمية لا يستفيدون منها وكانوا يتصورون لعائشه ان تقتل في البصرة بالاضافة الى قتل عثمان بصعرا فبعضها و جانب قميص عثمان على مبر معاوية في انشام وقد صارحها معاوية بذلك عندما دخل عليها بعد عام الجماعة كما جاء ذلك في المجلد الاول من تهذيب ذلك عمل سميرد وما سألته عن اسباب قتل عثمان هذه قائمة ولم داك لا ان لث؟ قصص كنت تموتين وسدحين لحة وسعدت من اكبر وسائل التشجيع على بني ابي طالب

اهم لا يريدون ان يفلوا الثوار، بل يريدون من الثوار ان يرجعوا الى مطبوعه ليعتد الخليفة بهم فيها قبل ان يموت على فراشه اما من بقتله وكيف يقتل ومعاوية ومروان وبقية الامويين كانوا قد أعسو بكل امر عذته، بعد ان شيخ صحابي من دار عثمان في آخر ساعات الحصار وصرح بعثمان بصفحة بار يفتح نفسه حقاً لنداء مرمي هذا الشيخ بسهم من دار عثمان ولقي عليه حجر فبات ساعته، وبلا شك فان الثوار لم يكونوا داخل الدار فمن سدي رمى السهم واختر على الشيخ لصحابي الذي كان يحاول وضع حد للثورة؟ لظاهر كما يبدو من مواقف الامويين وحرصهم على تعذيب الامور ان الذي رماه هو مروان بن الحكم وعمره من الامويين، وهم الذين فتحوا الباب لثوار لا عثمان بن عفان كما يدعي بن العربي في كتابه لمواضع من المواضع، ولا سواء في ان الحصار كان معركة من المعارك الحاسمة في تاريخ الثورة لم يكونوا يريدون من عثمان اكثر من ان يتخلص عن مركزه ليتولاه عمره ممن يجمع عليه المسموم، وخرب الاموي من قبريش كما تؤكد الارحام والابواب يريد ان يتارم الموقف ليقتل عثمان ويحمو عينا ونصارة السياسيين على حد رعمهم مسؤوليه قتله لكي يستعيدوا بسدث على انقضاء على نتائج الثورة الذي كان من ارر هداها مستجاب الامر لعلي (ع)، وانقضاء الامويين من الحكم الى حيث لا رجعة، ولكن شاء الله ان يتم لهم ما ر دوا.

بين الخلافة والثورة

لقد استحوذ أخرب الأموي على جميع شؤون المولة ومواردها في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان وخلال العهد الأموي من بعده وراحوا يعطلون ليجعلوا من الاسلام دولة قومية لمصلحة العرب ويقربش في المرحلة الأولى وجعلوا يتباهون بذلك ويحتقرون غيرهم ثم يمدخلون الاسلام من تلك الدول العلوية ويسمونهم بالموالي وبأخصراء وما إلى ذلك من الاسماء التي تشير إلى إدلائهم واحتقارهم، ومضوا على ذلك حتى مع العرب الذين لا يتسبون لقريش فصلاً عن الحزب الأموي الحاكم، وجعلوا يتباهون بأسمائهم واستهتارهم بكرامة الإنسان ويقولون السواد بستان لقريش وفي آلاء الله عليهم، لقد استحوذت قريش على الحكم بعد علي (ع) وحملت من الاسلام دولة لا تختلف عن دولة جنكيزخان ونيمورليك وهولاكو إلا ببعض الطقوس وبلعت جيوشها نجوم الصين من جهة ومهرل فرسا من الجهة الأخرى وملكوا آلاف العبيد والجواري إلى جانب البلح والذهب الذين لم يشهد التاريخ نظيراً لها في حياة الحكام وفراغة العصور.

لقد غنم موسى بن نصير من غزواته لأفريقيا ثلاثمائة ألف أسير ورجع من الأندلس ومعه من السبايا ثلاثون ألف عذراء فذهب إلى قصور الخليفة وحواشيه وأمرته وبقي الفقراء كما كانوا يقتربون التراب ويطحون الماء، وأهينت المرأة مسلمة في بلاد الروم خلال عهد المعتصم قيل إنها صاحت واعتصمه، فذهب لمجدها بجيش عظيم فأخذ بأمره ورجع إلى مقره يحمر ورائه آلاف السبايا والأسرى مكبلين بسلاسل حديد وكلهم كانت تذهب لمصلحة انقواد والأمراء وقصور الخلفاء وظل الأمراء كما كانوا، وفي الوقت ذاته كان أولئك الخوذة الذين

دهم معه لخدمة تلك المرأة كانوا يتحوشون بالسنة المسبات و غلبان في شوارع
 عدد وستهكوب حرمهم و يؤدون الناصر في الاموي فيسال المصعد و نصيبان من
 ذلك الذي كبراً ويسقط لواحد بعد ان واحد قتيلا في لطرقات، و يصاب من المعتصم
 كان يسير بموكبه في شوارع بغداد فاستوفقه شيخ وقال له لا جرائك الله عن الجوار
 حير حاورب و جنب هؤلاء المعوج من عيانتك لاثرائك و استكتهم بسا فأيمن
 صيانتك و أرعت سعاد و فتلت رجائيا.

فالمعتصم لم يكن يسي ان تستط حشوده على ساء بعد د المسبات و عن
 شيوخه و صغانتها، وفي اوقت ذاه نراه يسرع في اعائه مرأة في اقصى بلاد العالم
 ويحبس في سبيلها اولئك حشوده العاشمين و الله نعم ماد دعوا بأهسي ثنت البلاد
 اخي مرو و فتحوها و كيف استطاعوا لاستيلاء على سائب و سائبها و ساقوها معهم
 لباع في اسواق المحاسن في دمشق و بعد اد مصلحة حكيم كما تباع الأسعر
 و الاغنام.

فقد ثورت لفتوحات في عصر الاموي وسعت جيوش اولئك لمرأة تقوم
 لصين و سبور عرساً من اجهة الاخرى، و ستوى سلجوق على مهاب الآلاف من
 الجوارى و العمد و لأدع و ذهب معظم تلك لعائش اى قصم الحاكمين و حيوب
 ثرقيين من حراشي اخيه و أسرته و بقي انفسه كما كان يستأن لقريش

و قد ن بكتاب عرب و دكتاتهم بين فتحون أعينهم و هو بهم حيس تيرور
 بتلك لفتوحات بعد آب هم ان يقرأوا تاريخهم و يدرسوه دراسة جديدة نعمة نطق
 و عفر لا بعده لفظه انني كنت ولا براب نسيطر عليه

لقد ان نون يقطعة تفكرية لتي تستنهم من شارب دروس تسعيد منها
 الاساسية عبر تاريخ العول ومن اعر عليهم ن يسبحو ثنت لفتوحات التي
 سب لأحد دهم، و اني لو درسوه بلغة المطلق و لعقل مكسو رؤوسهم حوي
 و ححلا من لاسلام و نبي لاسلام و قدته مخلصين ومن هم ذوي بصائر اخية
 من بني لاسلام، ومن مؤسف حق ن يرى العرب حتى في زمان هذه و عصب
 احصر عصر لذكائرة لا يرون مجمدون ذكرى بني أمية و فتوحاتهم و يسبون على
 ان بي طيب و بيه انين كانوا يجسدون لعدو بالاحتجاج و مثل العليا ولا يبر
 تا محهم من أصبح الصفحات في تاريخ اجشيرة و اعداه بالقيم و مثل انني ماضي جا
 لاسلام و حارب من اجنه، و بولا سيرتهم و مواقفهم من الظلم و بظلمين و من
 لصدة و بترقيين لكان لاسلام من طرار قلت لادان لتي لا تنهم الا بالسطرة على

الشعوب واستعلاها لمصالحه لفئات الحكمة وأعوهم ، ولا تمت عنه صفة الرحمة
بقي بعث الله من خلفه محمد بن عبد الله حيث نال . وما أرسنا إلا رحمة
للعالمين

نهم ينجون ذكر الأمويين وفشواتهم واستعمارهم لثلاث الشعوب ، المعنوية
والمستعبد لهم لسكانها بكل ما نعيه هذه الكلمة ويجهلون علي (ع) بدي سوف
له ن يجمع في كن يعمل من حله لسر الاسلام في طريقه الى أعد الشعوب
وأفصاها ووجد العالم فيه كل أمانه وآماله

نهم ينجون ذكراهم لانهم قد شيدوا على حد وعملهم امر طورية كبرى
تمند الى تقدم انصير من جهة وان سهو مرسا من الجهة الاخرى ولا يطردون ان
ما جعلته تلك لحيوش اعزبه ثلث البلاد وما ارتكبه مع انها من شيوخ وساء
وأفعال من المرائم التي لم ينجت التاريخ بمنذها

ن ليس لا يرلون ينجون الامويين وفشواتهم وعروهم مع ما رافها من
ظلم واستعلاء واستعداد وتشريد بحددهم في يوم ذاته يكفون المستعمر انهم
ويستون بامتنعاه وتسقطه على شعوبهم وبلادهم في حين ان المستعمرين في عصر
هؤلاء الذين يتهمون ويتهمون بفتوحات الامويين وعزواتهم لم يرتكبوا في بلاد
المستعمرة من الجرائم والمكرات شيئا يذكر بالمقاييس الى جرائم الاوائل من موين
وعباسيين باسم الاسلام ولم يكن تنبذ هؤلاء بالمستعمر ومكافحته و تشهير به الا
لانه موجه صدمهم ولا يمتي مع مصالحهم وبمس سيادتهم على ارضهم وبلادهم ،
ما استغلالات الامويين وغيرهم من المسلمين للشعوب واستعدادهم بالاسان وسوقهم
عشرات الالف من الجوارح والابكار الى قصور احتفاء والعود وأسواق الحمامين
فلا منهم وعلى غيرهم ويعود بالمائدة عندهم فلا يجوز ان يساء لهم لتاريخ

ان هؤلاء الذين ينجون الامويين وفشواتهم كما ينددون بالمستعمر ينددون
أبضا بعزوات تنمو لث بلادهم ويكيون له انصيات ويعنونه من ظلم حلق الله
وأنهم وأحنتهم لانه قبل وصرب وأسر واستعبد ، ويوجدون في اليوم ذاته عرواب
بي امة الى مرقف والاندلس وعمرها وجميع سياساتهم الظلمة التي ستعدو بها
لشعوب وتكفوا فيها احرمات والمقنسات ، انهم لا ينجون دولث ولا يكيون
للعباب هؤلاء لا لان عرواتهم ملأت أسواق نعرب والجوارح والعباد والامري
بما لم تسع له قصور الخفاء والامراء وقاد تلك لحيوش اعزبه ويستون بعرواب
تيموريك لانها صدمهم وم يستعيدوا منها والاسان في العباد امير لمصالحه

ويحدث ويعمل من روينها، وأهالي سمرفند كانوا يرون أنفسهم من السعداء في عهد ملكهم بن وقره هم عهد من لعنائم والاسرى، ولد مات شيدو له قره وسوا عليه فيه حصرة لا تزال العامة يحجون اليه ويدرون به ويتركرون به، وعنده مقارن بين المعروف والفتوحات التي حدثت على أيدي الأمويين والتي لا يزال العرب يحدونهم ويساهون بها وبين عسرات تيمورلنك وحكيران وغيرهما من المرأة لا يجد فرق بينها ان لم تكن عسرات الأمويين ومعاملتهم لتلك الأمم المعلومة قسري وأسوأ من معاملات اوشك لأهالي البلاد التي دحروها وسيطروا عليها.

ان الوحشية التي رقت عسرات الأمويين لم تقتصر على تلك البلاد التي كانوا يغزونها لأدخالها في الاسلام بل كانت حتى لأي بلد اسلامي ولا قدس بلاد لمسلمين اذا حرك ضدّهم مطالباً بالعدل ووضع حدّ نظم الولاة واستغلالهم لموارد البلاد، لقد كانوا يعاملونهم بالاسلوب والقسوة نفسها التي كانوا يعاملون بها تلك الأمم التي كانوا يسيطرون عليها باسم الاسلام.

لقد حدث المؤرخون ولرواة ان اهالي المدينة بعد الصدمة التي أحسوا بوقعها لمصرع الحسين (ع) واحوته وبسبه وأنصاره عن يد الأمويين وأعدائهم عبد المالك وأنشعوت وبعد استهتار يزيد بالقيم والقدسات الاسلامية وحقوق العبد ونجاهره بالاحقاد ومجور اصنوا انصبيان وأخرجوا حمده من المدينة عشية من محمد بن أبي سفيان ومن فيه من الأمويين كمروان بن الحكم وغيره، وقد حركه الثمرد عبد الله ابن مطيع العدوي وعبد الله بن حنظلة الانصاري المعروف بالعسيل " وبذلك سنة ٦٤ من الهجرة فأرسل اليه يزيد بن معاوية جيوشه بقيادة مسلم بن عمة المري وأوصاه بأن يستعين معهم جميع ساليب العنف ونفسوة ويأخذ منهم البيعة على اسم عبيد يزيد ومن يأتي بعده من الأمويين، ولم يستمع أهلها بل يشتوا في وجه ذلك الجيش المؤلف من عشرات الألوف أكثر من ساعات فالتس ونهرم بالافسوس

(١) وقد يعرف حنظلة بعسيلي، الملائكة لأنه خلق بالمسلمين في معركة أحد وكان الذي (ص) قد أدن له بالآخر ريش ثوب إلى روجه ولكن بعد الكبر أبت عليه أن يرضى إلى جانب روجه ورسول الله والمسلمون يحاربون في أحد جيش أبي سفيان وأكده الأكيد وروحه ومشرقي لريش فترك روجه بيلة وفاته بعد أن اكتمل بها والتحق بصوف المسلمين من أن يقتل وكانت نهايته في تلك المعركة، ولا أخبرني النبي بحاله قال: لقد حسنته الملائكة ودن مع القتلى بمعائه فصار يعرف بين المسلمين بعسيلي الملائكة.

مهم ودخبت الخيوش المسلمة مدينة الرسول وسماها فاتدغم شنة تحدي لرسول الله (ص) وكان قد سماها صبية وأباحها بكل ما فيه الحكمة من معنى جيشه ثلاثة أيام، واستعرض أهلها بالسيف جرح كما تجرر النواشي حتى ساحت الأقدام بالدماء على أحد تعبير بعض المؤرخين وصفي عن أكثر من فيها من أساء مهاجرين ولا نصار وساء الناس مسرفا بعد تلك المجرة الرهيبة، ويقول المؤرخون ان فتاة من سادات الانصار لادت بمحارب رسول الله فحق بها جسدي من اولئك الجراء وافه شه بالمحارب، كما يروي الرواة ان جنديا من جنود ذلك الجيش الذي لا يرل اعرب يتصون ويعتصرون بفتحانه وما قدمه للاسلام والمسلمين من انعام دخل على امرأة من ساء الانصار حديث العهد بالولادة وعن نديها صبي لها فغضب منها مالا، فعالت له والله ما بركت ما جيوش الشام شيئا، فغضب ومد يده الى الصبي وهو في حضنها، ثم لثدي في دمه فحده من حنوها وصربت به اعانط فاشترى دمه على الارض الى غير ذلك من العظائم التي لم يحدث لتاريخ بأسوأ منها في تاريخ الحكم والفاضة المعصور.

ويلا شك ان الجنود الذين يفعلون مثل ذلك في مدينة الرسول (ص) ومع الصحابة وأساتهم ومسانهم يفعلون مثل أسوأ ما فيها من المدينة من البلاد التي كانوا يدخلونها فاتحون باسم الاسلام كيلا العرس والرومان والاندلس وغيرها من ثلاثين الف عدراء التي حملها معه موسى بن نصير من الاندلس لم يقهر في اسره ما حبرهم ويزادتهم ولا مد وأن يكون قد أوعر لحده الفانح بأسرهم من يسوقهم بعد ان يهوا يسومهم ويقتلوا كل من يعارضهم من اشيوخ والنساء ولا طلبة، ويفعلوا ما يشتهون بالنساء والاعمى.

ان وراء أسر كل فتاة من الثلاثين الف فتاة التي دخلت قصور الخبيفة وقادة ذلك الجيش قصة طريفة من الهب وممك السعاء وتهالك الحرمات، وقد فصل اولئك المقاتلون كل ذلك باسم الاسلام دين العدل والرحمة والاسوية، ويكنهم بم ارتكبوهم في فتوحاتهم وعزواتهم من الحرمات وأسكرات قد تركوا في أدهان تلك الأمم المعنوية صورا كريهة عن الاسلام ثم تعرف البشرية في ترويحها الطويل الاما أقبح منها، وبعد ان استمر الاسلام في تلك البلاد واستسلم أهلها لنواقيح الحديد كان الحرب لقرشي الحاكم ومؤيدوه وأعدوه يطربون ايهم بارتداء واحتمار ويسمونهم بالموالي تارة وبالحمراء اخرى وكانهم أسس من نوع آخر

لقد احتقرت هريش بنت الامم التي عرمت الاسلام وسيطر عليها وفصلت

عليهم حتى اعربا المدينة خفاء وعلاظ مع انهم كانوا من ذوي الخصاصات
ومدييات التي لم يكن العرب يخلصون بها وكان من نتائج صطهادهم واحتقارهم
ومساعلاهم لادبائك يدين ارفعوا على يدحور في الاسلام وتسميتهم بالعبيد تارة
والخمره وحوالي اخرى، كان من نتجه ذلك ان نجح اوشك حوالي العمل في
شئ الميادين واشتركوا في اكثر حركات اسيايمية والعسكرية التي كانت تظهرها
هناك نتجه لتضم الحاكمر وطعنهم وسخطهم على كرامه الاساء وحيرت
الارض كالمصايد الشيعيه وحركات اخورج وغيرهما، وكان المرلي يشكلون
اقوة مصورة في ثورة الحضر النقيبي التي غلب عليها طابع لاحد مائة ار من قتلة
الحسين (ع) وسمروا في حركاتهم ومساندتهم لكل ثائر على الامويين الذين
صطهدوهم وكانوا يروهم ساسا عريشا وقت افاة الله عليهم، كما انضم فريق
مهم من اخورج و مصروف الباقون في طلب الحديث وجمعه ودراسته وأصبح اكثر
علماء الامصار منهم، وجاء في العهد العريد ومذهب بن حبيبة بنسكي ان عيسى بن
عيسى سأل ابن ابي ليلى عن فقهاء البلدان فقيد له جمع الفقهاء في بلاد بسنديين
مذهب وعو صمها فادهم حبيب من اموالي فاسود وجهه ولاحت عليه علامة لشر
وب وصل الى براهم شعبي والشعبي وهما عريبان كثر لدلت وهذات اعصاه
وبعد رادو في جميع تحركاتهم ان متعدها كرامتهم واسانتهم التي كان الحزب
القرشي احاكم يحاول لإجهار عبيد ويجحر في ذلك وسامحو مساهمة فعالة في
القضاء على الامويين انفسهم الى جانب العلويين والعباسيين، ولا احسب ان شيئاً
نفع بلافكر وميادى من محاييها ومعا دتها، لقد كان لامويون بظارون الشيعه
ويكاربون تشيع وفرصوا على المسلمين في شرق لبلاد وعربها صاعبي من
صائب واهل بيت على اندر وفي جميع بلادهم وملاؤا نسيحون واعتقالات
بالشيعيين وعلى وآله حتى كان الرجل يرمى ان يتهم بالنسق والردة ولا يتهم
بالشيع وكما ان ذلك يكون لتشيع وحب عبي وآله في القوس والقنوب من حيث
لا يريدون وكثرت يشرون فصائله وآثره الخالده من على مبرهم وعبدسهم حتى
امتلات بها كتب الحديث ومجاميع التاريخ

وفي ذلك يقول لشعبي نويدة انظروا بي الى علي وأولاده فان بي اممة م
يرائر مجهدون في كم فضائهم واحتقارهم وسهم وكأنا بأحد من مصيهم لي
الساء، وما رالو يبدلون جميع امكانياتهم لشر فصائل املاهم فكأنهم يشرون
جميعه كما اشرنا الى ذلك خلال المصون السابقة

وجاء عمر عبد الله بن عمرو بن الزبير انه كان يقول لاسه ألا ترى ب نبي
 إلى علي بن أبي طالب وب يقول فيه خطباء بني أمية من دمه وعينه وعييته، والله
 لكأنهم يأخذون بأصيته إلى السماء ألا براهم يا بني كيف يندبون موتاهم ويرثيهم
 شعراؤهم، وهم والله لكأنما يندبون جيف الحمير".

وقال السائي وأبو علي السيبوري كما جاء في أنجد لكث من شرح النهج
 لأن أبي أحمد لم يرد في حق أحد من الصحابة ما لحادث أحسان كما ورد في
 حق علي بن أبي طالب (ع) إلى غير ذلك من المقالات التي تسبب من جملة من
 المحدثين والمصنفين حول هذا الموضوع، وبلا شك فإن مواقف الأمويين من علي
 وبنيه كبر الأثر في هذه الصهرة، كما أن حصه أموي وتعلقهم في جميع الأوساط
 وتفوقهم على العرب في أكثر النواحي كان سبحة للاصطهاد ولأدلائل اسديس سالا
 منها انصيب لأكبر في العصر الأموي.

لقد اختار الحرب انقراطي احكامكم نفسه هذا النوع من السياسة لعنصرية
 الخنثى، وسار علي بن أبي طالب بالعرب وغيرهم مسرته الخالدة التي تحمده بعدله
 والمساواة بين جميع الشرائع والطبقات، وحارب العنصرية ولطيفته بكل أشكالي
 وحيثما سألته إحدى المراتب العنصرية ان يفصو عن مسألة لذيته كما كان يفعل
 احكامون من قبله لاسها عربيه والثانية من المراتب مدبده إلى لارص وتناول حصه
 من الثواب وحمل يسطر فيها، ثم قال لا أحد في هذا الثواب فضلا لأحد عل
 أحد إلا بالحق والاعمال الصالحة، ولو أن الحرب للأموي قد اتبع هذه السلة
 لارتفع مجدهم سارتفع مجد الاسلام الذي سحره لخدمه مصالح انقراطي
 والأمويين، وأردو ان يجعوا من محمد بن عبد الله (ص) سطلا قومي كيمورلست
 وحكيبرحان كما ذكرنا من قبل.

وبدفع الحرب للأموي مع انقراطي في احتداد لثوي وصطفاهم بكل
 أنون الاصطهاد، والاصطهاد مهي طار امده لا د وأن يولد الاصغر وحيث
 وحدو السيل مهي بلاتنعم بكرامتهم التي فقدوها في ظل سلام الأمويين وثبو مع
 انقراطي والعاسيين ورفعوا إلى جانبهم بقومهم الخفدة بطاردون الامويين وفلوههم
 من سد إلى بلد وقامت الدولة انعاسية على أكتافهم ويسواعدهم وحدث في مطلع
 عهدهم ود فعل عيب لمصلحة المور وانتشر الشعوبية انتشارا عظيم طعن على

(١) شرح النهج والصري وعمره من النجيب

العرب وعصريتهم ورجعوا الى الصحاري يربون الابن كى كانوا في عصورهم
الاولى قبل الاسلام

وحاء في مجلد الاول من صحى الاسلام ان ابراهيم الإمام رعيم الدعوة
لعباسية ارسل الى ابي مسلم الخراساني رسالة جاء فيها ان استطعت ان لا تدع
حراسان احدا يتعمم العرب الا قتله فاقبل، وأبى غلام بلغ خمسة اشهر تتهمه
فاقتله، وعليك بمصر فانهم اعدوا العرب الدار فأبى خضراءهم ولا تدع في
الارض منهم ديارا

وقد طبق ابو مسلم في حراسان هذه لسياسة عمديه للعرب بقتل، كما جاء
في المجلد الخامس من تاريخ ابن الأثير في تصحح سبع سنين ستمائة ألف رجل من العرب
غنية بمير قتل، وقال قحصة قائد الثورة على الأمويين وهو يخطب في هياي
حراسان كى جاء في صفحته ٣٥ في المجلد الاول من صحى الاسلام: ان هذه
لبلاذ كانت لائاكنكم الاوين وكناون يصرون على عيولهم لعدلم وحسن سرتهم
عما يدون وطعنوا سحق الله عيولهم وانزع سلطانهم وسلط عليهم اذل أمة كنت
في الارض عديهم وعيولهم عى بلادهم واسترقوا اولادهم فكانوا بذلك يحكمون
بالعدل ويوفون بالعهد ويصرون انظلم ثم غيرو وبدوا وجاروا في الحكم وأحافرو
هل الب ولتهوى من عدي الرسول (ص) فسقطكم عيولهم لينتقم بكم منهم

وحين استولى منصور على الحكم بعد سياسة اخيه ابراهيم ازاء العرب
تقيدا صارما وكان له خادم عربي لا يعلم عربيه عما علم بذلك صرده من قصره
وقال كى جاء في رواية الطبري ' لا يدخل مصري عربي يخدم خرمي حرم عاصك
الله وادهب حيث شئت

وبعد بعد هذه الملاحظات عن سيرة نفريين وطعنهم الدين حاربهم عى
(ع) عى أويل القرن كى حاربهم مع بن عمه رمون الله عى تسريته، وعما تركود
لتاريخ ولاجبال من صور كريمة لم يحدث لتاريخ بأسوأ منها، ملك انصور اني
عرفت سيرة الاسلام بوجهه الناصع المشرق وبعكست عى المسلمين وحكامهم
في مختلف العصور، يعود الى الحديث عن خلافة علي بعد مصرع عثمان بن عفان
دعبرها في وقع الامة ثورة عى الظلم والظالمين والمستعبرين والظالمين ليس فيها
من طينة السلطان شيء

نقد انتف المسلمون حول علي (ع) بعد مصرع عثمان بن عفان اندي اقررت

نورهم على سياحة الخائز التي كان يدرسها الحرب المرثي الخاكم، وكان شعار الذي رفعه الحرب يومئذ وطالوا به هو انصالة الاسلاميه التي لا تعزى بين اسد وحر ولا بين الحاكم والمحكوم، ولم يجدوا من يحقق لهم اميهم هذه ويخلصهم من عقرسة المرشيين وجورهم غيرة فقد عمو نحوه كاسل المحذر من الاعادي وهو يحاور ان يتهرب منهم فلم يجد الى ذلك سبيلا

وقد وصف هو سلام الله عليه مدفع الناس نحوه وصرارهم على بيعه بقوله: فما داعي الا والناس كعرب انصبع يشالون عبي من كل حاسب حتى بعد وطني، حساس وثنى عطفاني مجتمعون حوي كربيصة انعم، وعت بيعهم له بشكل لم يحسن لاحد من قسبه من جميع الفئات بلا استثناء

وقال البلاذري في انساب الاشراف بعد بيعه حرب الامصار وأهل سر وجميع المهاجرين والانصار وظهرت على جميع علائم الارباح والتعاؤ بما ستحققه هذه البيعة للمسلمين من سيطره القصور على جميع العباد جميع الاميازات واعورق لصفية الخائز التي طغت في عهد الخليفة الرحل واساشرت باهتمام الحرب الاموي المحيط.

وقد وصف الامام (ع) سرور الخيامر بيعته ورياحهم ما بقوله وبيع من سرور الناس بيعتهم اياي ان يتهج ما الصغير وهدج اليها الكبير وتعمل محورها اصيل وحسرت اليها الكعف

ووقف كبار الصحابة واعلامهم من كانوا يؤمنون بحقه في الخلافة منذ وفاة النبي (ص) بيعوا له وبنملا من حربه عن سرورهم واعطاهم بشك البيعة التي ستعد للاسلام مسيرته اسليمة العادة وللمظلومين ونصطهدين حقوقهم السنية ورحوا بتسايقوب الى امير لسعي عن شعورهم واعلان مايبدهم المطلق جميع ما سقروم به من لاعمال وم سيحدون من القرارات الصارعة للمحد من اطلع الضاميين وشاهد المفسدين والمحررين، فوقف ثابت بن قيس الانصاري وقال والله يا امير المؤمنين ش كانر قد تعدموك في الولا به فلم بتعدموك في الدين ولش كانوا قد سبقوك بالامس فلقد حقنهم اليوم، وايي كانوا دن موضعت لا يحصى ولا يجهل احد مكبك، محتحوب الك مما لا يعلمون ولم تحتج ان احد منهم

ثم وقف حريمه بن ثابت وذر والله يا مير المؤمنين ما حبنا لأمرنا هذا غرك ولا كان مقلب الا بك ولش صدقنا نفسا فيك لانت اقدم الناس ايمان

وأعلم الناس بذلك وأولى يومين برسول الله، لئلا ما لهم وليس لهم ما يث.

وقال صعبه بن صوحان - والله يا أمير المؤمنين لقد ريت لخلافه وما
راك ورأيتها - رفعت وهي ليث أخرج منك إليها، ووقف بعده كل من ذلك
الاستر وعبد الرحمن الحمصي وعقبة بن عمرو وغيرهم من أعيان المسلمين والصحاب
معه من ملى من ور مسلمين وارتياحهم منه نبيعه أبي تعقد لامة عنده جميع
آماله وأسرته وبرحو في طلبه بمسمر فحرا حندا أسروا على صوته وبشدهم
الى لاسلام ندي حاربه قريش بقيادة الحرب الاموي فربه عشرين عاما

وعنده شاع بأبيعه خارج مدينة تولت عليها البوادر من جميع أنحاء
الحجر للتعبير عن اعجابهم وارتياحهم لانه انتهى ليه من المسلمين بتقدمهم ابوا
ابنهم مؤلف من رؤساء القبائل ليمسح وجوهها وقبائلهم بقيادة رعيهها
رفاعة من رثل ووهود اخرى من جهينة ومدينة وغيرها من عشائر القبائل، يتقدم
كل قبيلة شاعوها وحظيها

وستقل الحرب الاموي ندي كان يتصرف بالسفلة كما توحيه ليه لطمعه
وشهوه واحده في عهد سليله، ليبت بعه المسلمين للامام وعافتهم عليها
والتمتعهم حربه بالخوف واغتر ولاضطراب، لان عينا يحسد لاسلام من جميع
بواحيه وقد برهم مآلهم وقادتهم في بدر وأحد وغيرهم من المعارك ليه حصوف
للقضاء على محمد بن عبد الله وسلامه، ولاسلام ندي بحسبه علي (ع) لا يمر
بحال من الاحوال تلك السياسة التي انتهجها بن عقاد وأسرته وذاتهم من
المرشيين خلال حكمهم، ويعلمون بأنه سيعمل قبل اي شيء حرا على تطبيق
العدالة الاجتماعية والمساواة بين جميع الطبقات ولقاء جميع الاميرات والفقراء التي
كانت من اثر مجرات عهدهم وسيحاسب ويعاقب جميع المستغلبين والعاصلين
لاموال الفراء وساكين في عهد الخليفة الراش

ودد عر عن كل محاربههم وما انظروا عليه انويذ بن عقبة شقيق عثمان لامة
حيث جاء به والمحققين ليدعوا أمير المؤمنين (ع)، فقال في حديث به مع
الامام: انك قد ورت جميعا، ما انا فقد قتلت ابي صبر يوم بدر، وكان ابو عقبة
ابن ابي معيط من كثر الناس بداء رسول الله (ص) قبل هجرته الى المدينة وقد
حرج مع شركين في معركة بدر فوقع في أيدي المسلمين فأمر سبي قتله وسبلى
قتله علي بن ابي طالب (ع)

(١). انظر المجلد الأول من حياة الإمام الحسن (ع) لفرخي ص ٣٧٩ و ٣٨٠

ومضى يقول وأما سعيد بن العاص فقد قُتِلَ يوم بدر وكان من سادة
 قريش، وأم مروان بن الحنظل فقد شُتِمَ به وسُفِّتَ بعثمان بن عفان حين
 سرجه من منبه وحمه إليه، ومضى بعدد به صبيعه مع قادة لبيت لأموي
 خلال موافقتهم لاعداء الإسلام ويساومهم ببيعتهم له عن أن يصح عنهم جميع ما
 ارتكبوه في عهد خليفتهم لراجل ويتركهم جميع ما في أيديهم من الأموال التي
 رهبهم بها ابن عفان ويعاقب قاتليه.

وكان من لطيفي أن يرفض الإمام (ع) جميع المساومات من الحرب الفرسية
 وغيره وأن لا يجي أحد عن حيل ديه وهو القائل لأن عمه عبد الله بن عباس
 وهو يخصف له نعله: أن امرتك هذه لأهون عندي من هذه لنعل إلا أن أحق
 حقاً أو أنظر باطلاً، والقائل ما ظهر من ظفر الأثم به وأعمال بالشر معدوب،
 مرد عليه الإمام قائلاً: أما بذكرت من وتري أياكم مسلحاً وبركم وأما وصفي
 عنكم ما في أيديكم فيس لي ناصح حق الله وأما إعطائي عم في أيديكم ما
 كان لله وللمسلمين فالعدل بكم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لرمي قتلهم اليوم
 لرمي قتلهم عداً ولكن لكم على أن أحملكم عن كتاب الله وسنة رسوله فمن صاق
 عليه لحق فالناظر عليه أضيق، وبثنتم فالحقوا بحلقتكم

ومضى الإمام (ع) لشأنه بعمل ليله وهاه نعيم ما فسدته مظنة عثمان
 وحاشيته ووضع الخطوط العريضة لسياسة حكومته أو شؤره التصحيحية كما هو
 الواقع، فقال عبداً بعد خبر ولاد مرة يحدث فيها من على الأمر كمسؤول عن
 شؤون المسلمين أو كخاتمة عن محلفات من سببه ألا وإن كل قطعة قطعها عثمان
 وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود إلى بيت مال من الحق لا بطله شيء ولو
 وجدته قد نروح به النساء وورق في البلدان لردده ومن صاق عليه لحق فالحق عليه
 أضيق، وما أن أتم خطاه حتى أمر بمصادرة جميع ما في دار عثمان من أموال مسلمين
 حتى سبيته ودرعه كما جاء في بعض الروايات وهذه المسألة يقول الوليد بن عتبة كما
 يروى عنه:

بي هاشم ردوا سلاح ابن حنظل ولا تنهبوه لا تحمل مساهه
 بي هاشم كيف المودة بينا وعسد عبي درعه وسجاشيه
 بي هاشم لا لم تردو فاسما سوء عبيد فائلاء وسالاه
 وقد ثارت هذه البادرة حروف الدين استباحوا بهت حوال الامه واستاثروا
 بقدرتها وموردها

وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية كتاب جاء فيه ما كتب صانعاً فاصبح إذا
 فشارك ابن أبي طالب من كل مال تمككه كتب تقشر عن العصي الخاف، كما أحسن
 طلحة والزبير وغيرهما ممن أقطعهم عثمان بن عفان ووجههم الأموال انطاشه ولشراء
 الواسع بالخطر وأيقنوا أن الامام (ع) سيصدر أن عاجلاً أو آخراً حكمه الصارم
 بمصادرة جميع ما في تصرفهم من الأموال والممتلكات وانه سيعامهم كميرهم من
 الناس، وتخرجت حلام طلحة والزبير في ولايتي البصرة والكوفة، ولم يبق لها طريق
 من الأصل إلى شيء مما كتب عثمان فيه، وأيقن ابنها قد أصبح كميرهما من سواد
 الناس فانصبا إلى الحرب الأموي واتفقوا على لتصد واحتلال البصرة ولانطلاق
 منها لحرب عبي ومقدومه بعد أن اغراهم جماعة من الموالي لعثمان بلسبعدة وبقي
 صبيها أن يتصلا بمعاوية ليصمما مسانلته لها وتأييدهم عن العدو بشرك، فرحب
 معاوية بهذه البادرة ووعدهم ببذل مكسياتته كتب في هذا لسييل وأكد عبيها أن
 يستعلا عداء عائشة لعلي بن أبي طالب ويحلبها معها إلى البصرة، ورحلت عائشة
 بهذه العكرة وانضمت إليها، وكان معاوية يهدف من وراء ذلك إلى وجوده بين
 المتمردين بين الرأي انعم ويحرك الجماهير عن الانضمام إلى تمردين بصفتها روعة
 للشي وبانة بلحليفة الأول وإذا فسر لها أن تقتل كما كان يتمنى يستعمل قتلها لتشجيع
 عن علي (ع) ويضع قميصها على منبر الشام إلى جانب قميص عثمان ولو امتنطع
 أن يدس إليها من يقتلها في سك المعركة لم يتأخر، ولم يعب ذلك عن علي (ع) بعد
 اتحد جميع الوسائل ليهوت عن معاوية ما كان يصممه لها، وبعد صارحها بأمره هذه
 وأهد به منها عند رار المدينة بعد عام اجمعه كذا ذكرنا، وحيثما مثل معاوية عن
 سبب تحريضه لطلحة والزبير وعائشة على التمرد على علي بن أبي طالب حاب
 ظميرهم عبي تحذيرهم وسيله للتدبير والتشجيع عليه، وأن طغروا به كانوا همون
 عبي شوكه منه

بعد استخدم معاوية جميع الوسائل ليصبح العراق قبل في طريق انشوره التي
 اعتنيتها علي (ع) على الحرب الفرسية لذي كان يحارب اسسخدام الاسلام لإحياء
 مظاهر اجاهلية وبرعائها.

عزل الولاة واستبدالهم بغيرهم

وكما أعلن مصادرة الاموال التي كانت بحوزة نصارى الخليفة الرحل عبر الطرق لمشرقة وإعادتها الى بيت حال اعين عن تصميمه عزل الولاة من الحزب القرشي الحاكم وغيرهم ممن يشكل بقاؤهم في مراكزهم خطرا على مسيرة الاسلام وعلى شؤون المسلمين ومصالحهم، وكان اول من شملهم هذا التدبير معاوية بن ابي سفيان لانه من أشدّهم حظرا على الاسلام وعداء صاحب الوصاية والحلصين لها من آلّه وأنصاره، وقد اشار عليه جماعة من اصحابه بالفاسي عنه وبشيء تستقر الامور، وحذّره من كيدته وشره ومدى تسلطه وسيطرته على الجاهل في الشام وجهاتها التي كانت من نصيب الامويين منذ الفتح الاسلامي، وقد تداود، هو وأخوه يزيد بن ابي سفيان، وفي عهد الخليفة الثالث تمكّن معاوية وكان يتصرف وكأنه الخليفة الذي ليس فوقه احد واتجه الحزب القرشي نحو الشام لمساعدته واعادته لتحمل المسؤولية بعد فريسة عثمان بن عفان الذي أشرف على بلوغ التسعين من عمره، وقد ذكرنا في سبق ان عثمان بن عفان كان يرسل الى الشام كل من يعارض سياستهم وتصرفاتهم لحادثة او يحمل آراء وأفكارا يمكن ان تستغل بحارصتهم ليكون تحت رقابته معاوية أو في سجنه، وأكثر العواصم والمدن الاسلامية كان ولائها يخضعون للمراقبة والتدبير بين الحين والآخر إلا بلاد الشام فقد نولها بعد الفتح الاسلامي مباشرة يزيد بن ابي سفيان حوّا من ستنين وانتقلت منه الى اخيه معاوية وبقيت تحت سيطرته ومنطحاته لا تعرف احدا غيره من الولاة ولا يعرف ههنا عن لاسلام ودعاة الاسلام لاوفياء الا صورا محدودة لا تتعارض مع اسلام معاوية والحزب الاموي الحاكم بشيء.

إن عبيد ع، كان يحفظ كل ديك ويعرف ما يصنع، فريش له وللإسلام من
العداء السافر، وم يكن من هواه الخنك، وسيطرة مستعين على توطيد حكمه
وسيطرته باطعانة ونظامين ملاهين وراء الحدة والمال ويستعين على نصر دخول
وعلى الحق بالطل.

إن عبد ع) من أن يكون حياً كان ثراً على الفساد والطغيان وعن
الشوية والسحرية بلدين ستهده رسالة محمد بن عبد الله (ص) وكان يرى كيف
تجري حياه الإسلام وكيف تدرس على قيمه الأخلاق، والثائر لا يحمل لحنه ولا
للسطة ولا يصح في حياه النصر بعدن، وأكثر شوار المستعصين يصعبون في
حبهم خوف في سبب لعقيدته والمبدأ وأهد فهم تشريفة، ويعتقدون بأن موتهم
سيكون صهان خيره أمه وأمسب جاء عقيدته وهناك لافعه الخدع والتريف والظلم
والقسوة، وأداة لسحق لقيم ونحوه من الأدهان، وقدوة لمن يأتي من بعدهم ويريد
أن يكون انساناً كريماً على سطح هذه الارض.

نقد كان سبي ع) يرى ويعلم ~~الرسالة~~ رسالة محمد بن عبد الله (ص) تنتظره ولا
يرى مفعلاً من أي (نك الشيطان غيره) وأن الرمن الذي يعود إلى الورا
عن يد الحرب لقرشي حاكم يتطوع فيه يتقدم، وأن الناس مستسلمون لذلك
الحرب في أمس الحاجة إلى هبة ولي صراحة وجميع لذين يصمحون إلى اخبره
وإعداده كنهم كانوا ينتظرون ما سيجعله نزل الإسلام الخالد ع) الذي نهر
طوعيت فريش في بدر ولا حرات وحبس من أجل الإسلام ورسالته للإسلام هم
ينتظرون منه يوم أن يقهر أحفدهم لسعد نك لرسالة من السحرية والتشوية
والتلعب وليسعد لكرمة التي منحها لله للإنسان من تسط أولئك الشياطين.

نقد رفض عي ع) جميع الآراء التي قدمها له اصحابه يطسبون إليه التريث
ويرجاء عزل تولاه وبخاصة معاوية بن أبي سفيان الذي كان قد مضى عليه يومئذ
والب على بلاد الشام أكثر من عشرين عاماً، لقد رفض عليه السلام جميع
المشعريين، المخصص منهم والمتفق، بعدمه بأن مسامحة بحر ورده عند من
المسومات والرضية الواحدة يؤدي في العاقبة إلى سلسلة متتابعة من الرضيات
والمروعات، ويعلم في الوقت ذاته بأنه لو أقر معاوية بيوم عن عمله مهم كانت
دوافع هذا الاقراء وأسبابه فسيكون سلاحاً بيد معاوية عند عده يأمره بالتحي عن
مركزه وسيكون يومئذ اقرب منه ليوم.

عد بالاصدع إلى أن عبيد ع) بعدم بأن البيت الأموي لا يرعى دلولانه ولا

يكتفي به وبخاصه عذاب يكون المستول لاور عن شؤون ائله كعلي بن ابي طالب ندي بحاسب ويعدب من حل درهم واحد يخرج من بيت المال عبر عمله، وقد اعاد معاوية بن النخع رثوف وشاء بدمه والصيكر وانمو على قصر الحمرء ملاس ابراهيم من ردت بدوه، ومنذ ان وضع بين لخطاب اسقطه في يدي لامويير بناء لتصميم مابق تم لاتفاق عليه مع ابي سفيان كما قيل بوه كان بصوب ويحول ويذهب الى علي بن ابي العباس بن عبد المطلب حري ومحرص الانصار على الثورة ضد ابي بكر ويسمي اب فضيل ويقول لاملأها عليهم حبلا ورحالا وها قد اصيحت في ادب بيت في قریش، مد ب وضعه بين الخطب في يديهم وهم يعمون وخصطون صائها في هذا السب كما يؤكد ذلك عشرات الشهود ومن كان يحمل هذه الروح فهو يرضى بأن يكون رجا علي بن ابي طالب اندي حاسب حد عناه عن ريمه دعي ايها وأخي حسنه لأخيه عجل عدم طانه بأكثر من عطائه ومهدد ووعده احدى سانه لانها استعارت من بيت ما عقت لسه يوم لعيد وأرجعه الى مكة

اب عبد (ع) يعلم بأن معاوية لا يرضيه لولايه ولا يمكن ان يقبل به ويستعمله ان هو أمره على عمله وبشهرأ واحد بسك كله فقد رفض وعه نسرين وأصر على موقفه من اطعاه والخاسره حتى وسوم يكن في معصوره قهرهم هريتهم في ساحه الحرب ونضال، وبكمه فصحتهم وقهرهم عبر الحرب والشهاده وبرك للاجيال، بوفقه هذه صوراً معيئه عن الاسلام اندي حاسب من أخيه في جانب اس عمه محمد بن عبد الله (ص) وظل محارب من اجله في ان حرق في بيت الله صريع سيف بي حهن وب سفيان وحاسره قریش الذين وضعوه في تصرف اس ملجم، وما كانت تلك صور المعصيه عن الاسلام بيها نولا موافقه وشهادته وشهاده حسن رع، وجهود لأئمه من دريه في اقصد مصاحبه اطابن وداكمين في مضي من العصور وحتى عصرنا الحاي

لمساواة بين جميع الناس

م يكتب امير المؤمنين (ع) في ثورته انتصحيحه بالاعلان عن خصيمه على مصدرة الاموال التي منحها عثمان بن عفان لاسرته وحاشيته وعزل الولاية عن الامصاراني كنت تعاني لامة من جورهم واستهتارهم بانهم وافقدسات حتى اعلى المساواة في اعطاء وعنه بين جميع احناب والعي جميع الامتيازات بني كان لحرب العرشي يحامل الناس عن سامها بعد تصفيهم لي قرشي وعربي وعد ومولى وب لي ذلك من لاصاف لي كانوا يعذبون مسلمين على سامها ويستعلون غير القرشيين منهم كما يستعل الناس ممتلكاته، وكب سعيد احد افراد لاسرة لحاكمه يقول يوم كان والي على نكوة عربية عثمان اسود سنان لعرش مما اثار غضب اهل الكوفة الذين كانوا يسمون في عشرات بقائل العربية، وفي الوقت ذاته كانوا يعتبرون صنف ثالث من اصناف الاسبان، وبلغ بهم لاسراف في تحقير الموي لي حد يحاقهم باحيوانات فكانوا يقولون لا يقصص نصلاة الا كلب أو حمار أو موي، و غير ذلك من اسرعات العصرية التي اوشك ان تطعم على اجتماع لاسلامي

في حين ان الاسلام قد اعلى جميع تلك المظاهر واعلى عديها حرب لا هوادة فيها ولم يقصص سنان على سنان من ي صنف كان ولي ي اسرة كان يسمى لا بالثوري ولا عيال الصاحب والتخيمات التي يشدها لمجتمعهم وعيره من بني لاسبان، ولاكثر من مائة كان سبي (ص) يقول لني هاشم وبني عبد لمطلب عملوا فلن اعلي عنكم من انه شيت، ولا تنصاموا على الناس بانسبكم ومسنكم برسول الله وليس سواسية كأسناد المشط وكسكم لادم وادم من تراب، الى كثير

من موقفه التي كان يجارب فيها انفرادي انطيقية والرعات لجاهلية

وكما كان الاسلام ثورة على الشر والاثوية يصنع مكسب في العقول والقلوب عقيدة التوحيد كان ثورة على الاقوياء لتحرير مستضعفين من الاستغلال وعلى انساذه تحرير العبيد من تسلطهم وكبريائهم وعلى الذين يتحكمون بحضرة الانسان وكرامته من حورهم وغطرسهم، وهو يرى ان هذه مواقف الاسلامية من نوع واحد وتأتي في حلقه واحدة مترابطة كما أكدت هذا الترابط لأبه انكرمه فان الدين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالعدل من الناس فيشرهم بعداب اليم

لقد جمعت الآية لكرمة الكفر بآيات الله وقتل الانبياء والذين يدعون الى العدل والمساواة بين الناس واعتبرتهم في مستوى واحد وحكمت عليهم بحكم واحد هو العذاب الاليم.

وكما تشير هذه الآية الى عظمة الاساس وكرامته عن الله سبحانه وان التعدي عنه بالقتل وعبه بما يشي الى كرمه وحقه في احياء عملة الكفر بالله وحقه تشير ايضا الى ان شعار التوحيد في الاسلام يرمو الى تحرير الانسان من العبودية والرعات لقبية وانعصارية، وقد توجه هذا لشعار الى العبيد والمعتدين واجباغ والمستضعفين الذين كانوا يؤمنون في مكة الطمعة محرومة، ومن اجل ذلك فقد أحد عبه زعماء مكة ومادتي باا أتباعه كانوا من لأردين كما اشارت الى ذلك الآية ﴿ما اتبعك الا الذين هم أرادلنا﴾

وكان هذا المأخذ شهادة تركية للاسلام وثورته ولنحظ الرسالي الذي مضى عليه رسول الحرية والسلام. لقد أحد محمد بن عبد الله (ص) بيد انبيد الذين كانوا يعتقدون بأنهم بافون في امر لعوديه الى الابد وبيد محرومين لمسحوقين الذين كانوا يعتقدون بأنهم بافون تحت وصاة لقوى السياسية والعسكرية وانهم محقوقون للفهر والذل والخوع، بيد مستضعفين الذين كانوا يظنون ان اعداءهم من لأله كتبوا عليهم هذا المصير ليكون في خدمة الاقوياء

لقد جاء هؤلاء ولغيرهم يهمن ان البشرية من جسر واحد وأصل واحد وذات إله واحد، وبهذا المبدأ مبدأ المساواة استطاع خلال مسين محدودات ان يبي مجتمعاً إنسانياً حديثاً قائماً على صوة عقيدة وطيدة ومهج اجتماعي متين واضح وذهب الى أبعد من ذلك في ترسيخ مبدأ المساواة والقاء بمواقف انطيقية لرفع من

شأن الموي و لتعبد عن سادة قرش و روح صفيه انه عمته عاتكة لريد من حارثه
وكان مملوكا هو وأبوه كى روح جبير الخثلي وكان عبد سود، من أجل قساة من
بنات الانصار، وذل لم كانت يصهم انرعه من هتة هو عبيث فاب بن
امراة كذب تاكل بقديد في مكة، بن كثير من موقعه التي لا تحصى في مسيل
بصبح هذه شد

تلك هي مدرسة الاسلام لي تخرج منها علي بن ابي طالب ووضعها
المسلمون تحت قيادته بعد خمس وعشرين عاما على رحيل فائده ومؤسسه خرمي
من الالبياء، وقل ان يتولاها كانت ادة في أيدي اولئك الذين وتوهم الاسلام
بأعماهم وبوسطهم سعادوا قد هم وجمعوا امرهم واستردوا نفوذهم الذي قوخته
ثورة الاسلام، وصادفت لرده نجاحا ما سب ان صبح اسباب بموافق التي ست
ذلك العصر بل قنوب سمر عن مدى تاريخ الاسلام وحي عصرنا الحالي

بعد بولي علي قتله الثورة فكانت سيره السياسة والاجتماعية والفكرية بداية
بصالح حديد هو بصال المؤسس بانيقيم الحديدة ولشعرات بسببه التي رفعها
الاسلام ضد ظاهية الجديدة ابي ذك فيه لروح بفعل حررة الفائق والكرهية
في سبيل هاشم الذي طاح بأحمد أمه فأعلنت حرب الخفصة حيد والمصرحة حينا
آخر على أنصع الوجوه في مسير الثورة

بعد كانت معركة لاسلام في عهد ابريمون بين معسكري الخرك واسوحيدي،
وفي عهد علي (ع) صحت معركة بينه وبين شهاد وثك وانجحت شكلا جديدا
صد اجهلية الحديدة لي تسب بوس الاسلام صد اشرك الذي بعد شكل
لتوحيد وصد اثنيه ذات المصاحف ابرمعه على أسه الرماح

بعد خاصها بذك الخيش ابي سمط كثر فادته صرعى العربات و بوعود
بأمور السلطة الاموية، وأصبح اولئك لقادة على سعد دلتامة على قائدهم
وعبيدتهم حيث صعدت بيع لعبة والشرف بعد في قصر الخصراء نكاش في
عاصمه الحرب القرشي الخكم

بعد كانت انصعقات بعد في دمشق لشراء نصير ومصادرة ارب الاسلام
بالامول برة وبالسيف وسيط أخرى وإحصاع الفكر الإسلامي الذي جاء نبي
العقول واقتوب توجيه السلطة لاموية، فتعشت روح الشفاق حق بين أهل
الكوفة واتسعت لشقة بين جميع الاجمعة، وبحرف الرعاء الذين مثب عرائرهم
وتعادت حماهم انكادحة تمب تأثير الرعاء ولاشرف، وبنت الى جانب فائد

الثورة قلده من مصر وب واند عن لنادتها، وهذه انفة لا تعبه شيئاً أمام تلك القوة
 المتعدية للثورة، ومع ذلك فقد ظل على مبدئه لم يترعرع ولم يتراجع عن خطه
 مسهيناً بحياء ورجفها وبالسطوة ومطهرها وهو يردد لا أستعين عن النصر بالخور
 ولعالب بنشر وخور معلوب وحده طائفة من أصحابه تريد منه أن يصنع كما
 كان يصنع معوية، فقال له يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وقصّل هؤلاء
 لأشراف من العرب وفريش عن مولي والمحم واستعمل اليث من تحف حلامه
 من الناس فقال هم ووجهه الكريم يشيران سلاماً مع بعض أنصاره أني أنصروني أن
 اشتري النصر بالخور، وأنه لو كان هذا المال مالي بقسمه بالسوية فكيف وهو
 لجميع المسلمين

لقد لفت العرب حول علي (ع) في ثورتهم على الحرب انقراطي الحاكم
 وأعو به، فكان قديهم وشعار حركتهم الاجتماعية لأن قريش قد سبغت في أيام
 عثمان وسنأثرت بكل شيء فثار عليها العرب يطالبون بالمساواة، وما ذكرت أن
 لتدفع العرب والمسلمين حول علي (ع) كان من أبرز عوامله تطبيق مبدأ المساواة
 وأن ذلك هو مصدر الخطر عليها عبرت سياستها مع العرب وأحدثت تستعملهم
 بكل الوسائل فجعلوا يفرقون منه شيئاً شيئاً

لقد أحبه أولاً والتعوا حوله لأنه كان في جميع مراحل حياته ثوراً بحسب
 لاسلام في ثورته على الظلم ونظامين وكان الموجه ومرشد لثورتهم على الحرب
 لقرشي المتعالي عليهم وحين وحدوه بساوتهم بالمولي ووجدوا قريشاً تحم من بعاليها
 عندهم وتعصمهم على أموالهم نفروا منه وباصروا قريشاً عليه

وقد تميز من مجموع ذلك أن مشكلة المساواة بين جميع الناس بلا استثناء
 كانت من أبرز مشاكل التي انخرعت عليها (ع) وقد ذكرنا سابقاً موقفه من المراتين
 حين طالبته لعربية منها أن يعصم في إعطاء على الأخرى لأنها ليست عربية،
 مساو حصة من سرب ونظر فيها ثم قال لا أرى في السرب فضلاً لأحد على
 أحد، وكان يعني بذلك أن الإنسان مخلوق من مادة واحدة ومعدن واحد
 والتضام المصطنع بالأسباب لأسباب سياسية أو قبية أو بيئية وما إلى ذلك، لا
 تعب من وضعه شيئاً، هي فاد الثورة وأخذ بساوتهم بموالي نفروا منه وحذلوها،
 ولأنسان في كل زمان شأنا صائب فاعمل حيث يكون محروماً من فاداً حصل عليه
 سهل به على غيره، وعرب حيناً كانت فريش تعصمهم معاملة المولي ثاروا عليها
 وحاربوه فلم عبرت سياسهم معهم وبقي عي (ع) مصراً على موقفه وماض فيه لا

يعرف بين سنان وأحر الصغى انهم ولم يفكروا بالمواثي الدين وقصوا معهم في جهة واحدة ولا بقائد ثورتهم الدين كانوا قد عاهدوه على المضي معه الى حيث يريد منها كانت النتائج

ويقول المداني كما يروي عنه ابن أبي الحديد في المجلد الاول من شرح انتهى : ان من أهم أسباب تحاذل العرب عن علي بن أبي طالب كان اتساع هذا المساواة بين الناس وتطبيقه هذا مبدأ تطبيقاً شاملاً على جميع الفئات، حيث كان لا يفصل شريفاً على مشروف ولا عربياً عن عجمي ولا يصانع أحداً من الرؤساء وأمراء القبائل، وكان يعطي أشد المعاملة من تحاذل الناس وتعاقدهم عن نصرته وأحياناً يكي عن من مضى من بحوانه المسميين الأوبياء كعبار بن بسير وبين انتيهان ودي الشهاديين وغيرهم ممن كانوا يسرون معه لإتقاد شريعة الله من أيدي انصاره كما حدثت عن نوب البكاي

لقد ملّ الناس وملّوه وملّوا قلبه قبحاً كما كان يفرون وكانت ضربة ابن ملجم له بمنزله لا تقاد مما كان يعانيه من قريش وأهل الكوفة واعتبرها هوراً كما جاء عنه انه قال حينها هرت ورب الكعبة، ومات حريماً كثيراً ولكن ذكرناه نقيت على مدى الاحتيال يدفع الناس بشوة على نظلم وطلب العدل، ولئن أحسن في ميدان السياسة كما يدعي أكثر الكتاب وفورحين فقد نجح في ميدان بشوة لاجتماعه التي لا ينفذ لها أوزر، ولولا ذلك الاسلام من طرد تلك الأديان التي تدعوى الفتوح والسيطرة والاستعمار ولا تمت عنه صفه الرحمة التي بحث من أحبه محمد بن عبد الله كما ذكرنا من قبل

ومن مجموع ما ذكرنا بين أن المدة التي قصدها علي (ع) بعد مصرع عثمان ابن عفان كان فيها ثائراً اجتماعياً على خلفات العهد الذي سلفه ليحقق المساواة التي جاء بها الاسلام، ولم يكن في سيرته وسياسه من طبيعة السلطان شيء، وانهم يعاملون به ومن معاوية انما يعنون ذلك جهلاً منهم بواقع الامم وما كان يهدف اليه ويعمل من أجله، فقد قصروا بيني واعتبار انهم قد سافوا على اخلافة وعلب أحدهما لأحر والعالم في عروق السياسيين وأصحاب القوس المريضة وادعاه المحدثون لعبارة العصور ومصالحهم أفضل من محروك

هؤلاء الذين يقيسون العنيفة بمقياس بعنة والقوى في ميدان السياسة لا بد وأن ينتهي الى هذه النتيجة ويقصروا عن معاوية، ولكن هذه المقاييس لما تصحح بين اثنين كل منهما كان يعمل بحكم والسلطان ويسبح كل شيء بغيره

ولو صوب اليه كي كان يصنع معاوية وعبيده من السياسيين في كل زمان وفي زمان
 هذا ولا يختلفون في زمان و زمان لا باشعارات والاساليب اني تختلف حسب
 الزمان والمكان . ما لو كان كل منهم يعمل لهدف وعديه ولا يجمعها باسم مشترك ،
 فالتفاضل يجب ان يكون من رايه لاهداف التي يعمل لها كل منهم ويحترق من
 اجلها ، ان عينا كان يعتبر الحكم وسيله لتحقيق العدالة وحريم ما افسده
 الحاكمون من قبله ولم يكن من عتري السياسة كغيره من السياسيين الذين
 يسعون كل شيء في سبيلها ، ومن هذه السبيل تأتي في الغمة من الاطال الذين
 لا يشق لهم غم ، ولا تزل ذكره تدفع الناس للشورة على الظلم والظلم ، وقد
 وضع احصاءه وفهرهم من خلال مواقفه وثورته تلك وترك للأجيال صورا مضيئة
 ومشرقة عن الاسلام ما كانت لتضي لولا مواقفه لاهد الاسلام من ذلك الظلم ،
 ولم يترك معاوية ومن على شاكلته من القرشيين وعبيدهم من دهاقين سياسة سوى
 صور غريبة من العبد والكر والاحياء والتروير ولا يزال تاريخه مثلاً كريهاً لأقبح
 صور العبد والخور والخيانة في تاريخ الحاكمين

ومن انظم نقاش قياس علي (ع) بمعاوية والمقدرة بينهما ، لأن معاوية كان
 من دهاقين السياسة ، والسياسيون يستيحيون كل شيء بالظلم بأحصائهم او
 لاحتلال رقعته من الارض ويؤكد في ذلك دعوات ملايين من الناس وكان يتمي
 بعائشة ان تقتل في البصرة ليصبح قبيصها على سر اسام ان جانب قبيص عثمان
 ويشنع بها على امير المؤمنين (ع) وحلب من عثمان ان يجعل له الحق في المطالبة
 بدمه من علي بن ابي طالب وكان يحضر لقائه بشكل غير مباشر عن طريق الحرب
 الاموي المحيط بعثمان كما ذكرنا .

اما علي (ع) فلم يكن شاعر علي لظلم والصور والسرور وما في ذلك من
 عثر ثم لم يكن يمارسها أنصار عثمان والحروب الاموي ، ولكنه لم يكن يحاول او
 يفكر ان يسعى في ثورته بالصور والاثم والشر لان عتبه بالسر سطره معنوب ،
 ولم يكن يعمل لإرساء مبادئه ودعواته في العصور والمطلوب الا في حدود الاسلام
 والمبادئ التي جاء بها ابن عمه وحارب قريشاً من أجلها تبقى هي وحدها الحاضر
 للأجيال على التصحيات ومقدرة الصالحين

ولو أصيب الباحثون والكتاب ودرسوا التاريخ دراسته واعيه بحرود وحلاص
 لوجدوا ان علي (ع) هو المستصر في معاركه مع القرشيين والامويين ، ولدين حاربوه
 بكل الاسلحة هم الخاسرون ، لانه مضى في سبيل الحق والعدالة وغير الاساليب

وكرمه تأييداً ورأه صبراً مشرفه عنه وعن الإسلام ودروس عليه ببدل و إعطاء في جميع الخيدين بمرغم في بدله لأمويس من جهود لا حدود لها بنقصه على ذكره ومحامده وإلصاق لعيوب به فكأنوا مع محاولاته هذه كأى بدعوى به إلى السوء وقد ذكرنا سابقاً ما قامه الشعبي وعبد الله بن عروة بن الزبير لولديهما، وجاء في الملف من مضمونه في بني فية بالمرعة من إصرارهم على سب علي وسبه ومطاردتهم لكن من يذكروهم ولا يشترأ منهم فكأنهم كانوا بأحد من يخاصمهم إلى السوء وكانوا مع عرائنهم للمحدثين والخطباء للحديث عن أسلافهم ومدحهم واختلاف الأحاديث التي ترفع من شأنهم وحرصهم شديد على ذلك كأى شروا جيف الحمر على حد تعبير لشعبي وعبد الله بن عروة بولديهم

ولا اغالي د قلبك يا باحثين لو أنصغو بقادرو سبه ودرن لآيه ورسولين وعافره العصور ، وقدره بن معاوية وبن عمره من لشد كس و لخدمه وأكبه خوره لأدميين

لمد نكي عن بني صالح (ع) على طليحة ورسول ومن قبل معهم في لصرة ولو به قتل معاوية وبن الحارث ومن معهم من نصر شيين نكي عليهم نصاً ، فقد نكي على طليحة ورسول ومن قبل معهم لأنه لم يتمكن من إضاعتهم بالبرامج عن عنهم في حظيرة الإسلام والعمل معه صفراً حداثاً للصحة لاسلام وسمين ، ومقاتلهم يومئذ لا دوى عن سفس بعد ان اضطروه لبدلت وجه وخدمهم صريحى نكي لمصيرهم ، سىء الذي لم يكن يرجوه هم لأ أصحاب برسالات يعصون لإصلاح ما تمسده أيدي المحرمين ولعاشين بكرمه لاسار ودر المحرمات ساء سبي لحفظ لالاساء كرمه وحقه في الحياة ، ود قضى لأمر بصحون بأنفسهم من أجل ذلك ، ود قاتلو وقتلو أحصائهم لا برون ذلك نصاراً ، وكى قبل لا أسعد على عبيد معركة صمدى و انتهت بالشكل الذي انتهت به معركة انصرة نكي لمصيرهم لسيء وعدم ثمة من إراحتهم و حظيرة لاسلام ، في حين ان معاوية كان قد أشرع عثمان بن عفان وجماعته من أعين الصحابة ووجوههم ، وحبسهم رقص رأيه بن علف طلب منه ان يجعل به الحق بالمعالي بدمه من علي بن أبي طالب عبيد لو قنه احد من الناس ، ويعمل مكن اموسائل لتأريه انوقف بينه وبين المسلمين يصل عثمان في سلك معركة ويحيد من قنه سيلاً بعصه ان وسرد على إمام مسلمين مستخدمين في ذلك مروان بن الحكم وعبره من لاموسين حتى لا نخرج لارصة بن وهب لاصبر وعثمان بن عفان عن

حين سلمني لا يحقق لمعاونه أمي، وكان يمتني ويعمل لكي تقتل عائشه في معركه
لبصرة ليستجدي بدلت عصب الناس على علي (ع) ويشحن طلحة وبربر لمعطي
في ثمرهم ويقولون: لو قتلوا شمت قتلها على علي بن أبي طالب وان تنصروا عليه
كان أمون علي منه، ويدرس السم ان لاشر التحمي والخس بن علي (ع) وسعد
ابن ابي روض وعبد الرحمن بن حنبل بن بوليد وغيرهم علي كان يحشي منه على
ولاية وند الخليل المشرع يريد من معاوية ويقول ان الله جودا من اعسل

ان جميع ما قام به علي (ع) منذ راجع الناس عليه وحتى اللحظات
الاحيرة من حياته من الاعمال لا يقوم به عادة من يريد ان يحكم الناس ويستعد
منهم، بل هي أعمال من يريد ان يترك للاحيال مدح تنسبها في مواقفها من
الظلم والظلمين والظلمة المستبدين

ومن يريد ان يحكم وينجح في هذه حياة بعين عينه ان يدري الرؤساء
ويصالح ذوي النفوذ وأرباب الحدة والعلم والخطباء وشعراء، وكان معاوية وغيره
من السياسيين يعدون الأموال على الشعراء والخطباء من ناحية وعلى الرؤساء
ودوي الحدة من ناحية أخرى، سبغ هؤلاء بأمدحه وبشر قصائده وسعاد وشك
بطاعته ومناصرته، ومن تنوع الادب العربي وتاريخ حكمه يذهب بمؤرخين بأمدح
للسيلة والظلمة الذين ورعوا القسم الأكبر من أموال الناس على الشعراء والخطباء
لا شيء الا لاهم شعرون وبصرون، اما فقراء والمساكين بدس لا يستطيعون ان
يعفوا ويعفوا فكانوا عسيري ومهمين

يقدر ان جماعة من رؤساء العراق وهو على معاوية في الوقت الذي كان
يحاول منه ان يرضى والده يريد على الناس فأمرهم دار نصيابه ووضع عليهم
لعيون والخوשים وكان أحدهم شديد وعيها في بقية معاوية وتصرفاته وبأردوا
الرجوع على كل واحد خمسائه ألف درهم وأعطى الذي كان عيب في هذه
تصرفاته مائتي ألف درهم فاحتج الرجل على تعذيبهم عليه فقال له معاوية: اني
قد شريت من القوم دينهم وتركك بك ربك، فقال له الرجل: وأنا مسعد لأن
أبيعك ديني، فصحك معاوية وسأواه برهانه واشترط عليه ان يأخذ البع بولده
يريد من بعده وكان كما أراد، ومدحه الاحطل الشاعر البصري بأبيات جاء فيها

وطدت لب ديس لسي محمد تحلمك اد هرت سها كلاب

وملا شك فان الاحطل البصري الذي لا يؤمن بدين محمد م يصف معاوية

ما حطم وتوطيد دين محمد لناس لا لانه كان يقض من معاوية ثلثه الاسف من الدينارين لحين والآخر من اموال مسلمين ومساكين، ولا حصن و كان نصرانياً، ولكن الاموال التي وفرد له معاوية جعلته لا يبالي اذا وعد معاوية دين محمد او اي دين من الاديان، والناس حين يسمعون هذا الشعر من نصراني يصعبون له ويستهجون ولا يكرثون بدوائمه ولا يراد به

نقد ظهر في تلك الفترة من تاريخ الاسلام رجلا من مشافص من جميع جهاتها لا ينتهيان في صفة من الصفات ولا في جهة من الجهات أحدهما يريد أن يؤسس ملكاً على هوار من الأكسرة وافياصرة وحكيم حان وبيمورلست وعبرهم من طواغيت المصور، والآخر قام بشوكة على الفساد والجنور والتخريب والتزوير على هوار ثورة لانيه والمرسين وأصبح ما يقال عنهما امتداد لشوره لاسلام على الوثنية والعنصرية واستغلال الانسان لاجله لانسان

ونفس ارجلان كمن ذهب غبرهما من الناس وترك عي (ع) لتاريخ ولاحيات صوراً باصعة مشرقه يستعد منها المصلحون وعباقره المعصي و شائرون على الظلم والظالمين وجميع من يريد ان يعمل خبير الانسان وكرمه وحقه في الحياة لخره الكرمه، وترك معدوية صوراً من الحقد والعنصرية والرديئة بكل أشكالها وصورها، ولا عزة في ذلك فلقد ارضعته أم، كانت لحوم لاوليه وأنصار الانبياء وأكادهم ألد لنمسا من جميع ما وفرد الله لعائنه من الخبرات والطيبات

نقد حاول عي (ع) بكل وسائله إدساء قواعد العدل وإفقاد الاسلام من أيدي الأمويين وأعوهم وتصديره لي انعم بواقعه المشرق الذي يمرر بقوى والقنوت بدون الاساطيل والجيوش

لقد ارادها عي (ع) ثورة يصبء ضد الظلم ووثنية الحديد التي ليست حاس لاسلام وتفتت بطلاء شفاف لا يستر بها ولم يرد لاحد ان يكون عدلاً ولا مفسداً ولا مستهتراً بكرامة أحد من الناس، ولكن ذوي الاطماع والذين كادوا يتمتعون بالامتيازات ويمشكون المصور وملايين الدسيس، هؤلاء وعبرهم من احرب الاموي وأنصاره قد اعسوا العصيان واستمر بعد بيعتهم للامام وموابعهم التي سجنوها على أنفسهم، وأعرو سيدة عائشة زوجة النبي (ص) بوجيه من معاوية لأن وجوده يساعد المتمردين ويعري اسعفاء والمعلنون بالانصياع الى حزب طليعة والبربر لانها زوجة النبي وبة الخيمة الاول وبوقلت في طريقها هذا كمن كان يتمنى ويعمل هذه العنة، يستعمل قتلها بالتشيع على عي (ع) ويضع قميصها الى

جانب قبيص ابن عمان عن مير الشام كما صرح به بذلك في ربيعة قام بها لتعدية
بعد عام الحجة

وانته استردون الى البصرة بقيادة طحفة والريبر وعائشة بعد ان اشار عليهم
عبد الله بن عمرو بالسوحه اليها ورغم ان له انصاراً يقاتلون اليه ويشاركهم قتال
علي وانصاره، وكتب معاوية كتاباً الى الريبر بعده بالخلافة ومناصرتة حبه به من
عبد الله معاوية بن ابي سفيان الى مير المؤمنين الريبر بن اعوام، لما بعد فلان قد
باعت بك أهل الشام فنجاسوا واستوسقوا كما يستوسق اغلب هذولك الكوفة
والبصرة قبل ان يسمك اليها ابن ابي طالب وبايعت بطحفة من بعدك فظهرها
لطلب بدم عثمان وليكن فيكما لحد والتشعير اظفركم الله وحذل مساونكم،
واستبشر لريبر خيراً بالكتاب ومملكته بشوه من الزهور ولاطمئنان لمنصبه الجديد
مزعم، وتناول لكتاب بطحفة ولم حوله من مؤيديه وانصاره وعلامات البشر
بادية على وجهه وروح هو وانصاره يتصرفون في البصرة تصرف الفاتحين واعتزلوا
ولها لصحابي اجليل سهل بن حنيف ومثلوا به وبأصحابه وكاد ان يتعرض للقتل
لولا تدخل جماعة لانقاده، وفيما كان امير المؤمنين يحلظ ويعمل بكل ما سديه من
الوسائل اسلامية لاستدراج معاوية ورفقته بالرجوع الى حظيرة الاسلام والعسل
معه بمصلحة العامة في جانب المسلمين، واداه به يدجا بالتمرد الجعيد ويتوجه
التمرديين الى البصرة، فاضطر الى ارجاء الخور مع معاوية ريثما تنتهي مشكته
هؤلاء المتمردين، ونحو من معه من المسلمين وصحابة الرسول ومن شهدوا معارك
الاسلام مع النبي (ص) نحو البصرة ومضى يجذ السير باتجاهها وفي نفسه بقية من
الامل برجوعهم عن غيهم وصلاتهم، ومن مشارف البصرة ارسل اليهم رسائله
وجامعة من الوسطاء بدعوتهم الى التراجع والانضمام الى جماعة المسلمين وحلهم
من عواقب هذا التمرد وما يترتب عليه من الفساد التي تسيء الى مسيرة الاسلام
فأصرروا عن موافقتهم ورفضوا الانصياع لأوامره وتوجيهاته، ومضى في طريقه الى
البصرة والام يحز في نفسه وتزل في ملكه المعروف بالرأية فصرى ركعت ثم عفر
حذيه ببنتراب والدمع يهمر من عييه ثم رقع رأسه ويديه داعياً الله سبحانه ان
يحقر دماء المسلمين ويهجم سواء السبيل وعاد يناديهم انه في الاموال والدعاء
ويذكرهم بمواقفهم مع الرسول (ص) هذ وعائشة على جملها وسط المعركة تحرض
الناس على القتال وتقول، ايها الناس لقد عصينا لكم من سباط عثمان وعصيه أهلاً
تعصون لعثمان من السيوف انني امات عليه، لقد قتل خليفكم مظلوماً بعد ان

منذ بوه وترجع عن سوء تصرفاته والأسلام لا يعطى من اسمهم إذ خطأ أكثر من
 أن يوب، وحدثت المعركة بين الطرفين وقتلوا قتلاً شديداً لم يشهد تاريخ
 بصره مثلاً أشد منه صراوة وعنفاً وتبع أصحاب أمير المؤمنين لحسم المعركة
 فتصعصع جيش المرتدين، هدد وعائشة في هودجها فحصد بها جماعه من بني صبه
 وسوجه الى من على يمينها ناره ومن على شألف اخرى فحصدتهم على قتال والسياب
 ومحمد من هودجها وبذره من الدبير وتصيح بصوت بسمعه اقرب من سعيد
 قاتلة من يأتي برأس لأصلع وبه هدد البذرة، ولاجساد تهاوى في مساحة
 معركة وحول الجسم لأصيب طلحة بن عبيد بن جراحه فأصل اليه
 مروان بن الحكم وأحمر عليه لعلمه بأنه لو بقي بين الخوارج الى نهاية معركة التي
 شرف على بابها لصالح عدياً ومن معه من المسلمين وسيحفظ له حياته ويعده
 من جراحه

وكان عبيد الملك بن مروان يقول بعد ان انتهت اليه اسلطة لولا ان بي
 احبني ما به الذي قتل طلحة ما تركت بيماً لا قتله عثمان، وانتهت المعركة
 محصر الزبير وأكثر البعثة من وقوا الى جانبه، وحبوا عقروا لحمل وسقط هودج
 عائشة وهب عبيد أمير المؤمنين وقتل، يد حمراء ألم بأمرك دسبون انه ان تقري في
 بيتك والله ما يهبط اندى صابوا عقائهم وأبرووث، وأمر أحادها محمد بن بي
 بكر فأحدها بيده وهي تتعثر في مشيتها من الخيبة لقي المثل بها وأرلها في دار صميه
 سب الخرج من أبي طلحة العدي ووضعها تحت الحراسة الشديدة حتى لا يتعرض
 لها حد بسوء وبلا شك فان أيدي أصحاب معاوية لم تستدعت ان تمتد اليها
 حقت معاوية ما كان ينعاء ولكن علي (ع) لم يسمح لأحد ان يتصل بها ويحد
 جميع الاحبيصات لاحتاط مساعي معاوية وخرجه، وقد أمر مدييه ان يدي في
 أصحابه بأن لا يجهره عن حريج ولا يطعنوا مديراً ولا يتبعوا هدياً، كما أعلن
 انعم العام عن كل من ينفي صلاحه ومن يدخن بيته ووقف بين قتلاه وفي
 المتمردين وهو في حالة من لقلو وتتمرق وهو يعلم بأن بين خصومه وأنصاره
 جماعه قد أبلوا بلاءاً حساً في معاركهم مع النبي (ص)، بعد حزن من أهل هؤلاء
 اندى قاتنهم والدين قاتل هم ومن أجل رسالة الاسلام التي كان يتمنى لو يتاح له
 ان يتمرغ لأقادها مما يحيط بها من الاخطار.

لعد نكي لأولئك الذين فادتهم المصمغ والاهواء الى هدد المصير السيء
 اندى لم يكن ينعاء لأحد من المسلمين ولا من بني الانسان، ومن أجل نفسه وقد

وقفت له قريش بالمرصاد كما وقعت لاس عمه من قبل وقد كتب عليه ان يقاتلها على تطبيق الرسالة كما قاتلها على تربيتها، وكان يتمنى ان يقاتل بتلك الحشود التي اجتمعت لقتاله أعداء الاسلام لتبقى مسيرة الاسلام في طريقها الى العالم بأسره، وعاد يتأمل القتل من الخائين وقلبه الكبير يتصدع لهذا المشهد الذي قتل فيه رفاقه في الجهاد مع رسول الله (ص) صرعى الاطباع والاهواء وجعل يترحم على هؤلاء وهؤلاء ولم يسمح لأحد من وثرهم طيحة والزير بأولادهم وعشائريهم ان يتحدوا أحداً او يأخذوا من أموال المنهرمين شيئاً وقال: ليس في هذه الحرب معكم مختصر، ثم أمر من ينادي في شوارع البصرة، من عرف شيئاً له فليأخذه، وعندما طلب منه أنصاره ان يسمح لهم بمصادرة أموال هؤلاء الخوارج قال إن في المعركة أمكم عائشة فمن يأخذها في سهمه.

وبلا شك لو كانت المعركة لمصلحة عائشة وحبيشها لثلثوا بهجت القتل من أنصاره وأباحوا لحبيشهم جميع أموال المنهرمين وحتى نسائهم ودمائهم، ولم يتركوا وسيلة من وسائل العنف والترويع والتشهي الا ارتكبوها

ان أمير المؤمنين (ع) لم يكن في جميع معاركه التي حاضها مع من غرخوا عليه لم يمكن بمحاول ان يصنع من تلك المعارك انتصاراً على احدى السلاح والعتاد كما كان يصنع أحصاه بل كان يحارب ويقاوم بالروح بمسها التي كان يحارب بها محمد بن عبد الله قريشاً وغيرها من المشركين كان يحارب لارحاعهم الى حظيرة الاسلام ويصنع منهم جيشاً يستعين به على إحقاق الحق وعلى الظلم والظالمين والطفلة المستبدين وتصدير الاسلام بمبادئه المشرقة الماصعة الى العالم بأسره، ولذا فانه لما دخل البصرة بجيشه الماتح المنتصر في تلك المعركة التي فرضت عليه فرضاً بكى وتصدع قلبه ولم يدخلها برهو الفاتح المنتصر لانه لم يحقق الاهداف التي كان يحارب من أجلها، وأول عمل قام به بعدها هو إرسال عائشة الى المدينة مع عدد من النسوة لخدمتها وجماعة من أصحابه لحمايتها وحراستها حتى لا يطمع أحد في الاساءة اليها بعد ان كانت ضليعة في تلك المعركة التي لم يعرف تاريخ الاسلام أسوأ منها وقد ذكرنا سابقاً ان معاوية كان يتمنى لها القتل ليستغل قتلها لمصلحته.

ويروي الرواة انها بعد ان استقرت في المدينة كانت تسكي حتى نزل خمارها من دموع عيبيها وتقول: ليتني مت قبل يوم الحمل بعشرين عاماً، وأحياناً تقول: والله ان قعودي عن يوم الحمل لو أتبع لي أحب الي من ان يكون لي عشرة بنين

من رسول الله، وبلا شك فان ثمنيتها وبكدها لم يكونا بدافع التسوية والرجوع الى الله سبحانه من موافقها التي لطحت بها تاريج المرأة المسلمة، بل لاسها فشلت في معركتها وفقدت قاداتها ولم تحقق غير الخزي ولعار وحرج منها علي (ع) التي كانت تراهن على رأسه لقاء بدرة من الدناير منتصراً عسكرياً وأقوى مما كان عليه قبل خروجها الى البصرة وهذا ما لم تستطع الصبر عليه صاحبة الجمل والغفل غفر الله لها ولا أظنه يفعل، واذا كانت تائهة ومادمة كما يحاول بعض الكتاب ان يعتدروا عنها ويسدلوا الستار على جرميتها فلماذا دكت بعلا وخرجت مع الامويين الحاقدين على الاسلام وأهل البيت (ع) يوم دهن الحسن ربيعة رسول الله لتسليمهم من دفه الى جوار جده المصطفى (ص) مدعية ان البيت بيتها ولا ترصى بأن يدعى فيه من لا تحب على حد تعبيرها، وقال لها احد المسلمين يومذاك وهي تزبد وترعد:

تجملت تبغلت ولو عشت تميلت
لك التسع من الثمن ولكل تملك
يوماً على جمل يوماً على بغل

لقد استغل معاوية مصرع طلحة والزبير وكان يتمي لعائشة المصير نفسه ويعمل من اجله لان قتلها سيكون أثراً تأثيراً على علي (ع) من قتلها، وقد وضع له أنصاره حديث العشرة المشرقة بطلحة وعن رأسهم طلحة والزبير ليشتع بقتلها على علي امير المؤمنين ويندبها كما ينذب عثمان.

وتوالت الاخبار على علي (ع) بأن معاوية يستعد للحرب والقتال ويحشد جيوشه لغزو العراق، وان المعارك ستكون على حدوده او في داخله فرأى ان المصلحة تعرض عليه في ظل هذه الظروف ان يتخذ الكوفة عاصمته ومقرراً له لقرها من الحدود السورية ولأن سكانها من العشائر ويتمون الى عشرات القبائل التي انحدرت من العراق والحجاز واليمن وسوريا وغير هذه الاقطار ولا يزال النظام القبلي هو السائد بين سكانها بالرغم من انبائهم للاسلام، وسوف يتجه معاوية بكل امكانياته لتدعيم ذلك السدوم ويث تقوضي وعدم الاستقرار فيها وشراء زعمائها وقاداتها بالاموال والمعريات، والاموال تصنع ما لا تصنعه الاساطيل واسلحة الفتك والدمار، فقرر بعد ان وضع جميع هذه الاحتمالات في حسابه ان يترك عاصمة الرسول بيد احد ابناء عمومته ممن يثق بدينهم وإدارتهم، ويرحل بمن معه الى الكوفة تاركاً على البصرة عبد الله بن العباس أحد أعلام المسلمين يومذاك.

واستغلت الكوفة بكل قواتها مرخنة ومستشرة بقلوبه وأعطوه العهد والميثاق على مناصرته والتصحيات معه الى أبعد الحدود سواء في ذلك من اشترك في حربه لخوارج البصرة ومن تحادل معه فيها واجتمع رأيهم على قتال معاوية وغزوه قبل ان يتحرك هو لقتالهم، ولكنه رفض ان يتحرك من الكوفة قبل ان يعيد الكرة على معاوية ومفاوضته بواسطة من احتارهم لهذه المهمة من ذوي الرأي والبصيرة راجياً ان يعود الى رشده ويتظم بذلك شمل الأمة في وحدة مترابطة تتجه بكل طاقاتها وامكانياتها للعمل لمصلحة الاسلام، وتواتر بينهما الاتصالات بالمرسل والرسائل ومعاوية يزداد تصلباً وصعاباً من يوم لآخر ويتذرع بقتل عثمان وقتله وما الى ذلك من وسائل المراوغة والاحتيايل والمداورة.

ولم تكن اطماع معاوية في سلطة لتخفى على علي (ع) وعلى غيره من حارفيه، وكلهم يعلمون بان الجيش الذي هبأه وروده بكل ما يحتاج اليه منذ أمد بعيد لم يكن الا ليحارب من يتولى أمور المسلمين بعد قريه ابن عثمان كائناً من كان، ولو قدر لطلحة والزبير ان يرسعا معركة البصرة ويتولى الأمور أحدهما لوقف منهما الموقف نفسه الذي وقفه من علي (ع) كما أفصح هو عن بواياه لمن سألته عن أسباب تحمسه ومساندته لها على علي (ع) : «ولو افترضنا ان السلطة بعد عثمان كانت لأحدهما لم يكن لديه ما يملح من ان يستحث علياً على مهاصنها ويعرض عليه المساعدة بكل مقوماتها كما فعل معها حينما تحركا الى البصرة، وكما فعل ابوه في مطلع خلافة ابي بكر، فقد جاء الى علي (ع) يستحثه على الصمود في المعارضة ويعدّه بمناصرتة الى أبعد الحدود، ولو كانت الخلافة من نصيب علي في تلك الفترة لذهب الى أبعد الحدود في مناصرة الحزب القرشي المعارض وتأليب الناس عليه لان خلافة علي (ع) لا تعني سوى استمرار الرسالة بكل أبعادها وجهاتها التي حاربتها أمة مدد ان بزغ فجرها وطلت تحاربها جيلاً بعد جيل منظاهرة بطلاء شفاف من الاسلام تسترت به بعد ان أرغمت على التحلي عن مواقفها المعلنة من الاسلام والاستسلام لقيادته المتمثلة في شخص الرسول (ص).

أجل بعد فشل جميع المحاولات التي عارضها الامام (ع) لحقن الدماء وإصرار معاوية على مواقفه المعادية وبعد ان تواتر الاخبار وتواترت عن حشود معاوية وتحركاته نحو الحدود العراقية، لم يجد الامام بداً من التحرك بمن معه من المسلمين باتجاه الحدود السورية قبل ان يجتار معاوية بمن معه حدود العراق، والتقى الطرفان على شاطئ الفرات في المكان المعروف بصفين، وكان معاوية قد سيطر على الماء

قبل وصول العراقيين اليه وحفظ لمعهم من الماء كوسيلة للضغط والاحراج، وحاول الامام (ع) كعادته بالوسائل السمية اقناع معاوية وحاشيته بالتخلي عن الماء لجميع المخلوقات كالهواء والاعشاب فسم يتوصل معهم الى نتيجة فاصطر الى استعمال القوة لانقاذ عشرات الالوف ممن كانوا معه من الموت عطشاً وأرسل الاشتر النخعي في كتيبة من الجيش فسيطروا على الماء خلال ساعات قلائل، فقال ابن العاص لمعاوية: ما ظلك لو معك ابن ابي طالب عن الماء كما صنعته أترك تقدر على استرجاعه؟

ان ابن العاص ومعاوية بن هند يعرفان علياً ويعلمان بأنه لا يمكن ان يقدم هاج العنوبة وهو يجهل للمعروف محلاً وليس من حلقه ان يطلب النصر بالجور كما يطلعه معاوية وغيره من الحاكمين وهو القائل اذا طغرت بحصمك فليكن العفو احل الظفرين.

لقد حاول جماعة من أصحابه معانينهم بالمثل ولو لفترة من الزمن فأبى عليهم ذلك وأتاح لاختصاصه الذين هددوه قبل ساعات قليلة بالموت عطشاً وورود الماء اسوة بأصحابه.

وهذه النادرة وحدها تكفي أهل الشام لو كان عندهم شيء من الحسن والخلق ان يدركوا حقيقة كل من الرجلين ويعلموا أنهم بمناصرتهم لمعاوية انما يناصرون الشر على الخير والباطل على الحق والظلم على العفو والتسامح والرحمة

وبقي الجيشان على موقعهما ينهلان من الماء على قدم المساواة، وعلي (ع) هو اصل جهوده المصنية ومساعيه المحلصة لسلام وفتح لاهل الشام وقادتهم قلبه وصدره فلم يفلح في مسعاه هذ وفي الوقت ذاته كان معاوية يأمر أصحابه بسسه وشتمه، وحينما سمع علي (ع) أصحابه يدلوهم السباب والشتائم أمرهم بالكف عن ذلك وقال: اي أكره لكم ان تكونوا قوماً سبائين فاذا ذكرتموهم فاسألوا الله سبحانه ان يحقر دمائنا ودماءهم ويصلح ذات بيما ويبيهم ليعرف الحق من جهله ويرعوي عن الباطل والغبي من لحن به

وكان لا بد من المعركة التي فرصها معاوية عليه واحتدم القتال بين الطرفين طوال أشهر معدودات سقط خلالها على ثرى صغير عشرات الالوف من الفريقين وكادت المعركة ان تنتهي لصالح امير المؤمنين (ع) ولكن معاوية ومن معه من معاونيه وجماعة من قادة العشائر العراقية الذين يشكلون العدد الاكبر بعشائرتهم من

جيش العراق كانوا كما يبدو قد أعدوا لكل امر عدته فأمر أصحابه ان يرفعوا المصاحف على أسنة الرماح وطلبوا عيلاً بالاحتكام اليها بدلاً عن السيوف والرماح، وكان امير المؤمنين قد سفهم الى ذلك وطلب من قادة الخوارج في البصرة الرجوع اليه بدلاً من السيوف والرماح وتمسك على معاوية قبل ان يزحف الطرفان الى صفين، وحينما استولى معاوية على الماء ومع علياً وأصحابه منه، الى غير ذلك من المواقف التي كان يطالبهم فيها بالرجوع الى حكم القرآن وتطبيق تعاليمه فكانوا يرفضون ويوجهون بهامهم ونبالهم الى حملي القرآن، وقد ذكرنا سابقاً ان علياً لم يكن يعمل ويخطط ليحكم الناس، بل كان نائراً من أجل القرآن وتطبيق أحكامه وتعاليمه، ولم يكن يطالب بأكثر من ذلك ومن أجل طلبه هذا وإصراره عليه وتجاهله لجميع الوسائل التي يستعملها طلاب الحكم ودهاقين السياسة هم في وجهه الطامعون والخافدون تاركين القرآن ومن انزل عليه وراء ظهورهم وأعلنوها حرباً عليه لا ترحم أحداً فاضطر لقتالهم بعد ان أعيت جميع الوسائل وفقد أضعف الاحتمالات متراحهم عن عيهم وصلاتهم وعودتهم الى حظيرة الاسلام.

ومن المعارفات العربية ان يطلب المدعيه القرآن ومن حاربوه اكثر من عشرين عاماً وما زالوا يحاربوه بأفئدتهم وأفعالهم من مزل عليهم القرآن وتادبوا مادانه وأحلاقه وواحسانه وسبه الرجوع الى حكم القرآن، انها لمهزلة من اسوأ أنواع المهازل ولو كان فيمن يدعون الاسلام من جيش معاوية ومن تواطأوا معهم من أهل العراق قبس من وحي الاسلام وحلق الاسلام لما تواطأوا مع معاوية بن همد على عمل من هذا النوع ولما نجرأ هو واس معاير وعيرهما على هذا الطلب من علي (ع).

لقد ادرك علي (ع) مد ان نظر الى بقرآن مصلوباً على أسنة الرماح أهداف تلك المؤامرة وان القسم الاكبر من قادة جيشه صالعون فيها، وتأكد له ذلك عندما وجدهم يطالبونه بوقف القتال والرصاص بالتحكيم وأدرك ان الغاية منها إما حربه الى معركة جديدة مع معاوية والمثامرين معه من العراقيين لا ماصر له فيها الا المحلصون من شيعته وأنصاره وستكون نتائجها لمصلحة معاوية وحربه، او ايقاف القتال الذي كاد ان ينتهي بقتل معاوية او هزيمته لو استمر عدوة فرس او حلبة شاة، وعلى التقديرين فالراسخ هو معاوية وأنصاره، وما عليه بعد المقاربة بين مواصلة الحرب والبرول عند ارادتهم الا ان يختار أقلها خطراً وصبراً على الاسلام ودعائه، ويقبل تحكيم القرآن لا تحبب ونهرساً من الموت والشهادة التي كانت

تنتظره لو مضى بمن بقي معه من أهل العراق، لا هرباً من ذلك لأنه كان ثائراً والثائر لا يهاب الموت وقد يطلبه عندما يطمئن بأنه سيكون من بعده حافزاً للأجيال على الثورة وصرخة مدوية تقض مضجع الظالمين وتقضي عليهم في كثير من الأحيان.

إن الثائر إذا مات شهيداً تصع شهادته ثوار آخرين وتتلاحق قافلة الثوار جيلاً بعد جيل وكل قافلة من تلك القوافل تضيف إلى شعلة النور لهيباً جديداً، ومن المعلوم بأن علياً (ع) لو حارب واستشهد هو ومن بقي إلى جانبه في مثل هذه الحالة وفي ظل هذه الأجواء فإن استشهاده لا يؤدي إلى ذلك وسوف لا يستفيد منه غير الحرب الأموي وأنصاره، وسيكون لموقف مدوية مه ما يبرره بنظر الجماهير التي تنخدع بالمظاهر وتندفع في كثير من الأحيان في أعمالها بدافع لاشعوري تستمد من ظروفها النفسية أو الاجتماعية، ثم تفكر بعد ذلك لتصطنع لأعمالها اسبأاً تدافع بها عن نفسها.

لقد وضع أمير المؤمنين جميع هذه الأخطار التي مستحتم عن مواصلة القتال بمن بقي إلى حابه من أهل العراق في حسابهم وأدرك أنه سيحوض معركة خاسرة لا تخدّم غير معاوية وأنصاره فأعلن موافقته على التحكيم وهو واثق بعدم جدواه لأن المطالبين به والمختارين لتقييده من الجانبين من أبعاد الساس عن كتاب الله وأحكامه، ولم يوافق عليه إلا لأنه أقل ضرراً على الإسلام من المضي في المعركة كما ذكرنا، وفي جميع مواقفه كان يضرب أروع الأمثلة على نزاهته وتفانيه في سبيل المبدأ والعقيدة، مهما كانت الظروف بالغة التعقيد والقسوة.

وقد دأب على التعبير عن موقفه لمذهبي وهو إشار السليم على الحرب بأي ثمن كان على شرط أن لا يمس صماء لإسلام ووحدة المسلمين وما هو يخاطب أصحابه الناصيين من قوله لتحكيم ومتناعه عن الإذن لهم بمواصلة القتال ويؤكد لهم بأن ذلك لم يكن كرهاً بالموت كما اتهمه بعضهم بذلك. فقال: أما قولكم بأنني شككت في أهل الشام موافقة ما توقفت عن الحرب يوماً إلا وأنا أطمع في أن تلحق بي طائفة لتهتدي بي وتعشو إلى صوتي وذلك أحب إلي من أن اقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها.

وهذه الكلمات تؤكد ما أشرنا إليه من قبل وأنه لم يكن يسعى ويعمل من أجل السلطة وبسط نفوذه وسلطانه وإن جميع حروبه ومواقفه كانت من أجل السلم والعدل ومن أجل بناء المجتمع الإسلامي الأمثل

لقد كانت حروبه مع السبي (ص) من أجل بناء الاسلام وثيسته ضد الجاهلية
مكل ما تمثله من جهل وتخلف وانحطاط، وفي أحرىات أيامه كانت من أجل صيانة
المجتمع الاسلامي من الانحراف وصيانة الاسلام من التحريف الذي مارسه
الحزب الاموي بعد ان توافرت له أسس الحكم.

لقد كان قادرا في الفترة التي كرس فيها مسؤولاً عن أمور المسلمين ان يحقق
لنفسه وأسرته معانم سياسية ومادية لا تحصى لو انه هادن تلك القوى التي كانت
تعمل لتحريف الاسلام وإعادة المجتمع الجاهلي الى ما كان عليه، ولكنه وفاء منه
للاسلام وللمسلمين صحتى بكل ذلك وحتى بنفسه حفاظاً على الاسلام من
التحريف والتشويه وعلى مصالح المسلمين وكرامتهم وحريرتهم من ان تداوس تحت
أقدام الحاكمين وشرعائهم الجاهلية. وقد اوماً الى ذلك في بعض خطبه فقال كما جاء
في بعض خطبه من بهج البلاغة اللهم نك تعلم ان الذي كان ما لم يكن منافاة
في سلطان ولا التماساً لشيء من فصول الخطام ولكن لشرذمة المعالم من ديك ونظهر
الإصلاح في بلادك ويأس المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك.

ومهما كان الحال فلهذا بدل لكل ما يمكن لإقناع المشفقين عه من جيشه بأن
معاوية وحزبه ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وقال لهم: اني أعرف بهم مكتم لقد
صحبته صغاراً وكباراً فكانوا شر صغاراً وكباراً وان دعوتهم هذه كلمة حق أريد
بها باطل وليست سوى مكيدة وحديعة، اعيروني سواعذك ساعة فلقد بلغ الحق
مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دبر الدين ظلموا، فكان جوابهم ان احاط به نحو من
عشرين ألف مقاتل مضعين بالحديد وهم يقولون: أجب القوم والا قتلنا كما قتلنا
ابن عفان بالامس، فاضطر الى القبول بالتحكيم وكان ينظره أقل الشريرين
والصريرين خطراً عليه وعلى من بقي معه من ذويه وبنيه وخلص أصحابه.

ونمت الهدنة بين الطرفين كما تم اختيار الحكيم كما يريدون لا كما أراد،
وبعد التوقيع على وثيقة الهدنة تراجع عريق عن فرضوها وفرضوا الحكيم عليه
وظلموا منه الرجوع عن التحكيم واستشف القتال بوحى من اولئك الذين وصعوا
فكرة التحكيم وهم على يقين بأن علياً سيقصها ويبقى مصرأ على حرب لغير
مصلحته، وكان محيطاً بكل ما حططوه وأرادوه وجعل يرفق بهم ويدعوهم الى
اختيار ما فيه العافية.

ثم تعجل الخروج من صمين متجها الى العراق مخافة ان تتأزم الامور
وتضطره الى ما لا يريد، ولم يتأخر في صمين بعد إعلان الهدنة أكثر من ثلاثة أيام

تفرغ فيها لدهن القتلى وحرّح منها منظوياً على نفسه يتجرّع الآلام الخفية ومرارة تلك الأحداث التي لا يقوى على تحملها أحد غيره من الناس ولم تنته المؤامرة عند هذا الحد فالدين اضطروه الى قبول الحكم تحت يد هو أدهى وأمر رجعوا يلدنون عليه ويطلبون منه ان يتوب الى ربه وأعلنوا انصبيان عليه بتحريض من الأشعث ابن قيس وغيره ممن اشتراهم معاوية بالامور والوعود لمعربة ليشعلوا عليها ومن معه عن الاستعداد للحرب ثانية كان أمير المؤمنين يعمل للاعداد لها وراحوا يفسدون في الأرض قتلاً وترويعاً وما أشبه ذلك، وكب من حمله من قتلهم وهم في طريقهم الى الهروان الصحابي الحليل عند بله بن حباب مع زوجته الحامل بعد ان بقروا بطيها واستحرحوا منها جيباً دبحوه عن صدرها لان روحها لم يكفر عليها كما كفروه. وحيثما بلغت أحبارهم أمير المؤمنين (ع) وما صنعوه مع عبد الله بن حباب وزوجته حرّح اليهم مع جماعة من أصحابه وحاول ان يردعهم عن صلاحهم بالحجة والمنطق فلم يسمعوا له وكان حوهم الآخر له لو تمكنا منك لصعنا معك ما صنعناه مع عبد الله بن حباب، فبعد ذلك يش منهم وحمل عليهم ممن معه من أصحابه وحلال ساعات قلائل قضى عليهم ولم يسلم منهم سوى تسعة أشخاص فروا من المعركة، كما لم يقتل من أصحابه سوى تسعة، وكان قد أحرأ أصحابه بذلك قل أن يباحهم كما تؤكد ذلك أكثر المصادر المؤيدة

ومن المفارقات العربية ان المؤرخين والمحدثين قد اعترفوا هذه الفرقة المتمردة على الامام (ع) النواة الاولى للمخوارج الذين اقصر مصاحح الأمويين خلال ثمانين عاماً من حكمهم وكان الموالي يشكون فيهم انقواء بصارية وقد نجبرت ثورتهم في بدايتها بالدعوة الى العدالة والمساواة ثم أصبحوا من الفرق الاسلامية السيئة التي تختلف عن الأشاعرة والمعتزلة والمحدثين في بعض الأصول والمروغ، هذا مع العلم ان المشيقين من جيش علي (ع) بعد معركة صفين لا يختلفون عن المتمردين عليه في البصرة وحتى في صفين فأولئك وهؤلاء قد خرجوا عليه بعد ان لرمتهم طاعته طمعاً وخوفاً من عدله، وكما كان معاوية يحرض طليحة والربيع ومن معها ويمنيهم بكل أنواع المغريات فالمشيقون عن جيشه بعد معركة صفين كان حروجهم بتحريض من أنصار معاوية وحلقة من حلقات المؤامرة التي حيكت خيوطها على يد معاوية وابن العاص والأشعث بن قيس وغيره من رعياء العراق خلال الاتصالات التي كانت تجري بين الطرفين في صفين وغيرها، ومع ذلك فقد اعتبروا المشيقين عن جيشه النواة الاولى للمخوارج ولم يطلقوا هذا الاسم على الذين خرجوا عليه وحاربوه في

البصرة مع أنهم من نوع واحد .

لقد عانى أمير المؤمنين من هؤلاء وغيرهم ممن كانوا الى جانبه في الكوفة ومن قريش وغيرها أقصى ما يمكن ان يعاينه المصلحون وأصحاب الرسالات في حياتهم ، وبلغ به الحال في أواخر أيامه انه كان يقبض على كريمةته ويبكي من سوء معاملة الناس ويتخاذلهم عن نصرته وتلبية صرحته ودعواته المتتالية ، وأحياناً يقول : لقد ملأتم قلبي قيحاً ، ويتذكر سوء الرسول (ص) بمصيره ويقول : متى يبعث أشقاها ، وأخيراً يبعث أشقاها وتم لمعاوية وابن لعاص تنفيذ المؤامرة التي اشترك فيها جماعة من قادة العراق ورؤسائهم ، وصربه ابن ملجم في المسجد على رأسه في فجر اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، صربة كانت بها نهاية حياته الكريمة ، وعندما أحس بلدغ السيف قال كلمته المشهورة : مرت ورب الكعبة ، تلك الكلمة التي تشير الى مدى ما كان يعاينه من الألم النفسي في تلك الفترة من حياته ، والكلمات الأخيرة التي ينطق بها الانسان في ساعات صراعه مع الموت تعبر في الغالب عما يكمن في عقله الباطن من آلام وهموم واحزان

لقد ملَّ أمير المؤمنين (ع) **بجميع الناس** وكان يسعى مراقبهم بالموت أو القتل وينتظر سوءة سيد المرسلين الذي لا ينطق عن الهوى الذي احمره بكل ما يجري عليه من محبه ومبعضيه وبالشكل الذي تنتهي به حياته ، كان يتنظر ذلك ويقول : متى يبعث أشقاها ليحصب هذه من هدا ، مشيراً الى كريمةته ورأسه ، لقد ملهم وملوه لاسم لم يستطيعوا ان يتحملوا عدله ولم يكن من دينه وخلقه ان يستعمل معهم أساليب غيره لان العالب بالشر معلوب سطره ، وملأوا قلبه قيحاً كما كان يقول ، فكانت تلك الضربة على رأسه بمثابة الانفاد له من تلك الآلام التي كان يعانيتها وخرج من ديار أولئك الذين جرعه العصص والآلام فاشلاً ان صبح هذا التعبير ، ولكن ذكراء نقيت على مدى لاجيال تجسد الحق والخير وجميع القيم وتدفع الانسان على الثورة والكفاح من أجل العدل والرحمة وكرامة الانسان وخرج من الدنيا مثقلاً بالمهموم والاحزان للمصير السيء الذي سينتهي اليه الاسلام والمسلمون على يد الحرب الأموي الذي توافرت له جميع إمكانيات الحكم والسيطرة والتسلط الغيظ وما الى ذلك من الأساليب التي شوهت الاسلام وجعلت منه امبراطورية لا تختلف عن امبراطورية الفرس والرومان الا بطلاء خفيف من الاسلام قد استخدموه ليستروا وثيتهم وجاهليتهم الأولى

لقد حكم الأمويون باسم الاسلام بحراً من تسعين عاماً مارسوا خلالها جميع

أشكال العنصرية ومظاهر الجاهلية وظلم وطمعان، وفي الوقت ذاته كانوا يرفعون
المآذن ويشيدون المساجد ويكسون الكعبة بأفخر أنواع المسوحات ويقدمون لها
أفخر أنواع التحف والمجوهرات، كل ذلك يفتطمعون من أموال الفقراء والمساكين
والمستضعفين، وأحياناً يعاقبون السارق والراي، ولكم كانوا يحرقون الكعبة وجميع
المساجد ويعرضونها لأسوأ أنواع الخراب والدمار، اتجأ إليها أحد من كانوا
يطالبون بالعدالة والرحمة خوفاً من سياطهم وسيوفهم، ومضى على ذلك جميع
السلطين والحاكمين وبالاسلوب والروح معها التي حكم بها أسلافهم، ولا يزال
الحاكمون يسرون على درب الامويين وأسيئهم للسيطرة والنفوذ

لقد ثار العباسيون والعلويون والشيعة على الامويين وأطاحوا بدولتهم في
المشرق ولما استتت لهم الامور كانوا أسوأ من الامويين ومارسوا الجور والطمعان
والظلم بأفحج صورته وأشكاله، ويحكى الرواة عن المصور العباسي انه كان يقول:
قتلت من ولد فاطمة القفاً او يزيدون، ولما مات وجد حليفته المهدي في غرفة من
عريف قصره اكثر من خمسين رأس من رؤوس العلويين ومع كل رأس رقعة من
الحساس في احدى أذنيه عليها اسم ونسب النبي رسول الله (ص) وتحول الصراع
والتنافس اللدان كانا في عهد الامويين بين أمية وهاشم الى صراع من نوع آخر في
عهد العباسيين بين العلويين والعباسيين على ميراث النبي وان عمه كان أولى بميراثه
او ابن عمه، وراح الشعراء يتنازعون في ذلك بقاء مئات الآلاف من الدنانير يدفعها
لهم الخليفة من مال الله لانه يفصل العباس على علي وبنيه وعلى اسم الحسن
والحسين وتناسوا الاهداف والشعارات التي رفعوها في ثورتهم على الامويين،
وأصبحوا يرون الخلافة وراثية للعباس من ابن اخيه محمد بن عبد الله (ص) لانه
اقرب اليه من علي بن ابي طالب (ع).

وجاء في تاريخ البرامكة في ظل الخدمه للاستاذ محمد براق ان احد الشعراء
أنشد الرشيد قصيدة جاء فيها:

أعم رسول الله اقرب زلفه لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وايها أولى به وبعمه ومن داله حق الوراثة قد وجب

ومدح ابن ابي حفصة المهدي العباسي بأبيات جاء فيها كما في مروج الذهب
للمعري:

يا ابن النبي ورث النبي محمداً دون لا قارب من بني الأرحام

وكانت عشرات الآلاف من الدنبر تنهال عليهم لقاء هذا النوع من الشعر الذي كانوا يفاخرون به العلويين ويدعون لأنفسهم ارث النبي في الخلافة.

وفي الوقت الذي كانوا يتباهون بقراشهم القريبة للشيء وانهم يمثلون طله على الأرض كانت قصورهم تعج بالفساد والمكرات وتضم بين حدرانها عشرات الآلاف من الجوارى والعبيد والمعيلات، وحراج الامبراطورية الجديدة المقلقة بالاسلام من شرق الأرض وغربها يتجه نحو بغداد وإلى قصور الحاكمين بالذات، ولا يبالي خليفة الرسول هارون الرشيد أن أي مكان تحته الغمامة وفي أي مكان امطرت ويحاطبها قائلاً: «سيرى أبى سرى في حراحك» وما دام حراجها سيتهي حتما إلى سيدات القصور وجوارىهن ويصبح تحت أقدامهن ويبقى الفقراء كما كانوا يطحنون الماء ويقترون التراب

وكما كان الرشيد وغيره من سلاطين بني العباس ورثة الرسول كما يدعون كان غيرهم ممن تعاقبوا على الحكم بعدهم من فاطميين وغيرهم يمارسون جميع ألوان الفحور والمكرات والاحرام، ولا يعتمدون غير السيف والمال لنشاء دولتهم وتشديد ملكهم كما فعل الامويون والعباسيون قبلهم.

ويدعي الرواة أن المعز لدين الله الفاطمي حينما دخل مصر فاتحاً اجتمع عليه الناس وقالوا له: نحب ان نعرف لمن ينتهي نسب مولانا الامير الى الحسن او الحسين، فجرد السيف وقال: هذا حسبي، ثم نثر عليهم صرر الدنانير والدرهم وقال: هذا سبي، فقال الناس: صدق مولانا امير المؤمنين لقد سمعنا وأطعنا، وفي حدود هذه السياسة حكموا وفاقوا غيرهم من السلاطين في الترف والاسراف في الظلم والاستهتار بكرامة الانسان ومقدساته واداء ملك غيرهم من العباسيين آلاف الجوارى والعبيد فان الحاكم بأمر الله الفاطمي كان يملك وحده عشرة آلاف جارية وخادم وتملك اخته ست الملك ثمانية آلاف جارية منها الف وخمسمائة من الجوارى الالبكار، ولما استولى صلاح الدين الايوبي على قصور الفاطميين وجد في القصر الكبير اثني عشر الف نسمة من الجوارى ليس بينها فحل سوى الخليفة وأولاده^(١).

ويدعو من مجموع ذلك ان الامويين الذين حكموا ونصبوا أنفسهم حلفاء

(١) انظر المخطط للمقريزي وتاريخ التمدن الإسلامي لحرشي زيدان والمختارة الإسلامية لادم متر وغيرهما من مجاميع التاريخ

لرسول الله (ص) قد نحسوا في تعطيل مسيرة الاسلام وحولوه الى امراطورية لا تختلف عن امراطورية الفرس ولرومان لا بالشكل والمظهر وجميع من جاء بعدهم من الحاكمين مضي على طريقهم وحكم لعاد والبلاد بالروح نفسها التي كان يحكم بها معاوية بن ابي سفيان وهشام بن الحكم والوليد بن يزيد وغيرهم من أحفاد أمية، ولا يزال الحاكمون على ذلك حتى عصرت وفي البلاد التي يدعون فيها الوصاية على الاسلام كما كان يدعي معاوية بن همد وأحفاد الحكم بن العاص، ويفرضون فيها على عوام الناس وسوادهم ممارسة بعض طقوسه ومظاهره ويعاقبون السارق والزاني احيانا ولكن اذا كان من سرور الدس وفقرائهم ولا يمت الى العائلة الحاكمة بصلة من الصلات وهم في الوقت ذاته يدرسون بشرة ولهفة جميع أنواع المعجور والمنكرات في قصورهم ومتجعاتهم وفي أي مكان حلوا فيه داخل بلادهم وخارجها وينثرون مئات الملايين من الدولارات تحت أقدام الخواري والمغنيات والراقصات اللواتي يتوافدن الى قصورهم من هنا وهناك.

ولو قيصر الله لقصور هؤلاء الحكام والأمراء الذين يزعمون بأنهم حماة الاسلام من يحتلها كما احتل صلاح الدين قصور العاطميين وليس ذلك على الله سعيه لوحدوا فيها عشرات الألوف من الشفراوات ومئات الاطباء من مختلف أنواع المنكرات، وينمي ان يتم ذلك بواسطة من يملأ الله به الارض قسطاً وعدلاً بدلاً مما ملئت به من الظلم والحدود واستهتار بالقيم والمقدرات باسم الاسلام، ولو احتلها غيره فلا احسب بأنه سيختلف عنهم شيء الا بالشكل والمظهر كما تؤكد ذلك الأرقام.

الانتفاضات الشعبية بعد عام المحنة

لقد شاع بين المؤرخين تسمية العام الذي استتبت فيه الامور وانتظمت لمعاوية بن هند وانتهت اليه السلطة بعد ان رأى الامام أبو محمد الحسن بن علي (ع) ان مصلحة الاسلام والمسلمين تفرض عليه ان يحقن دمه ودم احواله وخلص شيعته ويتنازل عن السلطة لمعاوية. لقد شاع تسمية ذلك العام الذي تم فيه الاتفاق بينهما بالشروط التي فرضها الامام (ع) بعلم الجماعة للاجتماع المسلمين على حاكم واحد بعد المعارك الدامية التي اقمعتها الحزب الأموي خلال السنين الأربع التي كان أمير المؤمنين (ع) يحاول إصلاح ما افسدته قريش وبخاصة الحزب الأموي في عهد هشام بن عфан من قبله.

ولو ان المؤرخين والمسلمين تجاهلوا هذه المناسبة وأدركوا ما ينتظر الاسلام من المصير السيء بعد ان انطلقت أيدي الأمويين وامتدت الى جميع الشؤون الاسلامية لسمّوه عام المحنة بدلاً من عام الجماعة.

لقد استسلم الحزب الأموي للاسلام بزعماء ابي سفيان بعد حروب استمرت نحواً من عشرين عاماً وانتهت باستسلام الحزبين القرشي والأموي للاسلام وقائد مسيرته ومضى الاسلام في طريقه من نصر الى نصر ليقف على أبواب مكة أمنع معاقل الشرك والوثنية يومذاك ويقف أبو سفيان مذهولاً الى جانب العباس بن عبد المطلب يستعرض ذلك الجيش الفاتح ويراقب تحركاته بمرارة وهلع، فيلتفت الى العباس قائلاً: لقد أصبح ملك ابن اخيك عظيماً يا ابا الفضل، ويترك العباس ما ينطوي عليه أبو سفيان فيشتهره قائلاً: إنها النبوة يا أبا سفيان، ويسكت الشيخ على مضض وألم وترتفع راية الاسلام فيها تضمته من خير وطهر ومحبة وفيها قدمته ومستقدمه من

مبادئ ومثل هي أروع منحة تقدمها السماء للإنسان على هذه الأرض.

ويقف ابن هاشم اليتيم الذي احتارته السماء ليكون بذيرها على الأرض ورحمة للعالمين لا يكون ملكاً عظيماً كما يتصور أبو سفيان، وينطلق موكب النبوة والرحمة مفتوحاً أبواب مكة ليمنح أمية ذلك الوسام الرائع الذي كان وسيقى على مدى العصور والتاريخ سمة خزي وعار قاتلاً. اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وهل يتحمل أبو سفيان هذه النهاية لمجده المتهاوي بين أشلاء اللات والعري وحطام الخرائق، لم يحتمل ذلك ولم يترك وسيلة من وسائل الكيد للإسلام إلا واستغلها إرضاءً لحفده وعنصريت الجاهلية وطل حتى النفس الأخير من حياته يعتقد أن الإسلام ملك لهاشم لا للإنسانية جمعاء، وقد جاءت كلماته حينها انتقلت السلطة إلى سليل بيته عثمان تعبيراً صارخاً عما كان يضمرة من سوء للإسلام فقد اتجه إليه وقال: لقد انتقلت اليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بي أمية فإنما هو الملك ولا أمري ما جنة ولا نار

وفي رواية ابن عساکر أنه كان مكفوف البصر يومذاك فدخل على عثمان وقال. ها هما احده؟ فقالوا: لا، فقال **اللهم اجعل** هذا الأمر أمر جاهلية والملك ملك خاصية واجعل أوتاد الأرض لني أمية، ومضى إلى قبر الحمزة في أحد يقوده غلامه وحيسا وقف عليه ضربه برجله وقال: قم يا أبا حمزة أن الذي تجالدا عليه لقد أصبح تحت أقدامنا^(١)

ولم يكن معاوية باظهر نغساً من أبيه ولا بأقل منه حقداً على الإسلام وحامساً للجاهلية آنائه لا سيما وقد مشأ في أحضان أم لم تعرف الشرية في تاريخها الطويل الواسع الأم وأشرس منها وقد شاهدها تعبت بأحشاء الحمزة وتآكل من كبده وتصنع من اعضائه عقداً تتشقى بالنظر إليه عندما تذكر قتلاها في بدر، وبالرغم من ان قياد الامة قد اصبح بيده ولم يكن هو وأسرته يجلمون بأكثر من زعامة مكة وقيادتها المحدودة فكان من الوفاء لو كانت أمية تمثل ذرة من القيم والوفاء ان تخلص للرسالة وباعثها وللأمة التي قدمت في سبيل بنائها بكثير من التضحيات والقرايين لتضمن لها استمرار البقاء، ولكنها بدلاً من ذلك ظلت أسيرة أحقادها لم تتعد الموقف الذي كانت عليه في الجاهلية وهو إحباط أهداف الرسالة وإضعاف طاقاتها وتشويه معالمها والانحراف بها عن المعطيات والمثل التي تمثل واقعها المشرق.

ان سلوك الحاكم هو الذي يحدد سلوك الأمة أفراداً وجماعات وأتباعاً وقيادات

(١) أنظر الطبري وتاريخ ابن عساکر وغيرهما من مجلص التاريخ

في مختلف الميادين، وعانت الأمة كثيراً من مآسي الصراع الضاري في المواجهة الصعبة بين تلك القوى التي تعتبر الاسلام ملكاً لهاشم والمحتلة حقداً على الرسالة وباعثها وبين القوى المحلصة التي تعتبره ملكاً للاساية جمعاء ورحمة للعالمين.

ولم يكن عداً أمية للاسلام ومحاولاتها لتحريفه وتشويه معالنه وإحباط أهدافه يطلق من عدم إيمانها بواقعيته فحسب بل كان بالاضافة الى ذلك ينطلق من عدم تحملها لان يكون الناعث له والمرسل به سليل هاشم محمد بن عبد الله اليتيم، وكان يؤلها ويقض مضاجعها ان يذكر ذلك اليتيم وتردد الملايين اسمه من على رؤوس المآذن والمنابر في كل يوم عشرات المرات وتشهد له بأنه الرسول الامين من الله سبحانه لنبي الانسان ما دام الانسان موجوداً على هذه الارض كما يبدو ذلك من بعض الفلغات التي كانت تصدر منهم بين الحين والآخر وبخاصة من معاوية بعد ان أصبح الاسلام بيده يتصرف به كما يشاء.

فقد جاء عن مطرق بن المغيرة بن شعبة انه قال: وفدت مع أبي المغيرة على معاوية وكان أبي يأتيه ويتحدث اليه ثم يرجع الي فيذكر معاوية وعقله وتدييره ويقدر فيه ذلك، وفي بعض الليالي رجع من مجلس معاوية مغتياً وأمسك عن العشاء فانتظرت ساعة وظننت ان ما ظهر عليه انما هو شيء أصابه، ثم قلت له: ما لي أراك مغتياً منذ الليلة؟ فقال: يا بني لقد جئتك من عند أحب الناس، فقلت: وما ذاك؟ فقال: لقد خلوت بمعاوية وقلت له: إنك يا أمير المؤمنين لقد بلغت منك فلو اظهرت عدلاً ووسطت خيراً ونظرت الى اخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عدهم اليوم شيء تخافه.

فقال لي: هيهات هيهات ملك اخوتيم فعدل فوالله ما عدا ان هلك وهلك ذكره الا ان يقول قائل: كان ابو بكر، ثم ملك اخو عدي فاجتهد وشمر عشرين فوالله ما عدا ان هلك وهلك ذكره الا ان يقول قائل: كان عمر بن الخطاب، ثم ملك اخونا عثمان ولم يكن احد في مثل نسبه فعلم ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا ان هلك وهلك ذكره وذكر ما فعل الناس به.

وان اخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: اشهد ان محمداً رسول الله فأبي صعل يفتي بعد هذا لا أم لك الا دفنا دفناً^(١).

(١) كما روى ذلك عنه المسعودي في مروجته وابن أبي الحديد في شرح التلج عن الموفقيات للزبير ابن بكار، وكان الزبير هذا من المتحريين لمعاوية والمعادين للتشيع كما تؤكد ذلك المصادر التي تعرضت لتاريخه.

والذي يلفت النظر في هذا الحديث هو تركيز معاوية على الجانب المصري في حديثه، فهو حين يذكر عثمان لا يرى لأحد مثل سبه لانه كان أموياً وحين يذكر النبي (ص) لا يذكره باسمه او بلقب الرسالة، بل يقول: وان احا هاشم ولا يطيق ان يرى له هذا المجد العظيم الذي ينطلق من عطية لرسالة التي اختاره الله لحملها ونشرها في شرق الارض وغربها لا من امرته ونسبه.

لقد كان ما يسمونه بعام الجماعة بعد استيلاء معاوية على السلطة وقيادة الامة في واقع الامر عام محبة على الاسلام والمخلصين من المسلمين لرسالة محمد بن عبد الله (ص) وكان اول عمل قام به هو الاسحراف بالامة عن خطتها الرسالي وطمس الحقائق والمثل التي تعبر عن الوحة المشرق للاسلام، وكما لم يتمكن معاوية ان يتحمل بقاء تلك الصورة المقدسة للاسلام الذي جاء لانقاذ البشرية من ظلمات الجهل والنفس والانحطاط لم يتمكن ان يتحمل بقاء تلك الصورة المشرقة للامام علي (ع) فعرض على أتباعه من الخطباء والولاة وأدباهم مسنة ولعنه على المنابر وفي المجتمعات، ولم يكن الدافع له على ذلك سوى حقده المصري الذي ملك جميع احساسه ومشاعره، والا فما الدافع لعمل من هذا النوع وقد استصابت له الامور وخصعت له الرقاب وانتهى دور الامام (ع) بمصرعه ودور ولده الحسن (ع) بما يسمونه الصلح وعام الجماعة ولم يعد في الساحة من يحافضه على ملكه واستقامت له الامراطورية الجديدة في شرق البلاد وغربها.

ثم بقي شبح سيف الامام علي بن ابي طالب يقطر من دماء اعداء الله بني امية وعبد شمس وغيرهم من أحلافهم المشركين في بدر وأحد والخيبر، وبقي شبح الايمان والاسلام اللذين يمثلهما علي في حكمه وجميع مراحل حياته وبقيت القاعدة التي تؤمن بحقه وأولويته في الحكم وقيادة الامة، وبقي بالاضافة الى كل ذلك شبح العنصر الهاشمي الذي اختاره الله من أظهر أرومة أحببتها البشرية في تاريخها لحمل الرسالة على الارض، هذه الاشباح بقيت نهر مشاعر معاوية والأمويين وتثير فيها نوازع الحقد والحسد والانتقام ولو كان بمقدوره ان يمس صاحب الرسالة ويعرضه للسباب والشتائم لم يتأخر ولكنه أدرك ان ذلك يعني الاصطدام المباشر مع جميع القوى الاسلامية حتى الموالية منها للأسرة الحاكمة، وبدلاً من ذلك اتجه الى اقوى شخصية اسلامية من الهاشميين بعد النبي (ص) ففرض على الناس سبها وهو لا يريد من وراء ذلك سوى سب النبي، واندفع بكل قواه وطاقاته في محاولة منه لتحطيمها بالسب والشتم واختلاق الاحاديث وتشكيل المواليين لها وما الى ذلك من

أساليب العنف والجور والتعذيب التي استعملها ابن هند وأسرته ليحول الانظار والمقول عن علي ومحمد وأسرته ولكنه لم يملح في شيء من ذلك بل كان في عمله هذا وكأنه يعمل على نشر فضائله ويأخذ بضعه الى السماء على حد تعبير الشعبي وعمد الله ابن عروة لولديهما.

وصمد المخلصون من شيعة علي (ع) في وجه حكومة معاوية ومخططاتها الهادفة الى تصفيتهم وآثروا الموت على الحياة في سبيل المبادئ التي آمنوا بها وعاشوا من اجلها عقيدة وعملاً، فأنارت تلك المواقف الصامدة الحريئة من أولئك الأبطال الميامين جنون الانتقام في أعماق معاوية والحاقدين من أسرته وأعدائه فراحوا يتخطون في توزيع الاتهامات وأساليب التشكيل بالقتل والتعذيب والتشريد وملاحقة أصحاب الإمام بكل أنواع الأذى، ولكنهم لم يهزموا امام تهديداته وملاحقتهم ووقفوا منه موقفاً يتسم بالقوة والثبات غير عالين بالموت ولا بغيره من أساليب التعذيب والتشكيل.

لقد كان معاوية يتلذذ بسب علي وشتمه وتعذيب من لم يتبرأوا منه ويلصوه في المحافل والمجمعات وكتب الى موظفيه وهما له في المقاطعات ان لا يحيروا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وهو حينها يسب علياً ويلعن يسب عمداً باللدات لأن محمد (ص) شاع عنه بين الصحابة انه قال: يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فقد كفر. وكتب الى عماله نسخة واحدة في جميع البلدان جاء فيها: انظروا من قامت عليه البيعة انه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطائه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة اخرى جاء فيها: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهتموا داره.

وجاء في المجلد الرابع من شرح النهج لابن أبي الحديد أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين انك قد بلغت ما كنت تؤمل فلو كففت عن لعن هذا الرجل وسبّه والتشكيل بمحببيه وشيعته فان ذلك خير لك، فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاك فضلاً، وكتب الى جميع عماله ان يرث اللعنة ممن يروي شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته^(١)

(١) شرح النهج ج ٣ ص ١٥ والمسعودي في مروج الذهب ج ٢ والطبري وغير ذلك من المجاميع.

وبلغت أساليب التعذيب والارهاب حداً جعل الكثير من الناس يفضلون تهمة الزندقة والكفر على تهمة التشيع لما كانت تجر وراءها من المتاعب والنوائب، وأصبح الناس يتهيبون ان يذكروه باسمه حتى فيما يعود الى أمور التشريع، فكانوا إذا أرادوا ان يرووا عنه يقولون: روى أبو زيب، وعرف بهذه الكنية بين فقهاء التابعين، واشتهر التعبير بها عنه.

وجاء في مناقب أبي حنيفة للمكي أن أبا حنيفة كان يقول: إن بني أمية كانوا لا يفتون بقول علي (ع) ولا يأحدون به وكان علي (ع) لا يذكر بذلك باسمه والعلامة عنه بين المشايخ أن يقولوا قال الشيخ ومنعوا الناس أن يسموا أبناءهم باسمه، ويتعرض للبلاء من سمي ابنه علياً^(١).

وكان أشد الناس بلاء أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (ع) فقد استعمل عليها معاوية زياد بن سمية وضم اليه البصرة فكان يتبعهم وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام علي (ع) فقتلهم تحت كل حجر ومدبر على حد تعبير المؤرخين والاعباريين، وأحاطهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع السخل ومضى عن ذلك حتى لم يبق في الكوفة من يستطيع ان يتجاهر بالتشيع لعلي وبنيه كما تؤكد ذلك جميع المصادر التي تحدثت عن الامور في تلك الفترة من تاريخهم وبقي علي بن أبي طالب يحتمل جفوله الملايين وفلولهم على مرور الاجيال.

لقد كان معاوية بهذه السياسة الخرقاء التي ان دلت على شيء فانما تدل على انه كان من أحهل الناس بالسياسة ومن أقصر الناس نظراً، لقد أراد ان لا يذكر ذاكر لعلي (ع) فضلاً كما جاء على لسانه في جواب من رغب اليه ان يكف عن شتم علي ومبىءه، فجعل الناس يغالون في نشرها وينهاقون على حطها، وأراد ان يقضي على التشيع فساعد على نشره واتساعه، وقدما قيل إذا أراد إنسان ان ينشر فضل إنسان فليس عليه الا ان يمنع الناس من الحديث عن فضله، وقال بعض الشعراء في هذا المعنى:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيها حاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
لقد عدوه من دهاء السياسين وأقطاهم لأنه نجح على أخصامه وساعدته
أسباب ليست من صنعه بل هي من صنع الظروف التي كانت تحيط بالاسلام

(١) انظر مناقب أبي حنيفة للمكي ص ١١٧ وشرح النهج ج ٢ ص ١٧.

وقادته المحلصين القلائل ولو قدر له ،المثل لكان من أسوأ الناس حالاً بنظر السياسيين وأجهلهم بها .

وكما وصفوه بالسياسة والدهاء وصفوه بالخلم والعمو عن أحصائه ومناوئيه ، في حين انه كان يعاقب ويقتل على التهمة ولم يظفر بأحد من الموالين لأحصائه السياسيين الا وبكل به وجرعه أسوأ أنواع الأذى والعذاب ، وأصدر أمراً لولائه بمطاردة جميع المتهمين بالتشيع ومصادرة ممتلكاتهم وأوراقهم ، وقتل فيمن قتل من آلاف القتلى الأبرياء جماعة من أعيان لصحابة والتابعين كححر بن عدي وأمثاله فأبى الخلم الذي كان يتصف به ابن أكلة الأكباد وأي فرق بينه وبين أمه التي ظلت بعد معركة بدر تتحين العرص تتشهى من محمد وأصحابه حتى اذا أتيح لها ذلك مثلت نعمه الحمرة بما لا يمكن ان يدخل في حساب احد من الناس وبعد ان تمكن رضيعها وأصبح الامبراطور الأرحم دون مراحم ورقيب كان عليه لو كان يحمل درة من الانسانية والقيم والخلق ان يعفو ويصفح حتى عن أعدائه السياسيين ويعيد الى نفوسهم الهدوء والطمأنينة كما يفعل أكثر الساسة والحاكمين في كل عصر بعد ان يتصرفوا على خصومهم وتنسق لهم الأمور ، بدلاً من نشر الخوف والدعر في قلوب المؤمنين والتشكيل بالصعف والمظنومين

لقد عفا أمير المؤمنين عن عائشة ومروان بن الحكم يوم الحمل وأعلن العفو العام عن جميع المقاتلين ولم يسمح لأحد من أنصاره الذين ربحوا المعركة ان يملوا أيديهم لشيء من أموال المهزومين ، وعفا عن ابن العاص وسير بن أرطاة في صفين بعد ان أصبحا تحت رحمة سيده ، وسقى معاوية وجيشه الماء بعد ان معه عن أهل العراق حينما كان مسيطراً عليه .

لقد كان معاوية في عهد الإمام (ع) يجهز الخيوش من الوحوش الفسوارى كبسر بن أرطاة ومسلم بن عقة والصحاك بن قيس وهيرهم ، ويأمرهم بنزول المقاطعات الخاضعة لحكم الامام ويقتل الشيوخ والأطفال والنساء فيتسللون حيث يوجههم كاللصوص والقراصنة حتى د ، ظفروا لا يتركون حرمة الا انتهكوها .

لقد حدث سفيان بن عوف العاملي وهو أحد قواده العسكريين فقال : دعاني معاوية وقال . اني باعثك بحيش كثيف ذي اداة وجلادة فالزم لي جانب الفرات حتى تمر بيت فتقطعها ، فان وجدت بها جندا فأضر عليها وامض حتى تغير

على الأسار فإن لم تجد حنذا فامض حتى تتوغل في المذائن ان هذه الغارات يا
سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرج كل من له هوى فينا منهم واقتل من
لقينه ممن هو ليس على مثل رأيك واصرب كن ما مررت به من القرى، واحرب
الاموال فان حرب الاموال وسلها شبيه ماقتل وأوحع للقلب

وامثل الغامدي أمر سيده اس هد وحمل بحيله على الأمنيين وملا البيوت
والأزقة من جثث القتلى ورجع بما وجده من أموال المسلمين الى قصر الخضراء في
دمشق وهو يقول. ما غررت عروة أقر للعبود وأمر على النفوس من هذه الغزوة.

ودعا معاوية الصحاك بن قيس الفهري أحد قواده وقال له: سر على اسم
الله حتى تمر بساحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت فمن وجدته من الأعراب على
طاعة علي (ع) فأعر عليه واقتله، وبعد الصحاك أمر سيده وأسرف في قتل الأمنيين
والفتك بهم والسلب والنهب وقتل كل من وجده في طريقه وأغار على قافلة في
طريقها للذبح فأخذ ما معهم من الامتعة وقتل جماعة منهم عمرو بن عميس بن
مسعود ابن اخ عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله (ص)

وأرسل بسر بن أرطاة في جيش الى مدينة الرسول وكان بسر سماعاً فظاً قاسي
القلب على حد نصير ابن ابي الحديد في شرح النهج وقال له: سر بمن معك حتى
تمر بالمدينة فأخف من تمرهم وأطرد الناس من البيوت وأهب كل ما فيها من
الاموال وأحبر أهل المدينة بأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، ولما دخل ابن أرطاة
المدينة تهددهم وتوعدهم بالقتل وأحرق بيوت من كانوا على غير رأيه من انشاء
المهاجرين والانصار، وكان معاوية قد أوصاه ان يقتل شيعة علي حيث كانوا وبعد
ان قتل جماعة من أهل المدينة خرج منها الى مكة وكان الوالي عليها لعلي (ع) قثم
بن العباس فخرج منها هارباً ودخلها بسر بن أرطاة فقتل جماعة وأحرق دورهم
واستولى على أموالهم وأخذ الشيعة من أهلها لمعاوية

وجاء في المحلد الأول من شرح النهج انه قتل طعنين لعبيد الله بن العباس
وهما سليمان وداود وكانا في مكة، مع أخوهما من بني كنانة، وفي رواية ثانية انه
قتلها في صنعاء حيث كان والدهما عبد الله والياً عليها لعلي (ع) وكان قد فرعها
حين دخلها الغزاة فقض بسر على العلامين ودحها وأمهها تنظر اليها فصارت
كالمدهوشة لا تملك من أمرها شيئاً وكان يجتمع اليها ناس وهي تندبها بقولها:

ها من أحسن بابي اللديس ها كالدريين تشطى عنهما الصدف

ها من أحسن ما بي اللدير هـ سمعي وقلبي قلبي اليوم محتطف
ها من احسن ما بي اللدير هـ مسح العظام فمحي اليوم مزدهف
نبئت سرا وما صدف ما رعموا من قتلهم ومن الاعك الذي اقترفوا
انحى على ودحي ابني مرهفة مشحودة وكذلك الاثم يقترف
من ذل والهة حسرى مسلبة على صيين ظلا اد مضى لسليف

ومضى اس ابى الحديد في شرحه بقول: لقد بلغ عدد الذين قتلهم سر من
أرطاة في غزوته تلك ثلاثون ألفاً عد من أحرقهم بالنار، ولما رجع الى معاوية
وقص عليه أحاربه قرنه اليه ورجع منزله، وأصاب الى ذلك في شرح السج وكما
فعل بسر من أرطاة لمعاوية في المدينة ومكة من قتل وتخريب وإحراق فعل مسلم من
عقة بأمر يريد من معاوية في المدينة فقتل الرجال والنساء وأماحها ثلاثة أيام لم يمه
من الجيش وانتقل منها الى مكة فحاصرها وقتل فيها كل من لم يكن مواليا ليريد من
معاوية وهدم حاساً من الكعبة بعد أن لتجأ الناس اليها خوفاً على دمائهم
وأعراضهم من الأمويين^(١) الى كثير من جرائم معاوية التي ارتكها قبل عام الجماعة
وبعده بدافع من حلفه على الاسلام وممانته ودعمته، ومع ذلك فقد كانوا يسهون
بحكمه ويصرون به الامثال كما جاء في المجلد الثالث من شرح السج وغيره^(٢)

في حين ان المتنوع لتاريخه بجده مشحوناً بالامثلة على انه كان ينشئ ويلتد
بالتكامل بالابرياء وقتل الصالحاء ومطاردتهم وممارسة جميع وسائل الارهاب وحقق
لأشياعه وأسرته جميع ما عجزوا عن تحقيقه خلال حروبهم لمحمد (ص) ورسائله
خلال عشرين عاماً او تزيد وقد اعتاد الناس ان يرسلوا أحكامهم على الاشخاص
من رابطة النتائج التي حصلوا عليها، ما كيف حصلوا عليها فذاك لا يعينهم،
وأحياناً يبحثون عن المبررات المشروعة وينحلونها لهم

وفي ضوء هذا الواقع الذي يعيشه ناس منذ أقدم العصور عدوا معاوية من
دهاة السياسيين وكانوا يصرون المثل بحكمه ويقولون له ما يشتهي لا شيء الا
لانه حكم الناس وسيطر على أمور المسلمين بالقوة والخداع والاحتيال وقد وصف
بعض الشعراء هذا الواقع بقوله:

والناس من يلق حيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المحطل الهبل

(١) أنظر ج ١ من شرح النج ص ١٢٠ و ١٢١.

(٢) أنظر ص ٤٧٧ من المجلد المذكور.

لقد كان ما يسموه بعام الجماعة بداية لعهد جديد وتحوّل في تاريخ الاسلام ومسيرته توالّت فيه الكوارث والمحن على الاسلام والمسلمين ودعائه المحلّصين لمبادئه ورسائله، بداية لعهد تحوّل فيه الاسلام من محتواه الرسالي على يد معاوية الى ملك قيصري وكسروي كان النبي (ص) يترقبه ويتحوف منه ويؤكد على المسلمين ان يكونوا في منتهى اليقظة والحذر ويقفروا صفاً واحداً في مقابل تلك الطعنة الحاقدة ويقتلوا معاوية اذا راوه على مسره، حيث قال، كما جاء في تاريخ بغداد للخطيب وتهذيب التهذيب لابن حجر وتاريخ الطبري وكوز الحقائق للمناوي وميران الاعتدال للذهبي وغيرهما: اذا رأيتم معاوية على مسري فاقتلوه، وحينما رأى ابا سفيان على جمل وابنه يزيد يقوده ومعاوية يسوقه قال: لعن الله الراكب والقائد والسائق.

كما جاء في تاريخ بغداد وتفسير الطبري وأسد العامة ان النبي (ص) رأى بني أمية ينزون على مسره نزو القردة والخنازير فنته من يومه مهموماً معموماً فزلت عليه الآية:

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أرى لك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾^(١) الى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تؤكد ان النبي (ص) كان قلقاً على مصير الاسلام من بني أمية وحريصاً على ان يبعث في النفوس روح الحذر واليقظة وأن يكونوا في المستوى المطلوب عندما تصح السلطة في تصرف تلك الفئة الناعية الحاقدة على الاسلام ومُحنه والمحلّصين له من وتروا قريشاً بقادتها وزعمائها وأبائتها خلال معاركهم مع الاسلام في بدر وأحد والاحزاب وغيرها من المعارك.

وكانت حكومة معاوية بداية لذلك العهد الاسود الذي يسموه بعام الجماعة بعد ان اضطّر الامام ابو محمد الحسن بن علي (ع) للتخلي عن الحكم حرصاً منه على مصلحة المسلمين، وبعد ان وقف بنفسه على جميع المؤامرات والتدابير التي أعدها معاوية للقضاء عليه وعلى اخوته وأهل بيته والصفوة المختارة من قادة جيشه وأنصاره الذين لم يستحيوا لتهديدات معاوية ولا هزباته.

لقد اتحد سليل أمية جميع التدابير لنقضه عليه وعلى تلك الحملة الكريمة من ذويه وأنصاره بواسطة العرافيين أنفسهم، ولم يكن الإمام بخيلاً بنفسه واخوته وذويه من عشيرته وأنصاره لو كانت نصيحته تخدم الاسلام وتفضع مخططات

(١) أنظر ص ٦ و ٧ من مقتل الحسين (ع) للسيد عبد الرزاق المقرم الطبعة الرابعة

الأمويين ومواقفهم المعادية له، ولكن معاوية كان قد اتخذ جميع الاحتياطات وأعد لكل امرئ عدته بوسائله الخاصة التي تبره من مسؤولية قتله لدى الرأي العام الإسلامي فيما لو رفض الإمام فكرة الصلح، وكان الإمام على علم بكل ذلك ورسائل قادة جيشه ورؤساء القبائل الذين اشترى منهم دينهم وكتبوا إلى معاوية يشعرونه بطاعتهم العمياء واستعدادهم لتسليمه الإمام مكتوفاً إذ اقتضى الأمر فاضطر بعد ذلك كله لاتخاذ الموقف الذي تمهيه مصلحة الإسلام وموت على معاوية جميع تدابيرهم وتنازل له عن السلطة بعد أن أرسل إليه معاوية صحيفة بيضاء موقعة منه ليضع فيها الشروط التي يراها كما جاء في تاريخ الطبري وغيره^(١) فوضع فيها الإمام شروطه وكان من أبرزها العمل بما جاء به الإسلام ومقاومة الظلم والظالمين وأن لا يتعرض معاوية وأنصاره لأحد من شيعتهم سوء ولا يشتم علياً في قنوت صلاته وغيرها كما كان يفعل، وأن يعامل جميع المسلمين على اختلاف أحسابهم وأنسابهم وألوانهم بالرفق والعفو، وأن تكون الخلافة من بعده إلى الإمام الحسن ومن بعده لأخيه الحسين وينتهي دور الأمويين بالسبب إليها بوفاته، ولا يحق له أن يعهد بها لأحد أو يهبها لغيره كائناً من كان^(٢)

ويدعي أكثر المؤرخين أنه استثنى ما في بيت مال الكوفة لنفسه واشترط لأخيه الحسين مبلغاً من المال في كل عام، ومع أن أشك في هذا الشرط ولم تتوافر لدي من المصادر الموثوقة ما يؤكد، علو صبح فلا بد أن يكون استثنائه لمصلحة المسلمين لعلمه بأن القسم الأكبر من حرية الدولة سيذهب إلى أولئك الذين ساوموه ومهدوا له الأمور وساعدوه على استلام السلطة لقاء ما وعدهم به من الأموال والمراكر

وبلا شك فإن الإمام أبو محمد الحسن (ع) كان يهجم من تلك الشروط أن تسير الأمور في طريقها الصحيح ويبقى للإسلام وجهه المشرق وأن يتوقف معاوية عن ملاحقة الموالين لأمير المؤمنين ومطاردتهم وعن سب علي وشتمه وأن لا تكون الخلافة ملكاً لبني أمية يرثها صبياتهم كما يتوارثون متروكة آباءهم وأمهاتهم وأن تعود بعد معاوية لأصحابها الشرعيين، أما لأموال التي يدعي بعض المؤرخين بأنها كانت من جملة الشروط التي تم عليها الاتفاق فلا أستبعد بأنها من صنع الكذبة

(١) أنظر العراق في ظل العهد الأموي لعلي حسين الخطيب ص ٧٠.

(٢) أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤ وابن كثير والإصابة والإمامة والسياسة لابن قتيبة وابن أبي الحديد في شرح النهج وقد نقل عن هؤلاء جميعهم المرحوم العلامة السيد محمد جواد فصل الله في كتابه صلح الحسن ص ١١٤ و ١١٥

الذين كانوا يروون للحاكمين ما يشاءون ويشتهون، والعرص من إقحام هذا الشرط بين بنود الاتفاق التشيع على الامام واتهمه ببيع الخلافة كما كان المنصور العاسي وغيره من سلاطيمهم ينعته بذلك حيثما توالى عليهم انتفاضات العلويين وأقضت مضاجعهم.

ولم يكتف الامام ابو محمد الحسن بالاتفاق الموقع من معاوية بل اخذ عليه العهود والمواثيق بحضور حشد كبير من أهل الشام والعراق لتنفيذ جميع البنود والشروط بمتهى الدقة والأمانة، ولا اظن ان الامام (ع) كان يظن او يترقب وفاء معاوية والتزامه بما عاهد الله عليه بل كان كما أرخى يعلم بأنه سوف لا يفي بشيء منها، ولكنه اراد ان يصعب تحاه امر واقع وبين للعالم ان الامريين كحاكمين ومحكومين لا يلتزمون لا بالاسلام ولا بما تفرضه الاعراف الدولية من الالتزام بالمعاهدات والاتفاقات حرصاً على الروبط الاجتاهية وحفظاً للنظام العام، كما وان الاسلام نفسه قد اهتم هذه لوائح اهتماماً بالغاً وأكد رعاية العهود والوفاء بها فقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾. وقال في الآية من سورة الانصاف ﴿وَأَنْ اسْتَنْصِرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ عَلَى الْقَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾

فلقد دعت الآية جميع المسلمين الى ان يهوا الى نصرة احوانهم في الدين ادا استنصروهم ما لم يكن بينهم وبين المشركين عهد وميثاق فعليهم والخال هذه احترام عهودهم ومواثيقهم

وقال امير المؤمنين (ع) في عهده لما لث الاشر حينها ولاء مصر وأرسله اليها: وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك دمة فأحط عهذك بالوفاء وارع دمتك بالامانة واجعل نفسك حرة دون ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الساس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم ونشئت ارائهم من تعظيم الوفاء بالعهود فلا تغدروا بدمتكم ولا تخيس بعهدك ولا تحنلن عدوك ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق.

ولهذا النص الداعي الى الوفاء ونكرامة والقيم الانسابية أمثال في هج البلاغة يؤكد فيها الامام (ع) على أصحابه وقادة جيشه وجوب الالتزام بالعهود

(١) حنل عدوه أي حذعه وخدر به

والمواثيق وجميع النواحي الانسانية مع اخصلهم من أي نوع كانوا ولا يجعلوا من العهود مع أعدائهم فرصة للمعدي بهم بل يعرض عليهم المحافظة على عهودهم بصدق وإخلاص حتى في الحالات التي يستفيدون فيها من الغدر ونقض العهود، ويرى ان جميع العلاقات بين الناس ولو كانت بين المسلمين وغيرهم يجب ان تقوم على المبادئ الاحلاقية والانسانية التي تجمع وتؤلف وتشد الناس بعضهم الى بعض، اما الغدر ونقض العهود والمواثيق ولو كانت تجر من ورائها مغنما وتصنع انتصاراً فلا يقرها الاسلام ولا يراها انتصاراً، ولذلك كان (ع) يقول: الغالب بالشر مغلوب.

لقد نظر النبي (ص) الى معاوية من وراء العيب على منبر علي (ع) في الكوفة لأول مرة بعد تلك العهود والمواثيق التي عاهد الله والمسلمين على الوفاء بها، وهو يقول بدون حياء ولا حجل: اني ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا بل قاتلتكم لاثامكم عليكم وقد أعطاني الله ذلك، وان كل شرط وعهد اعطيتهما للحسن بن علي فهما تحت قدمي هاتين لا آتي له ولا لعيره شيء منه. لقد نظر اليه وهو على منبره يتحدث بلغة الطعنة والجسرة وبحضور مبظم الحسن بن علي (ع) وحشد كبير من المسلمين، فلعنه وقال: اذا رايتم معاوية على منبري فاقتلوه

ولكن المسلمين بدلاً من ان يقتلوا وصية رسول الله (ص) الذي لا يسطق عن الهوى ويقتلوا معاوية عدو الاسلام ومن جاء بالاسلام، والذي فرض سب علي وشتمه على مسار المسلمين وعهد وتوعد من لم ينهض أوامره ويتبرأ من علي وبنيه وشيعته وأنصاره وهو يعلم انه يسب ويدعن رسول الله لانه سمع النبي هو وغيره من المسلمين يقول في عدد من المناسبات من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، بدلاً من ان ينفذوا وصيته بمعارية فقد مهدوا له الطريق الذي أوصله الى منبره وساعدوه على اس عمه أمير المؤمنين وقتل سبطيه الحسن والحسين والتنكيل بمن رفضوا لعن علي والبراءة منه وثاروا على الظلم والطغيان كحجر بن عدي وأصحابه البررة الكرام ورشيد الهجري وميثم التمار وعمرو بن الحمق الخزاعي وسعيد بن جبير وغيرهم من آلاف الصالحاء الذين آثروا الموت والشهادة في سبيل الجدا والعقيدة.

لقد لعنه رسول الله (ص) وأمر بقتله لانه سمعه من وراء الغيب ومن على منبره بحضور عشرات الالوف من مسلمي بلاد الشام وغيرها يفترى عليه ويقول: أيها الناس ان رسول الله (ص) قال لي اسك سبلي الخلافة من بعدي فاختر

الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال وقد احترتكم فآلعنوا أبا تراب .

فأخذ الناس يلعنونه ومضى على ذلك هو وعياله وأنصاره، وكان يقول في خطبته يوم الجمعة: اللهم ان أبا تراب قد ألد في ديك وصد عن سبيلك فآلعه لعناً وبئلاً وعذبه عذاباً ألياً^(١) هذا بعد ما هاهد الله على أن لا يذكره وولده بسوء .

وقد بالغ هو وعياله في لامصار في مرض هذه الجريمة على المسلمين حتى أصبحت من أحرار صلاة الجمعة وأركبها، وبلغ من إسرائهم في المحافظة على التزام المسلمين بها أن بعض خطبائهم نسي لمن علي في خطبة الجمعة وتذكر أنه نسي هذا الأمر وهو في السفر فوقف عن كان معه وشم علياً بالالفاظ والكلمات التي اعتادوا أن يذكره بها فبورا مسجدا في ذلك المكان المبارك وسموه مسجد الذكر^(٢) .

ويبلغ الحال بأحد عملاتهم خالد بن عبد الله القسري يوم كان والياً لعدد الملك بن مروان على مكة والعرق، أنه كان في خطبة الجمعة يسب علياً والحسن والحسين ويذكرهم بأسمائهم، وأحياناً حينما يذكر أمير المؤمنين (ع) يقول: صهر رسول الله (ص) على ابنته وأما الحسن والحسين ويلتفت إلى المجتمعين تحت مسره قائلاً: هل كبت؟

وحاء عن الحافظ السيوطي أنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف مبر يسبون عليها علي بن أبي طالب (ع) نتيجة لتلك الخطبة التي وضعها معاوية بن أبي سفيان وفرضها في الأوساط الإسلامية بدمال والسلاح، وهذه المناسبة يقول أحمد حمظي الشافعي في أرجورته:

وقد حكى الشيخ السيوطي أنه قد كان فيما جعلوه سنة
سبعون ألف منبر وعشرة من فوقهم يلعنون حيدرة
وهذه في جنبها المعظم تصغر كل توجه اللوائم^(٣)

لقد رأى النبي (ص) بني أمية يسرون على مسره كما تنزوا القردة والخنازير والمذلول الواضع لهذه الرؤيا أنهم يتوارثون الحكم خلفاً عن سلف وتصبح السلطة

- (١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٦١ والنصائح الكافية ص ٧٢ عن أبي شيان الجاسط في كتابه الرد عن الإمامية كما جاء في المجلد الثاني الإمام الحسن للقرشي .
(٢) الإمام الحسن عن مقتل الحسين للمقرم ص ١٩٨ .
(٣) أنظر ص ٣٤٣ من كتاب الإمام الحسن المجلد الثاني للقرشي .

وراثه في بني أمية، فراعته ذلك وجاءت الآية لتؤكد رؤياه أو نبوءته فلعنهم وحلر المسلمين مما سيلاقونه من أولئك الغلمان الذين يشبهون القردة والخنازير، وظل النبي طيلة حياته يعاني ويتلوى من مصير السيء الذي ينتظره الاسلام من تلك الفئة الباغية لانه لم ير رؤيا الا جاءت كملق الصباح وقد أكدت الآية وشبهت بيت أمية بالاشجار الملعونة التي تحمل أحث الاثمار وأمرها مذاقاً وأكثرها ضرراً على الناس.

لقد سبق في علم الله سبحانه ان الامة ستختار لنفسها هذا المصير وتولي قيادتها تلك العصاة على التوالي ورآهم النبي (ص) يسزون على مسيره كالقردة والخنازير فتجسدت لديه المخاطر وتمككه الخوف والقلق على مصير الاسلام والمسلمين وأكدت له الآية كما اشرنا الى ذلك من قبل ما رآه في يومه وان بني أمية سيتعاقبون على مسير الاسلام خلفاً بعد سلف ولازم ذلك ان معاوية سيجعلها من بعده لولده العاجر المستهتر بالقيم والاعراف وجميع ما جاء به الاسلام، وليس لدى معاوية ما يمنعه من ذلك اسلامياً وأخلاقياً فامية لم يحافظ الاسلام نفوسها ولا عقولها، كما عبر عن ذلك زعيمها ابو سفيان في اليوم الذي امتلقت الخلافة فيه الى سليل بيته عثمان بن عفان، ولم يحدث التاريخ عن قلة تلك الأسرة وحكامها انهم التزموا بشيء من المبادئ الاخلاقية والانسانية التي وضعها الاسلام لتكون اساساً لبناء المجتمع الاسلامي الذي يقوم على الوفاء بالحقوق واحترام الانسان لآخيه الانسان مهما كان لونه وجنسه والالتزام بجميع المعهود والمواثيق والوعود، ولو كان نقصها يحرم من وراثته مغلماً ويصنع امتصاراً.

ان ما تسميه الاديان والناس ولاعراف عنراً وحيانة ونكثاً وفتكاً وما الى ذلك مما حرّمه الاسلام وغيره من الاديان والقوانين الدولية والاعراف لا وجود له في قواميس قادة هذا البيت وهو من نوع اللغو والهراس وكل شيء عندهم حسن ومباح ما دام يجر معنفاً ويندر عليهم أرباحاً، وقد صرب معاوية بن هند عشرات الامثلة على ذلك من سيرته وسياسة.

وكان من جعلتها لا من أواخرها موقفه من الوثيقة التي وقعها بخط يده وأشهد قادة الجيش عليها وعاهد الله والاسلام أكثر من مرة على الوفاء والالتزام بإخلاص وأمانة بكل بنودها وبخاصة ما كان منها يتعلق بسبب علي (ع) وعدم التعرض لشيئته، ورجوع الخلافة الى الإمام الحسن ومن بعده لآخيه الحسين

اللذين نص النبي (ص) على إمامتهما مرات عديدة بحضور العشرات من الانصار والمهاجرين حتى أصبح حديث إمامتهما من مسلمات النبي لا ينكره الا من سخرهم معاوية لإنكار الضرورات الاسلامية واختلاق الاحاديث في فضله وفصل المواقف للاسلام وحماته من أسرته.

هذه الوثيقة بعد ايام قلائل من توقيعها وضعها تحت قدميه وهو على مسير رسول الله وقال: ألا وان كل شرط اعطيتك سحس بن علي هو تحت قدمي هاتين لا أفي له بشيء منه، واتجه الى اخشود مجتمعاً من أهل الكوفة وقال: اني ما قائلتكم الا لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون.

ان النبي (ص) رأهم يزرون على مسره كالقردة والخنزير والنبي لا يطلق عن الهوى، وكان معاوية الاول او الثاني من فروع تلك الشجرة الذين رأهم النبي من وراء الغيب يزرون على مسره، ولا بد وأن يشرو من بعده ولده يريد بن ميسون، وهو منذ الايام الاولى لعام المحنة مصمم على ان يمككه من مسير رسول الله ويجعلها له من بعده، بالرغم من انه كان منوذاً ومكروهاً من أكثر المسلمين وبخاصة ممن كان يومذاك على قيد الحياة من المهاجرين والانصار، لانه كان مستهتراً بالاسلام بكل ما في الاستهثار من معنى ومصرفاً الى العادات والاحلاق البدوية العبيدة عنه، ومرّة ذلك كما يرى جماعة من الكتاب الى تأثره بمعشر سكان البادية وبالمسيحية التي تغلب على أهلها، وقد شأ معها مع أمه المعركة في البدوة والتي كانت تفضل سكنى الخيام على القصور وحبر الشعير على أطياب الطعام، وحيثما تركها معاوية ورجعت الى أهلها في البادية ترك لها ولدها يزيداً وكان صغيراً فتشأ بينهم وعلمت عليه جميع العادات كالصيد والغناء وشرب الخمر وما الى ذلك من مظاهر الجاهلية والبدوي، وقد ورث من أمية البغضاء والكراهية للهاشميين والانصار، وكان يتجاهر بذلك بدون تخرج ويتمنى لو يتاح له الانتقام لأسرته.

ويعزو بعض الكتاب هذه الظاهرة الى اسبابها من آثار تلك العقد الدخيلة التي خلقت في نفسه حروب أسرته لمحمد والمسلمين وما حلّ بأسرته وأحواله فيها. ولم يكن ليغيب عنه ان جدته هند ظلت تعاهم وتديهم لمدة طويلة وقد افتحرت على النساء في سوق عكاظ بعظم ثكلها وشدة حرها على من فقدتهم في تلك المعارك^(١). وقال الدكتور طه حسين في كتابه الادب الجاهلي ان يريد بن معاوية كان

(١) أنظر ص ٢٤٤ و ٢٤٥ من وعظ لسلطان علي الوردي

صورة صادقة لحده أبي سفيان بن حرب في استنصافه بالاسلام وإشاره العصبيات القبلية على كل شيء وهو صاحب وقعة الحرة التي قتل فيها من الانصار وأبنائهم أكثر من ثلاثين ألفاً ومن بينهم ثمانون من الذين أدلوا قريشاً وأسرتهم في بدر وغيرها من المعارك، وقد انتهك فيها حرمت الانصار في المدينة وأباح نساءهم وأموالهم بجيشه^(١) وكان معاوية يعرف كل ذلك عن ولي عهده ووارث عرشه ويعرف ان عملاً من هذا النوع سيصطدم بكثير من الصعاب ولعمقات فراح يعمل بجهد واجتهاد على تدليلها ولم تكن مطاردته للشيعنة وملاحقتهم بكل أسواع الأدى الا من ضمن ذلك المحطط كما كان من جلته بذل الأموال والوعود المعربة لرعياء العراق وقادة المسلمين وعقد مؤتمراً كما جاء في رواية ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة دعا اليه جماعة من حلفائه وأنصاره فلم يجد تجاوباً مشجعاً له الا من المعيرة بن شعبة الذي أراد ان يستعيد مركزه في الكوفة وقد كان معاوية قد اتخذ قراراً بعزله عنها وتوليبتها لسعيد بن العاص، فقال له: لقد رأيت يا أمير المؤمنين ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفي يزيد خلفهم فاعقد له فان حدث بك ما حدث كان كهفاً للناس وحلفاً لك، فقال معاوية: كومن لي ساقم هذا الامر؟ فرد عليه المعيرة بقوله: اما اكفيك أهل الكوفة ويكفيك رباب أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يجالئك، فأرخته الى الكوفة ليمهد له الامور فيها فرجع اليها وقال: لقد وصعت رحل معاوية في عرر بعيد لعابه على أمة محمد وفقت عليه فتقاً لا يرتق ابداً^(٢).

أما رباب بن أبيه فقد كان من بين عماله الذين لم يشجعوه على هذا الأمر ونصحوه بالتروي وعدم الاقدام على عمل من هذا النوع لعلمه بما ليريد من المكانة السيئة عند عامة المسلمين، وجاء في كتاب رباب لمعاوية: إن أمير المؤمنين كتب الي يزعم انه قد عزم على البيعة ليريد من بعده وهو يتخوف الناس ويرجو مساعدته على ذلك، ومضى يقول: إن يريد يا أمير المؤمنين صاحب رسالة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد وشرب الخمر وغيره من المنكرات ويعرف عنه ذلك الجميع وأرى لك ان تنتظر المناسات، وأوصى لرسول الذي حمل اليه الكتاب ان ينصحه بالتروي والتؤدة في هذا الأمر على حد تعبير الرواة والمؤرخين.

ورأى معاوية ان يذهب الى الحجاز معقل المسلمين الاوائل وفيها من بقايا

(١) الأدب الجاهلي ص ١٣٦

(٢) أنظر المجلد الثالث من تاريخ ابن الأثير ص ١٩٨.

الصحابة وأبائهم وذوي الرأي والصبرة جمعة تتطلع اليهم الانظار وتهفو بحوهم القلوب فذهب الى يثرب سنة ٥٠ من الهجرة ليختبر نوابيهم ويرى ما عندهم بخصوص هذا الامر الذي أصبح شغله اشغال، ووجد من الجميع ما يشبه الإجماع على المعارضة، وتكلم باسم الجميع عند الله بن الزبير كما في رواية الإمامة والسياسة لابن قتيبة، وكان عيافاً في رده على معاوية

وجاء فيه: ان الخلافة يا معاوية لقريش لا تناها الا بمآثرها السيئة وأفعالها المرصية مع شرف الأبناء والأمهات وكرم الأسماء، فأتق الله واصف من نفسك فإن في المسلمين عبد الله بن العباس بن عم لرسول وعبد الله بن جعفر ابن ذي الجناحين وأبا عبد الله بن الزبير ابن عمه رسول الله، وقد خلف علي بن أبي طالب حسناً وحسيناً وأنت وجميع المسلمين يعلمون من هم وما هما، ومضى يقول: فأتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك، ولم ير من نقايا الصحابة ولا من أبناء المهاجرين والأنصار ما يشجعه على المضي في إعلان ولده الخليفة ولياً لعهد مروح من الحجاز كاليائس منهم، وفي الوقت ذاته فهو لا يأمن أهل العراق وأكثرهم من الشيعة وبينهم عدد كبير من الرعياء والفضلاء لا يفصلون على الحسن أحداً ولا يرصون بغيره

وكان معاوية على يقين من ذلك، **وحيثما اجتمع بالأحنف بن قيس وكان الرعيم الأول الذي ترجع اليه قبيلة تميم في جميع مشاكلها ولا تعصي له أمراً** وعرض عليه معاوية ولاية العهد ليريد من بعده رد عليه قائلاً: لقد علمت يا معاوية بأنك لم تمتح العراق عوة ولم تظهر عبيها تعصاً ولكك أعطيت الحسن بن علي من العهود والمواثيق ما قد علمت ليكون به الأمر من بعدك فان نف فأت أهل الوفاء وإن تعدر فأنت تعلم ان وراء الحسن خيراً حياً وأدرعاً شجاعاً وسيوفاً حداداً وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أعينها والقلوب التي أبغضاك بها لفي صدورنا، وإن تدن من الحرب فترا، بلد منها شراً، وإن تمس لها سهول اليها، وأن تضمر لها شبراً من عذر تجد وراءه ناعاً من مصر، ثم قام من مجلسه وخرج، وتضيف الرواية أن أحنأ لمعاوية كانت من وراء الستار تسمع ما جرى بين الأحنف وأخيها فقالت: يا أمير المؤمنين من هذا أنسي يهدد ويتوعد؟ قال: هذا الذي اذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من تميم ولا يسألونه لماذا غضبت^(١).

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٥، والإمام الحسن المجتهد الثاني للقرشي عن وفات الأعيان لابن خلكان والإمامة والسياسة لابن قتيبة

وكان غيره من زعماء العراق كعدي بن حاتم وحجر بن عدي وصعصعة بن صوحان وعمرو بن الحمق الخزاعي وقيس بن سعد بن عبادة وعشرات الزعماء يحملون الروح نفسها التي يحملها الأحف، وكانوا في تحرك مستمر ويتصلون بالإمام أبي محمد بين الحين والآخر، وجلهم كانوا يرغبون إليه ويخضونه على حرب معاوية والرجوع إلى الكوفة ورفض الوثيقة التي وضعها معاوية تحت قلميه وأعلن عن عدم استعدادهم للوفاء بشيء منها، وكان هو من جأته يردّهم رداً جليلاً ويرد على كل فئة بما تستوعبه من تقييم للأحداث ولمواقفه وأحياناً يكشف لبعضهم عن تلك الدوافع التي أملت عليها مصلحة الإسلام في اتخاذه لهذا الموقف.

واستطاع بعد حوار طويل أن يقنع البعض من أولئك القادة أن الحرب التي تخلى عنها لم تكن لمصلحة الإسلام ولا لمصلحتهم لأن أهل العراق أكثرهم سيقفون إلى جانب معاوية وليس أمامه وأمامهم لو مضى في حربه لمعاوية إلا أحد أمرين: إما القتل مع أخوته ومضي عمومته وحلص أصحابه، أو الأسر، وكلاهما يخدمان مصلحة معاوية، فالقتل وهو أقرب الاحتمالين يؤدي إلى ذهاب دمه هدراً ومعاوية هو وأعوانه يملكون من أساليب المكر والخداع والمراوعات ما يكفيهم لتضليل الرأي العام وتغطية جريمتهم، ولا أقل من تشويه الصورة التي أقدم فيها على التضحية كي لا تعطي شهادته ثمارها المرجوة كما أعطت شهادة أخيه الحسين (ع).

وكما كان الإمام أبو محمد الحسن يعلم بذلك كان يعلم بأن جميع شروطه وعهوده سوف لا يلتزم بها معاوية وسيضعها تحت قدميه كما فعل، ولكنه أراد أن يفضح غخططات الأمويين وعداءهم للسافر للإسلام وحماته كما ذكرنا، وقد انتصر بثورته الصامته التي كانت إحدى للإسلام ورسالة محمد بن عبد الله (ص) من الثورة بالسيوف والرماح وكشف بذلك المطمع الأموية وأحقادها الدفينة وعراها من كل أقمعتها التي كانت تضلل بها العامة والرعاع من الناس، ولم يكن معاوية وأصحاباً قبل ذلك، بل كان يحاول أن يبرر كل موقف من مواقفه التي كانت تثير الريب والشكوك بأعذار مشروعة ولولدى الطبقات العامة من المسلمين، ويجد من بعض الصحابة والطامعين من يسهل له ذلك.

لقد استطاع الإمام الحسن إقناع أولئك الثائرين من حلص أصحابه وشيعته بأن الموقف الذي اتخذ من معاوية لم يكن له بديل عه وخلدوا إلى الهدوء والتروي والآمال تراودهم بأن تعود الخلافة إلى الحسن (ع) بعد معاوية الذي أصبح على أعتاب الثمانين من عمره وكان معاوية يعلم بأن أكثر أهل العراق لا يرضون بولده

الخليع بدلاً عن الحسن بن علي وأهم سوف لا يكونون أهون عليه من أهل الحجاز، وأن وعود المغيرة بن شعبه لا تحمل المشككة، وبعد تفكير طويل ومداولات مع حاصته ودويه تمحصت عن اتفاقهم على التحصن من الحسن بن علي (ع).

وراح معاوية يفكر في ذلك ويطلب نصيحة ويقلب الرأي على جميع وجوهه ويستعرض جميع الوسائل وانتهى أخيراً أن كلمته التي ضربها مثلاً للفتك والعذر وكان يتساهل بها أحياناً عندما يتحجج بالعتق في أحصائه ويقول: إن الله جنوداً من العسل فقد اعتال مالك الأشتر وهو في طريقه إلى مصر والياً عليها لعلي أمير المؤمنين (ع) بعد أن أغرى أحد أنصاره ممن كانوا يسكنون الطريق التي لا بد للأشتر من المرور بها بالوعود والأموال وأرسل إليهم عسلاً مسموماً ليقدمه إليه عند مزوله في ذلك المكان، وتم لمعاوية ما أراد كما عثال كلاً من محمد بن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص بالسهم، وجاء في مقاتل الطالبين أنه لم يكن أحد من خلق الله أثقل على معاوية من الحسن بن علي (ع) وسعد بن أبي وقاص قدس إليهما سماً وماتتا منه وكان موتها خلال أيام متقاربة بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين.

وكان سعد بن أبي وقاص من أولف المسلمين خطأ بعد الحسن والحسين بنظر البقية الباقية من الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار. ومع أن تاريخه مع علي أمير المؤمنين (ع) لم يكن بريئاً ومواقفه مع حلال معاركة في البصرة وصعيب مع النكثيين والفسطيين طبيعة الخوارج لم تكن بريئة، هد بالاصافة إلى تخييره السافر يوم الثوري التي تمحصت عن خلافة عثمان، ومع ذلك فقد كان ينكر على معاوية تعرضه لعلي وسنه في مجالسه وعلى منار المسلمين ويندبه وبسياسته ولا يتحاشى جوره وظلمه.

وحدث المؤرخون أن معاوية حينما ذهب إلى المدينة ومكة ليختبر موقف المسلمين من ولاية يريد توجه إلى دار الندوة فدخل عليه سعد بن أبي وقاص فأجلسه على سرير وشرع في سب علي (ع) فعصب سعد بن أبي وقاص والتفت إلى معاوية وقال: لقد أجلسني معك على السرير وشرعت في سب علي والله يا معاوية لأن يكون لي خصلة واحدة من حصال علي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وأخذ يعدد فصائل علي وما قاله الرسول (ص) فيه، ثم قام

من مجلسه وهو يقول: والله يا معاوية ما دخلت لك داراً ما دمت حياً^(١).

ومهما كان الحال فلقد عزم معاوية على تنفيذ خططه وأرسل إلى ملك الروم يطلب منه سباً فأتى سريع التأثير كما يدعي جماعة من المؤرخين، فردّ عليه بقوله: لا يصح في ديننا أن نعين على قتل من لا يقتلنا، فردّ عليه بأن الرجل الذي نريد قتله هو ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة مدعياً بأنه رسول من الله، وقد خرج يطلب ملك أبيه وأنا أطلب السم إليه لأريح منه العباد والبلاد، فعث إليه ملك الروم سباً مميّناً وراح معاوية بعد أن قطع هذه المرحلة يفكر فيما يتولى هذه الجريمة فوق اختياره على زوجة الإمام جعدة بنت الأشعث بن قيس المعروف بميوله لمعاوية وكان أحد المتأمرين على قتل أمير المؤمنين (ع) فأرسل السم إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة وأمره بأن يتصل بها ويمنحها رواحها من يزيد أن هي استجابت لطلبه ويدفع لها مائة ألف درهم، وفي رواية «مروج الذهب» عشرة آلاف دينار أو صباعاً من صواد الكوفة.

ولما عرض عليها مروان وعود معاوية ودفع لها الأموال استجابت لطلبه فأحدثت منه السم ووضعت في الطعام الذي قُدِّمته إلى الإمام (ع) ولما دخل جوفه تقطعت أمعاؤه وعاب عن الدنيا وحينئذ ألقى من عشبته والألم يعتب بأحشائه حمد الله سبحانه وشكره على لقاء جده سيد المرسلين وأبيه أمير المؤمنين وأمه سيدة نساء العالمين وعمه وعم أبيه جعفر الطيار وحمرة سيد الشهداء والتفت إلى جعدة وقال:

يا عدوة الله قتلتي قتلك الله، والله لا نصيبن بعدي حلماً ولقد عرك معاوية وسحر منك وصوف لا تنالين غير الخري والعار، ولقد أحزاهما الله وأصبحت مصرب المثل للنساء والخري والاثم والخيانة وحصار الناس بعد ذلك يعبرون أولادها بجريمتها ويحاطونهم عندما تحصل مشادة بينهم وبين أحد من الناس بقولهم. يا أولاد مسممة الأزواج.

وقد سخر منها معاوية ولم يفد بما وعدّها به وحينما طلست الرواج من يزيد كما وعدّها أجابها بقوله: إنا نحب يريداً ولن سخي بحياته، ولولا خوفنا عليه لوفينا لك بتروجه.

وظل الإمام (ع) يعاني من آثار السم أربعين يوماً كما جاء في دائرة المعارف للبستاني وشرح النهج وفي حياة الحيون اللدميري قراءة شهرين حتى داب قلبه

(١) المجلد الثاني من حيام الإمام الحسن ص ٣٤٩.

وجسده من الألم، وفي اللحظات الأخيرة من حياته دخل عليه الحسين (ع) ورآه يهود بنفسه فقال له: من سفاك السم يا أخي؟ فرد عليه بصوت ضعيف قائلاً: وما تريد منه أتريد أن تقتص لي؟ أن يكن الذي أظنه بالله أشد ناساً وأشد تنكياً، وإن لم يكن هو فما أحب أن يقتل بي بريء.

والتفت الإمام (ع) إلى أهله وولده ومن كان حاصراً عنده وقال: لقد سُقيت السم مراراً وهذه المرة الأخيرة من أشدها وكثرها الماء وفتكاً في أحشائي، ومضى يقول: لقد لفظت من كبدي قطعة وجعلت ألدّها يعود كان في يدي^(١)

ودخل عليه أخوه الحسين وهو يتململ ويتنوى من الألم فلما نظر إليه بكى لحاله ولما يعاينه فنظر إليه وهو يصارع الموت وقال له: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله كأي بك وقد ازدلف اليك ثلاثون عاماً يدعون بأنهم من أمة جدنا محمد يتحلون دين الإسلام ويجمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي دراريك ونسائك وانتهاك ثقلك^(٢)

إن ما أحرمه الإمام أخاه الحسين (ع) هو ما كان النبي (ص) يحرمه علياً والصورة الطاهرة من أصحابه وعلي عليه أفضل الصلاة والسلام أحرم عن بعض تلك المعبات التي اتصلت للنبي (ص) عن طريق علام العيوب الذي لا يظهر على ضيقه أحداً إلا من ارتقى من رسول^(٣) وقد شاعت أخبار واقعة الطف وما يجري فيها على العرة الطاهرة قبل وقوعها بعدد من السير وتناقلها الخواص من كرام أصحاب النبي وأمير المؤمنين، وكانت من أقطع ما وجهته العرة الطاهرة بعد وفاة النبي (ص) من الكوارث والخطوب، فقد دل فيها المسلمون وانتهكت كرامة الإسلام وحرمت النبي (ص) وأدرك المسلمون بعدها أبعاد تلك الجريمة الكراه وتناحها المريرة على الإسلام والمسلمين وراحوا يتلاومون ويتناكون على تخاذلهم عن نصرته والوقوف إلى جانبه في وجه ذلك الصاعى الخبيث، وكانت نهايتها المريرة بداية لأحداث وأحداث كان من أبرز آثارها ونتائجها أن الحزب الأموي تكشف للرأي العام الإسلامي على واقعه الكريه المصري الخافد لدى يرجع إلى عصور الجاهلية الحمقاء كما ساهم في ذلك موقفهم من أخيه الحسن (ع).

وظلت تلك الماحضة الاليمة المريرة ترود العدو والصديق وجميع المناوئين

(١) أنظر شرح النهج ج ٤ ص ١٧

(٢) البعاج ج ١٠ ص ١٢٣

والنظاميين في الحكم بالقوة والانصار حتى نهايتهم، ولعلنا نشوق لعرض موجز لبعض الجوانب من تلك الاحداث التي كانت معركة الطف من أبرز اسبابها في المحل المناسب من هذا الكتاب.

وعندما أحس الإمام أبو محمد الحسن بن علي بذنو أخيه أوصى الى أخيه الحسين (ع) وحاء في وصيته، كما في المجلد الرابع من أعيان الشيعة والأمالى للصلوق وغيرهما من المصادر الشيعية، ان يدهه مع رسول الله (ص) في بيته، وان عارضه احد فقد شأده بالله والقراءة والرحم الماسة من رسول الله (ص) ان لا يريق نسبه بحجة من دم حتى يلقي الله ويخاصمهم عنده وان يدفنه في القيع الى جوار جدته فاطمة بنت أسد (ع).

ولما فاضت نفسه الكريمة وسمت الى الرفيق الاعلى ليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة كما في أشهر الروايات، ارتفع الصراخ والعيول من بيوت الهاشميين وأكثر اهالي المدينة، حتى ان أبا هريرة مع صلاته الوثيقة بالامويين خرج من بيته باكياً صائحاً: ايها الناس لقد مات حبيب رسول الله (ص) فابكوه واندوه^(١).

فهرع الناس نحو ثرى الإمام (ع) وهم ما بين واهم وصائح ومشدوه ونائح على فقد الرجل العظيم الذي كان ملاذاً وملجأً ومقرعاً للجميع اذا نزلت بهم كارثة أو حلت بهم مصيبة، وكان تشييعه حافلاً لم تشهد له نظيراً عاصمة الرسول (ص) وزحف الناس من قراهم المجاورة ليثرب ليشهدوا تشييعه ويبلغ من ازدحام الجماهير وتراحمهم على جنازته ان ابرة لو طرحت على الموكب لما وقعت الا على رأس انسان كما جاء ذلك في الاصابة عن ثعلبة بن مالك^(٢).

وحمل المشيعون جثمانه الشريف الى مسجد النبي على أطراف الأنامل تحف به وجوه المسلمين ونقية الصحابة، وتقدم الإمام أبو عبد الله الحسين (ع) فصلى عليه في مسجد الرسول واثم به المسلمون على اختلاف طبقاتهم.

وفي رواية شرح النهج لاس أبي الحديد ان الحسين (ع) قدم الوالي على المدينة سعيد بن العاص للصلاة عليه وقال له: لولا انها سنة لما قدمتك، وجاء في المجلد الثاني من تاريخ الحميس ان أحداً من الامويين لم يحضر موكب التشييع

(١) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٠١ وتاريخ ابن عسكراج ٤ ص ٢٢٧.

(٢) الإصابة ج ١ ص ٣٣٠.

سوى سعيد بن العاص، وانجى لموكب بعد الصلاة نحو المرقد النبوي لمواراته
 بجواره، فتكفل الامويين وحرحو بأسلحتهم وهم يقولون يا رب هبنا هي خير
 من دعت أيديهم عثمان بأقصى المدينة ويدمر الحسن مع جده، واستجدوا عائشة
 فأحرحوها على بغلة والتفوا حوفا كما فعلوا مع أمير المؤمنين في البصرة وقد أركبوها
 حملاً يومذاك، ومصت بحوقر النبي بحف بها الامويون وأبصارهم وهي تصيح.
 الله الله يا بني هاشم لا تدخلوا بيتي من لا أحب أو تحز هذه، وأومأت الى ناصيتها
 وكادت الفتنة ان تقع لولا ان الحسين (ع) تدارك الأمر عملاً بوصية أبيه وصاح
 الناس من كل جانب وهم يقولون، يوم عن حمل ويوماً عن نعل، ولكن حقدتها
 على فاطمة بصعقة الرسول وولدها ونعلها أفقدتها وعيها وشعورها وأصبحت كالدمية
 بيد الامويين أعداء الاسلام ومن جاء بالاسلام يتلاعون بها كما يريدون ويشتهون
 ويسخرونها لمصالحهم وأهوائهم

وقد اعطى نحوها ابن حبه لقسم من محمد بن أبي بكر ليردعها عن
 موقفها الذي لا يخدم الا أعداء الرسول (ص) قتلًا. يا عمه ارحمني الى بيتك
 الذي أمرك رسول الله (ص) ان تقرّ به، ثم الله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الحمل
 الا حمر، أتريدان ان يتحدث الناس عن يوم العلة الشهاء وأقبل عليها عبد
 الله بن العباس وهو لا يبصر طريقه من العصب وصاح بها يوماً على حمل ويوماً
 على نعل، أتريدان ان تظعنني نور الله وتقتلين أوليائه اليوم كما قتلتهم بالأمس؟
 والتفت الى مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) وقال له: ارجع يا مروان بمن
 معك من حيث حئت فإننا لا نريد دهن صاحبنا عبد رسول الله بل نريد ان نجدد
 به عهداً ويدفعه عند جدته فاطمة بنت أسد كما أوصانا، ولو أوصانا بدفعه عند جده
 لعلمت من هو أقصر ماعاً

واستطاع الإمام أسود عبد الله الحسين (ع) أن يضع حداً للموقف المتأزم
 ويفوّت على الامويين وصيحتهم عائشة ما كانوا يهدفون اليه من وراء هذا الموقف
 الذي يعبر عن أشنع أنواع الحقد والكراهية والتكبر لقائد مسيرة المحبة والسلام
 والرحمة.

(١) أنظر شرح النهج ج ٤ ص ١٨ وتاريخ الحسين ج ٢ ص ٣٢٣ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٠، وروضة الواعظين ص ١٤٣ ومستدرک الحاكم وغير ذلك من المصادر التي تؤكد موقف السيدة عائشة من جنازة الإمام

وانجه بجثمان أخيه فواراه بالبقيع الى جانب جدته فاطمة بنت أسد وجلس
على قبره باكياً حزياً يبيل أديمه بدموعه ويقول:

وأدهن رأسي أم تطيب محاسني	وخذك معصوم وأنت سليب
وأستمتع الدنيا بشيء أحبه	ألا كل ما أدق اليك حبيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أبكة	وما احضر في دوح الحجاز قضيب
غريب وأكتاف الحجاز تحوطه	ألا كل من تحت التراب غريب
فلا يمرح الباقي ببعده الذي مضى	فكسل فق للموت فيه نصيب
نكائي طويل والدموع غزيرة	وأنت بعيد والمزار قريب ^(١)

ومهما يكن فقد كان لباً وفاته عليه السلام صلى سىء في معظم المواضع
الاسلامية وأحسن العالم الاسلامي بالفاحشة الاليمة التي أصابت الاسلام بالصميم
وبكته يثرب ومكة نساء ورجالا واستمروا بالنياحة عليه سبعة أيام وقيل شهراً
كاملاً، وحينما أذيع البأ في الكوفة تصدعت من وقعه القلوب وأرجفت النفوس
وارتفع الصراخ والنعويل من جميع جوانبها ورثاء الشعراء وراح الناس في مجالسهم
وبواديهم يتحدثون عن تاريخه الخافض بالفضل ويرددون مقالة الرسول فيه وفي
أخيه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولما إمامان قاما أو قعدا وربحائتي
من الدنيا اللهم ابني أحبهما وأحبتهما إليّ بكبر من المرويات التي رواها
السحابي في صحيحه وغيره من أصحاب الصحاح في محاميعهم.

ومن رثاه من الشعراء سليمان بن قفة وجاء فيها نسب اليه كما في المجلد الرابع
من شرح السبع:

يا كذب الله من نعى حسناً	ليس لتكذيب نعيه ثمن
أجول في الدار لا أراك وفي	الدار أناس جوارهم غبن
بدلتهم منك ليت انهم	أصبحوا وبني وبينهم عدن

واحتمع المسلمون في دار سليمان بن صرد الخراعي وقد خيم عليهم الأسى
والأسف وكتبوا الى الحسين رسالة يعرونها بمصابه ومصائب المسلمين ويعربون له عن
ولائهم وطاعتهم وأسفهم الشديد لهذا الحادث الذي أصاب الاسلام في الصميم.

(١) مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المرقم وجاء في زهر الأدب وتاريخ العقوي أن الأبيات
هذه أنشدها محمد بن الحنفية على قبر أخيه بعد الفراغ من دفنه.

ولما وصل نأ وفاته الى رباد من ابيه في البصرة وأحبر الناس تعالى منهم البكاء والضجيج وسمع أبو بكر شقيق رباد وكان مربصاً بكاء الناس وعويلهم فقال لزوجته ميسة: ما هذا الضجيج والعويل وعلى من يبكي الناس؟ فقالت: لقد بلغهم موت الحسن بن علي والحمد لله لسي أراح العباد منه، فردّ عليها بصوت ضعيف قائلاً: اسكتي لقد أراحه الله من شر كثير وفقد الناس عوته خيراً كثيراً، يرحم الله حسناً.

وكان معاوية ينتظر أخبار المدينة بمارع الصبر ليرى نتائج مؤامراته وإلى ابن انتهى اتفاقه مع جعدة بنت الأشعث، وكان قد اتفق مع مروان من الحكم على أن يزوده بكل ما يحدث بأقصى حدود السرعة.

ولما انتهى إليه السأ حرح عن أترانه ووعيه وجعل يتصرف كمن لا يملك من أمره شيئاً مغرماً ساجداً إلى الأرض ثم رفع رأسه وكبر بصوت رفيع بسمعه الكثير من الناس وأثبت بذلك أن حياة الإمام الحسن كانت من أشد ما يعانيه ويحشاه وانه بموته قد حقق أعر أمانيه وأغلاها وأطمأن على مصير الحكم من بعده لأن جميع المعارضين من قادة المسلمين أملاً عليه من لا أمام ابن محمد الحسن، وأصبح بإمكانه أن يتغلب على جميع ما كان يعترض طريقه من الصعاب، ولما سمعت التكبيرة روجته فاحته: ست قرقة تعرضت من كخوخة لها فرأت زوجها قد غمره الفرح والسرور فعالت له: سرك الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي يلعلك فسررت به؟ فقال: بلغني موت الحسن، فاستعرت باكياً وقالت: لا حول ولا قوة الا بالله انا لله وانا إليه راجعون وقالت: لقد مات سيد المسلمين وابن بنت الرسول (ص) (١).

وقد جاء في الاستيعاب أن معاوية أحده لزهو والته فاجعل يفتخر بنجاح مهمته ويقول: يا عجبا للحسن شرب شرية من غسل بماء روجه فقضى عليه (٢)

وقد جاء في أكثر مجاميع التاريخ أن عبد الله بن العباس وفد على معاوية فلما استقر به المجلس التفت إليه معاوية قائلاً: لقد هلك الحسن يا ابن عباس، فقال له: نعم انا لله وانا إليه راجعون، وكررها والتفت إلى معاوية وقال: بلغني الذي أظهرت من الفرح والشهامة بموته، اما والله يا معاوية ما سدّ جسده حفرتك ولا زاد

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥.

(٢) المجلد الثاني من الإمام الحسن ص ٥٠٥ ص الاستيعاب.

نقصان أجله في عمرك ولقد مات وهو حير منك ولئن أصبحنا به فلقد أصبحنا بمن هو خير منه وهو جده رسول الله فحبر الله مصيبتك وخلف من بعده أحسن الخلف.

ثم انفجر ابن عباس ساكياً وبكى لسكاته من كان في مجلس معاوية وتباكى معاوية بمجاعة لمن في مجلسه، ثم التفت إلى ابن عباس والفرح والشهاتة بإديان علي مسحنات وجهه وقال: لقد ترك الحسن بين صغاراً، فردّ عليه قائلاً: كلنا كنا صغاراً وكبرنا، ثم قال: كم أتى له من العمر يا ابن عباس؟ فردّ عليه قائلاً: إن أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده.

وسكت معاوية وعاد للتحرش بهن عباس وقال: لقد أصبحت سيد قومك يا ابن عباس، وأدرك أنه يقصد بذلك أن ينال من مقام الحسين (ع) فردّ عليه قائلاً: أما ما أبغى الله أبا عبد الله الحسين سيد المسلمين فلا، وجرى بينهما حوار طويل أراد معاوية أن ينفس عما انطوى عليه من الفرح والتشفي بهذا اللون من الحديث مع ابن عباس وكان له بالمرصاد، لا يكاد ينتهي معاوية من حديثه حتى ينفذ ابن عباس إلى قرارة نفسه ويحييه على ما فيها من عقد وأحقاد وعنصرية موجاه. ونكتفي بهذه اللمحات الموجزة عن ثورة الإمام ووفاته التي أسلمت الأمة لأقسى أنواع الإدلال والاستغلال، وطويت بقتله آمالها وأمانيتها وقال الناس يومذاك كما جاء في رواية الطبري عن أبي إسحاق السبيعي: لقد ذلّ الناس بموت الحسين بن علي (ع).

المركة بين معاوية وقادة الشيعة

لقد ذكرنا خلال الصفحات السابقة ن الامام الحسن بن علي (ع) قد انتصر في ثورته الصامته على معاوية بتلك المعاهدة التي كشفت مطامع الامويين واحقادهم الضارية على محمد ورسالته وعلي وآله، وعزتهم من جميع الأفعنة التي كانوا يستخدمونها لأهداهم الديثة وأظهرت معاوية علي واقعه، كما استطاع (ع) تجميد تلك الثورة العارمة التي قام بها رعاء شيعته وقد حاووه أمواجاً ليحمونه على الخروج على معاوية بعد ان نقص شروطه ومواثيقه، وعرضوا عليه ان يطردوا عامله على الكوفة وصمموا له كل ما تحتاحه الحرب والمعارك من السلاح والكراع، ولكن الامام (ع) لم يستثره ذلك الحماس المتوثب من أنصاره وشيعته ولم يصع لخطبهم المثيرة وفيهم سليمان بن صرد الخراسي سيد العراق على حد تعبير ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة، وكان مما خاطب به الامام ان معاوية قال بحصور حشد كبير من الناس: اني كنت قد شرطت للحسن بن علي شروطاً ووعدته عداة وميئة أمانى ألا وان كل ما أعطيته له فهو تحت قدمي هاتين، وقد نقص جميع ما شرطه لك وعاهد الله على الوفاء به فأعد الحرب خدعة وأدن لي أن أشخص الى الكوفة لأحرح منها عامله وأظهر فيها خدعه وأبىء اليه على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين.

وتكلم جماعة من أصحابه بنفس الروح والحماس الذي تكلم به وكانت الوفود تتوالى عليه وعلى رأس كل وفد زعيم من حاصته وشيعته كحجر بن عدي الكندي والمسيب بن نجية الفراري وغيرهما ممن كانوا يتمتعون بمكافة عالية في قومهم وعشائرتهم.

ولكنه سلام الله عليه لم يتأثر بذلك الحماس الملتهب من أنصاره ولم يغير من موقفه وتصميمه بل كان وهو يستمع لخطبهم ويستعرض حشودهم التي تتوافد عليه بين الحين والآخر يستعيد طوراً صفحات أهل الكوفة مع أبيه ويتذكر أباه وهو قابض على كريمة يتدب الماضين من أصحابه ويقول لمن حوله من أهل الكوفة: لقد ملأتم قلبي قيحاً، وطوراً يتجسد له مستقبلهم فيقرأ صفحاته وهم يدعون أخاه الحسين إلى الكوفة بعشرات الوفود ومئات الكتب والرسائل فيخرج إليهم ليفضح خطط يزيد ونواياه التي كان يبنيها لخدمة الجاهلية الرعناء، ولم يجد منهم في ساعات المحنة والشدة إلا فئة قليلة لا تعدو عدد الأصابع أو تزيد، ومع ذلك فقد مضى للشهادة التي فوتت على يريد جل أهدافه وأصر عليها بالرغم من كثرة المشيرين عليه من ذويه وأصحابه وغيرهم بعدم الركون لأهل العراق والرحوع بأهله وولده إلى حرم جده أو الالتجاء إلى بعض الأمصار، ولم يصنع لأحد من أولئك المشيرين ولم تنه عن عزيمته نصيحة الساصحين، لأنه كان يؤمن بأن نقاء الرسالة وانتصارها على وثنية الأمويين لمغلفة بطلاء خفيف من الإسلام والتي كان يعمل حفيد هند وأبي سفيان لمحوها وتحقيق آمال جده وجدته وأماهيهما لن يكون إلا بشهادته، فعصى إليها رابط الحماس وانقأ بأها ستكون بداية لسلسلة من الانتفاضات والثورات التي تفص مضجع الظلم والظالمين وتفصح محطاتهم المعادية للإسلام ولمحمد وآله

لقد كانت مواقف أهل الكوفة مع أبيه ومواقفهم معه ووسائل الاعلام والتضليل التي استعملوها معاوية لتصلب الرأي العام وتلك الصفحات من تاريخهم مع أخيه كما كان يترقبها وما بصمره الأمويون من شر وسوء للإسلام كل ذلك كان يعترض طريقه لحرب معاوية فكان حواره لأولئك المتحمسين من حلف أنصاره وشيعته:

«ليكن كل رجل منكم حديداً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً وإن يهلك معاوية ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على عدونا والعون على أمرنا».

وكما ذكرنا خلال الصفحات السابقة أن معاوية قد أدرك أن العهد لولده يزيد لن يتم ما دام الحسن (ع) موجوداً وسيخلق له معارضة قوية قد تؤدي إلى ثورات وعصيان، فدرس له ولعمد من أبي وقاص سباً وماتاً منه^(١) وانصرف بعد

(١) أنظر مقاتل الطالبين ص ٧٣.

ذلك لتنفيذ خطته الاموية وسعى سعيه احثيث لإحكامها بما بذله من الاموال والوعود المعبرية لمن يحشي من معارصتهم في الكوفة وغيرها من المقاطعات، كما استعمل جميع وسائل العنف والنطش مع من لم يستطع شراءهم بالاموال من شيعة علي (ع) وفرض عليهم ان يخصصوا لرقابة قاسية تعد عليهم أنفاسهم وتمنعهم من القيام بأي نشاط عملي او إعلامي وبخاصة ما يتعلق به بمصائل علي (ع) أو أحد من بيته ودويه، ومع ان معاوية بن هند قد استعمل جميع وسائل القمع والارهاب والترغيب في ملاحقته لأصحاب الإمام وحاصته منهم وحاول إرغامهم على شتم الإمام والبراءة منه، ولكنهم ثبوا على ولائهم ووقفوا أمامه موقفاً يتسم بالقوة والثبات ولم يخصصوا لسلطانه وطغيانه ولا لسيوفه المسلطة على الرقاب وسجونته المظلمة التي أعدها للصلحاء والابرار

لقد خلدوا الى الهدوء في حياة الامام ابي محمد الحسن (ع) بعد ان أمرهم بالترويح ووضع الوقع الذي فرض عليه تسليم السلطة لمعاوية بين أيديهم، وظلت الآمال تراودهم برحوع الخلافة لأصحابها الشرعيين ولو بعد وفاة معاوية على أبعاد التقادير

ولكن امامهم هذه قد تبدلت **للمشهد الامام (ع)** بواسطة جنود العسل التي كان معاوية قد أعدها لكل من كان يعرضه ويحاول بيته وبين تنفيذ مخططاته الاموية، ومصادرة ممتلكاتهم وإرغامهم على البراءة من علي وآله (ع) واستئصالهم عن أحرامهم

وحاء في المجلد الرابع من شرح السج ان ريد بن ابيه حاول ان يقوم بعمل حاسم من شيعة علي (ع) يستأصل به شأنتهم ويبحث به حذورهم وذلك بأن يجمع من في الكوفة منهم ويعرض عليهم البراءة من علي وآله، ومن أبي منهم تعرض للقتل وهدم بيته كائناً من كان، ولكن مشيئة الله حالت بينه وبين ما أراد فأصيب بمرض الطاعون وهلك منه بعد ثلاثة ايام من إصابته.

وفي رواية اليعقوبي انه جمع سبعين رجلاً من اعيان الشيعة ووضعهم بين خيارين: البراءة من علي او القتل، وقبل تنفيذ مهمته عجل الله له الطاعون بيثرة ظهرت في اصبهه وتعاضمت حتى قصت عليه. (١)

(١) شرح النهج ج ٤ ص ٥٨ واليعقوبي ج ٢ ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

مصرع حجر بن عدي الكندي وأصحابه سيقتل في عذراء أناس يفضب الله لهم وأهل السماء

هذا الحديث روته مع من رواه السيدة عائشة عن النبي (ص) وهو يرمز إلى القافلة الأولى من أولئك الزعماء الذين كانوا يلاحقون الإمام الحسن بن علي ويحرضونه على الثورة المسلحة بعد أن وضع معاوية جميع شروط الصلح تحت قدميه، وبالتالي قد استجابوا لتلميذاته عليهم أنظار ما ستكشف عنه الأعوام المقبلة، هؤلاء قد انطلقوا بعد مصرع الإمام وقدموا أنفسهم قرابين وصحابا لعقيدتهم وولائهم لعلي وآله واستهانوا بالحياة وبتبعها وبجميع المفريات التي بدلت لهم من أجل محاربتهم للحكم وتجاهلهم لما يقدمه معاوية من خدمات لجاهلية أمم وأبيه وأحقادها المتمثلة باستئصال أسرة محمد وعلي (ع) أو إبعادها عن وجدان الأمة وتصوراتها.

وبأي حجر بن عدي وأصحابه في الطبيعة بين أولئك الذين ضحوا بأنفسهم من أجل عقيدتهم وولائهم لعلي وآله وأحد القادة البارزين بين أنصار الثورة ومن أبرز الشخصيات الشيعية في الكوفة وخارجها يومذاك وأكثرهم تحمساً بالواقع الأليم الذي انتهت إليه حالة الاسلام والمسلمين وما ينتهي إليه في المستقبل القريب على يد تلك العصابة الأموية وغلاياها، وهو مع ذلك معدود من خيرة الصحابة وكرامهم وصلحائهم كما نص على ذلك صاحب الإصابة في المجلد الأول من إصابته.

وتؤكد المصادر الموثوقة بأن انتفاضة حجر بن عدي وأصحابه لم تكن وليدة انفعال طائش ولا من حيث علم انسجامهم مع الحاكمين، بل من جهة غخططات

الامويين التي جندوا لها كل طاقتهم لاستئصال الولاء للامام علي ورسالة محمد بن عبدالله رسول الرحمة والحرية من سوجدن الشعبي، الذي كانت تعاني منه أمية وتراه من العقد الذي يجب ان تتوافر جميع طاقات الحكم لحلها.

ولم يكن أمام معاوية الا ان يصنع حداً لتأثير الحجة العلوية والحد من نفوذها في الوسط العام ولو بحلول الحواجر النفسية بينهم وبين الجماهير المسلمة وإبعادهم عن جميع المطلقات الاسلامية، ولكن تحركه في هذا المجال قد اصطدم بصمود تلك الحجة وقواعدها الجماهيرية القوية في بمانها وما التزمت فيه من المبادئ والقيم التي جاء بها الاسلام وكان قائدهم أمير المؤمنين (ع) يجسدها في اقواله وأعماله وجميع تحركاته وتصرفاته.

لقد جاء في وصية معاوية لعامله عن الكوفة المعيرة بن شعبة: لقد أردت ايضاءك بأشياء كثيرة وقد تركتها اعتماداً على بصيرتك ولكن لست تاركاً ايضاءك بأن لا تترك شتم علي ودمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعباد لأصحاب علي وإقصاءهم كما طلب منه إرام جماعة من زعماء الشيعة كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وسليمان بن صرد وغيرهم ^١ كحضور صلاة الجمعة والاحتفالات فكانوا يحضرون مع الصلاة وغيرها ^٢

ونفذ المعيرة وصية معاوية بجميع سودها فكان لا يدع شتم أمير المؤمنين والافتراء عليه ما وسعه ذلك ولم يكن حجر بن عدي ورفاقه في الجهاد والتصحيبات في سبيل الله على استعداد لان يفقروا موقف المتفرح الصامت من تجاوزات المعيرة وتناوله للامام (ع) بالمسبة واللعن من على مبر الكوفة الذي طالما استمعوا الى الامام وهم جلوس في مواجهته وهو يحط في الجماهير ويعظهم ليحرك فيهم مشاعر الايمان والتقوى والرجوع الى الله سبحانه، وكان حجر بن عدي من بين رفاقه يواجه المعيرة عندما يتعرض للامام (ع) في خطبته بقوة وصلابة، ويحاول مع ذلك تحريك الجماهير في مقابل تجاوزات المعيرة وعتداءاته على شخصية الامام (ع) واتجه اليه في بعض مواقفه قائلاً: كونوا قوامين بنقض شهداء وأبا أشهد ان من تذمرون وتلعنون لأحق بالمدح والثناء ومن تركون وتمدحون أولى بالمدح، فقال له المعيرة بن شعبة كما جاء في رواية ابن الاثير. يا حجر انتق هذا السلطان وعضبه وسطوته فان

(١) المجلد الثالث من ابن الاثير ص ٢٣٤ والطبري ج ٥ ص ٢٥٣ وج ٣ ص ٢١١.

غضب السلطان يهلك أمثالك، ثم يكف عنه ويتركه وشأنه ولا يتعرض له سوء، واستمر حجر ورفاقه على موقفهم عندما يسمعون الوالي يتعرض لعلی (ع) ويلعننه من على منبره يقولون له: بل اياكم ذم الله ولعن

ومضى ابن الاثير يقول: فلما كان في آخر أيام إمارته قال في علی (ع) وعثمان ابن عفان ما كان يقول. فقام حجر فصاح بالمغيرة صيحة سمعها من كان في المسجد وخارجه وقال له: مر لنا ايها الاسان بأرزقنا فقد حسنتها عنا وأصبحت مولعا بذم امير المؤمنين وشتمه، فقام كثر من ثلثي الناس وهم يقولون: صدق حجر وبر، مر لنا بأوراقنا فان ما انت عليه لا يجدي نفعا، وتعاقبوا على هذا النوع من الكلام وأمثاله مما يشير الى مدى سحقهم واستحقاقهم بتلك الاساليب التي فرضها معاوية على ولاته في مختلف الامصار وطهر على المغيرة نوع من القلق والحيرة لاسيما وان جهة المعارضة التي يتزعمها حجر بن عدي اخذت تتسع لتشمل اكثر من ثلثي الناس كما جاء في رواية ابن الاثير، ولكنه حاول ان يستر هريمته وحووه من موقف اولئك الثائرين على الحكم وأساليبه العنصرية الخافذة بالتظاهر بالورع عن التورط في إراقة الدماء، فقال في جواب من دخلوا عليه من المرتقة والمواليين للامويين وقالوا له: لماذا تترك هذا الرجل يجترأ عليك في سلطانك ويوهن مكانتك ويسحق عليك امير المؤمنين؟ فقال في جوابهم لا أحب ان أبدأ أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسمعت دمائهم فيسمعوا بذلك وأشقى ويعر في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة.

ولم يقتنع المتزلعون والممرتقة من أنصار الحكم بجوابه هذا وظلوا يلحون عليه بأن يتخذ موقفا من المعارضة أكثر صلابة من موقفه هذا وأشاروا عليه بقتل حجر وغيره ممن يتحدونه ويتهجمون عليه.

فقال في جوابهم: لقد قننت حجراً وغيره في موقعي هذا وسيأتي بعدي أمير على الكوفة فيحسبونه مثلي ويصنعون معه ما تروهم يصنعونه معي فيقتلهم شر قتلة، وصدق المغيرة فيما توقعه لهم وكأبه كان يعلم مدنو أجله ويعلم بأن الكوفة سيتولاها من بعده زياد بن أبيه سب الانقلاب المبدئي والنصي الذي طرأ على موقفه من الامويين بعد ان ألحقه معاوية بأبيه وأصبح ابن أبي سميان بعد ان كان ابن أبيه لا يعرف له احد أباً لأن أمه كانت نعباً ومن المشهورات في تعاطي هذه المهنة وقد حملت زياد من غير ان يعرف لباس لها روجا.

وتشاء الاقدار ان يهلك المغيرة ويتولى ادارة الكوفة زياد بن أبيه بالاضافة الى

ولاية البصرة ولم يكن موقف حجر بن عدي ورفاقه في ظل هذا العهد ليختلف عما كان عليه في عهد المغيرة، وربما كان أكثر عبأً وأشدَّ صلالة وكانوا يقدرّون نتائج تحدياتهم الجريئة للسلطة وبخاصة ما كان منها في عهد زياد بن أبيه الذي أراد أن يكون في سلوكه مع الأمة والعلماء أمراً أكثر من الأمور أنفُسهم ليثبت بذلك بنوته لأبي سفيان، ولكن الحق والاسلام انسي يحسده علي (ع) كانوا أغلّ عليهم من أنفسهم ومن أجلها هانت عليهم نتائج تلك التحديات التي كانوا يقاتلون بها الحاكّمين بالرغم من أن التهديدات المثيرة التي كان زياد بن أبيه يوجهها إلى الشيعة قد انهزم منها الكثيرون ممن كانوا على رأي حجر بن عدي وكانوا يحرصون الحسن ابن علي على الثورة ويعدونه للماصرة ويعدون براءتهم من معاوية ومناصره وأشباعه.

واستمر حجر على ولائه وصعد موقفه من الحاكّمين، وتخطى مرحلة المعارضة في الكلام عندما وجد أن الكلام وحده لا يجدي نفعاً ما لم يترجم إلى عمل جاد

وكان أول شيء صدر منه في هذا المجال أنه أحد بحصب عمر بن حريث خليفة زياد على الكوفة خلال عيانه عليها عندما تعرض للامام بسوء، وكان عمله هذا بداية لمرحلة جديدة من مراحل التضحية، وشاركه في حصه ورشقه بالحجارة آخرون ممن هم على رأيه ومبادئه وكان زياد يقوم في الكوفة ستة أشهر وفي البصرة ستة أشهر، وإذا غاب عن الكوفة استخلف عليها ابن حريث

وعندما اشتدت المعارضة وكاد الوضع ينمجر في الكوفة بين حجر وأنصاره وبين الحكم وأجهزته كتب عمر بن حريث إلى زياد يخبره بما يجري وراءه في الكوفة وقال له: إن كانت لك في الكوفة حاجة فاعجل العمل، فشد الرحال وأسرع في مسيرته إليها حتى دخلها ومضى من ساعته إلى المسجد حيث يجتمع فيه الناس إلى جانب حجر بن عدي ورفاقه فصعد المنبر وجعل يتهدد ويتوعد وكان فيما قال، كما في رواية الطبقات لأبي سعد: أما بعد فإن غلب البغي والعي وحيم إن هؤلاء همو فأشروا وأمنوني واحترأوا على الله، وإيم الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم سدوائكم ولست بشيء إن لم أمتنع الكوفة من حجر بن عدي وأصحابه وأدعهم بكالا من بعدهم، والتفت إلى حجر قائلاً ويل أمك يا حجر سقط العشاء بك على مراحان، ثم نزل عن المنبر وأرسل إلى حجر يدعوه إليه، فلما أتاه رسول زياد قال له أصحابه: لا تأته ولا كرامة، فرجع الرسول وأخبر زياداً بذلك فأمر صاحب شرطته شداد بن الهيثم أن يبعث إليه جمعة من الشرطة، فلما ذهبوا إليه ستهم

أصحاب حجر فرجعوا الى زياد وأخبروه بذلك .

وفي يوم الجمعة خطب الناس وأطال في خطابه وعرج على أمير المؤمنين ونذله منه فأنبرى اليه حجر بن عدي مكراً عليه شتم أمير المؤمنين وتأخير المريضة فلم يعبأ بكلامه ابن سمية ومضى في خطابه ، فثار حجر وصرب يبله الى كف من الحصا وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد من أبيه نزل عن المبر ووصل بالناس وقد انتفضت أوداجه غيظاً وعضباً من حجر وأصحابه وعزم على التثكيل بهم ، وأعرب عن عزمه هذا في خطاب القاء في الجامع جاء فيه ما انا بشيء ان لم أمنع الكوفة من حجر وأدعه نكالا لمن بعده ، ومضى يقول : ويل أمك يا حجر ، سقط الغشاء بك على سرحان ، ثم تمثل بقول القائل

ابلغ نصيحة ان راعي اسلب سقط العشاء به على سرحان

وأرسل زياد الجماعة من اشراف الكوفة ووجهها بأمرهم ان يردعوا حجراً عن خطته فامتنع وأصر على موقفه وأحيراً أمر الشرطة بأن يأتوه به فاطلقوا في طلبه وحدثت بينهم وبين أصحابه ماوشات حادة ولم يستطيعوا ان يقضوا عليه والتف حوله جماعة من أصحابه وكان من بينهم قيس بن هذيل الكندي يلهب حماساً ويقوم في المحافل والوادي يتمجده حجر وأصحابه وشاهد المسلمين بالوقوف الى جاسه ونصرته ويرتجز قائلا :

يا قوم حجر دافعوا وحاولوا وعن اخيكم ساعة مقاتلوا
لا يلقين منكم لحجر حادل ليس فيكم رامح ونابل
وفارس مستلثم وراجل وصارب بالسيف لا يزايل

وتحصن حجر وأصحابه من زياد وحيشه فلم يقدرُوا عليهم وحشي ان تتسع المعركة لغير مصلحته فجمع الرعاء والمرترقة عن اعتادت السلطة ان تستغلهم لمصلحتها وقال لهم :

يا أهل الكوفة أشجعون بيد ونأسون بأخرى أبدانكم معي وأهواؤكم مع حجر بن عدي المهجاجة الاحمق المذنب ، انتم معي واخوانكم وعشائركم معي ، هذا والله من دحسكم^(١) وغشكم والله لتظهروا لي براءتكم او لا تينكم يقوم اقيم بهم اودكم وصعركم^(٢) . واستطاع تهديداته ان يسيطر عليهم ويضعهم تجاه الواقع

(١) الدحس هو الإفساد .

(٢) هو الميل الى أحد الشقين .

الذي كان يظوي عليه فردوا عليه قائلين معاذ الله ان يكون لنا رأي الا الطاعة
لك ولا مير المؤمنين معاوية، وكل ما يرصيك ويسيء لي حجر وأصحابه فتحن على
استعداد لتنفيذه فمرنا بأمرك

فقال لهم . فليقم كل امرئ منكم لي هؤلاء الذين هم حول حجر وليدع
كل رجل منكم احاء وابيه وقرابته ومن يصيغه من عشيرته وفرقوا من استطعتم .
وانصرفوا من مجلسه يخذلون الناس ويخوفونهم من بطش زياد وحروته فتفرق عنه
الناس ولم يبق معه الا الصفوة من أصحابه . فأرسل زياد قائد الشرطة شداد بن
الهيثم الهلالي ومحمد بن الأشعث الكندي . وقال للأشعث يا أبا ميثاء لتأتيني
بحجر او لا ادع لك نحلة الا قطعتها ولا داراً الا هدمتها ثم لا تسلم حتى اقطعك
إرباً إرباً .

وبدأت مطاردة حجر بعنف وصرارة بعد ان أمر زياد حائب الجاهل وبعد
ان وضع الرعاء والقادة أمام امتحان عسير فخصموا لمطالب زياد وتعييد أوامره
وبعد مصادمات عيفة بين الفريقين قال حجر لأصحابه لا طاقة لكم من قد
اجتمع عليكم وما أحب ان تمهلكوا ، (وأخذ حجر يركب عدي طريقه الى بني حوت او
حرب كما جاء في رواية الطبري ودخل دار رجل منهم يقال له مسلم بن يزيد ،
فأدركه الطلب وهو فيها فأخذ سليم سبعة لودافع ^{عنه} عن حجر فكت بناته وارفع
صياحهن . ولما رأى حجر بن عدي ما حل سانه من الخوف والادى تعلق به ليمسه
عن محاربة القوم والخروج اليهم بالسيف ، فقال له : والله لا تخرج من داري أسيراً
او قبلاً وأنا مع الأحياء ، فعند ذلك خرج من حوطة في الدار وأتى قبيلة السجع
ونزل على عبدالله بن الحارث احيي الاشر ليعفي فأحسن لقاءه ورحب بقدومه
وكان انصار زياد وأتباعهم من مرتزقة الكوفة يراقبون تحركات حجر وتنقلاته فذهبوا
يطلبونه في أحياء القبيلة ويمشون بيوتها لنقض عليه

وعندما أحس بذلك التجأ الى قبيلة الازد واحتوى عند ربيعة بن تاخذ وبقي
عنده يوماً وليلة او يومين ، هذا والطلب يشتد عليه وحمود زياد تلاحقه من مكان
الى مكان . وبعد مصادمات عيفة جرت بينهم وبين حجر وأصحابه وقع أسيراً في
أيديهم وقيل بأنه أرسل الى محمد بن الأشعث ليأخذ له أماسا من زياد فجمع ابن
الأشعث جماعة من وجوه الكوفة منهم حرير بن عبدالله وحجر بن يزيد وعبدالله بن
الحارث فدخلوا على زياد وأخذوا له الامان على ان يرسله الى معاوية ليرى فيه رأيه
فأجابهم لذلك فاستسلم حجر وأصحابه وأدخلوهم على زياد بن ابيه ولما رآه قال

له : مرحباً بك يا أبا عبد الرحمن. بئس أيام الحرب، وحربٌ وقد سالم الناس.

فردّ عليه حجر قائلاً: ما خلعت صاعة ولا فارقت جماعة واني لا ازال على بيعتي، فأمر به الى السجن فأدخل اليه هو وأصحابه، والتفت ريادة لمن جاؤوا به وقال: والله لأحرصن على قطع رقته مهما كانت النتائج.

ولم يكن استسلام حجر لرياد بن ابيه بعد المعارك والمطاردات التي تعرّض لها هو وأصحابه يعني بأنه قد تنار عن حق الذي آمن به وناضل من اجله وعن الولاء الاكيد لعلي وبه الذي كان لبث الاموي بقيادة معوية يعمل على استئصاله وتصعبته من وحدان الامة ونصورها، لم يكن يعني ذلك حتماً وانما الذي يعنيه هو ان حجر بن عدي رحمه الله قد يقن بأنه لو مضى في المقاومة ولم يستسلم لا بد وأن يُقتل على يد ريادة وجلاورته لان اهل الكوفة قد تحاذلوا على عاداتهم امام تهديدات ريادة ومغرياته، ولو ارسل معاوية حسب طلبه لا بد وأن يقتله لان زيادا اذا قتله سيعد فيه امر معاوية، ولكن قتله على هذا الحويد ريادة وجلاورته ومرترقته سيعطي المحال والمررات الواسعة لمعاوية للتصّل من قتله وتحميل ريادة تعات هذه الجريمة ومضاعفاتها لدى الرأي العام الاسلامي

لذلك فقد وقف حجر بن عدي هذا الموقف الذي احرج فيه معاوية بقتله وكشف للامة عن واقع القيادة الاموية الحائرة وتعدياتها، قيادة واتساعا، على الحريات والقيم بلا مرر لذلك، وأراد في لوقت داته ان يُشعر الرأي العام المسلم بحظورة مواقفهم المسألة للحكم والناشع لتي تنشأ عن صحتهم المطلق تجاه تلك التحوارات المسعورة الحاقدة.

ومهما يكن الحال فقد اقسم ريادة بن ابيه بالله العظيم على انه سيجرح على قطع رقاب حجر وأصحابه، وبدأ فور ادحاهم السجن واعدادهم للذهاب الى الشام في اتخاذ التدابير التي تحقق له ذلك وطلب من اهل الكوفة ان يشهدوا على حجر وأصحابه شهادة تدبهم بأقسي العقوبات مشهد له جماعة منهم بأنهم يتولون علياً وبنه ويبدون بعثان ومعاوية فلم ترصه هذه الشهادة وقال انها غير قاطعة، اي انها لا تكفي لشخص معاوية نحو تهر جميع آمال بسجائهم.

فتطوع ابو بردة بن ابي موسى الاشعري وكتب صورة للشهادة التي يرضاها زياد بن ابيه جاء فيها: هذا ما شهد عليه ابو بردة بن ابي موسى الاشعري لله رب العالمين أشهد ان حجر بن عدي وأصحابه قد خلعوا الطاعة وفارقوا الجماعة ولعنوا الخليفة ودعوا الى الحرب وجمع حجر الخموخ ودعاهم الى نكث البيعة وكفر بالله

كهرة اصلع . فأعجبت زياد هذه الشهادة وانتسم لقلوبه كهرة اصلع^(١) ثم استدعى رؤساء الأرباع يومذاك وهم عمر بن حربث وكان على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة وكان على ربع غنيم وهمدان بن قيس بن الوليد على ربع ربيعة وأبو بردة بن أبي موسى على ربع مدحج وهمدان، فشهدوا أن ححرأ جمع إليه الناس وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حربه وأن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين معاوية إلى غير ذلك من الافتراءات والتلفيقات ودعا الناس ليشهدوا عليهم بذلك، فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة بن عبيد والمندر بن الربير وعمار بن عقة بن أبي معيط وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم من أهالي الكوفة وبلغ عدد الذين شهدوا عليه من بساء المهاجرين والأنصار وأهل الكوفة سبعين رجلاً كما ذهب إلى ذلك جماعة من المؤرخين، وأدخل زياد بين الشهود شريح القاضي وشريح بن هانئ ووقع عنهما، وبعد أن قتل ححرأ وأحدث قتله دويماً وتذمراً في أوساط المسلمين أنكرا شهادتهما^(٢)

ثم إن زياد بن أبيه دفع ححرأ بن عدي وأصحابه وكانوا اثني عشر رجلاً إلى وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام فخرجوا بهم ليلاً ومعهما كتاب من زياد وشهادة الشهود وحبسوا توجهوا بهم إلى الشام ارتفع الصراح والعريل من بيوتهم وصعدت ابنة ححرأ ولدت له غيرها فوق سطح الدار معولة ساكة تنظر إلى الفاعلة وهي تسير إلى الموت نظرة الوداع، وجعلت تناجي القمر وتبته لوعتها وأحراها وتقول .

لعلك إن ترى ححرأ يسير	ترقع أيها القمر المسير
ليقتله كما زعم الأمير	يسير إلى معاوية بر حرب
وطالب لها الخورنق والسدير ^(٣)	تجبرت الجبار بعد حجر
تسقتك السلامة والسرور	ألا يا ححرأ ححرأ بن عدي
وشيحاً في دمشق له زئير	أخاف عليك ما أردى علياً
إلى هلك من الدنيا يصير ^(٤)	فإن هلك فكل عميد قوم

(١) وقد أراد بها أنه أخذ الكفر عن الأصلع علي بن أبي طالب (ع) .

(٢) الطبري ج ٥ ص ٢٧٠ .

(٣) الخورنق والسدير قصران كانا بالقرب من الحيرة بينهما النعمان بن امرئ القيس وتولى بناءهما رجل يسمى سيار كما جاء في نهاية الأرب .

(٤) وقيل كما في مروج الذهب أن الأبيات لحد بنت زيد الأنصارية ترثي به ححرأ .

وكتب له ريباد بن ابيه مع القافلة التي تسير بحجر وأصحابه كتاباً جاء فيه :
 أما بعد فإن الله قد أحس عبد أمير المؤمنين البلاء فكاد له عدوه وكفاه مؤونة من
 بقي عليه ، ان طواغيت هذه الترابية السئية وعلى رأسهم حجر بن عدي خالفوا
 أمير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ونصبوا لك الحرب فأظهرنا الله عليهم وأمكنا
 منهم وقد شهد عليهم حيار اهل المصر وأشرافهم وفؤو العقل والدين منهم بما رأوا
 وعملوا ، ودفع الكتاب الى رسوله كثير بن شهاب ووائل بن حجر الحضرمي ، ولما
 بلغ الركب العربي ، كما جاء في رواية ابن الاثير ، لحقهم شريح بن هانئ وأعطى
 وائل بن حجر الحضرمي كتاباً وقال له : اطلع أمير المؤمنين . وجاء في الكتاب : أما
 بعد فقد بلغني ان زيادا كتب اليك شهادتي على حجر بن عدي وان شهادتي عليه
 انه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن
 المنكر حرام الدم والمال فان شئت فاقبله وان شئت فدعه .

ومضت القافلة تسير وتطوي البداء بحجر وأصحابه الى معاوية بن حرب
 ولما بلغت مرج عذراء تذكر حجر بعض مواقفه في سبيل الاسلام يوم كان معاوية
 وأبوه يتستران بالاسلام ويعملان في السر والنجاء مع من يكيد للاسلام وساصر
 أعداءه ، وحينما عرف حجر انه قد أصبح هو وزملائه في الجهاد والتصحيات في تلك
 القرية قال : والله أي لأول مسلمين بيته كلابها وأول مسلم كثر بواديهما كما جاء في
 المجلد الثالث من الكامل لابن الاثير^(١)

ويبدو ان تلك القرية كانت إحدى المراكز العسكرية للرومان خلال معاركهم
 مع المسلمين وكان حجر بن عدي أحد أولئك لقادة الذين كانوا يديرون المعارك
 ويسيطرون باتجاه دمشق الشام وقد اعترضته الحامية الرومانية في عذراء واستطاع ان
 يقهرها ويحتل القرية التي شاء الله ان تكون مقره الاحير الذي يحشر منه ليحاصم
 ابن هند بين يدي الله سبحانه وأصبح سمها رمزاً لتلك القافلة الكريمة من شهداء
 الحق والفضيلة الاوفياء لديهم وتعاليم نبيهم وسيرة إمامهم وقائدهم أمير
 المؤمنين (ع) . ونؤكد جميع المصادر ان المؤكلين بحجر وأصحابه قد احتجزوهم في
 تلك القرية ريثما تصدر القرارات الأخيرة من قصر الحمراء بشأنهم ، وحينما وصل
 البريد الذي يحمل كتاب ريباد وشهادة اشهود الى معاوية ارسل جماعة من جلاديه

(١) وقال ابن حجر في كتابه الإصابة ان حجر بن عدي هو الذي فتح مرج عذراء وكان يقود
 جيشاً من المسلمين يومذاك لحرب الرومان كما أكد ذلك ابن سعد في المجلد السادس من
 طبقاته .

الجحفة الغلاط الى مرج عذراء وأمرهم بإعدام حجر ورفاقه ان لم يتبرأوا من امير المؤمنين ودينه ويلعنوه .

هذا مع العدم ان البريد الذي حمل اليه كتاب رباد وشهادة الشهود حمل اليه كتاباً من شريح بن هانيء احد الشهود، ولكتب يزكي حجرأ وأصحابه كما ذكرنا ويؤكد بأنه لم يشهد على حجر بما يدعيه زيد بن ابيه وحلاورته وان زياداً هو الذي وضع اسمه مع الشهود

ومع ان كتاب شريح بن هانيء يشير الشك في أكثر الشهادات الواردة في الوثيقة ويفرض على من يريد ان يحاسب الناس ويتعامل معهم في حدود الدين والاعراف ان يتأكد من انها ليست مفعلة كشهادة شريح بن هانيء ولكن معاوية لم يعش نكتاب شريح ولا بموحياته وبقي مصرأ على تصفية حجر وأصحابه ادا لم يتبرأوا من علي ودينه وباركوا جميع تصرفات معاوية وولائه ونجاوراتهم، مما يؤكد ان عملية الشهادة على حجر وأصحابه انما هي من تحبطه لتبرير موقفه من تصفيتهم تجاه العالم الاسلامي الذي لا يعبر أحداثاً من هذا النوع .

ومهما كان الحال فلقد اهل الجلاذون على حجر وقالوا له . ان امير المؤمنين معاوية امرنا بقلك بيا رأس الصلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لابي تراب وقتل اصحابك الا ان ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتبرأوا منه ، فأجابهم حجر وأصحابه وهم على بينة من امرهم وثقة بما أعده الله مسحاه لعباده العاملين والشهداء الصابرين ، ان النصر على حد سيف لابس عليا مما تدعوب اليه والقعود على الله وعلى بيته وعلى وصيه أحب اليك من دخول النار مع معاوية وحزبه .

ولما اتحد معاوية قراره النهائي بإعدام حجر ومن لم يتبرأ من الإمام ودينه من أصحابه أمر جلاورته بأن يحفروا لكل واحد حفيرة وكانوا أربعة عشر رجلاً فعرض الجلاذون عليهم البراءة من علي ودينه مرة ثانية والسيوف مسلطة على رؤوسهم وكل واحد منهم الى جانب حمرة فتراجع منهم ستة خوف من الموت الذي ينتظرهم على أيدي اولئك الجلاذيين بين لحظة وأخرى وصمد القنود على ولائهم وكان إيمانهم بالحق الذي يناصلون من أجله أقوى من الموت ، وتقدم الجلاذون نحو حجر يجددون عليه عروصهم وسيوفهم فوق رأسه فأصر على موقفه وأعلن براءته من معاوية وحزبه .

ونقل السيد الامين في المجلد الثاني من اعيان الشيعة عن المرزباني (ص)

(١٩٩)، انه كان لحجر ولد اسمه همام وقد حسن معه في عذرءاء، وحين تقلم حجر للقتل سأل الجلاد عما اذا كان ولده من المحكوم عليهم بالاعدام وطلب منه ان يقدمه عليه ويقتله قبله اذا كان لا بد من قتله، ولما اراد الجلاد ان يقدمه التفت اليه وقال: تقدم يا بني حتى احتبك بين يدي الله سبحانه، فقيل لحجر: تعجلت الشكل يا ابن عدي، فقال: حمت ان اتقدمه ويرى هول السيف على عنقي فيتراجع عن ولاية علي (ع) فلا نجتمع في دار المقامة التي اعدّها الله للصابرين.

ثم انطلق الجلاد هدية بن فياض القضاعي شاهراً سيفه على رأس حجر بن عدي فارتعدت أوصاله وحارت قواه فقب له أصحاب معاوية: لقد زعمت انك لا تمزع من الموت فتبرأ من صاحبك ومدع لك حياتك، فقال: وما لي لا اجزع وأرى قرا محفوراً وسيماً مشهوراً على رأسي، واني والله وان جزعت من القتل لا أتبرأ من أمير المؤمنين علي (ع) ولا أقول ما يسخط الرب، لإرضاء معاوية وحزبه.

فقال له الجلاد: مد عنقك يا حجر، فرد عليه قائلاً: اني ما كنت لأعين الظالمين على رقبتي، فصره الجلاد ضربة واحكمة على رأسه أودت بحياته وانتهت بقتله حياة نطل عظيم من أبطال العقيدة والمبدأ وبقي اسمه على لسان الاجيال في طليعة الثائرين على الكفر والفساد والانحراف والتسلط على حرية الانسان وكرامته.

وكما ذكرنا لقد كان مع حجر جماعة من حيار المسلمين وصلحاتهم وقد تراجع بعضهم عن تصلحه خوفاً من الموت وكما اعتقد فلقد تراجعوا بالاستسهم وبقيت قلوبهم عامرة بحب علي وموالاته كما صنع عمار بن ياسر مع المشركين في مطلع فجر الدعوة حينما اضطره ابو سفيان وحزبه لان يسأل من محمد (ص) ورسائله وجاءت الآية الكريمة: ﴿الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ لتزكيته وتزكية غيره ممن يضطرون لاتخاذ هذا الموقف، اما الذين قتلوا في عذرءاء وغيرها فكان منهم عبد الرحمن بن حسان العتري، وقد طلب من جلاوزة معاوية وجلاديه ان يواجه معاوية ليرى رآيه فيه، فجاء به اليه، فلما مثل بين يديه قال له ابن هند: ايه أخا ربيعة ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فرد عليه قائلاً: دعني يا معاوية ولا تسألني فهو خير لك، فرفض معاوية إعماؤه وأصر على استجوابه فقال: أشهد، ان علياً كان من الداكرين الله كثيراً والأميرين بالحق والقائمين بالقسط والعاقين عن الناس

فقال معاوية: ما تقول في عثمان بن عفان، فقال هو أول من فتح باب الظلم والجور وارتج أبواب الحق والعدل.

فاستبذ به الغضب ورده الى ريد في نكوفة وكتب اليه كتاباً جاء فيه: ان هذا العتزي شر من بعثتهم الي فعاقبه العقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة، ولما وردت رسالته على ريد بعث به الى (فس ساطف) وهو موضع قريب من الكوفة فدفن فيه وهو حي^(١).

(١) حياة الإمام الحسين ج ٢ عن الطبري ج ٦ ص ١٥٥

صيفي بن فسيل

لقد كان صيفي من أبطال المسلمين وأعدائهم ومن الصفوة بين أصحاب حجر، وقد قبض عليه زياد بن أبيه بعد محاولات كثيرة لاعتقاله، فلما حصر بين يديه سأله عن رأيه في أمير المؤمنين ليسجل عليه ما يبرر قتله، فقال له: ما تقول يا صيفي في أبي تراب؟ فرد عليه بلعة السيف كما أعرف أبا تراب فقال له زياد: أما تعرف علي من أبي طالب فذاك أبو تراب، فقال له: كلا ذاك أبو الحسن والحسين، والتفت إليه مدير الشرطة ليقول له: يقول لك الأمير أبو تراب وتقول له أبو الحسن والحسين، فرد عليه ابن فسيل مستهترا به وبأميره قائلاً: أتريدني أن أكذب كما كذب الأمير وأشهد له على الباطل؟ واستشاط ابن أبيه غضباً وأمر جلاوزته بجلبه حتى يلصق بالأرض فاجال عليه معصهم حتى أغمي عليه، ثم التفت إليه وسأله عن رأيه في علي (ع) فأصر على موقفه وقال: والله لو شرحتني بالمواشي والمشي لا أقول فيه إلا ما سمعته مني، فتهدده زياد بالقتل فرد عليه بقوله: هان فعلت فقد سعدت أنا وشقيت أنت، فألقاه في السجن وأرسله أحياناً إلى معاوية مع حجر فقتل مع من قتل في علداء من الأعرابي المدينهم وعقيدتهم.

قيصة بن ربيعة

لقد كان قيصة بن ربيعة من أوثث المجاهدين المتاضلين والشائرين على تجاوزات الحكام وحلاوزتهم وقد طارده زياد بن أبيه حينما كان يطارد حجر بن عدي ويحاول القبض عليه، وبعد محاولات كثيرة قام بها جلاوزته استطاعوا القبض عليه بعد أن أعطوه الأمان، ولكن زياداً بعد أن اتصل بالامويين وأصبح من أدعيائهم لم يعد يعرف للعهود والمواثيق حرمة وأقيمة، فقد وضعه في السجن، ثم أرسله مع حجر إلى معاوية ولقي مصيره في مرج عذراء مع رفاقه الأسطال شريك ابن شداد الحصرمي وكدام بن حيّان العمري ومحرز بن شهاب التميمي وغيرهم ممن استهانوا بالحياة ومتعها وتركوا آثار مسيرتهم على الطريق التي سلكوها في نضالهم من أجل الحق والمبدأ والعقيدة لتسير عليها قوافل الشهداء في طريقها إلى الملأ الأعلى.

صدي الفاجعة

لقد ذعر المسلمون لهذا الحدث الخطير واندفع الكثير من أعلامهم الى اعلان استنكارهم على معاوية وحاشيته، فكتب الحسين بن علي (ع) رسالة من يثرب الى معاوية عندما بلغته اخبار تلك المجزرة جاء فيها:

أست القتال حجراً أمّا كندة والمصلين العاصدين من أصحابه الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البذع ولا يحاصون في الله لومة لائم، قتلتهم ظلماً وعدواناً بعدما اعطيتهم الأيمان المغلفة والموائيق المؤكدة ان لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنة فيها مضى.

وقال الربيع بن زياد عامل معاوية على خراسان حينما بلغه النبأ وقد ذهبت نفسه حشرات من الالم والامسى: لا تزال العرب تفل صبراً بعد حجير وأصحابه ولو نفرت عند قتله لم يقتل منهم احد صبراً ولكنها أقرت فذلت وهانت.

وبقي الربيع من أثر الصدمة ذاهل النفس خائر القوى يمزق الامسى قلبه وقد خطب الناس يوم الجمعة وقال في خطابه: ايها الناس اني قد مللت الحياة وأنا داع فأمسوا على دعائي، ثم رفع يديه بالدعاء وقال: اللهم ان كان للربيع عندك خير فاقبضه اليك وعجل، فقد جاء في الكامل لابن الاثير كما نقل عنه القرشي في كتابه الامام الحسن ان الله استجاب دعاءه ووفاه أجله قبل ان يفارق المجلس.

وكان الحسن البصري أحد أعلام عصره يقول: لو لم يكن لمعاوية من المواقف الا اربعة لكفاه تأمره على الامة بدون اختيارها ورضائها وإلحاقه زياداً بأبيه وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر وتولية ولده الكبير الفاجر على

الامة من بعده، وقتله حجراً وأصحابه ويل له من حجر وأصحاب حجر. وكان يكرر هذه الموقفة من موقفات معاوية كما ذكر حجراً وأصحابه كما ينقل الرواة عنه واستخلافه ولده السكير من بعده

وجاء في الطبري عن أبي إسحق السبيعي انه كان يقول: أدركت الناس وهم يقولون: ان اول ذل دخل الكوفة موت الحس بن علي (ع) وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد بن ابيه.

لقد ذلت الكوفة بموت الامام الحس السبط (ع) لان الاحلام كانت تراودها برجوع الخلافة الى الحس بعد معاوية، وبموت وحمل السلطة وراثية في بيت أمية تبدلت جميع أحلامها وحلت العصرية جاهلية الحاكمة على آل محمد محل العدالة الاسلامية والعفو والرحمة.

ويقتل حجر بن عدي وأصحابه الأبرار لا لذنوب اقترفوها الا لأنهم لم يتبرأوا من علي ودينه أصبحت الكوفة تعيش في جو يحيم عليه اليأس وكبت الحريات وإراقة الدماء البريئة ولو لأبسط الأسباب.

ويادهاء زياد لأبي سفيان أصبح ريداً أسوأ أكثر من الأمويين وحريصاً على تحقيق رغباتهم باستئصال التشيع الواسع المنتشر في الكوفة وجهاتها وهو بهم عارف لانه كان يتظاهر بالولاء لعلي وآله قبل ان يلحقه معاوية بآييه بشهادة الخوارج وأصحاب دور البغاء. وعمن روعهم مصرع حجر بن عدي، عبد الله بن عمر وكان حين بلغه الخبر في السوق، فأطلق حبوته فقام وقد غلبه الكاء والحبيب كما جاء في المجلد الاول من أسد العابة.

وحق ان عائشة مع ولاتها للامويين وكرهها لعلي وشيعته قد استغفرتها مصرعه وقامت بدور اعطى لقصيته أبعاداً واسعة، وبما قالته عندما بلغها النبأ كما جاء في الاستيعاب:

اما والله لو علم معاوية ان عبد اهل الكوفة منعة ما اجترأ على ان يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتله بالشام ولكن ابن آكلة الأكباد علم انه قد ذهب الناس، أما والله اهم كانوا لجمجمة العرب عراً ومنعة وفقها، وقد روت حديث النبي (ص) في فصل حجر وأصحابه وهي تندد بمعاوية وجلاديه:

سيقتل في عذراء اناس يفض الله لهم وأهل السماء.

رشيد الهجري ورفاته

لقد كان معاوية من خلال أساليب العنف والقتل والتعذيب وملاحقته لقادة الشيعة المعروفين بولائهم لعلي وبنيه (ع) وحرصهم على الاسلام يحاول استئصال التشيع أو إضعافه وإشاعة الخوف والقلق والكُفْت في الوسط الشيعي، واستطاع بما قام به من قتل وحبس وتشريد أن يشر الخوف والرعب بين الشيعة ويحد من تجاهر الكثيرين منهم بالتشيع، ولكنه لم يستطع استئصال التشيع ولا اقتلاع الولاء لعلي من القلوب والعقول، وظل التشيع الذي يجسد الاسلام يسير ويتشع مستهيناً بجميع الصعاب والعقبات، وظل علي (ع) الذي يُسب ويُشتَم من على منابرهم ويفرضون البراءة منه واللعن على شيعته وعصيه، يحتل العقول والقلوب وكأنهم يدفعون به الى السوء على حد تعبير الشعبي وعبدالله بن عروة لولديهما.

وبالرغم من الخوف والقلق اللذين تغشيا في أوساط الشيعة وبخاصة بعد مقتل حمر وأصحابه الكرام فقد بقي في صفوف الشيعة أفراد يحملون روح حجر وأصحابه ويأضلون بما لديهم من الامكانيات عن مبادئهم وعقيدتهم وولائهم لأمير المؤمنين علي (ع) ولا يفرطون بشيء من ذلك ولو أدى ثباتهم الى استئصالهم واستئصال من يتصل بهم وما نحن نقدم نماذج من هؤلاء الأبطال لاثبات هذه الحقيقة.

فمن هؤلاء رشيد الهجري أحد أعلام عصره في دينه وعلمه، لقد صحب الهجري أمير المؤمنين وكانت له منزلة عنده ليست لاحد سواه، وبلغ من اطمئنانه اليه انه كان يخبره ببعض الحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان وما سيجري عليه

من زياد بن سمية وغيره مما حصل عليه أمير المؤمنين (ع) من النبي (ص) ويسميه رشيد البلايا.

وجاء عن ابنته أنها قالت سمعت أبي يقول قال أمير المؤمنين (ع) يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل اليك داعي بني أمية ففقطع يديك ورجليك ولسانك، فقال له أبي: أوليس آحر ذلك إلى الحنة؟ فرد عليه بقوله انت معي في الدنيا والآخرة.

وجاء فيها يرويه المؤرخون والرواة أن رشيد المهجري خرج مع أمير المؤمنين إلى بستان من بساتين الكوفة واستظلا من حرارة الشمس تحت نخلة من نخيله، فقدم لها صاحب البستان رطباً من إحدى نخيله فأكل أمير المؤمنين (ع) والتفت المهجري إليه وقال: ما أطيب هذا الرطب يا أماه الحسن، فرد عليه قائلاً: أما أنك ستصلب إلى جذع هذه النخلة.

وكان رشيد المهجري بعد ما سمع من الإمام ذلك يتعاهد تلك النخلة ويصلي تحتها أحياناً ومرّ عليها مرة فرأى سفعها قد تقطع فأحس بدنو أحله، ولما قبض عليه ابن سمية قال له: بمدد أخبرك خيلك ابن أبي طالب إنما فاعلون بك؟ فرد عليه قائلاً: لقد أخبرني بأنكم تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني، فقال: أما والله لا كتّبن حديثه خلوا سيّله، فأطلقه الخلاوة فلما حرق قال زياد للخلاوة ردوه، فلما أرجعوه إليه قال: والله لا أجد شيئاً أصالح لك عما قال صاحبك أنك لا تزال تبغي لنا سوءاً أن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه، فتعد الخلاوة فيه امر زياد وهو يتكلم ويشتم معاوية وزياداً وبني أمية فاعتاط زياد وأمرهم أن يصلبوه ويقطعوا لسانه ولما هموا بقطعه قال هذا والله ما أحرمني به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(١)

(١) سمية البحار ج ١ ص ٥٢٢، وجاء في المجلد الثاني من حياة الإمام الحسن للقريشي أن الحافظ الذهبي قال في تذكرته أن زياد قتل رشيد المهجري وقطع لسانه وصلبه لشيعة علي وبني (ع) كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في مجلد الأول من شرح النهج ص ٢١١.

عمرو بن الحمق الخزاعي

لقد كان عمرو بن الحمق من خيار الصحابة ومقرباً من النبي (ص) وقد أسلم قبل الفتح وأخلص في إسلامه، وهو شاب لم يبلغ الخامسة والعشرين من عمره فدعا له النبي أن يمتعه الله بشبابه لبلغ الثمانين من العمر ولم تبوؤ له شجرة واحدة، كما نص على ذلك في الاصابة، وبعد النبي (ص) لازم علياً (ع) وتغافل في حبه وولائه لأهل البيت (ع) وكان من حلفاء أصحاب الأمير وقال له يوماً: ليت في جندي مائة مثلك يا خراعي، ثم دعا له وقال: اللهم نور قلبه بالتقوى وأهده الى صراطك المستقيم.

وقال هو لأمير المؤمنين مغرباً عن ولائه وأخلاصه: والله ما احببتك للدنيا ولا لمزلة تكون لي بها، وإنما احببتك لخمس حصائل، لأنك أول المسلمين إيماناً وابن عم رسول الله وأعظم المهاجرين والانصار جهاداً وتصحية وتغافلاً في سبيل محمد ورسالته وروج بضعة الرسول سيدة النساء (ع) وأب لعنة الرسول وذريته، والله لو قطعت الجبال الرواسي وصبرت البحار الطوامي في توهين عدوك وتلقيح حجتك كان ذلك قليلاً من كثير ما يجب علي من حقتك.

وحينما تولى زياد بن ابيه الكوفة وراح يتتبع الشيعة ويلاحق زعماءهم بالقتل والحبس والتعذيب والتنكيل كان عمرو بن الحمق في طليعة اولئك المظلومين فجعل زياد يلاحقه ويطارده ففر الى المدائن ومعه رفاعة بن شداد فاعتقل زوجته آمنة بنت الشريد ووضعها في حسبه ثم أرسلها الى معاوية فأمر بحبسها ومكث هو ورفيقه رفاعة في المدائن مدة من الزمن، وحينما علم زياد بمكانهما أرسل جلاوزته الى المدائن في طلبهما وحينما عرفا بأن معاوية أرسل في طلبهما خرجا من المدائن ليلاً باتجاه الموصل والتجأ الى جبل في ضواحي الموصل فأقاما فيه

أياماً، وبلغ عامل معاوية على الموصل بثثة بن أبي عبدالله أن رجلين يكتمان في ذلك الجبل ويتجنبان الناس فصار إليهما مع جماعة من أصحابه علياً انتهوا إلى الجبل خرج إليهما عمرو ورفاعة، وكان عمرو يعاني من مرض ألم به من آثار سم دس إليه جماعة من أنصار معاوية، ولم يكن باستطاعته أن يقاوم أو يهرب منهم فاستسلم للقوم، وأما رفاعة فقد كان شاباً مريضاً فالتفت إلى عمرو وقال: إني سأدافع عنك، فنهاه عن ذلك وقال له: إن دفاعك لا يجديني نصراً وأرى لك أن تنجو بنفسك إن استطعت، ففهم رفاعة بسمعه على القوم فأفرجوا له ولم يتمكنوا من أسره، واعتقلوا عمرواً وهم لا يعرفونه وامتنع من أن يعرفهم بنفسه ونسبه وقال لهم: أنا من أن تركتموه كان أسلم لكم وإن قتلتموه كان أصرّ عليكم، ولما امتنع أن يعرفهم عن نفسه أرسلوه إلى حاكم الموصل عبد الرحمن بن عبدالله الثقفي، وكان يعرفه فأرسل رسالة إلى معاوية بن همد يخبره بأمره فأجابه برسالة جاء فيها:

«لقد قيل بأنه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات بمشاقص كانت معه ونحن لا نريد أن يعتدي عليه فاطمئنه تسع طعنات كما طعن عثمان»، فأخرجته من سجنه وأمر بطعمه تسع طعنات هيأت من الطعنة الأولى ثم الثانية كما جاء في تاريخ الطبري ثم احتز رأسه وأرسله إلى معاوية بالشام فأمر أن يطاف به في الشام وغيرها على حد تعبير صاحب الاستيعاب (صفحة ٥١٧ من المجلد الثاني).

ثم أمر أن يرسلوه إلى روحته أمة بنت الشريد وكان قد وضعها معاوية في السجن لأنها لم تتبرأ من علي بن أبي طالب فوضعوه في حجرها وهي لا تعلم من أمره شيئاً، فلما نظرت اضطربت وكادت أن تموت هول الصدمة، وصاحت بصوت يزعزع العدو والصديق. وأحزناء عيتموه عني طويلاً وأهديتهم إلى قتيلاً فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية وأنا له اليوم عبر ناسية

والتفتت إلى الرسول والالم يقطع أحشاءها وقالت له: أرجع إلى معاوية وقل له: أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك، ولما بلغه الرسول مقالته غاظه كلامها وأمر بإحضارها لمجلسته فلما حضرت قال لها:

«أنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني عنك؟» فأجابته غير مكترثة به ولا عيابة لسلطانه قائلة: نعم لا نازعة عنه ولا معترضة منه ولا مكبرة له وقد اجتهدت في الدعاء عليك أن تفع الدعاء وإن الحق لمن وراء العباد وما بلغت شيئاً من جزائك.

والتفت اليه اياس بن حنبل احد المرتقة وقال له: اقتل هذه المرأة يا أمير المؤمنين فوالله ان زوجها لم يكن أحق بالقتل منها، فردت عليه قائلة له: تبا لك ويلك ان بين لحيتك كجثمان الضفدع، ثم استدعوه الى قتلي كما قتل زوجي بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين.

واستمر الحوار الحاد بينها وبين معاوية بشجاعة قل نظيرها في تاريخ المرأة التي لا ترى للحياة وزنا ولا قيمة بعد زوجها وظلت تحاوره بلهجة الساخر منه ومن سلطانه وجلاديه وأعواته حتى أمر باخراجها من مجلسه.

وجاء في بعض الرويات انه أمر بقتلها وكانت أول امرأة قتلت في الاسلام بعد ان عرض عليها البراءة من علي (ع) فامتنعت عليه وتبرأت منه ومن جلاديه ومن يحاييه بفعل او قول.

وغير بعيد على ابن هند ان يقتل امرأة لانها لم تتبرأ من علي ودين علي (ع) كما قتل غيرها من أعيان المسلمين وصحابة الرسول لهذا السبب وهم لا يملكون سلاحاً غير سلاح الايمان الذي كان يعمر قلوبهم وبه وحده وقفوا تلك المواقف الخالدة يجاهدون به من ضل عن الحق وتخطئ في اتهامات الباطل والظلم والطغيان.

وهل يملك معاوية من الدين والقيم والرحمة ما يمنعه عن قتل امرأة مسلمة لانها لم تلعن حلياً وتبرأ من دينه، دين محمد بن عبدالله بعد ان أمر جلاديه بنقلها من بيتها في الكوفة الى سجنه المظلم في دمشق

وأبي فرق بين قتلها بالسيف وبين وضعها مكبلة في سجون دمشق ليفاحشها برأس زوجها الصحابي الجليل اس الثمانين بعد ان طاف به في البلدان، وقد اقتدى به ولده يزيد من بعده فطاف برأس الحسين (ع) ونسائه في البلدان وانتهى به المطاف ليضعه في قصر الحمراء بين يديه ويكث ثيابه بمخصرته بحضور نسائه وشقيقاته وأطفاله.

ومن تتبع تاريخ الابن وما ارتكبه من الجرائم والمواقف يجد ان يزيداً قد ورث عن ابيه جميع خصاله وصفاته بما في ذلك حقه على محمد وآله وان جميع ما قام به الابن قد قام بمثله وبما يشبهه أبوه من قبله.

وقد أحس المسلمون بصدمة عيقة لما جرى لعمر بن الحنظل وزوجته وأيقنوا بأن كرامة خيارهم قد أصبحت تحت أقدام معاوية وزيد بن سمية وأمثاله من المردة والمرتقة، وأرسل الإمام أبو عبدالله الحسين رسالة الى معاوية يعبر فيها عن موقفه

من هذا الحادث وأمثاله من الاحداث الخطيرة جاء فيها:

أولست قاتل عمرو بن الحمق العبد الصالح صاحب رسول الله (ص) الذي ابلته العبادة فتحل جسمه واصفر لونه بعدما أمته وأعطيته من عهد الله وموائيقه ما لو اعطيته طائراً لزل اليك من رأس الجبل ثم قتله جرأة على ربك واستخفافاً بتلك العهود التي اعطيته اياها.

وهذه الرسالة كما تعبر عن رأي الحسين (ع) وموقفه من تلك الجريمة البشعة تعبر أيضاً عن آراء الفئة المؤمنة من المسممين ونفائيا الصحابة ولكن معاوية بما استعمله لتغطية جرائمه قد نجح الى حد ما في تحدير الجماهير وبعث الخوف في اوساط الخاصة فلم يعد أحد يجرؤ على التعبير حتى عن رأيه باستثناء تلك الحصة من الابطال الميامين كحجر والخزاعي وأمثالهما ممن طابت لهم الشهادة فتقدموا اليها بنفوسهم المطمئنة بجاهدون من صل عن الحق وراح يتحيط في مشاهات الباطل والجور والطغيان

أوفى بن حصن

لقد كان أوفى بن حصن من أولئك المنصلين والمساوئين لسياسة الأمويين وعملائهم الخائنة. لم تره سيوفهم ولا سجونهم المظلمة يتحدث بمساوئهم ويندد بهم في مجالسه وحيثما حل وارتحل، وكان ريباد بن سمية يتحرّاه ويتابع تحركاته وأخيراً أمر الشرطة بالقض عليه فلم يعثروا عليه، ولأسباب سياسية كان زياد يستعرض الناس فيحصر أوفى مع الناس وزياد ابن أبيه لم يعرف شخصه وحيثما مرّ من أمامه قال لمن كان معه من حلائره: من هذا؟ ف قيل له: هو أوفى بن حصن، فأمر الشرطة بالقض عليه فلما وقف بين يديه قال: انتك بخائن رجلاه تسمى، والتفت إليه قائلاً: ما رأيك في عثمان بن عفان؟ فرد عليه بقوله: هو حتى رسول الله على استه، وسأله عن معاوية فقال: جواد حليم، وسأله عن رأيه فيه، فقال: بلغني أنك كنت تقول في البصرة: أم والله لأحذن البريء بالسقيم والمقبل بالمدر، فقال له: نعم كنت أقول ذلك، فقال: لقد خطبتها خط عشواء، فأمر الجلادين بقتله فقتلوه كما جاء في المجلد الثالث من الكامل لابن الأثير^(١).

لقد كان باستطاعة أوفى بن حصن أن يسلم من الموت لو أنه أقر سياسة ريباد ولم يطعن بها في مجلسه، ولكنه أثار أن يقول الحق مهما كان الثمن غالياً وأن يمضي على الطريق الذي مضى عليها رفاقه الكرام ليحشر مع المجاهدين الذين عناهم النبي (ص) بقوله:

أفضل الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر، وليكون من أفضل الشهداء الذين عناهم بقوله: أفضل الشهداء عمي الحمزة ورجل قال كلمة حق في وجه جائر فقتله.

(١) أنظر ج ٣ من الكامل ص ١٨٣.

جويرية بن مسهر العبدي

لقد قضى جويرية شطراً من حياته مع أمير المؤمنين إلى جانب المقربين منه كميثم التمار ورشيد الهجري وغيرهما ممن احتضهم ببعض ما أخرجه به النبي (ص) من الأحداث قبل وقوعها، فقد جاء في المجلد الأول من شرح النهج عن إبراهيم ابن ميمون عن حبة العوفي أن جويرية بن مسهر كان صالحاً وصديقاً لعلي بن أبي طالب (ع) وأنه نظر إليه يوماً وهو يسير في طريقه فناداه: يا جويرية الحق بي فاني أدراك أنك أحستك، فعدل عن الطريق ومشى وراءه فالتفت إليه وقال: الحق بي لا أبا لك ألا تعلم أني أهواك وأحبك، فلما دنأ به قال له: اني محدثك بأمر فاحفظها، ثم اشتركا في الحديث سرّاً على حد تعبير الراوي ثم قال له جويرية: يا أمير المؤمنين اني رجل أنسى فأعد علي حديثك لأحفظه، فأعاد عليه الحديث، ثم قال له: احبب حبيبتنا ما احبنا فاذا ابغضنا فابغضه وابغض ابغضنا ما ابغضنا فاذا احبنا فاحبه

وأضاف إلى ذلك ابن أبي الحديد أن جماعة ممن كانوا في شك من أمر علي (ع) يقولون: أترأه يريد أن يجعل جويرية وصياً له كما يدعي هو الوصاية عن رسول الله (ص) وكانوا يقولون ذلك لما يرونه من ملازمته لعلي واختصاصه به.

ومضى شارح النهج يقول أن جويرية دخلت على علي (ع) وهو مضطجع وعنده جماعة من أصحابه فناداه جويرية: أيها النائم استيقظ فلتصبرن علي رأسك ضربة تمخض بها لحيتك، فتبسم أمير المؤمنين (ع) وقال: وأنا أحدثك بأمر، أما والذي نفسي بيده لتعلنن إلى العتل الزنيم فيقطع يدك ورجلك ويصلبك تحت

جذع كافر، قال الراوي: فوالله ما مصت الايام على ذلك حتى اخذ زياد بن سمية جويرية وقطع يده ورجله وصلبه الى جانب جذع ابن معكيد وكان جذعاً طويلاً فصلبه على جذع قصير الى جانبه^(١).

(١) أنظر المجلد الأول من شرح السج ص ١٠٩ و ١١٠

عبد الله بن يحيى الحضرمي

لقد كان عبد الله الحضرمي من أولئك الذين حملوا راية الكفاح والنضال ولم يتنازلوا عن عقيدتهم وولائهم لعلي وآل علي (ع) كما لم ينحنوا لتهديدات معاوية وجلاديه ولا لسيوفهم وسجونهم المظلمة وقد صربوا بذلك أروع الأمثلة في الثبات على المبدأ والعقيدة والتصحيات في سبيلها. وكان بالإضافة إلى ولائه الأكيد لأمير المؤمنين من شرطة الخميس، وقد قتل له يوم الجمل: ابشر يا عبد الله فاسك وأناك من شرطة الخميس حقا لقد احبر رسول الله باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس ولما قتل أمير المؤمنين (ع) حزن عليه عبد الله بن يحيى واشتد به الحزن وأحيرا خرج من الكوفة واتخذ لنفسه محلا بعيدا عن الناس يتعبد فيه وظل الشيعة يترددون عليه بين الحين والآخر، ولما علم ابن هذ بحزعه وحرنه على أمير المؤمنين وترديد فصائله بين أصحابه وفي مجالسه أمر واليه على الكوفة بالقبض عليه وعلى من كان يتصل به من الشيعة فقبض عليهم وأرسلهم إلى معاوية فأمر بقتلهم صبرا^(١).

إلى غير ذلك من عشرات المناضلين الذين قتلهم معاوية وزيناد بن سمية وغيرهما من ولاته لا لأنهم نكثوا بيعته وخرجوا عن طاعته أو استحلوا دما حرمه الله بل لأنهم لم يتبرأوا من علي ودينه وأنكروا عليه ما كان يمارسه هو وولاته من ظلم وجور واستهتار بالقيم والمفلسات.

(١) أنظر المجلد الثاني من كتاب القرشي الإمام الحسن ص ٣٨٥ والخميس اسم من أسماء الجيش وسمي بذلك لأن الجيش موزع إلى حمة أصناف. المقدمة واليمين والميسرة والقلب والساقة وقيل غير ذلك.

محمد بن أبي حذيفة

لقد قتل ابن هند وابن سمبة فريفاً من أولئك المناضلين وامتلأت سجونهم بالعشرات منهم وفرّ الباقيون هائمين على وجه الأرض يطاردتهم الخوف والرعب من جلاديه فهلك دورهم وصار ممتلكاتهم وترك نساءهم وأطفالهم يتكففون أوجه الناس ويقتربون التراب. لقد كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة في طليعة الموالين لعلي والمناوئين للحكم الأموي، ومن صلحاء المسلمين وقد لازم علياً في جميع حروبه ومعاركه، وجاء عنه أنه قال: أبى الحامدة أن يعصى الله^(١)

وقد طارده معاوية بعد أن استتب له الأمور وقبض عليه ووضعته في سجنه وأخرجته من سجنه بعد مدة من الزمن واستدعاه لمجلسه ليعلن علياً ويتبرأ منه وقال له: ألم يأن لك أن تنصر ما كنت عليه من الصلالة بنصرتك لعلي بن أبي طالب، ألم تعلم أن عثمان بن عفان قتل مظلوماً وإن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطالبون بدمه وإن علياً هو الذي كابر عرض الناس على قتله ونحن في حربنا لعلي وآل علي (ع) نطالب بدمه؟

فأجابه محمد بن أبي حذيفة بصراحته المعروفة وعدم محاباته لأحد على حساب دينه ومعتقداته: أنك لتعلم يا معاوية أنني أمس القوم بك رحماً وأعرفهم بك وبأهدافك ونزعاتك^(٢) فوالله الذي لا اله غيره لا أعلم أحداً شارك في دم عثمان

(١) وهم محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر الطيار ومحمد بن أبي حذيفة.

(٢) لقد كان محمد بن أبي حذيفة من أقرب الناس لمعاوية لأن والده أبا حذيفة بن عتبة شقيق هند أكلة الأكباد فهو ابن خاله ومعاوية ابن عمته

وألب الناس عليه غيرك حينما استعملك وأمثالك وسلطكم على رقاب العباد وأموالهم، ولما امتنع أن يضع حداً لك ولأمثالك فعلوا به ما بلغك، ولم يشترك أحد في قتله أولاً وأخيراً سوى طلحة والزبير وعائشة فقد شهدوا عليه بارتكاب الكبائر وألبوا الناس على قتله، ومضى يقول: وإني لأشهد أنك منذ عرفتك في الجاهلية والاسلام لعل خلق واحد لم يعير الاسلام منك شيئاً، وعلامة ذلك بيعة فبك انك تلومني على حب علي وموالاته وتأمري بسبه، لقد وقف الى جانب علي كل صوام قوام من المهاجرين والانصار وخرج معك ابناء المفاقيين والطلقاء والعتقاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك.

والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت، وما خفي عليهم ما صنعوا اذ أحلوا انفسهم بسخط الله في طاعتك، والله لا ازال أحب علياً لله ورسوله وأنفذك في الله ورسوله ما بقيت، فارتاع معاوية منه واستبد به الغضب وأراد قتله وقال: انك لا تزال على ضلالك القديم يا ابن ابي حذيفة، ولكن جماعة ممن كانوا في مجلسه لم يرجحوا له ذلك مردوه الى سجنه وأوصى بالنشديد والتضييق عليه وبقي في سجنه الى ان لعظ أنفاسه الاخيرة صابراً محتسباً لم يتردد لحظة واحدة في ولائه لعلي وآله ولا في ضلال معاوية وأعوانه^(١).

وقيل كما جاء في شرح النهج ان معاوية بعد هذا الموقف الذي وقفه منه لم يشأ ان يتولى قتله في ذلك المجلس لانه امن حاله، فحسبه في احدى سجونه بفلسطين ولكنه استطاع ان يخرج من السجن هرباً بعد ان مكث فيه مدة من الزمن فاستدعى معاوية جماعة وأمرهم بمطاردته فقصوا عليه في أحد الكهوف وقتلوه قبل ان يصل الى معاوية^(٢).

وهكذا كان مصير الاحرار والمناضلين من اجل الحق والعدالة والحرية، كان مصيرهم من حكومة معاوية القتل والتعذيب والتشريد والتحليل في ظلمات السجون حتى الانفاس الاخيرة من حياتهم.

(١) رجال الكشي ص ٤٧

(٢) أنظر المجلد الثاني من شرح النهج ص ٣٨.

عبد الله بن هاشم المرقال

لقد كان عبد الله بن هاشم المرقال في طليعة أولئك الذين خطط معاوية وشقيقه الجديد ابن سمية لاستئصالهم لأنه كان من أعيان الشيعة وزعمائهم الأبطال الذين لم ينحسروا لغير الحق ولا يجأون أحدكم على حسابه ومن يرون أن البراءة من علي وآل علي (ع) لا تعني سوى البراءة من الإسلام ومن محمد ورسالته . ومهما سمي معاوية فلم ينس مواقف المرقال في صفين وبطولاته التي كادت أن تؤدي إلى هزيمة جيشه لولا المصاحف التي رفعت على رؤوس الأسنة والرماح .

لقد كانت الشهادة تنتظر ابن المرقال ويستطرها بنفس مطمئنة وعزيمة صادقة كما كان أبوه في صفين يستطرها بنفس الروح والعزيمة ، وكتب معاوية إلى ابن سمية يطلب منه إلقاء القبض عليه ليتشفى بقتله والتكبل به كما تشمت أمه هند بنت عتبة بكبد الحمزة والتمثيل به .

وجاء في الرسالة التي كتبها إلى ابن سمية : أما بعد فانظر عبد الله بن هاشم فشد يده إلى عنقه وابعته الي ، ولما وصته رسالة معاوية أوعز إلى جلاوزته بالبحث عنه وإلقاء القبض عليه ، وحيما أحس العبد الصالح بذلك التجأ إلى حي من أحياء الكوفة واحتفى عن الناس في أحد بيوتهم ، ولما علم بوجوده في ذلك البيت أحد المرتزقة شد الرحال إلى معاوية وأحمره بمكانه فكتب معاوية من فوره رسالة إلى زياد جاء فيها :

أما بعد فإذا أتاك كتابي فاعمد إلى حي بني مخزوم وقتله بيتاً بيتاً حتى تأتي دار فلانة المخزومية فاسترح عبد الله بن المرقال منها واحلق رأسه والبسه جبة من

الشعر وغل يده الى عنقه واحمله الي على قتب بغير وطاء ولا غطاء .

وعندما وصل اليه الكتاب قام زياد بتفتيش الحبي بيتاً بيتاً وظفر به في أحد بيوته فأرسله الى معاوية على الكعبة التي أُردها ووصل الى دمشق في يوم الجمعة، اليوم الذي يستقل به أشرف قريش ووجه أهل العراق في كل أسبوع، ولم يشعر معاوية الا وابن هاشم مكبلاً بالحديد بين يديه فعرفه لأول نظرة ولم يعرفه ابن العاص، فقال له معاوية: هذا الذي كن أبوه في صهي يقول:

اني شريت النفس لما اعتلا وأكثر اللوم وما اقلا
أمرور يبقني أهله عملا قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد ان يفل او يفلا اسلمهم بدي الكعوب سلا
لا خير عندي في كريم ولي

فتمثل ابن العاص حينما عرفه به معاوية بقول القائل:

وقد يست المرعى على ومن المري
وتيفر حارات النفوس كما هيا

والتفت الى معاوية قائلاً: دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب فاشخب
أوداجه على إنباجه ولا ترده الى أهل العرق فإنه لا يصبر على النفاق وهم أهل عذر
وشقاق وان له هوى سيوديه ورأها سيطفيه وبطانة ستعويه

فأنبرى اليه عبد الله كالأسد الغصن غير هباب ولا وجل قائلاً: يا عمرو
ان اقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ونحن
ندعوك الى النزال وأنت تلوذ بشمال السطوق وعقائق الرصاف كالأمة السوداء
والنعجة القوداء لا تدفع يد لأمس^(١).

واستمر الحوار بين ابن العاص وابن المرقال، وابن العاص ينهزم بين يديه ثم
يحاول ان يستعيد مكانته بالتصليل والاحتيل والافتراء على عبد الله وأبيه، ولكن
عبد الله كان يطارده أينما ذهب ليكشعه على واقعه الكريه في ذلك المجتمع الذي
ضم أشراف قريش ووجهاء العراق والشام وقال له:

(١) النطاق الماء القليل، والعقائق سهام الاعتذار، والرصاف الحجارة التي توضع عند مسيل الماء.

يا عمرو إنا قد بلوناك ومقاتك فوجدنا لسانك كذباً غادراً خلوت بأقوام لا يعرفونك وجنود لا يساوموك ولورمت المنطق في غير أهل الشام لمحظ عليك عقلك وتلجلج لسانك واضطرب فحداك اضطراب القعود الذي أثقله حمله.

وهما أدرك معاوية أن ابن العاص ساعده اليمين قد انتار ورأى الجماهير تتطلع إلى ابن هاشم بإعجاب وإكبار فقطع عليهما الحوار قائلاً: أيها عنكما وأمر بأرجاع عبد الله بن هاشم إلى سجنه وبقي فيه يتمرض لأسوأ أنواع التعذيب والارهاق حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وقيل أنه أطلق سراحه بالرغم من أن ابن العاص قد حرصه على قتله وذكره بمواقف أبيه هاشم في صفين وغيرها في أبيات ذكرها المؤرخون جاء فيها:

أليس أبوه يا معاوية الذي	أعان علياً يوم حز الفلاس
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه	وموشك أن تفرع به من نادم

وعرب علي أن هد أن يتغاضى عن ابن المرقال المتصاني في ولايته لعلي وآل علي وبخاصة بعد تلك المحطات العظيمة التي شنها عليه وعلى زميله المرافق المحتال ابن الساعة، مع العلم بأنه قد قتل وروع وشرذ عشرات الآلاف من الشيعة لا شيء إلا لتشيعهم لعلي وآل علي (ع) وكان مع ذلك شرهاً في إراقة الدماء والتكيد بالصلحاء والأبرياء، لذلك كله هنا أرجح أن تكون الرواية التي تدعي بأنه قد أطلق سراحه من صنع المرتزقة الذين كانوا يحاولون أن يلصقوا به من صفات الأبرار والكرام الخلم والعفو.

عبد الله بن خليفة الطائي

لقد كان عبد الله الطائي من الماضلين ضد الحكم الأموي ومن أصحاب حجر ورفاقه الذين تخرجوا من مدرسة أسير المؤمنين التي كانت ثورة على الظلم والطغيان من أجل الإنسان وكرامة الإنسان التي استهانتها حكومة الأمويين بأقدامها.

وجاء عنه أنه قال لأمير المؤمنين وهو في طريقه معه إلى البصرة. الحمد لله الذي رد الحق إلى أهله ووضعته في موضعه فإن كره ذلك قوم فقد كرهوا محمداً ونابذوه وقتلوه، ورد الله كيدهم في نحورهم وجعل دائرة السوء عليهم، والله يا أبا الحسن لأجاهدن معك في كل موطن حفظاً لحق رسول الله (ص).

وظل عبد الله على ولائه الأكيد لمع حق النفس الأخير من حياته واشترك مع حجر وأصحابه في ثورته، ولما قبض زياد على حجر وأصحابه أمر الشرطة بالقبض عليه، وبعد صراع طويل ومرير جرى له معهم قبضوا عليه وألقاه زياد في سجنه فاستنجدت اخته النوار بقومها الطائيين وطالبتهم بنجدة واخراجه من سجنه فثار الطائيون على الشرطة وناجزوهم حتى انتزعوه من أيديهم.

وارسل زياد إلى عدي بن حاتم الطائي يدعو لمقابلته ولما اجتمعا طلب منه زياد أن يسلمه عبد الله وبعد حوار طويل بين الطرفين قال له عدي بن حاتم: لا والله لا أتيتك به أبداً أتريدني أن أجيتك بأبن عمي لتقتله والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه. فغضب زياد وأدخله السجن، حتى يأتيه بقريه الطائي، فتحركت المعصيات القبلية لسجن عدي بن حاتم، ولم يبق في الكوفة يماني ولا ريعي وطائي

الا وطالب ريادةً باطلاق سراحه وخلني زياد ان تتسع النعمة عليه وعلى الحكم
الاموي ويتخذ الصراع شكلاً قُبلياً ربما تشترك فيه أحلاف ربيعة وطيء من القبائل
العربية التي لا يسعها ان تبقى محايدة اذا تعرضت حليفاتها للشر والعدوان .

فاطلق سراحه واشترط عليه ان يغيب ابن عمه عن الكوفة موافق عدي على
ذلك وأمر عبد الله بن حليفة بمخادمتها الى الجبلين، فغادرها وعاش ما بقي من
عمره بعيداً عن اهله ووطنه كما شاءت له إرادة زياد بن سمية^(١) ومات في منفاه
وزياد لا يزال بين الاحياء كما جاء في تاريخ الطبري

وكان يجيد نظم الشعر، ومن شعره في مناه قصيدة يرثي بها حجر بن عدي
وأصحابه ويصف حاله وما يعانيه في المنفى من الآلام والشوق لاهله ووطنه جاء
فيها في وصفه لحجر بن عدي :

فنعم اخسو الاسلام كنت واني لاطمع ان تؤق الخلود ونحبرا
وقد كنت تعطي السيف في الحرب حقه ونعرف معروفنا ونكر مسكرا

ووصف فيها منفاه بقوله :

نفاني عدوي ظالماً عن مهاجري رطسيت بما شاء الإله وقديرا
وأسلمي قومي بعير جنبالية كأن لم يكوسوا لي قبلا ومعثرا
الى خير هؤلاء من رجالات الشيعة الذين تعرضوا للاعتقال والنفي والتشريد
وماتوا في منفاهم في ظروف غامضة كصعصعة بن صوحان وعدي بن حاتم وجارية
بن قدامة، اما صعصعة فكان من خيرة أصحاب أمير المؤمنين (ع) وفيه يقول
الامام الصادق (ع) : ما كان مع أمير المؤمنين من يعرف حقه الا صعصعة بن
صوحان وأصحابه ومواقفه مع معاوية وجلاديه كما ترونها مجاميع التاريخ تؤكد بأنه
من ذوي النضائر الصافية في دينه، قنوي الحجة واسع التفكير يهزم خصمه مهما بلغ
من التفكير وحسن البيان كما حدث له مع معاوية وابن العاص وغيرهما .

وأما عدي بن حاتم الطائي فقد كان من الشخصيات الاسلامية التي تتمتع
بثقة الجماهير في العراق ومن البارزين بين اصحاب أمير المؤمنين وشيعته ومن اجل
ذلك تعرض للاهانة والاستحقاق من قبل ابن هند وحواشييه ودخل عليه يوما فقال
له شامتاً مستخفاً به : ما فعلت الطرفت، يعني بذلك اولاده طرفة وطريف

(١) والجبلان يقعان في مكان بعيد بعداً واسعاً عن الكوفة يعرف بجبال طيء .

وطارف، وكانوا قد قتلوا مع علي بن أبي طالب، فقال له: قتلوا مع أمير المؤمنين، فرد عليه معاوية بقوله: ما أنصحت علي لقد قتل أولادك وأبقى أولاده، فقال له عدي بن حاتم: بل ما أنصفت عليا إذ قتل وبقيت بعده.

فاغتاظ من جوابه وقال له مهديا: أما والله لقد بقيت قطرة من دم عثمان لا يغسلها إلا دم شريف من أشراف اليمن وكان يعنيه بذلك.

فأنبرى إليه عدي مستحفا به وبتهديده وقال: والله يا معاوية إن القلوب التي ابغضاك بها لفي صدورنا والسيوف التي حاربناك بها لا تزال في أيدينا ولئن أقبلت نحواً بخدرك فتراها فسندبو اليك سيوفنا شبراً، وإن حز الحلقوم وحشرجة الخيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي وآل علي (ع) فسلم السيف لباعث السيف

فتجاهل معاوية تهديده^(١) وقال له: صف علياً، فقال ابن حاتم إن رأيت أن تعفيني من ذلك يا معاوية، فرفض أن يعفيه وكان يعلم بأن كل صفة من صفات علي (ع) إذا مرت على سمع معاوية ستكون بمثابة طعنة في قلبه فاستعمل هذه المروعة وقال: كان والله بعيد الميدي شديد القوى يقول عدلاً ويحكم فصلاً تنعجر الحكمة من حوانه، والعلم من سواخيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأس بالليل ووحشته وكان مع ذلك عزيز النعمة طويل الفكرة يحاسب نفسه إذا خلا ويقلب كمره على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير ومن الطعام الخشن، وكان فينا كأحدنا يميننا إذا سألناه ويدينا إذا اتينا، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، يعظم أهل الدين ويتعجب إلى المساكين، لا يخاف القوي ظلمه ولا يياس الضعيف من عدله، وأقسم بالله يا معاوية لقد رأيت له ليلة وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سدوله وغازت نجومه ودموعه تنحدر على خيته الكريمة وهو يتململ ثململ السليم ويكي بكاء الحزين وكأنني أسمعه الآن وهو يقول: يا دنيا إلى تعرضت أم إلى أقبلت غري غيري لا خان حينك قد طلقنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعبثك حفر وخطرك يسير آه من قلة الزاد وبعد السفر وفقد الأيسر.

لقد تعمّد ابن حاتم أن يصنع معاوية بكل واحدة من تلك الصفات التي كانت كالسهم المسمومة تنهد إلى قلبه وتمتد بأحشائه، لأن كل صفة منها تنطوي

(١) مروج الذهب للمسعودي المجلد الثاني.

على التعريض والتنديد به وبأعدائه الحاضرة الجلادين الذين لا تعرف قلوبهم سبيلا
الى الحق والعفو والرحمة .

وبلا شك فان معلومة كان في تلك اللحظات التي كان فيها ابن حاتم
مسترسلا في وصف علي (ع) في صراع مريب مع نفسه ، فحقده على علي (ع)
وشبعته كان يدفعه الى الانتقام من عدي بن حاتم لانه قد عاهد نفسه وأمية على ان
لا يترك لعلي ذاكرا محبر وأن لا يترك شتمه وسه حتى يشب على ذلك الصغير ويهرم
عليه الكبير ، وعلى اساس ذلك فقد شرد عشرات الالوف من الشيعة وحتى من
المتهمين بالنشيع وقتل جماعة من زعماء الشيعة ووجوههم كحجر وأصحابه
والخزاعي ومن كان على رأيهم ، وهذا عدي بن حاتم لا يكتفي بمدح علي ، بل كان
يتخذ من مدحه ستارا للتعريض به واستنديد سياسته وسيرته ، وفي الوقت ذاته كان
يترأى له من مكانة علي بن حاتم في قومه وأحلافهم وعند العرب بصورة عامة
ان قومه سوف لا يقعون من قتله او سببه موقف المتفرج ومستمع المعارضة لدولته
وبيته وتتخذ طامعا قليبا بالاضافة الى الطابع المذهبي او الاسلامي لو تعرض له
يسوء .

وامتطاع بعد صراع مريب مع نفسه حول الموقف الذي يجب ان تتخذه من
عدي بن حاتم ان يجتاز تلك المرحلة الدقيقة من الصراع ويتفقت من أمونه
الحاقدة في تلك اللحظات وأن يتصنع لكاء خوفا على مصيره عندما سمع من
حديث علي مع الدنيا ويترحم عليه دجلا وتضليلا في هاية المطاف قائلا : رحم الله
ابا الحسن لقد كان كذلك .

جارية بن قدامة

لقد كان حارية بن قدامة كبيره من رعياء الشيعة ثوراً على الظلم والطغيان ومن المناهضين لسياسة معاوية التي اتسمت بالحقْد على علي أمير المؤمنين وشيعته، وحينما وفد على معاوية بن هند استعمل معه الأسلوب نفسه الذي كان يستعمله مع غيره من زعماء الشيعة بالاستحقاف في الإستهزاء ومها إلى ذلك من الأساليب، فقال له معاوية: انت الساعي مع علي بن أبي طالب والمشعل لنار الحرب لتسفك الدماء.

فردّ عليه قائلاً: يا معاوية دع عنك عبياً مما اعصناه منذ أحسنه ولا عشتناه منذ نصحناه، وحينما سمع منه ذلك تحول الحوار بينهما إلى لون آخر فقال له: ويحك يا جارية ما كان أهوك على أهلك اذ سموك جارية، فأجابه بقوله: انت يا معاوية كنت أهون على أهلك اذ سموك معاوية وهي الاش من الكلاب كما في رواية ابن عبد ربه في العقد الفريد^(١).

واتسع الحوار بينهما إلى التهديد والوعيد وحارية يتقصّ عليه كالصقر لا يترك له حورة الا كشفها وفضحها، ومع ذلك فقد تحالم به ابن هند ليستر بذلك ولو بعض جرائمه التي كان يمارسها على الطمة والتهمة. ولم تقتصر جرائم ابن هند وابن سمية على قتل الرجال ومطاردتهم وضطهادهم بل شملت بعض نساء الشيعة اللواتي اشتهرن بولائهن لعلي وآله الدين مرض الله مودتهم على جميع المسلمين كما نصت على ذلك الآية ﴿لَا أُسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِيَّاكَ﴾ في القريب^(٢). فلم تذكر له امرأة

(١) أنظر ص ٤٠٣ من المجلد الثاني للإمام الحسن لفرشي.

من تلك النسوة الماصلات الا وأرسل في طلبها وقابلها بالاستحفاف والاهانة
والتهديد والوعيد وأظهر لها ما يضمرة من الحقد والكراهية لامير المؤمنين وشيعته
ومن يباصره في قول أو فعل .

وها نحن نقدم الى القراء صوراً عن بعض تلك المواقف الخالدة التي وقفتها
المرأة الشيعية الى جانب الانطال من الرجل في سبيل الحق والمبدأ والعقيدة

الزرقاء بنت عدي

لقد اشتهرت الزرقاء بنت عدي بن نساء عصرها ببلاغة المطلق والمواقف الجريئة من الحاكمين أعداء الحق والاسانية وبولائها لأمر المؤمنين (ع) واشتركت معه في معاركه مع معاوية في صعين وكانت تكاثر تؤكد أكثر المصادر تنصهر جهات القتال الى جانب اهل العراق تحريضهم على الثبات والنضال والمضي في المعركة حتى النصر.

وبعد مصرع أمير المؤمنين واستتباب الأمور لاس همد كتب الى عامله على الكوفة طالبا منه ان يحمل اليه لورقاء مع من كان يطلبهم ويطاردهم من وحوه الشيعة وأعيانهم فأرسلها اليه تحت رقابة فريق من جيشه، ولما دخلت عليه رحب بها وقال ها. أتعلمين لماذا أرسلت في طلبك؟ فردت بجرائتها التي لارمتها في جميع مواقفها قائلة سبحانه الله أني بي بعلم ما لم أعلم وهل يعلم ما بي القلوب غير الله

فقال. بعثت اليك لكي أسألك عن مواقفك في صفين بين الصفيين توقدين الحرب وتحرضين على القتال وعما حملك على ذلك.

فقالت. يا معاوية لقد مات الرأس وبتر الدب والدهر ذو عير ومن تفكر ابصر والامر يحدث بعده الامر، وطلب منها ان تعيد عليه كلماتها التي كانت تلقها بين الجبهتين في صفين تحرض فيها اصحاب علي (ع) على الثبات والمضي في الحرب حتى النصر فلم تستجب لطلبه وقالت اتقاه لشره لا احفظ شيئا منها، فقال لها: انا احفظها لله ابوك يا زرقاء، واندفع يتلوها عليها فلما انتهى الى قولها: ان المصباح

لا يضيء مع الشمس وان الغل لا يسق الفرس وان الرف^(١) لا يوازن الحجر ولا يقطع الحديد الا الحديد، الا ان خصص النساء الحياء وخصص الرجال الدعاء والصبر خير عواقب الامور، ايها الى الحرب غير باكسين ولا متشاكسين فهذا يوم له ما بعده.

ولما استعرض كلماتها هذه تعلق عليه الحقد والعصب وقال لها: والله يا زرقاء لقد شاركت علي بن ابي طالب في كل دم سمي.

فردت عليه ساخرة منه: حس الله شارتك وادام سلامتك، مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه، والله لقد مررتي قولك وأتمنى أن اكون كما ذكرت.

ولم يكن بحسب معاوية وهو في عفوان جبروته والحاكم المسيطر على جميع طاقات الامة ومقدراتها ان يجرؤ أحد على مقابله بتلك الصلابة والجرأة وتتمنى امرأة اسيرة بين يديه على الله ان يحشره مع من قاتله وسفك دماء جنده وأصحابه، ويعد ان وجد ان العنف لا يرهها ولا يضع حدا لولائها ولتغانيها في حب علي وآل علي ولا لحراتها عليه، تراجع أمامها الى أساليب المكر والمحادعة التي اعتاد عليها، وقال لها:

والله لوفاؤكم له بعد موته أحب الي من حبكم له في حياته، ومعى عليها ان تذكر له حاجتها وما يحتملها من أمور دينها لمسحها ما تريد، فرفضت ان تحل يدها اليه وقالت: لقد آليت على نفسي ان لا أسأل اميراً أعنت عليه شيئاً أبداً.

ولكن بعض المصادر تدعي بأنه قد اقطعها صبيحة من صباغ الكوفة ودفع اليها مبلغاً من النقود وردها الى أهلها^(٢)

(١) الرف هو الصغير من الريش.

(٢) بلاغات النساء لطيفور طبع السنف ص ٣٢.

أم الخير البارقية

ومن النساء اللواتي اشتركن في الشرقة على الحكم الأموي أم الخير البارقية وقد اشتهرت بولائها وإخلاصها لعلي وآله وكانت في صفين تحرض الجماهير على حرب ابن همد وتستثيرهم بحطباها وأناشيدهم تركية يرددون في يدي كتيف الخاشية على حمل أرمك^(١) وقد أحيط بها ويدها سلوط وهي كالقحل يهدير في شفقته على حد تعبير الراوي وتقول.

أيها الناس انقوا ربكم ان رلزلة الساعة شيء عظيم ان الله قد اوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع الغم، ولم يدعكم في غيباء مهمة ولا سوداء مدهمة فأين تريدون رحمكم الله، أفراراً من أمير المؤمنين أم فراراً من الزحف أم رغبة عن الاسلام أم ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم قول الله سبحانه ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ولصابرين ونبلو أخباركم﴾.

ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرعدة وييدك يا رب أرمة القلوب بأجمعها، اللهم اجمع الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي التقي والصدیق الأكبر ابن ابن بديرة وأحفاد جاهلية وصغائن أحذية وثب بها واثب ليدرك ثارات عبد شمس.

ومضت تقول: صراً يا معشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأنكم نكم وقد لقينهم أهل الشام كحمر مستنفرة هرت من

(١) الجمل الأرمك ما كان لونه لون الرماد

قسورة لا تلدي اين تسلك من فجاح لارض، باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة بالعمى، وعما قليل ليصبحن نادمين حين تحل بهم الندامة فيظلمون الإقالة ولات حين ماض وأضاعت الى ذلك.

فالى اين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله (ص) وصهره وأبي سبطيه خلق من طيئته وتفرع من بهته وخصه بسره وجعله باب مدينته وأبان سغصه المناقبين وما هودا معلق الهام ومكسر الاصنام صل والناس مشركون وأطاع والساس كارهون فلم يرل في ذلك حق قتل مبارزي بدر وأفقى اهل أحد وهزم الاحراب وقتل الله به اهل حبير ومروق به جمع هوارل فيا لها من وقائع زرعت في القلوب نهاقاً وردة وشقاقاً وزادت المؤمنين ايماناً.

فقال لها معاوية والله يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام الا قتلي ولو قتلتك ما خرجت في ذلك، فردت عليه بقولها: والله ما يسوءني ان يجري قتلي على يد من يسعدني الله بشقائه

فقال لها ما تقوين في عثمان بن عفان كم كثيرة العصول؟ قالت. وما عسيت ان اقول في عثمان؟ لقد استحلته اللباس وهم ما راضون وقتلوه وهم له كارهون.

واسمر في حوارها بحبروتة وقبوتة وأشباح السيوف التي تقطر من دماء الموالين لأمير المؤمنين (ع) تترامى لها من خلال كلماته، ومع ذلك فلم تترشح عن رأيها فيه وفي عثمان وأسرته ولا عن أسلوبها الذي ينسم بالصراحة والعنف، وقالت له عندما لُوح لها بالعقوبة - ارحوا ان يسعدني الله بشقائك، وعندما سأها عن عثمان قالت - لقد قتله المسلمون وهم له كارهون ولما وجد انها لم تلين ولن تخضع لجميع وسائله ووعيده ولن تتراجع امام تهديداته عن ولائها لأمير المؤمنين وان العنف يريد لها إصراراً وتمسكاً بعقيدتها ومدنها أطلق سراحها وردّها الى أهلها.

ام البراء بنت صفوان

وحاء في المحلّد الاول من صبح الاعشى ان أم البراء ست صفوان دخلت
على معاوية، فقال لها كيف انت يا بنت صفوان؟ قالت: صنعت بعد جلد
وكنت بعد نشاط، قال: شتان بينك اليوم وحين تقولين

اسرح حوادك سرعا ومشمرًا للحرّب غير معرد بفرار
اجب الامام ودم تحت لموائه والبق العدو بصرار ستر
يا ليتني اصححت لست قعيدة فأدب عنه عساكر الكفار

قالت: قد كان ذلك ومثلث من عهد والله تعالى يقول: «وما الله بغير سلف»
ومن عاد فينتقم الله منه، فقال لها: هيهات والله لو عاد لعدت ولكن احترم منك،
فقالت له: أحل واپ لعل بينة من ربي وهدي من امري، فقال لها: كيف كان
حالك يوم قتل وماذا كنت تقولين في رثائه، فرسخت ان تعيد عليه الايات التي
كانت تندبه بها، فقال له بعض جلسائه: لقد كانت تقول:

الشمس كاسفة لقد اماما حير الخلائق والامام العادل
يا خسير من ركب المطي ومن مشي فوق القرب لمحتف او ناعيل
حاشا النبي لقد هدت قروم والحق اصبح خاضعا للباطل

فقال لها معاوية: فانتك الله فما تركت مقلا لقائل، ولما قامت من مجلسه
لتنصرف عثرت، فقالت: تعس شاة علي (ع) وانصرف ومعاوية يراقب تحركاتها
واستحفاها به وبجلاده بمرارة وألم.

بكاية الهلالية

لقد كانت الهلالية من سيدات النساء المعروفات بالمصاحبة والبلاغة في منطقها وبيانها والتغاضي في ولائها لعملي وآله (ع) وقد اشتركت معه في معركة صفين بخطبها الحماسية المثيرة وغريبتها أهل العراق على القتال والصبر والثبات حتى النصر ولم تمارق المعركة حتى النهاية وحينما استدعاه معاوية فيمن كان يستدعيهم من الرجال والنساء وعدت عليه وبهداها عكرت سمعي به فسلمت عليه بالخلافة فرد عليها ردا جميلا وأذن لها بالخلوص وهو لا يعرفها، ولما استقر بها المجلس عرفها مروان بن الحكم فالتفت الى معاوية قائلاً: هذه يا أمير المؤمنين التي كانت تمحرض علينا في صفين وتقول:

يا ريد دونك فاستر من دارنا سيفاً حاماً في التراب دفيناً
قد كان مدخوراً لكل عظمة واليوم أبرزه الزمان مصوناً

ثم اندفع ابن العاص وقال: وأنا ما زلت أحفظ لها أبياتاً كانت تنشدتها بين الصفين داعية فيها أهل العراق إلى المضي في الحرب حتى النصر تقول فيها:

أتسرى ابن هند للخلافة مالكاً هيهاات ذاك وما أراد بعبيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالة أغروك عمرو للشقا وسعيد
فارجع بأنك طائر نحوسها لاقت علياً أسعد وسعود

وقام بعدها سعيد بن العاص وقال: يا معاوية وهي الفاتلة بعد ان انتهت اليك الخلافة:

قد كنت أمل ان أموت ولا أرى فوق المسار من أمية خاطباً

فالله أحر مدني فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائباً
 في كل يوم لا يزال خطيبهم وسط الجموع لآل أحمد عائباً
 وكانت غاية مروان وقريه سعيد من العاص واس السابغة استفزار معاوية
 وتفجير حقه على تلك المرأة الصالحة لنشقي من شيعة علي وآل علي، ومن غير
 النعيد ان تكون تلك الابيات قد صيغت بنسبها هذه الغاية

ومع انها كما يبدو من جوابها قد ادركت عاينهم من ذلك الموقف الحاقق فلم
 تلى ولم تحصع لتلك الاستفزارات والتحديات، ولم تتصل من تلك الابيات
 والتفتت الى معاوية وقالت. لقد سحتي كلابك يا معاوية واعنورتني فقصرت
 محجتي وكثر عجبني وغشي نصري وأنا والله قاتلة ما قالوا لا ادفع ذلك تكذيب
 فامص لسانك فلا حبر بالعيش بعد امير المؤمنين واسحبت من مجلسهم ومعاوية.^(١)
 يزال مالكا لانزانه مسبطاً على أحقادهم لم يتعرض له سوء^(٢)

(١) أنظر بلاغات النساء ص ٣٤ والمجلد الأول من صبح الأعشى وغيرها.

أروى بنت الحارث

لقد كانت أروى كما تصفها المؤلّفات في هذه المواضع من كرام نساء عصرها في دينها وشجاعتهن ومسطقها ووفائهن لربي وآل علي (ع) وحبيها وفدت على معلوية فيمن كان يستدعيهن من نساء الشيعة يدواتي وقفن إلى جانب الانطال من الرجال المناصلين لأرهابهم وادلائهم لم تلبس الحبروتة وطعميانه وكانت تحاطبه تارة بلغة الناصح المشفق وأخرى بلغة العدل الحاقد وتنقش عليه وعلى ابن العاص ومروان بن الحكم كالصقر لم تترك لهم سترًا إلا نصحت ولا عيباً إلا بشرته

وانتهت إلى معاوية أولاً وقالت له: أنت يا ابن أخي لقد كفرت بالبيعة وأساءت لابن عمك علي الصّحبة وتسميت بعير اسمك وأحدثت غير ذلك بغير بلاء كان منك ولا من أمائك في الإسلام ولقد كفرتم بما جاء به محمد بن عبد الله (ص) فأتعس الله منكم الجذود وأصغر منكم الحدود وردّ الله الحق إلى أهله، وكانت كلمة الله هي العليا وببينا محمد (ص) هو المصور على من ماواه ولو كره المشركون، وكنا أهل البيت أعظم الناس خطأً وبصياً وقدرًا في الدين حتى قبض الله نبيه إليه مغفوراً ذنبه مرفوعاً درخته شريفاً مرضياً عند الله، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يدبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ومضت تقول: ولم يجتمع بعد رسول الله لنا شمل ولم يسهل لنا وعمر وعائتنا الحنة وغايتكم النار.

وكان ابن العاص في مجلس معاوية يستمع لكلامها هو ومروان بن الحكم وغيرهما من جلاورة معاوية ومرزقة وأصهر عدم ارتياحه لها لأن كلماتها القاسية تتسع لمعاوية وجميع من يناصره وابن العاص في طليعتهم، فقال لها: أيتها العجور الضالة أقصري من قولك وعمي من طرفك، فالتفتت إليه وقالت من أنت لا أم

لك؟ فقل لها انه عمرو بن العاص.

فقالت له كما جاء في بلاغات النساء والمجلد الاول من العقد الفريد وغيره:
يا ابن اللخناء الباذية أتكلمني أربع على صنعتك وأعن بشأن نفسك، فوالله ما أنت
من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصفها ولقد ادعاك ستة من قريش كل
واحد يزعم انه ابوك، ولقد رأيت أمك ايم منى بمكة مع كل عبد عاهر فأنتم بهم
فأنك بهم أشبه.

وهنا التفت اليها مروان بن الحكم كما يدعي لرواة وقال لها: ايها العجوز
الفضالة ساخ بصرك مع ذهاب عقلك فلا تجور لك شهادة.

فأجابته بقولها: يا بني أتكلم فوالله لأنت الى سفيان بن الحارث بن كلدة
أشبه منك بالحكم، وإنك لتشبهه في زرقه عينيك وحمرة شعرك مع قصر قامته
وظاهر دمامته، والله لقد رأيت الحكم ماد القامة مسط الشعر وما يبسهما من قرابة
الا كقرابة الفرس الصامر من الانان المقرب، فاسأل أمك عما ذكرت لك فأنها
تحبرك بشأن ابسك ان صدقت، والتفتت الي معاوية وقالت: والله يا معاوية ما
عرضني لهؤلاء عيرك وان أمك لقد قالت في جد شامة متجعة بقتل عمي الحمزة
بن عبد المطلب رحمه الله:

نحس جريساكم يوم بدر	والحرب بعد الحرب دات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر	بي وعمي وأحي وصهري
شفيت وحشي عليل صدري	شفيت نفسي وقصيت نذري
فشكر وحشي علي عمري	حق نغييب أعظمي في فبري

ومضت تقول: لقد أجبتهما بالأبيات التالية:

يا بنت رفاع عظيم الكمر	خريت في بدر وغير بدر
صبحك الله قبيل المجر	بالهائمين الطوال الزهر
سكل قطاع حسام يفري	حمزة ليثي وعلي صفري
هنتك وحشي حجاب المستر	ما للغايا بعددها من فخر

ولما سمع معاوية البيت الاخير ثار على ابن العاص ومروان بن الحكم وقال
لها: انتما عرضتاني لها وأسمعتاني ما اكراه، ثم التفت اليها وقال: يا حمة اذكري
حاجتك ودعي عنك أساطير النساء، وقضى لها حاجتها وانصرفت من مجلسه بعد

ان وطئت كرامتهم بقدميها وحردتهم من جميع القيم وحتى من أنسابهم وتركهم حديثاً كريماً على لسان الاجيال، ونقيت سلبية هاشم وانه عبد المطلب وغيرها من الوافدات على معاوية في تلك الظروف لقاسية الصعوبة مثلاً كريماً للمرأة المناضلة الشجاعة الوفية لدينها وعقيدتها وشرعها سرعماً محيط بها من وسائل الارهاب والادلال والمطاردة.

على اني أشك في أكثر ما نسب اليها وإلى مثيلاتها من الشيعيات اللواتي كان معاوية يستدعيهن اليه بين الحين والآخر من الشعر والخطب والاجوبة الحادة، والمثيقن منه مهما كان حجمه ولونه يؤكد وقوف المرأة الشيعية الى جانب المناضلين عن عقيدتهم وولائهم لأمير المؤمنين (ع) ومهما كان الحال فالسواء اللواتي وقفن الى جانب الأساطال من رجال الشيعة كحجر بن عدي وأصحابه وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وثني على ولائهم لأمير المؤمنين ولم يحصروا لسياط الخلائين ولا ليوهم المطلعة وسحوبهم المطلعة كثيرت كي أحصتهم المحاميع كهاية الأرب وصبح الأعشى والدر المشور وغيره^(١)

ونكتفي بهذه الامثلة ممن وعص الى حسب الأساطال من الرجال خلال العترة الواقعة بين صلح الحسن السبط (ع) وثورة الحسن التي انتهت بمصرعه في سبيل الاسلام ومصادته وفيه، نكتفي بهذه الامثلة من الرجال والنساء لننتقل الى لون آخر من ألوان الصال حظه أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) بدمائه الركبة الطاهرة على تراب كربلاء وهو يقول

ان كان ديس محمد لم يستقم الا بقتل يا سيوف حديدي

(١) أنظر أدب الشيعة للدكتور عبد الحبيب طه ص ١٥٨

ثورة الحسين (ع) على الظلم والظالمين

لقد ذكرنا سابقاً ان الحاكمين باسم الاسلام من الأمويين وغيرهم قد اتخذوا منه طلاءً خفيفاً يسترّون بزعاتهم الجاهلية ويعملون على تحويله لأهدافهم التي حارب عمداً ورسالته من أهلها أبو جهل وأبو سفيان وأمثالهما من طوائع قريش ليحولوه الى مؤسسة تخدم مصالحهم، وكان المجتمع الاسلامي ينمّل تحت وطأة الاضطهاد والظلم التي عبرت عنه مواقف حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخراعي وأصحابها الذين قاوموا ظلم معاوية وأنصاره، ولكن تلك المقاومة لم تأخذ مداها ولم تضع حداً لتصرفات الحاكمين وجورهم، بل كانت سرعان ما تمحّد او تموت في مهدها عندما يلاحق الجرارون طلائع تلك الانتفاضات بقتلهم او زجهم في السجون والمعتقلات بدون ان يجرّك المجتمع ساكناً، وادا تحرك إنسان أعدقوا عليه الأموال وأعمروه بالوعود كما حدث لذلك بن هبيرة السكوني الذي غضب لمقتل حجر وأصحابه وجعل يستعد للثورة، ولم علم بحاله معاوية أرسل اليه مائة ألف درهم فأخذها وطابت نفسه^(١)

لقد عاصر الحسين (ع) جميع تلك التحركات التي بدأها الأمويون الموتورون الخاقدون على الاسلام ومبادئه الاسانية العادلة، لقد عاصرها مد ان نشأت مع ابيه وأخيه والصمّرة من أصحابها لكّرام وعاصرها مع أخيه ومن بقي من أصحابه

(١) أنظر المجلد الثالث من الكامل لابن الأثير ص ٢٤٢

وها هو بعد استشهاد أخيه بجنود العسل التي أعدها معاوية لكل من كان يخشى منه على دولته وحكمه يقف وحيداً صد معاوية وأجهزة حكمه الارهابي ويرى بعينه اولئك الصفوة بقية السيوف من شيعة أبيه وأخيه يساقون أفواجا الى الخلائين والجزارين في مرج عذراء وقصر الخضراء، ويرى هج معاوية وحاشيته الذين اعتمدوه للوصول بالامة الى هذا المصير الكالنج وكيف يطاردون ويضطهدون العشرات والمئات من الناس، عندما ينكرون ظلما وعدوانا على المقدسات وكرامة الانسان.

لقد حاصر مع أبيه وأخيه (ع) جميع تحركاتهم المعادية للإسلام ونقي وحيداً في ساحة الصراع مع معاوية وأجهزة حكمه الارهابي المستبد الذي اراد للامة ان تتحول عن أهدافها وللإسلام ان يحرف عن مسيرته، ورأهم كيف يحورون الإسلام ويزورون مبادئه الإنسانية التي جاء بها محمد بن عبد الله رحمة للعالمين، ورأى حملة التخدير على حساب الدين ولكدب على الله ورسوله وكيف يسع المسلم نفسه وحياته وحرية وكرامته بحمة من الداهم للحاكمين الظالمين ويرضى بحياته على ما فيها من نكد وقسوة وحرمان.

لقد رأى كل ذلك وكان القلق يستبد به والالم يحرق نفسه وقلبه لمصير الرسالة والاسابية في ظل هذا التحول الخطير الذي كان الامويون يعملون على تعميقه واستئصال الشخصية الإسلامية ليطمش الحاكمون الى ان تصرفاتهم لن تشير اي استنكار لدى الجماهير ويحتمي من صيغتهم الشعور بالاثم الذي يدفع المسلم الى الثورة على الظلم والظالمين.

وقد استخدم الامويون في سبيل استئصال الروح الإسلامية والشخصية الإسلامية بالاضافة الى الاموال وجميع وسائل الارهاب مدرسة الرواة والمحدثين والقصاصين وعلى رأس هذه المدرسة سحريرة وسمرة بن جندب وكعب الأحبار وغيرهم من أقطاب تلك المدرسة التي أسسها معاوية لصنع الاحاديث، وقد أفرزت ألواناً من الاحاديث وسببها الى النبي (ص) وكان من أبرزها ما يرجع الى القسح في علي أمير المؤمنين وآل علي (ع) واستنصر معاوية كل وسعه وطلب من سمره بن جندب ان يروي له عن الرسول ان الآية ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها﴾ نزلت في علي (ع) وان الآية: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ نزلت في قاتله عبد الرحمن بن ملجم.

كما طلب هشام بن عبد الملك من محمد بن شهاب الزهري ان يروي عن الرسول ان الآية ﴿والذي تولى كبره له عذاب عظيم﴾ نزلت في علي أيضاً.

وجاء في المجلد الثاني من صحى الاسلام لأحمد أمين ان خالد بن عبدالله القسري كان قد طلب من ابن شهاب الزهري ان يكتب سيرة النبي (ص) فقال له الزهري يوماً انه يجربى الشيء من سيرة علي بن ابي طالب ومواقفه في خدمة الاسلام فما اصنع به؟ فلم يأذن له بتدوين شيء يتعلق بعلي (ع) الا اذا تضمن قدحاً او دعماً الى كثير من أمثال ذلك.

ومن تلك الألوان التي افرقتها تلك المدرسة ما يرجع الى تمجيد بني أمية وبحصة عثمان ومعاوية واعطائهم مرتبة القديسين، كالذي رواه أبو هريرة عن النبي (ص) انه قال: ان الله اثنى على وجه ثلاثة انا وجبرائيل ومعاوية، وانه قال: اذا لقيتهم بعدي اخلاقاً وقتة فعليكم بالأمين عثمان وأصحابه.

ومنها ما يرجع الى تحذير المسلمين عن الثورة والتحريك ضد الحاكمين مهما بالغوا في الحور والظلم وان السعي والعمل لاستبدالهم بغيرهم حتى ولو كان ذلك العير من أعدل الناس وأكثرهم حرصاً على مصالح المسلمين لا يقره الاسلام فمن ذلك ما رواه أصحاب الصحاح ان النبي (ص) قال: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فان من فارق الجماعة شراً ومات مات ميتة جاهلية، ومنها انه قال: ستكون بعدي هات وهات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع فاصريوه بالسيف كائناً من كان، الى غير ذلك مما رواه البحاري وغيره من محدثي أهل السنة وقد ذكرنا طائفة من تلك المرويات خلال الفصول السابقة.

والى جانب ما أنتجته مصانع أولئك الرواة اخترع الحاكمون لوناً آخر من ألوان التضليل الديني، وهو تأسيس المرق الدينية التي تقدم للجماهير تفسيرات للدين تخدم تسلط الحكام وتبرر حورهم وظلمهم كصرفتي المرجئة والمجبرة اللتين اعتنقهما معاوية وسهل لهما سبيل البقاء والانتشار حتى اصبحتا من أوفر المذاهب خطأ لدى الحاكمين، وقد كبرت بعض فرق المعتزلة معاوية لانه اعتنقها ودعا اليها كما جاء في المجلد الاول من شرح النهج، وقد تحدثنا عن هذه الفرق وأثرها على مسيرة الاسلام خلال حديثنا عن أنواع الأسحة التي استعملها الحاكمون لتخدير الجماهير وإلغائهم عن الواقع المرير الذي يتحيطون فيه

لقد رافق أبو عبد الله الحسين (ع) كل ذلك وكان يتلوى ويتألم للمصير

السمىء الذي ينظر الاسلام من معاوية وعيره من القرعة الدين سينزون على منبر
الرسول ويستخدمون الاسلام لإحياء جاهليتهم ووثنيهم الاولى، وكانت مبررات
الثورة على الحكم الاموي موفورة في عهد معاوية والحسين (ع) يدركها ويعرفها
ويعبر عنها في المحاليس والمجتمعات وجميع المدارس ويصرح بها معاوية في الرسائل
التي كان يوجهها اليه بين الخير والآخر وحاء في بعضها

وهيئات هيئات يا معاوية لقد فصح الصبح فحمة الدحي وبهرت الشمس
أنوار السرح، ولقد نقلت حتى اضرطت واستأثرت حتى اجحمت ومنعت حتى
سحلت وحررت حتى حاورت ولم تبدل لدي حق من حقه نصيب حتى اخذ الشيطان
حظه الاوفر ونصيبه الاكبر

وفي رسالة ثانية وجهها اليه كانت جوابا عن كتاب كتبه اليه جاء فيها. لقد
بلغني كتابك تذكر فيه انه انتهت لك عني أمور انت لي عنها راعب وأنا بعيره
عندك حدير فان الحسرات لا يهدي اليها ولا يسدد لها غير الله سبحانه

وما ذكرت انه رقي لك هي هاهنا رقاء لك الملاقون المشاؤون بالميمه
المهرقون بين الجمع وقد كذب لغاؤون واعلم بأن ما أردت لك حرما ولا عليك
حلافاً وأني لأحشى الله في تركك تلك منك ومن الإعداء فيه اليك وإلى أوليائك
الفاستين الملحين حرب الطمة وأولياء الشيطان، ألت القاتل حجرين عني
أحما كدة وأصحابه المصلين العاندين الذين كانوا يكررون الظلم ويستفطعون البدع
ويأمرون بالمعروف ويهونون عن اسكر ولا يخافون في الله لومه لائم ومع ذلك فقد
قتلتهم ظلماً وعدواناً بعدما أعطيتهم اموثيق والايام المعطية والمواثيق المؤكدة ان لا
تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم حراً منك على الله واستحقاقاً بعهد وأحكامه،
أولست يا معاوية قاتل عمرو بن لخم صاحب رسول الله العبد الصالح بعد ما
أمنت.

أولست المدعي لرياد بن سمية لولود عن فراش عبيد من تقيف وزعمت انه
ابن ابيك ورسول الله يقول لولد ليعرش وللعاشر الححر فتركت سنة رسول الله
واتبعت أهواءك بعير هدى من الله، ولم تكف بذلك حتى سلطته على المسلمين
يقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل عيونهم ويصلبهم على جذوع النخل كأراك لست
من هذه الامة وليسوا منك.

أولست يا معاوية صاحب الحصرمين الدين كتب فيهم ابن سمية انهم على

دين علي (ع) فكتبت اليه ان يقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه الذي كان يضربك ويضرب عليه أباك وبه جلست مجلسك الذي انت عليه.

وقلت فيما قلت يا معاوية: انظر لنفسك ولأمة جندك ولديك واتق شق عصا هذه الأمة وان تردهم الى فتنه، واني لا أعلم يا معاوية فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد (ص) من ان أجاهدك.

وقلت فيما قلت يا معاوية: انظر لنفسك ولأمة جندك ولديك واتق شق لك فاني ارجو ان لا يصرفني كيدك وان لا يكون عن أحد أصر منه على نفسك لأنك قد ركبت جهلك وتحرصت على نقص عهدك ولعمري ما وفيت بشرط ولقد نفصت عهدك بقتل هؤلاء النعم الدين قتلهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق ولم تفعل ذلك الا لذكرهم فصلنا وتعظيمهم حقاً وليس الله ساس لاجدك بالظنة وقتلك أولياءه على الهممة وبميك لهم من دورهم الى دار العرب ومطاردتهم في البلدان وملاحقتهم الى الكهوف والغابات.

الى غير ذلك من مواقفه منه التي تؤكد بأنه كان يراه اسوأ من انه يريد وأشد خطراً منه على الاسلام والمسلمين.

ومع انه في جميع مواقفه كان يقابل معاوية وولائه وجلاديه بهذا الاسلوب ولا يهادنهم بحال من الاحوال، فقد كان معاوية يتمنى عليه ان يخلص من أسلوبه معه وقد توصل اليه بالشدة حيناً وباللين والمعريات حيناً آخر وبخاصة عندما عزم على البيعة ليريد من بعده، لان سكوته يؤمن له انقياد الأمة وبمكته من ممارسة سياسته بدون عيشية، ولكنه ابي ان يسكت عنهم او يخضع لمعرياتهم وينحني لقسوتهم لان دوره الرسالي يفرض عليه ان لا يسكت ولا يهادن وأن يثور عسى ان تهز ثورته صمير الأمة التي انحنت وخضعت لجروت السلطة رماً طويلاً، لان المجتمع الذي خضع طويلاً لجبروت الأمويين وانحني لكربتهم لم يعد يصلحه الكلام، ولا بد له من شيء جديد يهزه ويحركه.

هذا الواقع الكالحي الذي كانت تتحط فيه الأمة وصنع الحسين (ع) وجهاً

لوجه أمام دوره التاريخي ورسائله البضائية وهرغض عليه ان يشور من أجل كرامة الامة وإنقاذ شريعة جده من أعدائها الألداء عندما وجد ان ثورته ستعطي ثمارها المرجوة وان شهادته ستقضى مضاحح الظلمين والطغاة المستبدين وتبقى المثل الأعلى لكل ثائر على الظلم والطغيان في شرق لأرض وغربها.

والسؤال الذي يفرص نفسه في المقام هو ان الحسين (ع) قد عاصر معاوية مع ابيه وأخيه وعاصره بعد أخيه نحواً من عشر سنوات كان الحسين وحده مهوى الأفئدة ومحط آمال المعزين والمشردين والمضطهدين، ولم يترك معاوية خلال تلك المدة الطويلة من حكمة باباً من أبواب الظلم الا وانطلق منه فقتل المئات من الصالحاء وعذب وشرّد واضطهد الملايين بلا جرم ارتكبه ولا بيعة نقضوها. وكان دسهم الأول والأخير هو ولاؤهم لعلي وآل علي، وكان القدوة لجميع من جاء بعده من الأمويين فيما ارتكبوه من الجرائم والاستهتار بالقيم والمقدسات وهو الذي كان يعمل ويصح الأسس لتحويل الاسلام وتحقيق ما كان يحلم به أبو جهل وأبو سفيان وغيرهما من طواغيت قريش، ولم يكن ولله يزيد الا صنيعه من صنائعه وسيئته من سيئاته، فلماذا والحالة هذه انتعد عن الثورة في عهد معاوية مع وجود جميع مبرراتها في حين ان الممرات التي دفعت للثورة على يزيد كانت امتداداً لتلك التي كان يمارسها معاوية.

وهذا التساؤل يبدو لأول نظرة سبباً مقبولاً، ولكنه بعد التدقيق ومتابعة الاحداث التي كان المسلمون يعاينون منها وواقع معاوية بن همد والوسائل التي كان يستعملها لتعطية حرائمه لم يعد لهذا تساؤل ما يبرره، ذلك لان الواقع المرير الذي فرض على الإمام أبي محمد الحسن (ع) ان يصالح معاوية ويتنازل له عن السلطة الرسمية فرض على الحسين (ع) ان لا يتحرك عسكرياً في عهد معاوية وأن يفرض على أصحابه وشيعته الخلود في السكينة وانتظار الوقت المناسب، لان الحسن (ع) لو حارب معاوية في تلك الظروف المشحونة بالفتن والمتناقضات مع تحاذل جيشه وتشتت أهوائهم وأرائهم ومع شراء معاوية لأكثريتهم ورؤسائهم بالاموال والوعود المقرية بالاضافة الى ما كان يملكه من وسائل الاعلام التي كان يستخدمها لتضليل الرأي العام، لو حارب الحسن (ع) في تلك الظروف فكل الدلائل تشير الى ان الحرب كانت ستكونه نفسه ونفس اخيه وامتنعصال المخلصين من أتباعه وشيعته ولا ينتج منها سوى قائمة جديدة من الشهداء تضاف الى القوائم التي دفنت في مرج عذراء ودمشق والكوفة وغيرها من مقابر اولئك الشهداء الأبرار.

وبلا شك فإن الإمام ابا محمد (ع) لم يكن يتهبب الشهادة لو كانت تخدم المصلحة العامة وتعد المجتمع الاسلامي إعداداً سيباً للثورة والتضحية بكل شيء في سبيل المبدأ والعقيدة كما فعلت ثورة الحسين (ع) في حينها التي قدمت للانسان المسلم نمطاً جديداً من الثوار لا يستسلم بصغوط مهما بلغ حجمها ولا يساوم على اسايته ودينه ومبادئه مهما كانت التصحيات .

ولم يكن الحسين (ع) أقل ادراكاً لوقوع المجتمع العراقي من أخيه الحسن (ع) فقد رأى من حيائه وتحاذله واستسلامه للصعوط والمعريبات مثل ما رأى اخوه وأبوه من قلبه، لذلك كله فقد أثر التريث ريثما يتوفر لشهادته ان تعطي النتائج التي تخدم الاسلام وتبعث اليقظة والروح الفضالية في نفوس المسلمين، وراح يعمل على تهيئة المجتمع العراقي للثورة وتعبئته لها بدر ان يحمله على القيام بها في عهد معاوية حتى لا تكون نتائجها لمصلحته وحده

لقد مضى على ذلك في حياة أخيه وبعد وفاته، فهي حياة أخيه حينما فاوضته وفود الكوفة في الثورة على معاوية بعد ان يشعروا من استئذان الحسن قال لهم ابو عبد الله (ع) صدق أخي ابو محمد فليكن كل رجل منكم حلياً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً كما جاء في (ص ٢٢١) من الأحبار الطوال، وبعد أخيه كتب له اهل العراق يسألونه ان يوافقهم على الثورة فأصر على موقفه وكتب اليهم في جواب رسائلهم كتاباً جاء فيه :

أما أخي فارجو ان يكون لله قد وفقه وسدده فيما فعل، وأما أنا فليس من رأيي ان تتحركوا في عهد معاوية والصقور بالارض واكموا في البيوت واحترسوا من الغلبة والتهمة ما دام معاوية حياً

الى كثير من مواقفه التي تؤكد انه يرى ان الثورة في عهده لا تخدم مصلحة الاسلام والمسلمين شيئاً وان الظلود الى السكينة والانتعاش عن كل ما يثير الشبهات وضغائن الامويين عليه وعلى شيعته وأبصاره في حياة معاوية أجدي لمصلحة الاسلام، وفي الوقت ذاته كان يعمل لإعداد المجتمع العراقي وتعبئته بانتظار اليوم الذي يطمش فيه لثورته وشهادته ان تعطي النتائج المرجوة.

وبالفعل فقد ازدادت الدعوة في عهد الحسين عنفاً وشدة وأخذت تريح أنصاراً في أكثر المناطق الاسلامية وبخاصة بعد ان جعل معاوية ولاية العهد لولده الخليفة المستهتر، وكان لكل حدث من احداث معاوية صدى مدوياً في اوساط

حديثة حيث الإمام الحسين (ع) لمرحل الاول الذي تنحى ليه الاطر من كل
حسب وصوب

وقد احسن الامويون في الحجر هذا اواقع ورت في نفوسهم الخوف من
نتائجها، فكثرت مروا بين الحكم الى معاوية محذره من لتعاصي عن الحسين
واصداره، وجاء في كتابه اليه ان رجلا من اهل لعراق ووجوه خجارت يحضون
الى الحسين بن علي (ع) واني لا آمن وثوبه بين اللحظة وأخرى وقد سمعي استعدادا
لحدث فاكثت الي برأيك في امره. وم يكن معاوية في عطفه عن ذلك وكان قد أعد
لكل امر عدته بوسائله الي كاد يهمن بها على خيماهير لمصلحة، والحسين (ع)
يعرف ذلك ويعرف ان ثورته ستتحل عن استشهاد والاستشهاد بسطره لا ورن له
ولا قيمة اذا لم يترز على دروب الناس وفي قلوبهم وهجا مسطعا يسرون على صوته
في ثورتهم على الظلم والطغيان وفرعه العصور في كل عصر و زمان.

ان معاوية يدرك ويعي ما للحسين (ع) من منزلة في القلوب وبأن ثورته عليه
سترحه في حرب يعكر عليه هاء نتصاراته الي احذرده في معركة صعب وفي
صلحه مع الامام الحسن بن علي (ع) ولو قدر لها ان تحدث يومذاك فسوف يعمل
بكل ما لديه من الوسائل لكي يخلصه قبل استمخاضه وقبل ان يكون له ذلك
لصدي في الاوساط الاسلاميه ولو بواسطة حدود انفس انبي كان تباهي بها وقد
استعملها للفتك بأخصاصه السياسيين كالحسن بن علي ومحمد بن أبي وقاص
ومحمد بن عديعة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ولاشتر التحمي بعد ان احذر
بحظرهم عن دونه وأمويته لعصريه الخافقة، ولو تعدر عليه ذلك فسوف يمد من
جميع أشكاف الاحياء والنصلين والمروعة حتى لا يكون لشهادته ذلك الوهج
السايع الذي يعد الى الاشفاق ويحرك انصهاره ونفوس صد دونه وأعوامه ولكي
يقتي أثره محسوس لا يتجاوز منوب أهله وعجبه وشيعه الى حيز، ثم يطوي
اسيان ذكره كي يطوي جميع التكريات والاحداث، ومن ذلك هو لذي صطر
الحسين (ع) الى التريث وعدم موجهة معاوية بالحرب ودعوة صحابه وشيعته
الذين كانوا يرأسونه ويوفدون عليه بين الحين والآخر الى ان يلتصقوا بالارض
ويكسوا في بيوتهم ويتحسروا من كل ما يثير جوهر الطون، لشهادته ما دام
معاوية حيا كما جاء في بعض رسائله اليهم

وكي كان يعرف معاوية وأساليه كان يعرف ان حليمه الجديد محدود في
تفكيره ساق مع عوطفه وشهوته ونسبة رغائه الى أعد الحدود بارتكاب المحارم

والأثام والتعبد من التمايلد الاسلاميه والبرق في تصرفاته ومعاملته لأخصامه، ومن أحسن ذلك وقف سلعون من بيعته موقفاً يسم باحمر والخوف على الاسلام والمسلمين واعتبروها من أنحصر الأحداث على مصير الأمة ومقدارها.

ومن ثم لم يكن من خلقه ولا باستعدادته مواجعة شهادة الحسين وتعطيتها بالأساليب التي اعتاد أبوه عطية جرائمه بها، وكان كما يصعب السلاذري في مساب الاشراف من أبعد اساس عن خسر والخيطه وانثروي صغير العقل متهورا سطحي لتكثير لا يهم بشيء لا ركبته

فلقد كان من أبعد الناس عن ان يواجه ثورة الحسين بأسلوب يبه، ولا بد أن يواجهها بالأسلوب الذي يتفق مع شخصيته وهو حدث في الهبة بالنسبة اليها وإلى غيرها من المشاكل التي واجهته خلال تسير الخمس التي حكم فيها بعد أبيه، وكانت تربيتة لمسيحيه او نشائه في بوسط مسيحي مع أمه ميسون بأبي عبيد ان يلتزم أسلوب أبيه في الاحتفاظ بالعشاء الديني الذي كان سببه على أعماله وتصرفاته ويتستر به لدى العامة من الناس دحلاً وتصيداً كما يدعي أكثر من السحطين

موقف الحسين من البيعة ليزيد وهو في طريقه للثورة

لقد كان الحسين (ع) الوارث الوحيد لتلك الثورة التي عُمرها حده الرسول الأعظم (ص) على أجهليته الرعناء والمصريه والوثنية لإنقاذ المستضعفين في الأرض من التحكم والسيطرة والاستعباد، وواصلها أبوه وأخوه من قبله، وكان دوره القيادي للسبر بها عن خطى جده وأبيه في سمة متين للهجرة حيث لامة كانت بانتظار رحل ينهض بأعبائها ويكون حارساً مسؤولاً عن ثنت لثورة الكبرى التي فُجرها محمد بن عبدالله (ص) والتي اخذت دعائمتها بهار وتنقوص تحت صريانه مني أمية وأعوانهم، وجميع معطيات لثورة التي انعطفت قبل حسين عما أو أكثر قد صادرها الأمويون وأعوانهم، فالكتاب الذي جاء به محمد بن عبدالله (ص) رفع على حراب الأمويين، والمكر العقائدي الذي جاء به الاسلام ليبي العفول والقلوب حصع لتوحيه السلطة الاموية الحاكمة، وسيوف المجاهدين انتفت الى اخلاوة والخلادين لسكيل بالصحراء والمؤمنين، ولصدقات والعائتم كلها تنقل الى قصر لخصراء لشراء الصنائع وتعمير المعارضين، والألئسة التي تنطق بالسنة والقرآن أصبحت أبواق للسلطة الاموية الحاكمة، وجبل الثورة الذي بين من بحر من للاباء لجمعية في مرج عذراء وقصر لخصراء، وبين من سيطرت عليهم مبادئ المرجئة والمجيرة والمتصوفة فأقعدتهم عن لتحرك وأفقدتهم القدرة على النضال وزرعت فيهم سمور الاستسلام للواقع المرير الذي كانت تتخط فيه الامة من جور الأمويين وإمعانهم في تزوير السنة وتحريف مبادئ الاسلام وتعايمه بصلحه جاهليتهم التي حاربت محمد بن عبدالله (ص) أكثر من عشرين عاماً وما زالت تحاربه.

من هنا كان دور الحسين الوريث الوحيد لثورة جده وأبيه على الشرك والوثنية

والعنصرية شاق وعسيراً لأنه لم يرث معها جيشاً ولا سلاحاً ولا مالاً ولا أي قوة
 جبهوية أو مجموعة منظمة. غير نفسه وحصه من بيته وأخوته، لم يكن يملك غير
 ذلك، ويملك في الوقت ذاته القدرة على اللجوء للعبادة ومكانه في اجنة مصموم،
 ويكنه م يكن من طيبة أولئك الذين احتاروا المعاد طريقاً إلى الجنة بدلاً من
 الجهاد لأنه يدرئ أن الطريق إلى الله هو طريق الحق وطريق الحق هو الجهاد
 والنضال والالتزام بمبادئ الثورة الإسلامية وتعاليمها، وإد جاز على غيره من
 صلحاء المسلمين أن ينزوي في المساجد للعبادة ويتحلل عن النضال والجهاد، فلا
 يجوز على الحسين ورث الرسول وعلي (ع) بأن يتحلل عن وعيه النضالي وينسحب إلى
 روية المعابد تاريخاً سجدهية جديدة أن يستعمل في بعضهما بغير الحق وأعدل
 والحرية، فلم يكن أمامه إلا الثورة وسوء لا يكون سبباً لرسول ومثلاً بغير
 الإسلام، وقدره أن يكون شهيداً وبالأكرم الشهداء وأباً لثبات الشهداء، وكانت
 شهادته المثل الأعلى لهم وجميع الأحرار المدين ماضوا من أجل الحق والعدل
 والمستضعفين في الأرض من الرجال والنساء

وقد حاول معاوية أن يقيد الحسين ببيعة يريد فلم يفرض بذلك ولا بسكوته
 عنه، فلقد جاء في المجلد الثاني من حياة الإمام الحسين (ع) للقرشي عن اكتاب
 المنسوب لسليم بن قيس أن الحسين (ع) وقد غي مكة حاج قبل وفاة معاوية بسنة
 فجمع بني هاشم رجالاً ونساء ومن حج في تلك السنة من الأنصار عن يثي هم
 الحسين ويطمئن إليهم، وطلب من أصحابه أن يجمعوا له من حج أصعب من
 الصحابة، فاجتمع له عيسى كيا يدعي الراوي نحو من ستمائة قدم فيهم خطيب
 واستعرض أحداث معاوية ومواقفه من الإسلام والمسلمين ومن أهل البيت
 وشبهتهم وعد بيعة يزيد من أعظم الأحداث التي ارتكبتها معاوية وما ترك شيئاً مما
 أمره الله من القرآن إلا وتلاء عنهم ولا شيئاً مما جاء عن رسول الله (ص) في أبيه
 وأبيه وأمه وفيه إلا ورواه هم وكان أصحابي يقول: نعم لقد سمعت ذلك من
 رسول الله، والتابعي يقول: لقد حدثنا بذلك الثقة من أصحابه، ثم دعاهم إلى
 مناهضة حكم معاوية والاضحية بسقطته^(١).

ويروي المؤرخون له عدد من المواقف مع معاوية حين أحد يجهد لبيته ولده
 والاستجابة لها وكان من جعلتها جوابه عن كتاب كتبه إليه بهذا الخصوص جاء فيه

(١) أنظر ص ٤٢٤ و ٤٢٥ من المجلد الثاني حياة الإمام الحسين.

وقد فهمت ما ذكرت عن يزيد وكهاله وسياسته لأمة محمد (ص)، فريد ان
 نوههم اناس في يزيد كأنك تصف عجباً أو نعت غائياً أو خبر عما كان مما احتوته
 بعين حاص، وقد ذكر يزيد من نفسه على موضح رأيه فأنشد يزيد فيما أحس به من
 استقراره الكلمات المهارشة عند النهوش والحمام السبق لأتراهين والقبان ذوات
 المعارف وصرب الملامح تجده باصراً ودع عنك ما نحاول في أعمالك ان تفيض لله في
 ورر هذا الخلق ماكثر مما أنت لاقية، هو لله ما ترحمت نغدح باطلاً في جور وحقاً في
 ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت الا غصصة^(١).

واستمر الحسين (ع) على موقفه من بيعة يزيد وتشهير معاوية وأحداثه
 وتحريض المسلمين على معصيتها وكان فيما استعمله معاوية من وسائل الضغط على
 الحسين (ع) به مع بني هاشم من عهائهم حتى يبيع الحسين (ع)، فسمي تحته هذه
 المحاربة ومات معاوية والحسين لا يرب على موقفه منها وكان غيره من بعض وجوه
 الصحابة قد أصبح عن بيعة يزيد تأسباً للحسين (ع)، كما ذكرنا من قبل ان يزيد
 لم يكن كسبه في حرمه واحتشاه للأموال ولم يندزم أسلوب أبيه في الاحتفاظ بالعشاء
 الديني، بل كان معاوية يسدله على أفعانه وتصرفاته، فيما هتك معاوية كان أكبر
 همه حين آل الأمر إليه ان يلزم الحسين ومن كان قد تحلف عن بيعته من وجوه
 الصحابة بالبيعة فكتب الى الوليد بن عتبة والي المدينة كتاباً يحثه بمحبة أبيه وكتاب
 آخر يقول فيه^(٢):

أما بعد محمد حسيناً وعبد لله من عمرو بن يزيد بالبيعة أحد ليس فيه
 رخصه حتى يدعوه وانسلام، وعندما وصله الكتاب استدعى الحسين (ع) إليه لبلأ
 فعرف الحسين مراده فأوعز الى جماعة من حوته وبني عمه ان يرفهوه حتى اد
 امتدت خصومة بينه وبين الوالي وأراد ان يستعمل اعنف معه يستعين بهم،
 وعندما دخل على الوليد حثه بمحبة معاوية وعرض عليه كتاب يزيد بخصوص
 البيعة اذ الحسين (ع) كما يبدو من حواره ان يتخلص منه بالحسين فقال له مثلي
 لا يبيع سراً فاداً حرحت في الناس ودعوتهم ها أرجوا ان يكون امرنا واحداً، وكما
 يبدو من موقف الوليد مع الحسين انه كان ينمي الخلاص وعدم تنوط مع الحسين
 (ع) في خصومة تسيء إليه او لجز من ورثها اعتال فافتتح بجواب حسين ولم يبد
 أياه ملاحظه عليه ولكن مروان بن الحكم أبى له أمره اخافه ان يخرج الحسين

(١) المجلد الأول من الإمعة والبيعة من ١٩٥ و ١٩٦.

(٢) أنظر ابن الأثير والبلاذري وغيرهما من مجاميع التاريخ

(ع) من محسن الوالي مكرماً كما دخل فحاور استمزاز الوالي وشجعه على الحسين
(ع) وقال: لئن فارقت الحسين وم يبيع لا غلوت منه عن مثلها حتى نكث القتل
بيكم وبينه، ولكن احبسه فان يبيع والا فاصرب عقه

وهنا لم يعد اسم الحسين في معاد هذا التحدي انصراح الا ان يعنى عن
موقفه من يريد وحكومته وعن تصميحه على الثورة على الحكم الاموي الجديد فهي
كانت النتائج ومنها بلغت لتوضيحات وانه اصبح وجهاً سوجه امام دوره التاريخي
الذي يتحتم عليه ان يصيحه، لأن حكمه يزيد لن تأخذ صفة الشرعية ما دام
معتصماً عن البيعة ومعارضاً هـ

هوئذ عبد ذلك وقال: وبني عديك يد بين الزرقاء انت تأمر بضرب عني
كذبت ولؤمت، ثم أميل على الوليد وقال: ايها الامير اسأهـل بيت النبوة ومعدن
الرسالة ومختلف الملائكة، يا فتح الله رب حم ويريد رجل فاسق فاجر شارب
بالحمر وفاتل للنفس احمرمه معلن بالفسق والعجور ومثلي لا يبيع مثه

وجاء في منير الاحرار لابن أبي الحلبي ان الوليد تنحريض من مروان رد عليه
بلعه تنسم بانعطلة واحدة وارجمت أصواتهم فهجم من كان مع الحسين (ع) عن
باب الوليد يريدهم لخصاجر وأخرجوا الحسين (ع) من منزله، فقال مروان بن
الحكم للوليد: لقد عصيتي فوالله لا يمكك من مثلها أبد. فرد عليه الوليد
بقوله، (كما جاء في صفحته ١٩ من المجلد السادس للطبري): "وبح غيرك يا مروان
لقد احترق لي ما فيه هلاك ديني أقتل حسياً ان قال لا ابيع يزيد، والله ان امرأ
يحماس بدم الحسين الخفيف يبرأ يوم القيامة ولا ينظر الله اليه ولا يركبه وله
عذاب ألیم

وجاء في تاريخ ابن عساکر ب أساءه بن عبد الرحمن بن الحارث زوجة
الوليد انكرت عليه ب حرى منه مع الحسين (ع) فأحسها بأنه قد كان ابداً،
بالسب والشتم، فقالت له: أتسبه وتسب أباه ان سبك؟ فمن هـ لا اورد بذلك
ابن(٩)

وفي صيغة ذلك اليوم انتهى مروان بن الحكم بالحسين (ع) فصحه بيعة
يزيد وقال له فيما قال: اني خير لك في دينك وديارك، فرد عليه الحسين (ع) قائلاً:
على الاسلام السلام اذا يلبت الامة برأع عش يزيد بن معاوية، ولقد سمعت
(١) أنطرج ٤ من تاريخ ابن عساکر ص ٢٢٨.

جندي رسول الله (ص) يقول. الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فإذا رأيتم معاوية عن مسري فاقروا بطله، فاصرف عنه مروان مغضباً ولقد تساهلت الامة مع معاوية فانتليت من هو اسوأ منه^(١).

لقد أحسن الحسين ثورته على يزيد ودولته بنسب الكتاب التي وجهها الى الوالي المكلف بتوطيد دعائم حكمه في الحجاز وفي مدينة الرسول عاصمة الاسلام بالذات، ولم يكن الوالي يحسب ان الحسين (ع) سيمليها في مجلسه ينك لصراحة وفي المجلس من هم أشد عداء لمحمد وآل محمد وبرسالة محمد من يريد وأبيه.

ان فيه الورع ان الورع طريد رسول الله الذي لا ينطبع ان يريح عن قلبه ونفسه تلك لعقد الذميمة التي حلفتها معاركهم مع الاسلام وانتصاراته التي أزعجتهم على الظاهر به مكرهين وما تلا ذلك من إبعادهم عن مدينته الى مكان مقفر من بلاد الطائف ونحريض المسلمين على مفطحتهم رد عن ايديهم للبي (ص) ونحسبهم عليه وهو في بيته مع أهله وسائته.

هذا الموقف من الحسين (ع) وما تلاه من المواقف الأخرى والتي كان من جعلها موقفه مع مروان بن الحكم وهو يصحح ان يبايع يزيد، والذي رد عليه به بقوله عن الاسلام السلام اذ اشيت الامة براع مثل يزيد بن معاوية، وقوله ان الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، كل هذه المواقف لحسينه تشكل إعلاناً صريحاً لتصميمه على الثورة ومهاجمة الحكم الأموي بقيادة يزيد بن معاوية مهما بلغ حجم التضحيات في سبيلها، وقد بلغت موقفه هذه يربداً ساقص ما يمكن من السرعة بواسطة حواسيسه والأمويين الذين كانوا بدو حصونه ويراقبون جميع تصرفاته وحتى أنفاسه

ويريد من مسجون مع انه كان سيئة من سيئات ابيه الذي كان مسؤول عن جميع جرائمه لم يكن مثل نبيه في برويه وحرمة واحتياضه، ولم يتنرم طريقته في تعاطيه للمساورة والمراعاة والمداخلة التي كانت من اسرار صناعته، كما وأنه كان مستهترا الى ابعد حدود الاستهتار فلم يبال بما يسمونه دين وإسلام ولا بذلك انشاء الذي كان أنه يستتر به ويسدله على أفعاله وجرائمه أحياناً، وكان مع ذلك مسيراً لرفقه ولكن زهاته وميوله بدون تقدير وبمكير لما يشتم عن ذلك من النتائج، ويتظاهر بالكره والعداء للهدشيين ولعلويين منهم ولانصار من صحابة الرسول (ص)

(١) أنظر اللهب ومثير الأحرار ومقتل الخوارج

ولم يسطع أن يسي قارت عائده ولا أن يريح من قلبه تلك العهد الدجى
التي مر كمت في نفسه لفقد أخوته وعمومه وسراة قومه في حروبهم للإسلام التي
نهت باذلال أمية وفريش وقتل فاديه واستسلام الأمويين والقرشيين لمحمد
وأنصاره إلى غير ذلك من المصائب ولم رعات التي علب عبيه واشتهر بها، وقد
وردت كثره من تربيته وبدوره وشأنه في أحضان أمه ميسون، المفارقة في أبدوة التي
شتهر عنها أنها كانت تفضل الخيام عن القصور، وخير اللباس عن الموائد الشهية
لتي تُصنع في قصر الخصر، وللانصر والحجاب والباس الاعراب عن احترير
والديباج، وكان الأخذ بالثأر ولو طال الأمد من أمر صمته ولا يتسرون عنه ولو
بعدت المسافة وطال الأمد كما قيل

ومن عبر المستبعد أن تكون بنت محرره لربهة التي حطط لها بن ميسون
وأمر جلاديه سفيدها في كربلاء مع العمويين وأنصارهم، وما رنكه في وقعة الخرة
مسم من عصه بأمره وبوجهاته مع لانصر من قتل ومهب وبساحة لأعراس
المهحرين والأنصار لميسين عما كان في عيه من كره دفين للعلويين والأنصار
الذين ونروه في أعماقه وأحواله ومرة قومه في سر وعيرها من معدك التي حاصوه
صد للإسلام لحية لشرك وبونية

ويذكر لرواة الذين أحصوا ما جرى على المسلمين في المدينة من انتهاك
للمحرمات وهب للاموار والممتلكات وقتل وتشريد وهم يقصرون أخبار تلك الحركة
أنه قيل فيها ثمانون من الذين شهدوا بدءاً مع النبي (ص) أي من الذين أذلو
قرباً وجانباً كما تُشَرَّن إلى ذلك في الفصول السابقة^(١).

ومهي كان الحال بهذه المواقف التي عنها الحسين (ع) من بيعة يريد قد
لعب يريد في حينه وأفقته صوابه ومضى يعمل ما يوجه إليه سرقة وسرعة
بالتحصن من الحسين قبل أن يخرج من المدينة ويستعمل خطره دمن رجالاً من
جلاديه لنفسه في المدينة قبل أن يعادروا إلى عراق أو أي بلد آخر كما جاء ذلك في
كتاب أورده اليعقوبي في تاريخه من ابن عباس إلى يريد من معاوية، وفي الكتاب
شده صريحة إلى أن يريد قد قتل رجالاً هذه نعاية^(٢)، ولعل ذلك هو ما حدا

(١) أنظر ص ١٣٦ من الأدب الجاهلي لطفه حسن

(٢) أنظر ص ١٤٠ من توره الحسين بالعلامة محمد مهدي شمسي الدين وكتاب حياة الإصم
الحسن بالقرشي ولعلنا نستعرض لبعض قصص الكتاب في محلي

الحسين (ع) ان يعاد المدينه مع سه وأخوته وبني عمومتهم من آل أبي طالب وسائر
إلى مكة ويقوت على يزيد بن ميسون وحفيد هند أخته لأكباد ما كان يحفظ به من
اقتبال الحسين (ع) وإحباط ثورته وهي لا تزال في مراحلها الأولى وقد حذر
نفسه مكة المكرمة وهو في طريقه إلى شهادته على تراب كربلاء، لأن المسلمين
كانوا يتوافدون إليها في الأشهر الأخيرة من كل عام بعمره وسجدة وأداء فريضة
الحج.

بعد إحتار مكة في المرحله الأولى من مراحل هجرته ليجمع بين يؤمها من
مختلف الأمصار ويضع بين أيديهم ذلك المصير الأسود الذي يحيطون فيه
والحطار محدقة بالاسلام من تونه أبي سفيان العدو الأكبر محمد ورسالة ومب
عزم عليه من الثورة والنصحية لإنقاذ الأمة وشرعية جده من أولئك الجلايين أحماد
أبي سفيان ولحكهم من لعاص طريد الاسلام وشبههم من مائه الامويين والمسرقة
حتى ولو كلفته حياته وحياته بنيه وأخوته وجميع أسرته.

الحسين يعلن اسباب الثورة وأهدافها

وكان قبل خروجه من المدينة قد أعلن عن أهدافه من الثورة في وصيته لأبيه محمد بن الحنفية الذي جاءه متحويلاً عليه من عند أهل الكوفة ومحادثهم كي يصعدوا مع أبيه وأخيه من قبله، وكان يقول له: «سبح عن بيتك يسريد وعن الأمصار ما استطعت، وبعث رسيدك إلى الناس فإن يبعوثك حدثت الله عنك دسك، وإن حنموا على عرك لم ينقص الله يدك دينك ولا عقيدك»

ومضى في حديثه معه يقول: «يَا أَخَاكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلَمْ تَدْرِكْ مِصْرًا مِنْ هَذِهِ الْأَمْصَارِ فَيَحْتَلِفَ لَهَا وَيَقْتَتِلُونَ فَتَكُونَ لِأَوَّلِ الْأَسَنَةِ عَرَصًا، فإِذَا حِيرَ هَذِهِ الْأُمَمَ كَيْفَ مَسَاؤُهُمْ أَصْبَحُوا دُمَا وَأَهْلُهَا أَهْلًا، وَبِالْشَّيْءِ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْرِبَ مَكَّةَ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ وَإِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ مَنْ يَرْضِيهِ حَقَّ بِالرُّومِ وَشُعُوبَ الْخَبَرِ لِيَنْتَحَكِمَ إِلَيْهِ وَيَبِينَ لِقَوْمِ الْفَضِيلِ»

هذه سياسة أوصى الإمام أحمد بن محمد بن الحنفية وجاه في وصيته إليه: «يَا أَخَاكَ أَشْرًا وَلَا يَطْرَأُ وَلَا ظُلْمٌ وَلَا مَفْسَدٌ وَإِنَّمَا حَرَجْتَ لَطَلِبَ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِيدَةٍ أُرِيدَ أَنْ مَرَّ سَعْرُوفٌ وَأَبَى عَنْ الْمَكْرِ فَمَنْ قَبِلَ يَقُولُ لِحَقِّهِ اللَّهُ أَوْ لِحَقِّهِ بَاغِزٌ وَمَنْ دَعَى إِلَى هَذَا أَصْبَحَ حَقٌّ بِمَعْنَى اللَّهِ يَبِي وَبَيْنَ قَوْمِي بِالْحَقِّ وَهُوَ حَقٌّ الْحَاكِمِينَ»

والحق والاصلاح في أمة حله كان هدفه الأول والآخر من ثورته وعن أساسها يدعو المسلمين لمصرتة والوقوف إلى جانبه في ثورته على الظلم والظهور ولطغيان لا على أساس مكنته في نفوسهم أو قرب به القربة لرسول الله (ص) لأن

مناصرهم له على هذا لاساكن نكرس النزع المصيه التي حارب الاسلام واعداءه
الامويون بأفح صورهم وأشكاه

نقد كانت سبه حدى وستى مسرحاً صرع عيب سير إرادتين، يراده
الحق والخبر وإرادة الشر ولطفينك وبياض تنشب لاوى في شخصيه عظيمه
حرجت من ست عبي واطمة وأضمت عليها لما استهالة من الاشعاع كأنه إشعاع
المحرر يسج في كبد الظلام بدمس وعشت الثانية متها وهي إرادة لشر
والطعين والوثنيه في رجل أقل من هال فيه به ربب للشر وحفيد لابي سعيان
علو الاسلام ولروحته هند أكنه لاكناد.

و لأول مهي هو الامام الحسن مسد الرسول لاعظم ومبيل عبي بر اي
طالب بطل لاسلام الخاند ومن امهره سيده مسد العالمين ولورث التوحيد في
تلك الفترة من تاريخ لاسلام لرساله جده ونشوة التي فجرها حده ووصلها اموه
وأخوه.

و ثاني مهي هو يريد من معاوية البابت في تربة سبعة من ارض موالب ست
أحبث شجرة كان يتو أموه من نتائجها ويريد ان يروعه

ولقد عكست ثورته الحسين (ع) التي شهدت مأسها ارض كرسلاء اثر كلا
الحابين ونكها الاردين لا اده الخيرة اعداه للاصلا ، استصال اشرك والوثنيه
تمثلة في الحسين وصحبه لايراء ولازادة كثيه بشيرة اعداه بفساد وسعت
لدماء وستعداد الصلحاء ولاحرار واعاده المجاهدة نكن أشكاه ومعنها ابني كان
بشها ابو سعيان وأبو جهل وغيرهما من طوحيث قريش.

لقد وقف الحسين أعزل لا يثبت جداً ولا صلاحاً ولا ذهباً عن نفسه يمرت
هو ومن معه في سبيل الحق ومثل العلي وليعلم الناس كيف يموسون من اجل
لأنسان وحرية وكرامه

لقد اعتر ثورته لخمراء نفس اب يعادر مدينة جده في ارض الشهادة ووقف
في وجه دولة جبارة تمصع لنمود ملك ظالم حار محتل الصدرة في قائمة الطغاة
ولساحس والمجرمين في مختلف المعصور رفض الخضوع والاسكسة حكم دست
اندب لكاسر والتمثل في هيكل اسد يسميه بناس يزيد

لقد اعتر ثورته على تلك النبوة اخبارة وقد على الاسلام انسلام اد
ملت الامه برع مثل يريد من معاوية ، وان رسول الله قال اذا ريس معاوية

عن صبري فبقرو بطنه ، بعد ان وحده نفسه مسؤولاً عن حارسه ثورة جلده التي احبب دعائها بها ، حب صبري بي أميه وأعوأهم وفقدت كثر قواعدها وأكثر قلاعها واخر قيمة من قيمها ، وم يوي من نراث خله وأبيه وأخيه الذي يشكّل وجه الاسلام وحق والعدل لا عطاء شرف يستر به حاكمون لنفسية جورهم واسهارهم ولقسم والمقدسات

ومضى في صريه ، ثرى انطق لا يملك من الاصلحة التي تقص مضاجع انطالين سوى دمه ودماء ذويه من بيته وحوته وانصيره لقدمها قرابين لله ويسبى ما دامت الاسباب حبه تمنص الاحياء على مدى المصور معدنا ان حق والعدل وكرامة الاسباب فوق ميوي حاكمين ولا سبيل لاحد عبيد ، وهو عن ثقة بأن تلك الامر به مستكوب صرحه مدونه في أعماق لتربح بعض مصاحبه الامويين وغيرهم من نظامين ويختصب ثائثور عن لظلم واخوور حبلًا بعد حبل الى ان يرث الله الارض ومن عليها

وكنت مكة المكرمة هي مرحلة الاولى من المراحل التي مر بها في طريقه الى ثرى نطق بعد وفاته تدب له الدلائل على ان يريد ان معاوية قد نوع الى خلافه باعبه ان بوسطه حدود المصل التي كال والده سامي مسجود بلخص من يحرف مهم على دونه و يعرف من وسائل لتكث والاجرام ليعلى منها على تكث الحشود التي مو قنت على مكة في ذلك لعدم من حرج ومعتبر وشهدت عند لم تعرف به مثبلا من من بعد ان شاع بأن اماع خصم (ع) عن لبعه ولجائه انها لا اع سورة ليعلى منها بضمه على بصي في لشوره مهم كانت انتصحيات وكان عبدالله بن نزيه قد دخلها من الحسين بأية محدودات فتجاهله اناس بعد ان دخلها الحسين (ع)

وجاء في البداية والهيبة لاس كثير من الناس لم يعرفوا على ان يعرفوا عنهم على الحسين بعبود عبيد والخمس حواصه يستمعون الى كلامه فتستمعون ثم يسمعون ويصطوب فبروون عنه فصبر ابن الزبير ان يلازم محفسه مع الناس ولم يكن شيء أنقل عنه من مكان الحسين بالحجار ولا أحب إليه من حروجه عنه صمعي في ثوثوب بالحجار وهو يعلم بأنه ليس باستطاعه ان يحقق شيء من أصابعه ما دام الحسين موجودا في الحجار

(١) في جنبه ذلك في مقاتل انطالين والأنساب للبلاخي والإرشاد لشيخ المفيد

لقد تصرف المسلمون عن بن الزبير وبخامسوه بخردن وطشت قدما حسين
 مشرف مكة، أنكره لاسيما عرقون بن الزبير وطيرعه ويعلمون بأنه لم يعارض يريد
 ولم يسع عن بيعته من قبل الاسلام والمعتدين ومصطفهين وأنه لا يحتجب عن غيره
 من ذوي الأهباع وإذا قدر به ان يستلم السلطة في الحجاز وعنه من المصالح
 الاسلاميه فسيار من خرائم نفسها التي يدرمها حميد ابي سفيان وهذا آكد الأكيد
 ان اقتصب مصلحته ذلك، ولا ثراء موافقه من امير المؤمنين في النصرة وعيرها
 مائنه هم، ويعلمون ان الحسين هو الوريث الشرعي لثوره حبه وأبيه وأخيه عن
 وثية وخاميه ويعلمون بأنه لم يقف هذا موقف من يريد وأنه لا لمصلحتهم
 ومصالحه الاسلام ولم يقف على لتصحيته نفسه وبنيه وأخوته وأبناء عمومته،
 أجل انك واستطاع ان طلائع ذلك واستطاع لا يعلمون على لاسيما، ولم
 يقف احد منهم في جانب بن الزبير في الحجاز بعد استشهاد الحسين (ع) لا
 لاعتقادهم بأنه فهو لشرير اد فاس بالامور، ولكنه حبب أنفسهم وبههم
 وممن على الامة وعقوبين بصعوط والاساليب نفسها التي كانوا يمارسون وبيع
 به خفد على العلويين به ذلك ذكر امير (ص) والصلاة عليه في حصة الجمعة
 وحيثما أنكر عليه مسلمون ذلك فان ان به أهل سوء د ذكره شمعوا بأفواههم،
 ان غير ذلك من مواقف

بذلك كله فقد انهد اساس على الحسين (ع) حلال الأسير لأبيه اني
 أقامه في مكة لأنه رجا احبته ورجح ان الزبير نفسه في عربة تامة عن ساس
 فكان يردد على حسب كعبه ويتظاهر باستعداداته لنصرته، وفي الوقت ذاته كان
 يحسن المذاقات يرجح به سجاوب مع أهل العراق الذين كانوا يترقبون عليه
 وير سبونه من احب والآخر به مسود الدعوة له في الحجاز ومساندته

وكان الحسين (ع) يعني كل أحد به ويعرف ما يقوي عليه من الخوف والبعد
 لعبي وآل عبي وقام يوما لحسنائه ان من ترسب بين شيء يؤاه عن الله ما حب
 به من ان أخرج من الحجاز الى العراق وهذا عمم بأنه ليس به من الامر معي شيء
 وان الناس لن يعللوه بي فود أني لو خرجت منها لتحتول له (١)

وقال به من عساس وهو بخوره في الخروج الى العراق وبخفزه من عذرهم
 وتجاهلهم عن نصرتهم شيئا فعلوا مع أبيه وأخيه، قال له بعد ان وحده مصر على

() استند الزبير من الظري ص ٢٨٨ والكامل لاسيما الأثر وأنساب الأشراف

الخروج لئلا يهرب غير أن البربر سحبتك إليه واختاروا الخروج منها وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك.

وكان الحسين (ع) يستحل المسائب بكشف سداً لاسلامي عن نداء مع والاسباب بني حمزة عن الخروج الى عراق ومعه حصه احكم الاموي بقياسه يريد من مسجون الخلع المسهر على مكة المكرمة وقد ن يخرج منها أيام قلائل وقف في حشد من المسلمين فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال سقط موت عن ربه دم محط لقلاده على حية انبثاة وما اوهي في أسلاني سيقا يعقوب لي بسوسه وحير مصرع ما لاهه في ان كان أفلا يرون لي الخو لا يعمل به ربي حاصل لا يساهي عنه ليرعب مؤمن في لقاء ربه محض، ألا ومن كذا ددلا فيا معجته موطد على لقاء الله نفسه فدرجل معنا قاني راجل مهيباً ان شاء الله

وفي طريقه ان كرنلاء حبيب النعمي مع الخو الرباعي وكان قد سيرة من رداد في لف دربر من أهل الكوفة يشرف على موكب الحسين ومحرقاته ويحميه على دخول الكوفة، وكان قد علم بتخاذل أهل الكوفة ومصرع من عنه مسلم من عقيل وحبي خاوب، فخر ان يقرض على الحسين ب يسير بموكبه تحت إشرافه وقد الحسين عليه السلام وقد

أيها الناس ان رسول الله (ص) قال من رأى سقداً حراماً محلاً حرام لله ناكثاً يعهده الله، محالفاً سنة رسول الله يعمل في عباد الله بالائم والعدوان فسم نعم ما عنه يعمل أو هو كان حاد على الله ان مدحبه مدحبه لا وال هؤلاء قد رمو طاعة شيطان وتركوا طاعة برحق وأظهروا التمسد وعظمو اعدود وامشأثروا بالهيء وأحد حرام لله وحرموا خلاله وما حق من عمر وسد، وقد اسي كنكم وهدمت علي رسنكم ببعثكم ونجم لا سلموب ولا تحذوني فان بعينه عن بيعتكم نصيبوا رشدكم، وبني خصين من فاضله ست رسول الله (ص) نصي مع نفسكم واهبي مع أهبيكم وب نصتكم عهدكم وحيثكم بعني من أعناقكم محظكم حطائكم ونصيبكم صيغتم ومن بكث فاختا يبكث على نفسه

لقد كشف هم عن الاسباب التي فرضت عليه في شوقه ويصحي معه وبمر معه من أهله وأبصاره بصفه مسؤولاً عن حميه الاسلام من لتحريف ونشويه

(١) أنظر المجلد الرابع من تاريخ الطبري و كامل لابر لأثير وعبرهم من المصاحف

وعن حقوق الامة ومقدورها وكرامتها كما يشعر بذلك قوله **وإنا أحق من عتراي**
أه أحق بمنازعة من غير وندل من جميع المسلمين وأعد الامور الى مصابها

وفي طريقه الى كربلاء كان يكشف لمن يلتقي بهم ويصطحبه بأن يعيد النظر
 في موقفه من الحاكمين ولا يعتر بأهل الكوفة ومواعيدهم كان يكشف عن اسباب
 ثورته ومبررها التي تعرض عليه ان يهبط من السلطة هذا الموقف، وفي اليوم
 العاشر من المحرم وقبل ان تختلج معركة وقف بين اصحاب وطلب من انقوم ان
 يصنعوا لحديثه ويستمعوا لقوله فتكلم وأسهب في حديثه واستعرض موقف أهل
 الكوفة مع أبيه وأخيه وطاعهم العمياء بربيد وأبيه بسور مقابل سور حسيب
 عش كالمعنى النبيل ووصفهم ع يلقى بهم من العذر وبعض الوعود والمواثيق
 وتحريف الكتاب والسنة وما الى ذلك من جرائمهم، ونهى الى بقول الا وان
 الدعي ابن الدعي قد ركب بين اثنين بين السنة والبدلة وهيئات من السنة يأبى الله
 له ذلك ورسوله ومؤمنون وحسود طابت وحجور ظهرت وأبوف حميه وبغوس أبيه
 لا تؤثر طاعة الناس على مصارع الكرام، ثم قال **الا واني قد اعذب وأشدت**
واي رحمت هذه لأسرة مع الله العبد وكثرة العذر وحذلان تاصر، وعصف عن
دعك بقوله:

فان بهم فهران قدما	وان نعلت فغير عاليا
وما ن طبت حس ولكن	مدينا ودوره آخريا
اد ما صوت رفع عن اناس	كلاكنه سخ باخريا
هأبي ذلكم سرور مومي	كم اهي المرون العديرا
فروحلد الملوب اذن حديا	ولوبمي الكرام د بفا

وحلان إقامة الحسين (ع) بمكة كانت معج بوفود الكوفة وكل وفد يحمل معه
 عشرات امصائل من عشائرها ورجالها يطبقون اليه الاسراع في الوجهه انهم حتى
 اجتمع عنده مائة وخمسون كتابا، وقال بعض المؤرخين ان كتبهم بلغت اثني عشر
 الف كتاب، وفيها انها كانت في حرجين ممنوعين من كتبهم ورسائلهم كما يشير ذلك
 رواية الطبري والكمال لاس لاثير واعلام اسوري وحاء فيها ان حسين (ع) ما
 انتهى بالخر ومن معه وذكرهم بكتبهم اليه ردد عليه بوعهم والله ما يدري ما هذه
 الكتب لي تذكر؟ فقال الحسين لعقبه بن سمعان **حرج خرحجن بلدين فيها**
كتبهم لي، فاخرج خرحجن ممنوعين كتب فشرها بين ايديهم

وبلا شك فان يريد من معاوية كتاب عن صلته بكل ما يجري وده ، يحدث وكما
 حاول انسال الحسن في مدينة فقد حاول اعيانه في مكة ، فقد جاء في نقل
 الحسين بعد برزاق المعزم ان يريد من ميسون قد يستعمل موسم حج لمدة العاوية
 فارس عمر بن سعد في جمعة من خلاديه وولاه من موسم كذا كانت العدة وامره
 بالفتك بالحسين ايسر وحده حتى ولو كان في الكعبة ، وحسبنا علم الحسين بذلك
 خرج من مكة يوم الترويه في الناس من دي الحجة ويؤكد ذلك قوله لاجيه محمد
 ابن الحنفية وهو يحاول ان ينفذ في مكة ، لقد حفت ن بعاليي يريد في الحرم
 فاكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت .

وحاول ابن عباس وعبدالله بن جعفر وبن عمر وجماعة من اعيان الصحابة
 والتابعين معه ان يعيد اسطر في حركه نحو العراق فتم سحب طلبهم وقال له
 ابن عباس وابن الحنفية ان كنت لا بد فاعلاً فلا تأخذ معك حذ من حرمك
 وبسائك وطفلك لئلا يحاف عليك ان تغفل وهم يظفرون اثبت فلم يسحب
 لطلبهم ، وكان ربه الاخير على محاء لانهم ، لقد امرني حذني رسول الله (ص) بأمر
 وان ماخر فيه ، وفي بعض الروايات لقد شاء الله ان يري قتيلاً وان يري حرمي
 ومائتي مائة ، وخرج من مكة في ليوم انقاس من دي الحجة سنة ستين من هجرة
 الرسول الى المدينة بعد ان ضاف وسعى وأحل من حرمه والناس يخرجون بشباب
 الاحرام الى عرفة لانهم أركان الحج وشروطه ، وكانت هجرته ضرر من المذنب
 الخاطف يدي حفظ له حميد أبي سفيان ، والذي لا يستفيد منه سوى بن ميسون
 ودريه من الامور وان يخدم للإسلام بشيء ، وكل ما في الأمر ان قلته على ذلك
 المحو يثر الأسى والالم في قلوب أهله وأسرته وعنه و حسن ، ثم يطوي السار
 ذكره كما يطوي جميع التذكيرات

نقد هاجر قبل ان يتم حجه فراراً من الموت الدحل في الشهادة التي تسيطره
 على صعيد يظف بعد ثلاثين يوماً ، تريد من تاريخ هجرته والتي قصت مصاحم
 الضالين ورعرعت عروشهم وموتت على حمدا اميه الكثير من محظاتهم انعدابه
 للإسلام كما كانت هجره جده برسول الأعظم من مكة لي يثر فراراً من الموت
 الذي حفظ له بوسفيان وطوعيت فريش فل ستين عام لنصاء على الإسلام
 بوجه وقدمت المهجرين للإسلام وللإنسانية معدم لا تحصى وان حلف محام
 وسبيلها

هجرتنا في صدر الاسلام

هجرتنا في صدر الاسلام يجمعها هدف واحد وعديده وحده، الاولى منها كانت فرار من عيون ابدي تستهدف رسالة محمد (ص) بشخصه وقد نفذها بأمر من ربه على النحو الذي تمت عليه لئلا يسم له رسالته من أعدائه مشركي مكة وعلى أسهم الحرب الأموي الذي كان من أكده حصومها وأند أعدائها، والثانية قام بها مسقطه الحسين بن علي (ع) بشهادته بعد أن درث أن لا يحضر المحذفة رسالة حبه من الحرب الأموي يحاكم لا يمكن تصديقها وتجاوزها لا بشهادته ولا جسر من حديسه التي احتضت حبه ورسالة حبه بالامس ومبا اطلقت في جميع أنحاء العالم، الى مكة ومنها الى مصرعه في كربلاء ولسان حاله يقول:

يا كبرياء محمد لم يسلمهم إلا بعني يا سيوف حديدي
لقد هاجر رسول الله (ص) من مكة الى يثرب لأجل رسالته بعد أن تأمرت قريش على قتله لئلا يخلص منه وبعد أن وحدها جميع وسائل لعنف بني أمية لئلا يخلص منه، جميع العربات التي بدتها على اختلاف أصنافها وألوانها لم تعبر من موقفه شيئاً وكان رده الأحمر على عمرو بن أبي سفيان وأبي جهل ومعيقاتهم، وأنه لو وضعهم الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر أو أموت بعده

وعاد قريش تخطط من جديد للقضاء على رسالته ولو من خلال بعضه عنه لاسيما بعد أن نالت يد الأحرار منه سيحده من يثرب مقر لدعوته وحيث ستكون من عصمه محذلة ومبا مستطلي في العام بأسره فجميع فدتها في مكان يعرف بدر الدوة بدولور في امره، ويبادلون اسراي في الامموب الذي يخلصهم

منه، وفتح بعضهم أن يصعوه في بيت من بيوت مكة لا لحده في أن يأتيه
أجله، كما اقترح الحروب أن يطارده من مكة لحملهم من العرب مسؤولية
بله، لا غير ذلك من الآراء التي لم تحظ بموافقة الجميع أو الاغلبية، وأخير اتفق
الجميع على قبة عن أن تشتت جميع القبائل في ذلك أن يحرك كل قبيلة في
حده فيها ويسون ولتت القبلات بعد هذه المهمة لكي تتورع المسودية عن
الجميع في طلب ما يسمون بدمه وانتموه عن برمان الذي يتم فيه التقصيد، وما
ثم هذا الاتفاق حتى حرك الله بيه بكل ما جرى في أحبابهم بالآية

«وذكر بك الذين كفروا لشتوك أو يقتلوك أو يحرقوك ويحرقون ويحرقون
الله والله خير الماكرين»

ولدي بعينه الآية أن الله سبحانه قد قوت عنهم بعد هذه المؤامرة وأحجم
رسوله بها وأمره بالخروج من مكة في ظلام الليل وأن يأمر عند ما تست على درشه
فمن حروجه ليومهم بأنه لا يزال في المرات واستقر على (ع) هذا التكليف
بالإتيان عندما علم بأن النبي (ص) سيسلم من بيت المؤامرة وهدمت عليه الحية
في هذه السبيل، وقد سمي «وحيهم بأرسل الله بـ هديت عصي» فقد له
بهم بيت وعدني ربي، فرحب (ع) بذلك وسدد ما كان يساوره من خوف وقد
على النبي وتقدم في لرشته في تلك الليلة التي أعدت سقيفة بني ساعدة
رابط الحاشئ ثابث العقود وسبح بمرده الحصر في النبي أعاد أن يشجع فيه هد
والقوم يعفرون من سرفذ الست في فرائش لبي فبرون في شحوا بطلبه لبي
(ص) وعندما حان الوقت وتقدموا في فرائشه فصيد فقر على (ع) من المراتش
كالمرد مسطاً سبعة دهرمو بين يديه كم بهرم المعوى قد شددت عليه الذنوب ورد
الله الذين كفروا بعينهم لم ينالوا شيئاً

وعنت هجرة في خوف قليل ولي طلائع اندس من مكة في الغدومه في
يثرب كم نصبت في كتابنا وسره المصطفى في السادس من ربيع الأول بعد مضي
ثلاثة عشر عاماً على بعثته، وهذا الوقت قد اعتمده المسلمون تاريخهم في عهد
أخيه لذي عمر من الخطاب على أثر حصاره بين النبي في دين يدعي المائت
استضافه في شعبان بموجب سدة بيده، وانفتحت الخيصة إلى ندر فائلاً أي
شعبه هد شعبان هذه السنة و لبي بعده؟ وم يكن ليعلم من حينئذ تدرج
بعضهم فكان بعضهم يورج بعام ليس وبعضهم بحرب لعمد وأكثرهم كانوا
يعتمدون توازيح الدول المتنافسة للحدود الحجاز

وختلف آراء أصحابه في الزمان الذي يعمدونه لتاريخهم وكذا ان
 يفرقوا من غير ان ينتهي الى نتيجة حاسمة لولا ان علماً قد حسم براعمهم باقتراحه
 هجرة الرسوب من مكة الى المدينة بأعجب اس خطابات برأيه وهنق قنائل لا
 أنفي انه معصلة نيس هـ ابو الحسن واقرب رايه هذا باعجاب الحضور ورحامهم
 عليه. لان هجرة الرسوب (ص) كانت نقطة الانطلاق لانتصار لاسلام عن الشرك
 الوثنية، وحدث تاريخياً لا يزال من الأحداث البارزة في تاريخ الدعوة ش لم يكن
 أبررها

وم يحدث التاريخ عن المسلمين الأوائل هم عبروا أو محرم أول يوم من
 أمة السنة الهجرية ولا عهد من أعيادهم، والعهود ن هـ م يحدث لا بعد مقتل
 حسين وبعد ان اعتر شيعه أهل البيت الأيام الأولى من شهر محرم أيام حرب
 عن الحسين ومن قتل معه من هله رصحنه فاعتراها في المقاس أعداء الشيعة من
 الأمويين وغيرهم بداية السنة الهجرية وعيد من عياد المسلمين، ولا يزال
 المسلمون ومع لأسف الشديد يعتبرون ول يوم من شهر محرم عيداً من
 أعيادهم

ومهم يكن اخبر قلند كنت هجرة لسي من مكة الى المدينة في السادس من
 ربيع الأول، وفي اليوم الثاني عشر كان سي في مدينة وأقصد الله سبحانه من
 بيت المؤمراء المدينة التي شهدت حياته ورسالت وحاك حيرتها شيخ لامويين
 يومذاك يوسفيان من حرب بفضاء عن الرسالة التي عبرت بحري اشاريح، وسلم
 محمد رساله التي ارعبت ان سفيان وطوعيت قریش بعد مواب قلله من ملك
 المحجرة عن الاستسلام بقومهم المشركه الحفده بملكون بين أقدم طريدتهم
 دالاس يستجدون عقوه ورافته أدلاء صاعرين

وقد أبت نفسه الكبيره التي سمعت سعاليم الاسلام ورساله لاسلام، لا ن
 تسع لأي سفيان وحي لروجه هـ أكة الاكند وعبرهم من اشركين وشركات،
 وأعلن بعمو العام عن اولئك الذين لم يركو سوب من ألوان لأدى واحور لا
 وفالوه به متحذلاً جميع سيناتهم بكلية احلدة التي لا توان سمه حري وعار
 دم اشاريح اذهبوا فاسم انصق

وهل غير هـ الموقف الكريم الذي لا يمكن ان يصدر لا من اسان تسيرة
 إرادة السماء، وهل غير من نفس أي سفيان وروجه شيئاً وهل أدركت ان مرقف
 كهد لا يصدر لا عن إنسان فوق مستوى القده والرعم والحاكمين؟ ان موقف

أسي (ص) مع بي سلف و. واحد و سرية م بعد م عوسيه و نسي (ص) بعد
ملك و بعد ان نعوس الخاعد و القوب مريضه لا علاج ه لا بالاستصال
ولكن مصلحة الاسلام بومدك فرصت عله ن بعد لهم به لا لاسلوب

لقد بقي احرب الامور مبيدة بي مصلان بتحت مريض و بسعين المصائب
سوثوب ضد لاسلام و دعائه المخلصين لاوفياء و حبيب انعت لسلطه في سبيل
بيته عثمان بن عفان حسن بشوه تملا بعه خافله و ذهب بعبه علامه بي و
الخمرة وركله برجه و قال قم يا عماره ان انسي بجد علبه لقد أصبح علب
أقرب

و حلال سوب سلاب من حكمهم استطاعوا ن علبه لحد بست اكة
أمايه وانهم يعملون م هينهم ووشينهم حتى لا ينسي برساعة بعه (ص) سطق
عز مبر و بحراب و يصح أنه المسح والفرء و لرواه بواق بسلسلة الحكمة التي
كسب نعمل بعسر لاسمعه من علفاند الاسلام و قيمه و اسببده تمديء برده
وانويه

وظير بعدو هذا لانجه سوثي حتى نملك انعيم و سبب لعايم
و ذهب لرباح بجهود المخلصين و الموحدين و حاتم مكنور الذهب بسافهم و أصبح
انتوحيد سثار لشرك و لاسلام فيود للاستسلام و السمة فاعده بسلطه و الحديث
عروة للوضع و لالسر قصص و شريف

أما أصحاب سابعه فقد بعدوا شمن و لالاب و امبر و و اعترت فريق
لعباده و فريق سارمو ملى اسكه عر الصمم و شور حتى لا م جهوا بي
و الثوب في صحراء برده و مرج علفاء و عارب احاهيه خديده أثقل طلالا و أشد
صمة و وحشه و أعدو خديده شد دهء و أكثر مهاد و كاه كم ملك في عهد
ابر عفان و بعده ر هند و حاء و به من سوب ان حكمه لا تقام سابه ابيه بي
نحمر لأمية كل مابها تحت سار الاسلام و مودة سطم صوء في سظلام و من من
ركام الاسلام لمداعي و أصاءب لمللا ملامح مبر جديد في ديباحي ماث لسلام
انص و و ليعام سار نخط عر البراب بدمه ألا و لا ي موت لاسعاده
و اخية مع الظلمين ألا برها

به اخمين بن علي و فاطمه سبط دنك لرسون لذي هجر من مكة و
يثر ب قبل سبين عام لاجل رسائه و لأحر كرفه الأسب و لمصعبه في الارض
لا خوف من الموت بل لان نقاء رسائنه و نشرها موهون بحاته

ومرة ثانية وفي ظروف عليها أسوأ على الأساوية وإرساء من ظروف بني
هاجر فيها حده من قبل لانتقاد بشرية بما كات بعده من عسف وجور واستعمار
خرج من بيت محمد وعلي (ع) البيت الذي وسع لتاريخ كله فكان أكبر منه خرج
عاصماً مصمماً على الموت كان في صدره إعصاراً في طريقه إلى الاصطلاق. خرج
وهاجر لأجل الأساوية ومن أجل الرسالة التي هاجر من أجلها حده من سبب عدم
يلتفت من حوله وحيداً أعزل من الرجاء والسلاح، يرى أسئلة وأهل الفقراء
ويستصعده، ساق في قصر الخصراء في دمشق لا تمتك من سلاح عمر الشهادته
بني براهمة ربه براحات كي تكون الفلانة ربة لفساة مهاجر من أجلها على هدى
وبصيرة وشجاعة مثل نصيب حبيب يتطوع أن يرمي كبرياءه مع ركنه بصبر وصمود
وهو يقول حفظ أخوت على سيد آدم محمد فلانة عن حيلة الفتاة، أفلا ترون لي
لحق لا يعمل في دن الباطل لا يسعى عنه لدمع خؤمن في لغة ربه عهداً

لقد هاجر من مدينة حده إلى مكة ومنها إلى العراق بعد أن رأى أن سانه
لإسلام تعرض للابهار ومضرب الأسا، يومذاك أسوأ من مضرب دن الحبيب
بأهصا يديه من حياه لا يثبت في مقدس عبوده سبى سلاح الشهادته وفي كل مرحلة
كان يقطعها وهو بحث السبر أتبها كان يسير في أنصاره يسير في فؤاده في تنك
أرحله لموتو معه في أهل بيته يسير هم كل دن يمكنه من حياه في هؤلاء جميعاً
كان يشبه ويكشف هم عن معاني الشهادته وأهدافها ومعانيها ويشهد لعام بأسره
بأنه قد أدى للإنسانية وللرسالة كل ما يقدر عليه

لقد كان سيد الشهادته يترك ويعي أهميته لرسالة الملقه على عاتقه ويعلم أن
لتاريخ بسطر شهادته بها مسكوب صمد لحياه أمه وأسباب ساء عقده وهيكلاً لأفقه
الخدم والظلم والفسوة وزدته لسحق لقيم ونحوه من الأدهم ويقاد برسائه لله
من أيدي الشياطين والجهلادين، وهذا هو الذي كان يعنيه بقوله لأخيه محمد بن
الخنفيه وهو يلح عليه ويتمملي بين يديه باكياً حزيناً يرجع إلى حرم جده لقد شاء
الله أن يراي قليلاً وأن يرى حرمي وعيالي صاب

في المشيئة لأخيه التي جعلته صحي نفسه وسببه وأخوته ويعرض سانه
للسمي لم يكن يولاه شهادته وسبى سانه سيحققان الأمة وللإسلام ما لا يحققه
أجيوش ولأساطين وقتك الأسحج، وبانهم لقد هتكت شهادته أفعهم وأدانتهم
بكل أنواع الخزي والعدر وبولاهم تحرست سانه الله لأسوأ أنواع التحريف
والشويه والتلاعب

لقد أعطى الحسين شهادته ذباً وسانبته بحرب غية بالقيم وروحه حياً
وأصبح هو ومن كان معه من طعنه إلى حوته وأصمته وعينه، غدوة الغيبة
مخيطته للعالم في كل مكان ورمزاً يعلم لابطال كف يسوع في مملكة الخلائين
الذين ذهب صحبة سيوفهم آمال أجبر من اشباب واسطعات آدم أمم وتلوت
تحت مياطهم حبوب النساء وأنادوا وأجاءوا واستعدوا رجلاً ونساء ومؤدسين
ومعلمين، ووقف خطيباً ربط الحاش مستحفاً بكل حشودهم التي سعت عشرات
الآلاف وقدتها واعتدتها.

وفى الأذى الذي من ادعي قد ذكره في انفس من انسلة واندلة
وهيهات من لدلة بأبي لله ن ذلك ورسوله وأؤمنون وحجروا حذبت وطهرت
وأوف حية وموس أنه من ن مؤثر طاعة الماثم على مصارع الكرام، ومهي
يقول أم والله لا تلبثون بعده إلا خرثي يركب انمر من حتى تدور بكم دور
لرحي ومن بكم قلى المحور عهد عهده الي بي عن حدي وسور انه (ص)

لقد هجر من مديته حبه في شري نطق ليقده دمه الرخي ودماء أحوته
وأصمته الخائدين الأحرار ثمة لأحب، شريعة حبه الرموز لأعظم ونقاده من
مخالص الكفر ولا يحرفه، ولكني يفسح حده سياسة البطش والتكيد وإذافه
سدم، ولعلنا نمرحه السوية اي لا يزال صدها يقص مصاجع بطيبي اد
لاسلام فوق ميول الحكيم واد القم والمثل فوق مسرى مطمعه ارجيصة
و. الخرية وبكرمة من حقوق الاساس في حياته ولا سطر عيبه بحكم
و. نطعام.

أحسن ن زمانه الحسين كانت ولا تزال متداداً لرساله حبه وجهده مدداً
جهداً فيه أمر المؤمنين (ع) بصل الاسلام الخالد الذي قام لاسلام ومشر بسيمه
وجهده، وكما حيث هجرة الرسول مساعي لتأثير على قتله بهروحه من مكة
إلى يثرب كدسك حيث شهادة سبطه بناتر العظم مال فيه وأمايه وب ك
يطمح ليه حميدها يريد من معدوية من عظيم الاسلام وعودة خاهدية لأصام
أهة آبائه وأجداده، وسجلت تنصب حطم أوشك الحاسره النطع، ودونهم
العصرية الخائرة التي قابها الحسين وقصى عليها بشهادته ودمه التركي انطاهر لا
بالرحال والعتاد والأموال

ولرب مصر عباد شر هريمه مركبت بيموت لظلمين طولا

لقد قاتل مع الحسين في معركته مع الشرك والنوثية ثمان وسبعون شخصاً من حوته وأبنائه وبنو عمومت وأبصاره لأبطال الذين امتحن الله قلوبهم بالآيات فماتوا دوماً عن خلق والعقيدة والعبادة واستشهدوا بحياتهم لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وكانوا مع فيه عددهم وكثرة أعدائهم يكررون عن تلك الخشود بنوهم لعامة السلفى وموسمهم المصنفة الى عصر اندي أعنه الله للمجاهدين في سبيله ، فتم منه فرار يعزى الى شدة عليها الدواب ورحم الله العلامة لسيد محمد حسن نكشوب اندي قاتل في وصفهم كما جاء في مثل الحسين بسيد عبد الرزاق المقوم :

ما حبت نار اسوعى شععره	ميوهم حمرا وقالوا توقيدي
ثقب الخطي نكن يمحور للوعى	سراعاً بحرصان الوشيح المسد
اذا ترمعو سمر ارماع حسه	كواكب في يس من اسقع أسود
أو اصطبغ بحب لمجاح كتاب	جري اصيد مهم لها اثر اصيد
مكروا ولا سطل طائشه الخطي	وشخص ساي سالعحاجة مردي
لجوا حب عن مورد الصيم فاشو	عن الأرض صرعى سيد بعد سيد
هور بشرى به السيوف حسومهم	عور ولكن بالكارم برندي

وبقي الحسين (ع) وحده بعد مصرع سبه وأخوته وأبصاره لا يملث غير طمعه الرصيع وهو يعلم الله لقوم لا يرحمون طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولكنه اراد ان يظهر لعامة عده الامويين محمد وال محمد ليس مرهونا عن بعاصمهم ويحافون بطشه وسطوته من ست هشتم بل قد البيت وكل من ينسب اليه صغيراً كان أو كبيراً ، وعندما طلب له الماء ردوا عليه سهمهم الي اصاب الطفل وأودت بجاته ، فنقى دمه بيده وصعده نحو لسه وقال انهم نقل منا هذا القربان

وتقدم بعد ذلك الى المعركة مطولة لا نظير لها في اربح عدوك والحرور فكان يشد عليهم وقد تكاملوا ثلاثين الفاً أو أكثر غيرهمون بين يديه ثم برجع الى مقره وفضل أعلى قتلي يجمعون أم والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله سخط عليكم لقننه ميء ويم الله ابى لأرجو ان يكرمى الله بهمكم ثم يتهم في مكهم من حيث لا تشعرون

وقال عبد الله بن عمر أحد أنصار ابن مرجانه والله ما رأيت منكوراً قط قتل وبه وأهل بيته أربط جاشا ولا أمضى جاناً ولا أجراً مقدماً منه بعد كان يشد

على أمل انكوهه فيكشور من بدنه انكشافه يعرى في شدة فيها انكشافه واصل
 يمانهم حتى سقط عن صعيد كربلاء لكلاء من أصابعه من سرفهم ورفاحهم
 وسهامهم ورحم الله الفاتل

أحاطت به سموم لعا فردد
 وقم عديم العبر في جوعهم
 أو ن هوى للاح شلوا مصعب
 هوى وهوى اسرحد وانظمس الهدى
 شواد أمبال انبع م اللورد
 وحيداً عامي عن سريعه احمد
 وور سرور من حر بطف قلبه لصدي
 وحب عرى سدين الخيف بشد
 الى ان يقول في وصف ركب ودا حل به وسائه وعياله في سث مخطات

وهاتفه من حبات الخدر ناكل
 يؤنب قرع السباط هـ سبي
 وسفت عر عجم المطيب أسره
 سرب تسهاداه عسوخ ميه
 سرب وصف بكمي احد معراء انظف حالة ساء والعدا حبي صرع
 الحسب (ع) بقوله

فوحدة عمو عيه نصمه
 وأخرى يصر بحر مصع وجهه
 وأخرى على خوف بود نصه
 وأخرى علسه سانسرداه نصر
 وأخرى تصديه وأخرى تقبل
 وأخرى عاقبها سائر بقم
 ورحم الله السيد خيدر الخلي حيث يقول

ولي نسي في مصطفي الخدر سورة
 حمت عدها يفتي وودب سومي
 مني لدهر يوم انطف عمى فلم يدع
 وحشيه المرى سماء قصود
 وم سر حتى عيب طل شحصه
 لقد برز في الحسب وأن الحسب والائمة من مدينه الحسين من سمهم
 وسوكهم وبعثياتهم في سبين ناله وحر الإنسانية مدرسه عيه بكل ما يحتاجه في
 حرب وسدم وشدة والرحاء والعفر والعي وجميع سواحي الحياء في أولاد ونحو
 ندعي الشيع الى ترجوع سيرهم وسير على خطاهم نصع من مبرث أسنا
 وادنا حبر أمه أخرجت للناس

وبنظره ومع الأسف الشديد إلى مبادئ شيع انقي تجسد لاسلام بكل
فصونه وخصومه، وقدرت فيها ريس ما نحن عليه من تحاذل وسراخع وإدلال
وانحراف عن الاسلام ومبادئه وقيمه، وجدنا أنفسنا من أبعد الناس عن محمد
وعبي وبنه وعن الحسين بالذات الذي يحتفل في كل عام بذكره وسكبه ويردد ذكره
في كل مناسبة بأنفسنا وبغيرنا يا بيتنا كما معك فنور نور عطية

وإن على يقين بأن الحسين لم يجد في زماننا هذا نصيح من انفس وجيوب
ناس، أكثر الماطى الاسلاميه كربلاء ثابته ووقف الموقف نفسه اندي وقعه من
معاوية ويريد وسوف لا يصره من يدعوا الاسلام والشيع ومن يساكور على
نفسه ولحبوب وساحرون بها في البيانات والخطب وعلى مصححات اخرئد
ومناذق التي يحملونها في الشوارع والوادى أكثر من العدد الذي ناصره ووقف في
جانبه في كربلاء الأولى وسلام لله عليك يا من لم يحدث الترويج عن مثله وما من
علما لماذا أمر الله الملائكة ان تسجد لآدم

فيا بها لوتر في اخالدين	قد في لان لم مشيع
ويت واصلا مر مشيد اخود	حنتم لمصيدة باطبع
ويا بن لتي لم يصح مثلها	كعشيك حملاً وم ترصع
ويت اس السول وحسبي بها	صيات على كل ما ادعي
تعاليت من مفرع للحنوف	وبرك فرك من مفرع
نمر اسدهور فمن سجد	عسى حائبه ومن ركع

شباب كربلاء

قد كانت مطامح الشباب عيشاً رعيهً ومستفسلاً سعيداً حافلاً بكل نوع المعيشة وأثره كما شاهد وبرى من شباب اليوم وغير اليوم، شباب كربلاء كانت كل أفعالهم ومطالبهم وأهدافهم من الحياة صموداً في الأهوال وصبراً في البأساء واستشهاداً عند السيوف من أجل الحق والباس بكرامة الأسماء، هم يكنون تلك العترة العظيمة والصب الرباني نهتم أو يفكر بما أعدت من عصاره الدنيا وما يسطرها من صغر الحياه ولها وهي ومعهم من كان كل همهم لقطع في أي سبيل من سبيل الشهادة بعروبهم، وفي موقف من مواقف البطولات يقولون

هناك وعن مشرق العراق وفي طريق في كربلاء كان الحسين (ع) يسير على رأس قافلة الشباب لا يصل متحدياً أقوى سلطة يومئذ وأشد شعاعاً وأسلماً من عرقه التاريخ من الحكام وفروعهم بعصر متحدياً كل ذلك بسبعين من الرجال والشباب ليحطم هذا العدد الثقيل في حساب الأرقام ولكن أكبر فيها بحجمه من عزمه وتصميمه على الشهادة في مصعب من الانصيادت أحياء ما لا يصعبه أقوى جيوش وأكثرها عدداً وعدد ليحطم هذا العدد الثقيل فيها بحمله من عزيمة وتصميم على الشر والطغيان ومعانف لعي ولعدو، وعدم داء دم كيف يموتون في مملته الخالدين

كان أبو عبد الله الحسين (ع) يسير في الشهادة التي لم يجد وميته غيره في تحفظ شريعة حده ورسائله بما كان يحفظه من حرب لأموي الحاكم الذي سحر جميع طاقات الأمة وإمكاناتها وفنائها بقصص عبيهاً وحررها كان يسير في الشهادة ومن حوله عشرون شاباً من أخوته وأبناءه وبنات أخيه الحسن السبط وأخته العفيفة

بطله كربلاء وشربكنه في جهاد والتصحيات واحقاد حبه في طاب وما أسرع ان
 كثر قتلا الله أكبر في حبس من حربه من الشباب اصحراء قد نحوت مع
 بكبره وم يكن موقف يوجب التكبير فلا بد وأن يكون بكبره لأمر ما وهم من
 همومه أراد ان يسجد عنه مائة، ومع ان التكبير روعه في كل زمان ومكان فم
 يكن به من اروع ما كان للتكبير لحسين في سب اساعه وهو مصف في قنك
 لصحراء المديده في اهدف الاسمي والديه انبيا تحت سماء اعرى انصافيه، على
 رأس ذلك المركب كثر حسين فكذب بكبره لم يعرف الدويح أكثر منها دور
 تكبيره افتحمت بك لبه، ومص من صعد و صعد ثم انقوس وشم المصائر
 حبة ونحس على انطايين ولعائش بقرات محمد ورسائله

وما كان يعني لاكثر ذلك اسباب انبي كان يسر لي حب أبيه لا ان يسار
 أنه لم كثر يا ابتاه؟ فقال بعد حفت حبه فعن لي هاتك وهو يقول انصم
 يسرون والميا تسير في إثرهم فعممت ان نفوسنا بعيت ليه

بعد كان جواب احسين بوبه موحراً وتكنيه واحده لا سورة فيها ولا
 تمويه، انه الموت يتظربا على الطريق وسوف يموت ولا سنسلم بقطعه ولا هادر
 احمر واسلم على عباد الله والمستضعفين في الارض، وان لم يكن سا سبيل لي
 استباح ثوره عارمه بك عروش أولئك الطغاة بقوها مديده وستصر عليهم بهوه
 سلاح ولكن سيبد التوحيد هو بين أيديهم ورهن يراقت وهو ان يكون وحد
 اشوره ومن غير المعصوم ان تعلق هؤلاء السحير عو لوفهم ربهوم هم ثلاثين اعد
 من ربحهم، من باستعدك ن نقب الدنيا على رؤوسهم اذا صحبنا ولنت في
 سبل الاسلام ورسائله.

وكان احسين وهو يلقي مصامير كنيه هذه على ولده علي الاكر اس
 بعشرين وأشه ناس بحبه ارسور (ص) حلقاً وخفأ يريد ان يسمع رأي ولده
 الاكر، ولم ينظر لإدم طويلاً حتى سمع جواب شاد اندي بده بقوه. يا متاه
 لا أراك نك سوه أولك عن الحو، هذا هو القول لفصل عند عبي بن أبي طالب
 وأحائه شيوخاً وشبان وساء ولقرر لاوب والأحر مهم يسعون ان حق وبحرة
 أنظر وسحر كوي في عارهم، حيث يكون الحو فهو هب فهم وعائهم مهم كنههم
 ذلك من جهود وتصحيات

وسب على الحو يا أبيه هكذا كان جواب الاكر بن بعشرين لأبيه وكان رد
 احسين (ع) عليه بلى واندي انه مرجع البعد، ورد عليه الاكر بقوله ادب لا

سألي بالمرث ما دعنا نغوث محمدي

إن الحسين (ع) م يكن يستهزئ من ولده شبيه رسول الله عبر هذه الخواص
ويكنه م بثمانك لا ان يزعمو بمثل هذه الروح بني يحملها شاب في مضجع شبيه فرد
عليه فمثلاً: جراك الله من ولد خبر ما جرى ولداً عن والده

ان عبي الاكبر بكلماته هذه م يكن يعبر عن نفسه وروحه حاصه بل كان
يتكلم باسم الشباب العشرين من حفاة بني طيب وكان يعلن قراره الاحير الذي
هاجرو من المدينة لأجله وكان في طبعه اوشك الشباب العشرين او السبعة عشر
العباس بن علي أكبرهم سناً وأنتهم حبان وأكثرهم من سناً بالحروب والمعارك وقد
أدرك معارك أبيه أمر المؤمنين مع خوارج البصرة وصفين وجرول وحضر نفسه مع
ونكه م يمارس الحروب على أشهر الرويات، وكان الى جانب ذلك م قد لبصيره
صلب الايمان ينص في حمله ابيه الحسين وولائه م قد أعد الله له منزله يوم
القيامة يعطيه عليها جمع الشهداء ولصديقوه كمن جاء ذلك عن الإمام الصادق
(ع) وكان له منزله عند الحسين (ع) بسبب لأحد من حوثة وولده محبة حب لأح
لأبيه والوفاة لولده هذا مع العلم بأن بعد من مؤهلات والصفات المعصية
م يجعله محب لكل عديده، وقد أوكل الله لحسين (ع) هذه المعركة وأعطاه لواءه،
وكما تكلم عبي الاكبر باسم لطالبيين جميعاً كان عباس بن علي (ع) يتكلم
باسمهم، فقد تكلم باسمهم عند غرض عليهم من ذي الحوش لأمان بالروح
بعضها بني كان يحملها الاكبر وغيره من الشباب، وقال له نعمت لله ولعن منك
اتوعدا وان رسول الله لا آمن له، وكانوا يكررون تصميمهم عبي للصحية في
سبيل الحق اندي بمشه الحسين (ع)، في كل مناسبة يستدعي ذلك ويتكلم باسمهم
العباس (ع) وعندما جمع حسين أنصاره وهن بينه وأذن لهم بالانصراف مثلاً
ان تقوم لا يريدون عيري وقد أدت لكم بالانصراف في طبعه هذا اسيل والمحمود
حلاً وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيته، وكان أول المتكلمين باسم
أولئك الشباب العباس بن علي (ع) فقال ولم تفعل ذلك حتى بعدك يا ابي عبد
الله لا أرب لله ذلك مد، ونامعوا على الكلام بالروح والبيعة نفسها التي تكلم بها
العباس وفي اليوم العاشر من المحرم اليوم الخامس الزهبي كان الشاب أحقاد بني
طالب يتسارعون الى موت سارو حهم القبيصة السحية بالمد والعداء في سبيل
الحسين ورسائله وأراد العباس ان يتقدمهم فم يسمح له الحسين (ع) فمهم أخوته
الثلاثة اندي هم لأمه أم ابين وقال هم. تقدموا لأحسكم بين بني الله، وتقدم

بعدهم علي الأكبر وهو يقول.

نحن وبنت الله وبنا سبي ونه لا يحكم فيه امر السعي
أصرت بالسيف احامي عن بي صرت علام هاشمي علوي
وتدولنه لسيف ورمح من كل جانب قصم حيوفهم ورمحهم وأدى
للطولة حقها ولشهادة كرامتها، ونال الطالبيون من بعده شرف بعد شرف دواع
عن الحق والعقيدة وكرامه الاسان ومبادئ الاسلام، عشرون شياً من سبل أبي
طالب وأحفاد علي وعقيل رفضوا ذلك وهو من الحياة ومشوا في الموت بأدب شامة
ورؤوس مرفوعة عالية للحياة الاسلام من البثية راحله الرعاء التي كان لواؤها
يومذاك بيد حميد هند وابي سفيان أعداء الاسلام لئلا يرفعهم عن الاسلام
عام الفتح، مشوا الى موت من نحن الرسالة اني كان حدهم أبو عبد الله سامع
عنه بشخص بن حبه محمد بن عبد الله ويحفظ أبا سفيان وحره بقوه

كديتم ربيت لله بحلي محمد وباطاعني دونه ومساصل
وبنصره حتى نصرع حربه وبدهل عن سائب وخالل
من أبا طالب عليه السلام حبي أشد هدير اليس لم يكن يقصد نفسه
خاصة ولا جيله من الهاشميين بل كان يقصد كل هاشمي من سبل عبد مناف
ويحاطب كل حيل من أحفاده ومخضهم عن نصحية بأنفسهم وبكل ما يمكنون
عنده يروى رسالة محمد ونهجه معرضين عن تحريف والاستغلال، وكأنه كان ينظر
من وراء العيب الى رسالة محمد (ص) والى لا خطر من بعده من أحفاد أبيه
وأبي سفيان وينظر الى الشباب من أحفاده يهاقبون على أبواب في سبلها كأنهم
يعانقون عادة حسنة فوقف مره وثبت المشاهد بمرور

وبنصره حتى نصرع حربه وبدهل عن سائب وخالل
لقد بعد أحفاد أبي طالب كل وصية ووفهم بصلون وقد فعون عن رسالته
محمد وبعلين محمد (ص) بالروح بسبها والعزيمة والايمان بي كان حدهم أبو
طالب يدفع وينصل بها ويقول لأبي حبه

ولله أن يصلو ليست بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان انبياء دينا
لقد دافعوا وباصدوا عن رسالة محمد الممثلة في شخص حميد الحسين
وصحوا بأنفسهم في سبلها بركين بعلل والتاريخ دروب عه مثل وانهم يستهم
بها لأحياء كل معاني الخير والسبل وانفصيه وسبق مرفهم في سبل الحق

واجبهم مثلاً كرمياً نكس نأثر على أسهم و عود و لطمعان و حث مشاء الله
 ورحم الله من قال فيهم

ولم ير عيني مثبهم في رماهم ولا قبلهم في لاس إد ب : لهم
 أشد شرعاً و سيوف لدى اسوعي لا كل من يحمي الدرع مفرع
 وقد صبروا للصرع وللعن حسراً وقد نزلوا لراى ذلك نافع

وقال بعض شعراء العرب في وصفهم ووصف الانصار :

سب ورحي هبة ، تطحن شوسها روحه لصحي في بقعها مسب
 تهل بشر بالفرع وجوهها وكم وحبه صرع هاله عند ظب
 وتلدن حاءت ها سمر تشوي وينبص ان صلت لدى انصر تطرب
 أعمر ، لا سوى لرقاب مفساح ولا من اسوف في لكرهه بره
 وما سوى بعفاء نافت موسهم وم سث في ثي : سوى امر مرع
 هاسينهم يوم اسوى عطر لدع وديهم من جودف الدهر خصب
 وما سرحت تعري موصي حومها ومن دمها السمر العوسل شر
 الى ن عات كالكوكت في لثرى ومن بعدهم ي بنت ما لاح كوكب

وسلام الله على حسين وأنصاره وعلى جميع من سشهد معه من أنصار بني
 طالب حين ولدوا ومنتشهموا : حين يعلون مع الانبياء وصدقيهم ووجههم الرسوب
 الامين ورحمة الله وبركاته

وتسمى على شبات الدين يشنون الثعور من الاستعلال : لاسعد والسنط
 ان يرجعوا الى تعاليم الاسلام وسيرة أهل البيت وى مدرسة كربلاء وشباب
 كربلاء الذين كانوا ثوره عارمة على الصيم ونسبط والاسعلا واسعلا لاس ب
 لاجيه الاسان ، وسوف يحدون فيها ما يعيهم عن بك مبادى : اسرده من هب
 وهب : ولى تطوي على اسو اسوع لنسبط وسنهاد الشعوب وحق الخريبات
 باسم لتحرر واعدائه والديمقراطية وما يى ديك من الشعراء برفقة حبهاء بني
 يصدلون هب لريش من الشباب ، ومنه سحنه سمد هم اخذ به والوعى ه
 قريب عجيب

بطلة كربلاء زينب بنت علي (ع)

لقد حدث الناس عن الطولات طويلاً وكثيراً ومعهم لم ينتصروا في غالب
 عن تحذيد معين لمفهومهم ومفهومته وأسبابها فهم يلتفتون في أن هل البيت (ع)
 يكون في الطبيعة بين أنطال ساريج، وإن زينب بنت علي وعظمة تأتي في الطبيعة
 بعد أبيها وأخوتها كما يشهد لها بذلك تاريخها الجليل بكل أسواع لظهور ومصيلة
 وانصر في شذوذ، وليس معرب على تلك الناس اعملاقة لي نقت فيها
 الأنوار الثلاثة نور محمد وعلي وعاطمة، ومن تلك الأسوار تكونت شخصيتها و
 محمد بجوانبها حصائص البوة والاممة وأمه الزهراء التي امتازت بفضائلها على
 ساء العبيد، ان اللسان يعجز وان اللغة لتضيق عني سعة مفرداتها عن التعبير عما
 ينهوي عنده الأسباب الروحي بترك من الشعور بحر مرأة كبيرة والقذوة العظيمة
 اية علي والزهراء التي عر نظيرها بين ساء العرب والمسلمين بعد أمهم رسول الله
 النساء التي تمت بلموت حسن شرها به الرسول بقوله أنت أول هلي بقي
 لخرقاً به

ان المقام لا يسع للامام بحياة بطلة كربلاء زينب بنت علي في عهود الطعونة
 والصبا والامومة وكف مشات طعمه وشبه برعايه امها الزهراء وأبيها الوصي في
 بيت دوج كريم من كرام ال أبي طالب وبعد ان اصحب أم الأمر عذتها بتعاليم
 لاسلام وأخلاق أمها وأبيها وعسما رحل أحدها إلى الشهادة سركت بيتها تحت
 الخطى خمد في رحلته إلى موت وشهادة بتعمم ارحمال معاني الرجوة وكيف
 يبرون في مملكة الجلايين

من مفسد لا يسبح لإعصائه فكمه كفية عن ذلك العرس سطت وكيمه
 وتكمل مع موه حتى تبع أشده ومهص بأعباء مسؤوليه لعظمى وأدى دوره نكاس
 عدم ومعتت بذلك المأساة البكرى لبي حلت لعنوين ولطالين والهاشميين على
 تيراب كرملاء وكيف استطاعت أن تتحمل بذلك الصدمة وتقوم بدها نكاس
 بالحكمة ونصر أخميل، ذلك الدور الذي يمثّل أسرى درجات البطولة وعلاها
 لقد تست في ذلك الموقف كالطود الشامخ بارقة على سرب كرملاء ثمر مسرته
 ومواقفهم بين تلك الأصحابا لبي لا تر، حديث لأحياء ومثلاً مرياً لكن شاعر على
 الظلم والحق وسمراء التي حملت على عاتقها رسالة أحياء ببلغها بالأحياء وتعددهم
 كيف يشرب في أشدائه ويمدود الخطوب

نقد كان عوين النساء وصرح بحبه وصحيح، المنطقة كلها بالبكاء وسباحه
 كصلاً ما يهد أقوى لأعصاب ويجرم أفصح لالسة والخطباء ويقعد بأكر رجاء
 حتى وموم يكن يتصل بتلك النصحاء بسب أو سبب فكيف من هو من أهل
 البيت وقد رأى من حل سبه وأخوته وأساء أخوته وعمومه وأحسن بثقل المسؤوليه
 وحسانتها.

في ألبية العاشرة من المحرم كانت ربة ماهرة لعن تتحول من خيمة
 الخيمة ومن حياء إلى حياء ومن طفل إلى طفل وفي بعض ساعات الليل ضربت على
 حدم لرجاء فلم تسمع بها صوتاً وكأها حائلة لم يبق بها أحد، وذهبت إلى خيمة
 أخيها الحسين فوجدتها قد مكثت فأمرعت بدخلها فرأته حالساً وحده يسبحي ربه
 ويتلو القرآن فأخبرها أن لا تعد معه أحد فمضت إلى خيام أخوتها وبقي عمومها
 لتعانيهم على ذلك وما كادت تدنو من خيمه حبيها العباس حتى سمعت همهمة
 وكلاماً حبيباً وعضباً خفيفاً فوقفت بظهر الخيمه ونظرت فيه فوجدت الرجال
 والفتيان والعساكر من الهاشميين قد اجتمعوا كل لحفه على أخيها العباس وقد حث
 بينهم على ركوبه وكأنه أمداد هل غريسته وهو يقول:

يا أحمق وبني أخوتي وأبناء عمومتي قد كان الصباح قد تقولون؟ فردوا عليه
 بأجمعهم لا امر اليك فانظر ماذا ترى ونحن صابحون، فقال من أصحابه وشيعته
 قد نسو أنفسهم من أجنبنا وإن الخمل ثقيل، وأخمس انثقال لا ينهض به إلا
 أهله، فإذا كان الصباح أرى أن يكون أول من يدرى في الحرب لئلا يقول أحد منهم
 قموا أصحابهم فبطلوا عداوتهم لموت بأسيدهم ساعة بعد ساعة

وم يته العباس من كلامه حتى وثب سو هاشم كالأسود من معاقله، وسلو
سيوفهم يلوحو بها قائمين نحن عى دنك يا أبا الفضل وسوف لا نسمح لأحد
أن يثمننا إلى القتال فجزأهم العباس خير .

ورأت ريت كل ذلك علم ثلث عبرتها وأطمأنت لذلك مصعب وم ثلث أن
أسرعت إلى حيمة أخيه لتبشره بما رأب وسمع، وهي هي في طريقها إليه مسرعة
من وراء الخيام مرت إلى جانب حيمة حبيب بن مظاهر فسمعت دوا وكلام حبيباً
تأده وغصاً تحتقاً أخرى فوقفت إلى جانبها فوجدت أنصار أخيه قد اجتمعوا
كخلعة حول حب وقد حثا وحثم بينهم وهو يقول: يا أصبح يا إذا كان الصباح
فيما تفعلون؟ فردوا عليه وثنين الأمر ليث يا ابن مظاهر

فقال: إذا كان الصباح كما أول من سرورى اتصال لسو بني هاشم إلى
الموت ولا ترى أحداً منهم مصرحاً بدمه، وحتى لا يقول الناس إن بحسبنا عنهم
يا نفس، هل الأنصار سيوفهم ولوحو بها إليه قائمين نحن على ما أنت عليه يا
ابن مظاهر

وطلقت ريت وهي تبتسم وقد عمرها السرور وطف منه عى وجهها أثر رة
عبيه لمحة من سبائه وانطلاقه ومضت تريد الحسير (ع) تبصره عما سمعت من
أخوتها والأنصار، وما هي لا حطرات حتى رآته مقبلاً دبست إليه وبصاها
قابلاً مد أن رحل من المديح ر رأيك منسمة ولا صدحك فما الذي رأيت؟

فقلت: لقد رأيت يا أخي من بني هاشم والأنصار ما سري، وفصت عبيه
ما سمعته من الصرغين وضعت العقبلة لينها نك سهره العى ستقر من حيمة
الخيمه بين النساء ولا طفال وأصوت حتى د أقبت صحوة انهم وسقط أنصار
الحسين ومن كان معه من سبه وأخوته وأباء عمه صرعى عوق رمان كربلاء وجاء
الحسين (ع) ليؤذع ويرشد إلى جديه كالمهولة هناك مهلاً أحبه لا شقي على
حيب ولا تخمشي عى رجه ولا تشمي بي الأعداء، وأوصاها بالعبال والأطفال

فقلت له: طيب نعمت وقر عيب دنك سحدي كى تحب، ثم خرج ليركب
فرسه ويرسب أحده برماده وانطلق نحو الموم وعبود النساء ولا طفال شاخصة إليه
وهم يفرون بين يديه وظل يقانهم ويصانبره وسهامهم تبال عليه حتى أصبح
كالممد من سهام وبنا سقط إلى الأرض وسطرب إليه العصابة وقفت على جسده
وصاحت تستغيث بحدده وأبيها، وأوشكت أنصرحه ن تنطق من حشها للاله

عندما رأت رأسه مفصولاً عن صدره والسيوف والسهام قد عبثت بجسمه وقلبه
ورصب الخيل صدره بسانكها ورأت أحوتها وبها رأسه أخوتها وعمومتها من
حوله كالاصاحي ومعها دقله من نسساء والاحتيال وأمامها صفوف الاعداء تملأ
صحراء كربلاء، ومدت اعقوبة يديها وقد احسنت هرة الحزن وأرجفت رعدة الالم
المداح، مدت يديها تنصعهم تحت حشيه لظهور ريمت يبصرها السوء لتند عن
فمها انظار عبقة من بعض الخلود ناحي رب وتصرع ليه فائلة اللهم تقبل من
هذا المربان

وهكذا كان على العفيدة ان تعد وصية ابيها وثبتت في مثل هذه الحالات
وألم تحمل قد كفت ايها في عمار جولاته وتقف كالطود الشامخ في وجه هؤلاء
الانبياء وقوموا في جانب بريد وحلاديه واتموا على انتهاك الحرمات والمقدرات
وباعوا صيائهم لاوثك الطعنة بأبحس الأنيان

ويقطع الحادي الطريق من كربلاء الى الكوفة واسباباً على اقصاب الجمال
تقدمهم رؤوس سبعين أو ثمانين من الانصار وعشرين من العدويين بينهم رأس
الحسين سيد شباب أهل الجنة. ولما دبت ضلالت الموكب من أطراف الكوفة اردحم
الناس في الصفوف والنساء على سطوح المنازل ولم يكن بأ مصرع الحسين قد انشر
بين من الكوفة نشاراً عاماً وأشرف امرأة من سطوح بيها قرأت نساء حاسرت
أرؤوس ومن كالمربيات لولا أسهل تقص بها، فظنت امرأة من من عصابة ابروم
وأرادت ان تسوئق نفسها من النظر، فلقد طمأ رأب مواكب من مسابا ابروم
والبرق نمر بالكوفة ولكن لم يره على مثل ما رأت من الحزن والموعة ولم تر قبل
ليوم امري من الصبيد يشدون بالخيال على اقصاب الجمال كما رأب اليوم تنك
لقافية من الصبيد ولاطفان، وأدبت امرأة رأسها من إحدى النساء وقالت ها

من أي الأسارى انت؟ فمالت لها نحن أسارى أهل البيت من آل محمد
وما كادت امرأة تسمع قوله حتى صرخت موبولة وكادت ان تسقط من على
سطحها وانصب الى النساء اللواتي على سطوحهن وقالت: ايها النساء أهل
بيت، وعلى الصباح من جميع اسوه حتى رحت لكوفة وبعت بوحية صرخات
متتالية كأنها لعواصف في أرجائها وشتت السوء بالموكب بقدر على الأرز والمقايح
يتسترون به نيات علي وعاصمه عن أعين الناس وغصت الطرقات بالرحال والنساء
بيكون ويندون.

واشتتت ابيه علي وفاطمة اليهم يبصرها الدمد وأومات اليهم ليسكنر لتقول

كلمتها فلم هذات الاصواب قالت . أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الحنبل والعصر
أنكروا فلا رقأت الدمعة ولا هذات الزينة ثم مثلكم كمثل أبي يعقوب عرما من
بعد قوة أنكاثا، ألا وهل فيكم إلا لصبغ وخلق لإماء وعمر لأعداء لا ساء ما
قدمت بكم نصكم أن سحق الله عليكم وفي العذاب أنتم حاندون، أنكون
وتسحبون، أي والله أنكون كثيرا واصححو قليلا فبقد ذهبت بهاها وشارها بعد
أن قنتم سبل حاتم السوء ومعدن برسالة ومسد شهاب أهل خنة وملاذ حيرتكم
ومفرع مريتكم إلا ساء ما تزررون .

ثم تمضي بحف بها أمؤها يصمها نجس أن رباد محسن منكرة مطرقة
كاسمه في ذلك النجس اندمى، وأمام بن رباد وهو ينظر إليها بسمة المستر
«ساحر شامت ويسأل من هذه المنكرة؟ فلا ترد عليه لا هي ولا أمارها حتمار
واردائه شأنه ولا مديته، وصل يلح في سؤاله حتى أنبرت إليه بعض إماءها وقالت
هذه ربيب بنت علي وفاطمة، فيسطلق عند ذلك بكلمات سم عن مؤمن وحده
وحسنه الحمد لله الذي فصحككم وأكذب 'أحدوثكم، فرددت عليه عريضة
لنسطانه ولا لخبروته وصعبته وقالت .

الحمد لله الذي أكرم بنيه وظهورنا من الرحمن بظهورنا ثم يقتضح لغاسق
ونكذب العاجز وهو غمر فكسك أمك يا لئلا هو حانه .

فقال لها وقد أسيد به أخفد ولعصب كيف رأيت صبح الله بأحبيك و هو
بيك؟

قالت ما رأيت إلا خيلاء أو تلك قوم كتب الله عليهم لقتل عمروا إلى
مضاجعهم وسيجتمع الله بيك ويبيهم فتحتصرون عمله فانظر من يفتح يا من
موجاهه .

وحاول أن يمد يده بيها بالأسى وكان في جانيه عمرو بن حريث فقال يه
وبين دث ولكنه اندفع بخاطرها بلعه فخرقه الشامت وقال فقد شعى الله قلبي من
طاعينك الحسين والعتاة المردة من أهل بيتك

فبكت وقالت لعمرى فقد قنيت كهبي وقطعت فرعي واحتشيت صبي فان
كان في ذلك شىء ذلك فقد اشتعيت، وأراد بن رباد أن يقتل علي بن الحسين رين
العائدين لأنه رد عليه محدياته لعنه العقيلة زيب وخرشه م وقال له أبك جبرأة
عن رد عوبي، وأمر جلاديه أن يمسوا عنه فألقت بنفسها نحوطة وتحميه وانتم

حوه نساء حتى لا يصل أحد اليه وقالت لآل زيات حسنت من دماثا ف
 معك وب أردت قتله فاقبلي معه ويسهي خور سبها عند هذا الحظ ليتفضل ابن
 زياد بالحديث والتحدثي لمن في مجلسه من وجوه شيعة البربر، ثم يأتيه البريد
 بكتاب يريد أمره به أن يحمل بلاء والرؤوس والاطفال إلى قصر الخضراء في
 دمشق فيسر الخداة بموكب اسبابا وارؤوس في حيث ابن معاوية بالشام ويصفي
 ولتلك الخداة المعلاط الشديد بموكب في عساف ودهاق في ثيل ولها أن يقطع
 مسافة في عشرة أيام وما كان ينقصها ناس من ثلاثين يوم لو كان يسير كما اعتاد
 الناس في أمصارهم

وودت ريت ومن معهم من لسيابا لا تتبع نرجنة من غديها وقد
 كدهم ان يركب سفرات بين أهل الكوفة وهما هي ومن معها من النساء سيرن
 لأهل الشام وكثهن من مبابا نروم او الديلم، لقد كانت العقينة وهي في مصلح
 صاه اذا ردت في نهب ريده قد حدها في المدينة مذهب في سترين من ثوب
 المسيل عبيد وظممة النيل بين أحويا الحسن والحسين بتقديمهم أبوها أمر المؤمنين
 ليحما صبره المهادين حتى لا يرى شخصه من في مسجد الرمسون وأكثرهم من
 أهل ودي فريده، وهما هي بدخل بالأمس عاصمه العراق ساعرة مهندة الثياب
 في وصح النهار وعن أعين العرباء والاعداء، وهي اليوم في طريقها إلى عاصمة
 يزيد في بلاد الشام بفره شام الخلفة التي لم يركب لها جيش من رماة في كربلاء
 عبره، وأنت هي والنسوة إلا أن تسير في طريقها إلى الشام في آخر موكب وموكب
 الرؤوس أدمهم حتى اذا مروا في بلد بتلهم اساس بالنظر إلى الرؤوس عهن،
 وعند مشرف الشام حاولت مع بن ذي الحوش قائد الموكب ان يدخلهن الشام
 من طريق قبيل البصرة وأن يسجن عهن موكب الرؤوس فسم تمنح وأمر بإخراج
 الرؤوس من حاميل وأن تجعل على اعراف الرماح وفي وسط موكب النساء وأن
 يجرهم في الطرقات لعامة حافه باخيه من ان يبلغ موكب هذه المسجد حيث
 الخياهر تنتظر موكب لأمرى ورأس الحسين وأصحابه عن رؤوس الرماح، وأكثر
 تلك الحشود لا تعرف عن ذلك الموكب شيئا

ويمر الموكب الحزين بسير أهوب واخيه من حوه ف بين سرود الخاله
 وموجع لمره يصم العقيلة بحسن يريد ورأس حسين ودهراء بين يديه يكت
 ثبابا وهو في غمار المشوة محصره ويتمثل بأيات ابن الرعي

ليت أشياحي يسير شهدو حرج الخروح من وقع الأسل

لأهلوس، واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتل المرم من ساداتهم وعدلناه بدر فاعتد
سميت هاسم بالثك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
سنت من صدق ن لم انهم من بني أحمد ما كان فعل

وكان على رب وقد أنه بشك اخله فرحاً سروراً يتمثل هذه لآيات لي
تصبر من حقه وتغصيه لخاصية جده وأبيه ووليتهما ويصت في ثناء أبي عبد الله
الحسين (ع) بمحصنه كان عليها ان تتكلم لتخرج ديب سروره وفرحه بكتابها بي
كانت أشد ومع عيه من الصواعق ووضعت الكثيرين عن كانوا يجهدون مكة
لاسرى ولا يعرفون عن صلهم بالرسول وعما جرى بسببه الحسين شيئا في حو
اله مع ابي تحملت مررتيه، وانتحت خطاياها بحمد الله ونصلاه على جده
المصطفى وقالت أظنت يا يزيد حيث احدثت عند أقطر الارض وأفاق السماء
وأصبحا ساق كيا ساق لاسارى، ن ب عن الله هو ساوئك عيه كرامة، ون
ذلك لعظم خطورك عنده فتمحت بأنفك وبظرب في عظمك حدان سرورا حين
رأيت الدي لك مسوسقة والامر متسه، وحين صدك منك وسقطت فمهل
مهلا أنت قول الله تعالى ﴿ولا لحسين لدين كتموا ن علي هم خيرا لانفسهم
اما علي هم ليردادوا اثنا ولهم عذاب مهين﴾

ومضت نقور وأبصار تلك الحشود المحيطة يزيد من مدوية شاحصة بيها
تذكرهم بمصون ايها ومواقفه بين المعسكرين في صفيين أهل عدل ب بن اطفاء
تخصيرك حرائرك واماءك وسوقك ب رسول الله سباء بد هتكت سنوره
وأديت وجوههم تحذوهم لاعداء من الله الى سد ويسشرفهم اهل سهل
وامعقل ويتصفح وخومهم القريب والبعيد والدي واسريه، ليس معهم من
حمائهم حي ولا من رجالهم وي وكيف برتجي مرفيه من لعنه فوه أكباد الاركاء
وست حمه من دماء شهداء، وكيف يسقطا في بعض اهل بيت من سطر اين
بالشف والشناب والاحس والاصعد ويقول غير ماثم ولا مسنعه

لأهلوس واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
محباً على ثانيا بي عند الله سيد شباب اهل الجنة فكثتها بخصرك، وكيف لا
نهور ذلك وقد يكاب لقرحة واسأصب شافة بارأفك دماء دريه محمد (ص)
وبحوم لارض من آل عبد المطلب، انتهت بشياحك رعت امك تناديهم فلترب

وشيكاً موردهم ولشردن انك شئت وبكمب ولم تكن فت ما قلت وفعلت ما
فعلت

هو الله ما قريب لا حذرك ولا حررت الا لحمت ولشردن عن رسول
الله (ص) فما تحممت من سمك دماء ذرته واشتهكت من حرمة في عترة وخمسه
حيث يجمع الله شملهم ويسم شعثهم ويأخذ بحقهم ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾

وميعنم يا يريد من سؤل بك ومكك من رواب مسلمين بشن للعديين بدلا
وايكم شر مكاناً وأضعف جداً

ومعنت في خطها سوحه أسوأ أنواع استحقير والتفريع حتى سطرث على
مجلس عطفها وأسلوب ارائع وقال: ولش جرث عن السو هي مخاطبتك في
لاستعصر قدرك واستعظم تفرعك وأسكتر توبحك ألا فالعجب كل العجب
بقتل حرب الله لعجبه بحرب لشيطون انطلقه فهذه الايدي مطب من دماء
ولا فواه تحلب من لحوماً وبك اخش لطواهر لراكي نسب العواسل وتعفرها
أمهات لمراغل ولش نخدت معها شحداً وشيك معرب حين لا تجد الا ما قدمت
يدك وما ريك بظلام سعيد، فك كهدك وتنع سعيت ودعت جهدك فوالله لا
تحو دكرها ولا ثميت وصت

لقد دخلت ريب شت عن وفاطمة الى عاصمه الخيلادين وأطبقت رسالتها
داعه صوتها الى كل من هم عهد مع أهل هد السب وك من أمر رسالة محمد
في كل عصر وجيل وأرض ووراءها فافه من الأسرى وأمامها صفوف العدو تملأ
لأف وشد طريقها وكب مسؤريتها النرجية تكبرى هي كمال الرسالة وإتمام
اميرة دسان من صنعت الستهم سيوف الخيلادين ودخلت مدينة الخريفة عاصمه
انقهر ولطش والسكين دلابرياء واصبحه وهناك دفعت صوتها اندري في أعماق
التريح لتفون أيريد من ميسور بكل ما في الاستحفاف ولاحتصار من معنى

ولش حرب عن الدواهي مخاطبتك ان لا تستعصر قدرك وأستعظم تفريعت
واسكتر توبحك ألا فالعجب العجب بعنل حرب الله انشعب بحرب الشيطان
انظلماء.

ان مأساة تشكك الشطر الثاني من مأساة احب احسن فمن صر لا يطيقه
أحد من ناس الى رعاية لسيبها من الأرامل والأيتام وبضال دون اسفیه انباقة من

آل الرسول واحتجاج وخطبه واستنكار سحق اقيم والحق وعمو ارسالة من
الادهان، وهذا وذاك لقد آلت مسلمين على الطغاة والفسلين وصعقت كبرياء
الحاكمين المستبدين وتحدثت ذكرى تلك المعركة المزعجة لاشياع آل أمية وامثالهم
من لظلمة وفراغة العصور ما دام التاريخ . وعطبت هي وحوتها وتصارهم على
ثرى انطبأ بأحرف من اسور الوصاح الذي يمسد طبقات الليل لهم ان دونه
الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة .

لقد شاركت أحفاد الحسين في جميع مواقفه من لظلمين ورجعت من كربلاء
حاملة لرسالة أخيه لترصلها لدرجات النساء من الاجيال في كل أرض ورومان
بالرغم من ضجيج الجلادين ووعيدهم فكانت انقدوه لتي معلّم الرجال من سيرتها
ومواقفها الخالدة معاني الرجولة، وتحمى النساء كيف يتحصن من فتن الاعراض
الخبيثة التي تدهم من حروفهم ومن دهاليز احصاره الجديده التي تقتحم العصور
بمفاتيحها ومعربات والتي تستل القيم والاحلاق ولا ديان من النعوس والنعوب بالوانها
البرافه، وان مرفعه في كربلاء والكوفة والنجار وعاصمة الجلادين دمشق قد
احدثت هزة من أعنف هزات ما كانت لتحدث لولا تلك الرسالة التي صحصت
الحاكمين وفراغته العصور من بني أمية وعبرهم من الطغاة والظالمين .

فأين من ريب وأخوات زيب ساؤنا ليوم وفل اليوم، انصائعات في
مناجات الحياة مجنا وعزيمة صبرا في الشدائد ولا حول وتمسك بالقيم وتعاليم
الاسلام والاخلاق انكرمة العاصمة، وأين من أصحاب الحسين واصفاه من
يدعون التشيع في عصرنا الحالي ويردون في مثل هذه المسائل : يا ليتنا كنا معك
نمقرز فوزاً عظيماً، بكنيات تجري على السهم وهم في واقعهم من أبعد الناس عن
الحسين وجد الحسين، ولو وجد في زمان هذا من يسر على خطي الحسين ويوقف
من لظلم والظالمين وحدهليه لقرن العشرين موقف الحسين من جاهلية الامويين لا
يجد من يضحى نفسه تضحية أصحاب الحسين ولا من يناصره، وسلام الله
وتحياته على ريب وأبيها وأخوتها وجميع ثائرين على الظلم والخور الى ان تقوم
الساعة

وكما احتلف الناس في رأس الحسين أين دفن وكيف استقر في الأمصار
ولا فطار لتي تدعيه وتهدس البند الذي يرمز اليه احنلوا في مرقد العقبة الكبرى
بطنه كربلاء بين المدينة واشدم ومصر مرجع جماعة انها ماتت ودفنت في المدينة الى
جانب زوجها عبدالله بن جعفر وكند ذلك البند الامين في اعديه، وتحدث عنها

وعن مواقفها وصولاً لها عليها «فقرين الثالث والرابع وعن رجوعها من الشام إلى المدينة ولم يتحدث أحد منهم عن خروجها من المدينة في أي سنة أخرى.

كما رُجِحَ جماعة أنها ذهبت في بلاد الشام حيث قبرها الآن وأن روحها كان يملك صبيحة في تلك منطقة فرحل ب من مدينة أيتها وبقيت فيها ودفن حيث المرقد بسبب اليها الذي يؤمنه مثاث لالوف من أثر قرين في كل عام.

ورجّح آخرون أنها بقيت من مدينة دامر من يريد من معاوية بعد أن أحس بأن بقاءها يشكل خطر عليه في الحصار فحسارت مصر + ذهب في مكان يعرف بالقسطاط حيث يسب إليها ذلك المرقد الموجود هناك الذي يقدمه مصريون، كما يقتبس الشيعة قبور أئمتهم الأعلام، وتم تدوين اليه من جميع أنحاء بلاد كما رُجِحَ ذلك ابن عساكر في تاريخه وعمره. ^(١) وقد حصرني هذا البيت وأما أحاول أن أنتم حديثي عن مرفدها ومشوها.

لا سطلوا مشوى الشمسينة في شرق أرض و مصر ودعوا البلاد وعسرجوا بحوي عسرجوا بقي

(١) أنظر كتاب بيت علي بن عبد الله بن سيد لأهل ورسب الكرى لشيخ فوج القضي

ماذا بعد مجزرة كربلاء

قد حدثت تلك المحزنة هزة عيفة في اعداء الاسلامي لم يعرف المسلمون في تاريخهم الاخرى ملاحقات أعنف منها ولا حادث من الاحداث كان له من لآثار العميقة في النفوس والعقائد وحياة لسياسية ما كان لمحزنة كربلاء

ولا يحسد ان في كل ما حدث شيء من تعزية لأل المسلمين على ما بينهم من حلافت في لبرعات والاتجاهات بقدرهم للحسين مكنته في الاسلام وصلاته بجده صاحب الرسالة وقد سمعوا من النبي ما كان يقوله فيه وفي أخيه الحسن وكيف كان يعامله في محالته العامة والخاصة وأحياناً كان وكأنه ينظر فيها راء العيب الى ما يجري عليه فيكي يسكي مسلمون لكائه، فليس بعريب اذا ألمب مصرعه عن لبحر لدي وقع عليه المشاعر وأرهف الاحاسيس وأطلق الألس وتترك في نفوس المسلمين أثراً حزيناً دائماً يجمع نفوس حول هذا التست الحكيم

وفي رزية عذبت حسبيماً عبدة بيته كسفا مسان نعم ليس بعريب اد اسعظم اساس على اختلاف ميولهم وبرعاتهم هذا لتكوين الشائش بعرة الرسول الامين (ص) وصلاته وصدات كده وقره عيه ورأوا فيه كهرات لحقه وتعرضاً لعصبة وامتهان لكرامته

ماذا نقولون إاد قال النبي لكم ماذا فعمم واسم آخر لاسم معترني وباعني بعد معتمدي نصف أسارى ونصف مخرجو بدم ما كان هذا حراني اذا بصحت لكم ان لمصوي بشر في ذوي رحمي فهذا وأمثاله قديم اسانحوت في جميع العواصم الاسلامية يذهب الحسين

ومن قتل معه من نبيه وأخوته وأُصهاره ويكفي مصارعهم ومبا حوى هم من حبيد
أبي أسفيان وحلاديه وانصفت لالس الشعرة قرثيه وتصور أسف لبي (ص)
عليه وهو في قبره وحربه الممب على سله واحتجاجة على أمته اني لم تحفظ له حد
وم ترع به حرمة، ونقي على الامويين مسؤولية حرمتهم ومروهم من الدين
واسهاكهم جميع الحرمات وتقديسات

لقد هال ناس هذا الحدث خيل حتى الامويين أنفسهم فأقصص مصارع
وأدخل تعقوب وأوتسم في لادهان حتى اصبح لشعل لساعل سجي هير وحديث
اليودي ومسرحة للحيلات، وادعى الس في مدينة اسم سمعو هاتف بقور كما
جاء في الطبري وس لاثير

يب القتلون جهلاً حسباً أنشروا بالعداء والتكبير
كل أهل لسياء يدعوا عليكم من سي وملاك وقيل
قد نسعهم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الانجسيل
وراحو بتصورون لمدة شهرين او ثلاثة كأن الخطان تنطرح بالسماء ساعة
تطلع الشمس حتى ترتفع كما جاء في تاريخ الصري أيضاً

وردوا عن سور روجة خوي من يريد لاصبحي بها قال له بيلة دخل
لكوه برأس الحسين (ع) وأدخله عليها لقد جاء لس بالذهب ولقصعة وحتى
برأس الحسين، وكان قد وضعه تحت جانة في صحن اندر فقامت من فرائشه
غصبي وجرحت الى الدار قرأت برراً بسطع مثي العمود من سماء الى الإحانة
وطيوراً بيضاء تعرف حواء

واسفل الشعراء هذا الحدث المنعج مروءة حربه شيء الاحاديث وصاعوه
بالون شعيرة داميه يهسرهم قلب مكنوم ثائر حزين يدعوا الى لثورة اندمه معف
وصراحة ويسجل تلك الاحزان المعديه في أسف وبوعة ماديا يا لثارات الحسين

وقد وصف ابن الطقطقي في كتابه المعري في الآداب السطانية والدون
لاسلامية تلك الفاحمة بقوه اد كان قتل أمير المؤمنين هو انظمة لكبرى عهد
لقصية حري فيها من اقل اشنيع واسبي ولتعتيل ما تعشعر به الجود، ولقد

(١) أنظر أدب الشيعة ليدكتور عبد الحبيب طه عن ابن الأثير ج ٤ ص ٤ والعبري ج ٢ ص
٢٢٣ و ٢٦٩ و ٢٦١

اكتسب بسط القلوب فيها لشهرتها فلعل الله قل من باشرها وأمر بها ورعي شيء
 منها، ولا حداث في ب عاسة مؤنة فقد وطئت لحيون صدر الحسين واجزرو رأسه
 ومثلوا بجثته، ويطهون قبلته على أسماء فكانت المرأة تتداع ثوبها عن ظهرها حتى
 تغلب عليه وتفي بدون سائر

وبعد أحسن المنون على اختلاف مفهوم ونجدهم من خيل لانه ومن
 نجاده وحى اندى قاتلو ودود معركة صده بالسم والخبثه فمد جاء عن عمر بن
 سعد به كان يقول لا مسل عن حلي فانه م يرجع عاثت عن مربه بأمر ثم
 رجعت به فقد قطعت امره القربة وركت لامر العظم كى مدم يريد على
 فله ونكى نكأ عابا وحبي عدم منك الروه يبتك المجرة غصيب نديك وكتب الى
 يزيد كتاب جاء فيه: لقد قتلتم ميا او ابن ظبا وعدوانا^(١).

ولى حسب تلك الآثار السيئة انصبيه التي حلقتها ثلث المحررة اسرهية في
 نفوس لمحرمي المستمة، فقد كان ما عظم الاثر في تقويض اسولة الاموية وعدم
 لاطمشاد بها وسعيت أعداء أهل البيت كذب سرير وأمثاله وحمل يند على
 يزيد والامويين ويرثي الحسين وأصحابه ويعلن عن الكوفة لخدلاهم ياه ويريد من
 معاوية وحبيح من شتره في فبسه، ويعلى عن عدم طمشه بحكم الاموي
 ويمول أنعد الحسين طمش الى هؤلاء لقوم ونصدي هم قولاً، أما والله لقد قتلوا
 طويلاً بالليل فبامه، كثيراً بالنهار صيامه، حتى كما هم فيه منه وأوى في بين
 وعص

(١) ص ٢٦ من المجلد الأول لمجلس والمساوي ببيته

استغلال ابن الزبير لمصرع الحسين

في سنة اليوم بساحة والربيع بعيد نفسه ، بعد كان موقف ابن الزبير من قتل الحسين أشبه ما يكون بموقف معاوية من عثمان بن عفان ، فمعاوية ومن الزبير من معدن واحد في الاحتيال والتعاقب لقد كان ابن هب يسمي قتل عثمان ليشتع به على علي (ع) ، وابن زبير ، بعد (رباح) وعدت نفسه لقتل الحسين لان قتله كان من أشد الاسحة فنك بيريد وبوله مع بعد المسافة من ابن عبد وبن وسور لله بعد كان معاوية يعمل بكل وسائله على انتقال السلطة من عثمان به وكان وثقا بأن الطريق الوحيد لإنهاء ذلك يتوقف على قتل عثمان على يد ثور في المدينة لكي ينسى به أنهم علي بن أبي طالب حدث ، فكان من أحرص الناس على قتله ويعمل بوسائله الخاصة وتجر بص الحرب لأموي في المدينة لإفشال جميع المحاولات التي كان يدها أمر المؤمنين للموفق بير ثور والخيلة وكان به م رد واحد من قتل عثمان وسيله للشيع على أمر موافق وتهمه منه وسولى بعد ذلك على السلطة كي ذكرنا حدث خلال الفصول بسابقه ووقف ابن الزبير الموقف نفسه من الحسين وكان خلال أشهر ثقلية بني أمية في مكة من أثقل الناس على ابن الزبير ومن يعرف عنه أحد لا من المكين ولا من البعود التي كانت يؤمها من مختلف الامصار خلال اومه الحسين فيها حرج الحسين منها وقرر وأحسن المسلمون ذلك الصدمه لعبيده متعن مصرع الحسين بلشيع على الامويين ، وما كان الناس يستمعون اقربه وتديد به الامويين وما ارتكبوه من جرائم مع ابن الزبير حتى استمروا عليه وحبوه يصلونه بأن يعصب بيعة نفسه ويعين نفسه أميراً للمؤمنين ، ولكنه كان يسمي عليهم بروي وينظرهم

معدم رعيته في هذا الامر ويلتجىء الى ابيته احترام في اكثر اوقاته حتى سماه الناس
باعتائه مانييت، كل ذلك ليظهر للناس رده في الدين والخلافة وليردوا به بعلقاء
وعن كان بلع عنه في الخروج من عرته المصنعة واعلان ابيعه له المحتدر بن صيله
التفصي، ولما بشر منه عادر مكة الى انطاف مسقط رأسه وموطن قبته ثقب وهي
عن مفرقة من مكة مع من الربير يرهف منها ما يجري من أحداث وتصورات عن
المرح السياسي في الحصار

وتوالب الاحبار على يريد باصباح ابن الربير وموقف الحناريين على ما بينهم من
حلاف في سرعات ولا تمهايات من دولة لامويين ومقمنهم عنه بسبب محرونة كربلاء
ابن اصبحت لاسلام في لضميم والتي كان من سائجها التفاهة حول ابن الربير
وانداهم عنه، فاستبد به بعصب وعاهد الله على ان يؤثفه بسنبله من الحديد
ويصع به وعن حوله ما صعه باعسين وابصاره، وكتب الى واليه على مكة يأمره
بذلك ولكن ان لم يوافق من حرمه وشدة لم يجر على تعيد هذه المهمة ورحح
يرت في هذا الامر حتى لا يصب الى محرونة كربلاء، التي لا تزال تتفاعل في
نفوس عاطفيا وسياسيا بحرة حرة، ويجرور الوقت وبأقصى مراحل السرعة كانت
شعبية ابن الربير تردد يوما بعد يوم في جعل مصادمه محكم لتتمسرة بعد ذلك الاعيان
التي تركته بحرة انطف ودفن من تحديات سقيم والاخلاق والاعراف

وحده في امجد اربع من تاريخ لطيري ان امر من سرور ارفع بمكة عالي
وكانه اهل المدينة وكان الناس يتقربون يومذاك، ليس لما بعد الحسين غير ابن الربير،
وامتدع هو ان يستغل الموقف من جميع جوانبه بجواره لا نظير لما همس بعتكاف
في الكعبة الى تلك على الحسين واصحابه الى انتم هو عدم رعيته في الحكم في غير
ذلك من يظهر انني حديث ليه للناس وجعلتهم يتسامون تايجه الاسود وأطباعه في
لسلطة

وبعد الناس الى ابن الربير حكاية لسنسه الي اقسام يريد ان يؤثفه بها ويصع
به ما صع بالحسين بن علي (ع) واصحابه فقال ان الحسين خرج الى من لا يعرف
حقه وان الحسين قد حتموا على لبايعوي على الموت، فقال له لئدي حمل اليه
عهد يد يريه ووعيده ان بن عمر وابن عباس م يبايعاك وهم من قد عرفت بن
عسليم، وأتوا بن الربير ان موقفها السلي من بيعته يشكي خطراً عليه ويثبت
الانصار فراح يعمل لاقباعه ببيعتة فانتحاً ولا ان روحه عبد الله بن عمر صفية بنت
ابي عبيدة الثقفي حث سحار وذكر لها ان خروجها عن يريد لم يكن الا عصباً لله

ولرسوليه وبسماحيه والانتصار من ختم يريد وللحسين واصحابه وسأله ان تضع
روحها بيده. فلما قدّم له عشاءه ذكرت به امر ابن الزبير وأثنت عليه واكثرت من
انقور في امره، فرد عليها قوله. أما رأيت بعثات معاوية التي كان يحج عليها دن
ابن الزبير لا يريد غيرها، وكانت متأثرة عوقف خبيث المخاض منه فقد شد لرحل من
العرو معلناً نأيه لابن الزبير، وبكر روحها لم يستحب بطلها ورسم لنفسه سياسة
الحياد والابتعاد عن المشرك كما كان يدعي، ولا استعداد انه كان هرب الى الامويين
منه الى الزبيريين.

وأما عبدالله بن عباس فقد حاول معه ابن الزبير عن البيعة ورفض الاستجابة
لنصه لعلنه بان موقفه من مصرع الحسين واصحابه لم يكن سوى سر محمي وراءه
أصله في الخلافة وإذا تمكن من هبوط لا يكون موقفه منهم أشرف ولا أسهم من
موقف الامويين فأصر على عدم بيعته لابن الزبير.

وقد بلغ امره يريد كذب له كتاباً جاء به. أما بعد فقد يلقي ان انسحب من
الزبير دعاءك ان بيعته وعرض عليك الدخول في صاعته لتكون على اياطل صهراً وفي
الآنم شريكاً ونك امتعت عليه واعتصمت ببيع وفاء منك لنا وطاعة لله فيه عرفنت
من حلف هجرالك الله من ذي رحم بأحسن ما يحزي به الوصيون لارحامهم، ومهم
سيت فلا انسى برّك وحسن جرّك وتعجيل حقت بالذي ابى في أهله في الشرف
والفداء والتقربة من رسول الله، فابصر رحمتك الله من قنك من فومت ومن بصراً
عليك من الافاق من يسخره لمحمد بلابيه ورحمته فونه فاعلمهم بحسن رأيك في
طاعتك واتمسك ببيعني فهم لك أطوع وميث أسمع منهم للمحل ملحد و سلام

هذا الكتاب انسي أرسده ابن مسعود في روى ذلك ابيعقوب وغيره من
المؤرخين الى عبد الله بن العباس الذي لا يزال هو وسرته من الهاشميين يكون
ويندبون قلة اظف يؤكد ما يرويه المؤرخون عن برقي يريد وصفه وستهفاه بجميع
القيم والنفسات والاعراف.

نقد وصف فيه ابن الزبير بالاحد، وبالأمر انقرب كاد رأس حسين (ع)
من يديه في قصر الخصراء وكان مرهوا وهو سكث ثنائه بمحصربه ويقول لعنت
هشتم بالمش فلا خير جاء ولا وحى نزل.

رئيس لدي ف يمع من ان يكون ابن الزبير ملحداً كما يصفه ربيب نشارك
والاحد، ولكن انتاربع لم يتحدث عن نصريح له يؤكد لحاده كما حدث عن يريد

وأكدته سيرته وأحدنه الخصام اني لا تفسير ها الا بانشرك

وقال في كتبه لاس عسـمـك لم تشع عن بيعه بن الربير لا صاعه لله في
عرفك من حق وصله لرحم اني تربطك ماء ان برحم برعومه اني تربط بن
ميسون بعد الله من انعام تربطه بالحسين (ح) وأمرته وسائه وأطفائه، فنادا
فقطعها بذلك انحر المقصع ولم يرع هذا الرسول الله حرمة، لقد راد من بن عباس
الذي لا يرال يبكي الحسين وده وصححه ان يكون دعية ومعينا له على الاحرم
ولشكين بصحاء اسمعس والتحرير برسائه لاسلام، قد دة ن يقى منزله
يبعه من يتمي حضور أشياحه بلبن صرعهم لاسلام في بدر وأحد يظرو كيف
امتم لهم من محمد بن عبد الله بنك سطة الحسين وسبه وأخوته وسبي نسائه وأطفاله
على أسوأ حال عرفتها الحروب في العام.

لقد صدق من وصفه بالرق والسفه وعدم التفكر في يعمل ويقول، لقد كان
معدونه لدي علم لدس المكر والاحتيال وللف والدوران بهاب ابن عباس وبحبه
وعب نف حدب وحساب بكل كفة يكتم به في محسه، ومن قبله كان بن
خطب كدب، بهد حليمه ابن همد قاتل اميره الطاهرة الذي ألس بن عباس
ثبب اخترن واخرج عن أسرته وده عصومته وسيد شباب من اخنه يقول به انك
قد اطعت الله ووصلت رحمتك تـكـتـسـمـي و متدعت عن بيعه بن الربير وطلب
منه ان يكون دعية له ومبشر بعذله وحسن سيرته.

ومهما كان الحال فار عباس لا به سطود يريد ولا يحرف طبعه وده فقد
أجابه بحوب فصيح فيه آل أميه وهدت جميع اصعبهم واستعرض جمع عازمهم
ومعاسدهم وخاء في حونه انه بهيت لكثك ولت الاثب بك ن عيب بعست
ذلك بعرب الرائي لا محسي لا ادب اي سيب قتلت حسينا وقتيل بي عد بطلب
مصديع مدحي وبحوم لأعلام عازمهم جنودك مصرعين في الصعيد مرملين في
اترب مسويين دعرء تسعي عيهم بريح وتعاورهم بداب ونبتهم عرج الصاع
حتى ناح الله هم قواها م يشركو في دمائهم فأدروهم في كفسهم وي وهم والله
نعد عرورت وحلست محلست الذي حسنت وما سبت من لأشياء فحسب بدس
بسيطت عيهم ادعي دعرين نعاير العبد رحا نعيم ن وأما الذي في ادعاء
أيت ياه م اكسب الا العار والحري وابلة في لأخره و لاون وفي فهاب ومحب،
و ن انسي (ص) يوم ن انه مد بفرش وبعاير الحجر هاجمه بأنه كيا مدحي بالعيب

لنفي ولده الرشيد فأمام أبوك بذلك لست جهلاً وأخيت البدعة ولا أحدث البصيلة عمداً.

ومضى يقول: ولست بمسلم تحببت الرجال في حسين من عني لتمتاله ' ردي، متعلق بأسرار الكعبة حتى شخصته من حرم حده في الكوفة وقد كان أعرأهر لظنه بالبطحاء وأطوع أهل الحرمين بالحرمين وكنت أرى من مرحبه يستغله بالرحل وعبدلته والالحاح عيه حتى يقتل هو ومن معه من بني عبد مخطب أهل بيت ندين أذهب الله عنهم الرجس

ومضى يقول: ولا شيء عندي أعجب من طليث ودي وبصري: فقد طلبت بي بي، وسفقت مظهر من دمي وأنت أحد نوري وإن شاء الله لا يظلم ولا يسفني شأري، لا ومن أعجب الأعاجيب وما عشت أرى لدهر عجباً حدثت بيت عبد مخطب وعلمة صغار من ولده إليك بشيء لثري لدمك أنت قهرت وبيت ناهزت عليه في غير ذلك مما جاء في كتبه من الخفائض والنصوص محرفة هذا نسبت الذي تمادى قدومه وحكامه في الظلم والخور وقيل الأبرياء وأصحابه ولاسهلوا باسمه وبقدسه في بعد الحدود

ومنها كان أحد فقهاء المعتزلة ابن لويبر محررة كربلاء وحمل بسد بيريد وجلاديه ويحذر المسلمين من شرهم وطغيهم، ومن خلال مواقفه هذه نجيب به الخيامير وراودتها بالأحلام بالتحقق من نكث النبوة ابتغاه بعد أن نمت لعمه عليها أقصى حدودها وأيقن المسلمون في الحجاز وخارجها أنهم لن يجاهدوا هذا الحدث الخطير ووضعوه إلى جانب غيره من أحداث الأموس لا يسمي لأحد حرمة لا ونداس تحت أحد مهم ولا يهابون بعده أحداً كما كان عبد الله بن مطيع للحسين (ع) وهو خارج من مكة وابن مطيع في طريقه إليها

فقد قال له يومئذ: إذا قدمت لعراق ستقتل يا بني عبد الله واد، فلو كان من يهابوا بعقلك أحداً أبداً

لقد عمت لعمه جميع الأوساط، مما يضرب يده لآل بيتاً من مصرع حسين (ع) ويحمل من ريادة مسؤولية قتله فكيف يقول بعد أن عرف من شام حقيقة ما جرى بحسين وأصحابه، وعندما رأى الوحوش قد تعرب وراح الناس يحدثون عن هول نكث مأساه كان يعرب: يعني الله ابن مرحبه لو كنت مكانه برصيت من الحسين ناقل من ذلك، وعندما سمع من سعد بأن استعانت بهال عليه في الحجاز من رجال

والساء وأصبح كريب عني حال الكبر والصغار أرسى رسولا إلى ساء الأنصار في المدينة ليبري نفسه عما جرى لأهل البيت (ع) وأرسل معه كتاب إلى يد إليه الذي يقول فيه: إن لم أبعثك إلى الحسين لنكف عنه ولا لنصوله ونحبه السلامة ولقاء ولا لشكوكي له شعبة عدي، ونظر فإن برل حسين وأصحابه عن حكمي وبعث بهم في سلماء وإن أبوا فارجع عبيهم حتى تقتلهم وتقتل بهم منهم ذلك مسحقون وإن أنت قتلت حسين فأوطيء الخيل صدره وطهره وبه عاق فاصع طلوم، فإن أنت مصيبت لأمرنا حزينك خراء السديم المطيع وإن أنت أبيت فاعتز عمنا ونحن بين شمر وبين الجيش

هذا الكتاب أرسى من سعد إلى مدينة حيث أهلها ساء ور حاله بكيلون له ولأميرة آلاف النعمات ويسراون منه في السودي وحجتمعت ويلودون ريس وحواف وبلامام رين انعامين (ح) بكون ويستحون والعميلة بحور بيوت أحباب وبني عموميتها بكية مادية ومن حنهم ساءت مهاجرين والأنصار بخير ليلائهم ويسر الحسين ومن قتل معه من اخوته وأبناءهم ومومت وأصحابه

وأدرك ابن زياد أنه أصبح يتحس القسط لأكثر من المسؤولية وإن نعمات انني أصبحت تهاون عليه تعادى صغري ما يهول على يريد وإن سعد وعيرهم فطلب من ابن سعد أن كتاب يحفيه عن السابق فدعى الله فدفع منه، وقد ألح من زياد في طلبه قال له ابن سعد: لقد أرسلته إلى ساء قريش في المدينة لأعتلهم عن قتل الحسين أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها لأبي سعد، وقصر لكب أدب ابنه حقه، وكان عثمان بن زياد شفي عبيد الله حاصرا فعزل لعمر بن سعد: صدقت، والله لوئدت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي يده حرامة في يوم القيامة وإن حسينا لم يقتل^(١).

لقد كان مقتل الحسين د حدين استعاد منه عدااء الحسين كبر الرير السدي جمع الناس حوله في الحجار وسنعله ششهير بيزيد والأمويين وحمل يساكي ويتظاهر باخرن على الحسين وأصحابه فاجمع الناس على ولتموا من حوله، وفي اسودت داته فقد بقعد شيعه الحسين وحملهم يشعرون بأحباطهم معه ومع ابنه وأخيه ويتقصرهم في بصرته وانصبب ليهم جميع لعاصم المناوثة للأمويين من الموالي وغيرهم وانفقوا جميع على صيحة واحدة بسر وراءها عراصهم بحلمه ريد

(١) روي عن علي بن عبد العزيز سيد الأهل عن أنطري ج ٤ ص ٢٥٧

لثارات الحسين) فكان هذه الصيحة الصدى الراسع في جميع الاوساط الاسلاميه
السي اقنوا العالمين ورعرع عروشهم وموس دعاتهم دولتهم في المشرق العربي
واصبحوا نعمة على نسل الاجيال الى قيام يوم الدين، وباء الحسين (ع) وحده
باصحاح الذي لا يمحى منه في دريح بني الاسار وحسنه به وحبه في هذه الدنيا
الشهيد بن شهيد وأب للمئات من شهداء والقادة كل شائر على انظم
والظالمين

استفاضة المدينة

لقد كانت مدينة الرسول (ص) تعيش تلك الأساء التي جعلتها محررة العطف من جميع موحيتها ويكن قصوف كما كان يمشيها لآمام السجدة واحواته وعيانه والثكاي من آل أبي طالب (ع) اللزب كن لا يهدأ ولا يقطع عريتهن وصرحين ليلا ونهاراً وبقي الامام السجدة (ع) باكياً حزيناً لم يقدم به طعام وشراب الا ومرحها بدموعه شطراً كبيراً من حياته فرق حياته ويكي لكائه العدو والصديق والمريب والعيد، وكان اذا مر سوق المصاين ساعم اذا كانوا يسمون بديحتهم قبل دسجه ثم يصيح باكياً لقد دبج ابو عبد الله عطشنا بيكي أهل السوي لكائه.

وحاء عن الامام الصادق (ع) ان بعض موايه كان يقول له اي اخاف عليك ان تكون من الهالكين، فيقول له كيف لا أبكي وقد سطرت ن ابي وأخي وعمي وبني عمومي وسبعة عشر من أهل بيتي معتولين حولي مجررين كالأصاخي وقال الامام الصادق (ع) ان حسي علي بن الحسين بكى عن أبيه طينة حياته وكان اذا قدم له طعامه وشرابه ووضع بين يديه لا يرل يكي حتى يسر طعامه من فروع عيبه

وفي بعض الرويات ان نرباب حدي روجات الحسين ما رجعت الى المسبه ودخلت بيتها أمرت بمع صفه ونقت هي ونسها في بيت لا سقف له فادا قبل ها صومي عن حراره الشمس تصيح باكيه بانحة ويقول: لقد رأيت احسين يمي تصهره حرارة شمس، ان غير ذلك من مراقب أهل البيت التي ألهيت شعور أهل

عنده و لوضع في طريقه الى الامصار من وقع ثلث الاحداث مرسوة، وقد أحسن
 علي بن ابي طالب في روى سعيد لاشيق بالخطر المحدث له، وجاء عنه في
 روى من عساكر وعبره انه كتب الى يزيد بن معاوية: ان ربيب بنت علي وأحواله
 قد هيجت عليك لراي لعدم وادنيه سائرة في الثورة لا تحالة م دامت فيها فكبت
 يامره باحرارهم من الحجاز وان يقول بينها وبين الناس، وعدم عزمه عليها لولي
 أمر يزيد بن معاوية فانك لقد ك ساق في تساق الانعام وعدمه فقل خبير
 وحمل عن الاقتات من بلد و بلد هو الله لا يخرج من حرم حادي، فعاءها ربيب
 بنت عسل في روى من عساكر وفانت لك يا سة عفاء بعد صدفا لله وعده
 وأورثا الارض نبوا عنها حيث نشاء طيبي نفس وقري عفا وسجري الله الظالمين
 في فرت أيديهم أريدن بعد هذا هواب، رخي الى سد امر، ثم اختص عليها
 نساء بني هاشم وما زلت بها حتى احتارت مصر

وطدت الامور تتدعى في غديّة ومصرع الحسين وحيوة وسية وسبي سائه
 وما روى ذلك حديث لعامة والخاصة واستقمه على يزيد وبني مية نردد يوم بعد
 يوم، وحسن سلوى مسؤولية لجهادهم عن نصرته وسية سائه في أثر في
 نفوسهم مشاعر الخقد والكرهية بني أمية وحسن يعكرون فيس ملهمهم هم
 يجدوا لهم سبلا غير من بربروك قد لا لا سبب حرام واعتصم، وأظهر ابره
 وانسيت حتى اصبح يعرف بالعاثد سبب حرام، وكان اشهر لطيفي للكرهية
 وحسن عن الامويين هو عصيان مسلح وحبهم سلك البيعة العائرة لبي فرصه
 معاوية على المسلمين مال والسلاح وهكذا كان بعد كتاب الحكم الاموي هدد
 لانتفاضات كثيرة بعد محرة كربلاء احجها مصرع الحسين وكان باعثها تنكبه عن
 حذائه وعدم مصركم وجاءت ثورة اسية في طلبعة نك لانته صاف وهي و
 م سجد صدع شيعي لا ان دو فعها لاساسة لم نكن سوى بنت الحرمة نقي
 ارتكبتها الحزب الاموي مع الحسين واصحابه

واحسن يزيد بن معاوية بذلك الشعور مناحج في نفوس اكثر المسلمين من
 حل احسن وما حري به، فراح يتصل من نك الحرمة ومحاول يميز ساسته لقي
 اتسمت بضعف وقسوة وسلاسل في محض المبادئ سياسة اقرب الى اللين
 وثبت هل من بلاد التي كان يعامل به مع مسلمين وجعل يتوكل على العلويين
 ويوصي بهم حيرا.

لقد حاف يزيد بن معاوية من الحسين مرتين، خافه على منكبه فطاش عقله

وقتلته مع حوثة وبسه وحافه مرة الثانية بعد فصل فخر سياسة مع المسلمين ورجع
 في هله يهودهم ويظهر باروق بهم ، وهكذا ، يجمع خوف الناس فدفعهم الى
 لعلو فتعمل لتفصيص الآثار والاصداد ، تعرف

نقد من يريد بان اسنوية الاول في معصية مع الناس في حر عليه الكم دث
 وجمع عليه لرأي به ، فعرى الوليد من عيه عن حذيه وولاه عشرين من محمد بن
 في سندان ، اوصاه بالاحسان في الناس ولرفق بهم ، وورد انوي الحدييد ، سمع
 تلك السياسة في ردها من مسجون فأرسل وفد من أهل مدينته الى عاصمة
 الدولة الاموية بهه بطلب يريد من معاربه ، هو بحسب بان حقدوه يريد بهم ويكرمه
 هم كحفف من بقمهم عيه واسم سيرجعور من اثناء وهم مفتعون بأن النتائج
 التي نهت لبها معركة الطيف لم تكن برمه ولم يكن ينظره وانهم سيعتراجعون عر
 اس لم يبع ، وسد لوفد مؤلف من اشرف المدينة وعلى رأسه عند الله من حصص
 العسل والسير بر انور وعبد الله من ابي عمرو بن حوص بقطع المسافة من المدينة
 الى شام لصفه اس ميسون ، وصلت مدينة تنظر وفده يتأرجع الصبر بسعد بعد
 رجوعه الموقف حاصم من الخليفة اخلاديه ، وعند خط الوليد رحله في قصر
 اختصراء بلع الخليفة في الحدود به ، أكرمه إكرام لا حدود له ، وبان الوليد وقدرته
 انصاء اخرين وحصن رعاياه الوليد برعايته وأكرم سبع من سأل وهو وابو من ار
 الوليد سرحع بعد روح لقي كان بحسبها عنده خرج من المدينة ولكن سهامه قد
 طاشت وطوبه قد حبت فلم يحصل منهم على غير سسب وهجاء وقالو لأهل
 المدينة نقد وقدنا على رجل لا يعرف لدين ولا الاسلام شرب الخصور ويتعاطى
 جمع أنواع الفحور ، سائر العلما ، نصيب ويكبح الساب والاحوت وإن شهدكم
 سنا مد حبيبه فحدهوه ، وقال من حطلة العسيل والله لو لم تكن معي احد
 لقاتلته بسفي ووندي ومن معي من اهلي ، وجمع عيه أهل مدينته يدعونه على
 ماله

ولما نعت اخبارهم يريد من معوية اشدد به العصب وعدد في طبعته الاله الى
 وأرسل اصحاب من شبر ومحت يومك مزوج من ستة رسله الى مدينته يتدارك
 موصف فل ان يتأزم بنحو لا يعد دلا مكن تدركه فأقدم عليهم وحبرهم من
 لخلاف ولعنة وما يترك عنيهم من الماسد فلم يستحسرو لفسه فرجع الى الشام
 فاشلا وقص على يريد ما سمع وما رأى

وهاجم أهل مدينته دور لأمويين وأصبرهم فالجأ بسؤهم وأصفهم الى

موت يعقوب ودر لاجام عبي من خسين ريس اعدائين فعامنوهم كما يعامون
 انفسهم وقال لسوء بعد ذلك والله اني لم نجد مع احمد ولي سوا معامه كفي
 وحده من الامم يري اعدائين وبقية عيوين وسعدت لامرين يرسد من
 معاوية فاستدب عمرو بن سعيد الاشبلي يرسنه على رأس جيش يولي اديهم
 فاعند ر عن دة واثر ر عليه هو وجماعه من خواشييه ومعديه سا سال مسلم بن
 عصفه فارسه ان يرسنه على رأس جيش مؤلف من عشرة آلاف فارس وخمسة عشر
 ألف رجل، وقيل كثر من ذلك وأوصي بئنه مسرف عثاقم وقتك مهم ورسنه
 مدينة لمة ثلاثة نام جيشه ان هو استطاع سعب عليهم كي أمره بعود مكة بعد
 نصف باهل مدينة وأحد اسمه مهم على سبب عسده له ولاسه به وكند عليه ان
 يصنع بمكة وأهلها ما يصعه بالمدينة

وحاء في رواية من كثر في محمد شمر من المدينة والنهابة من معاوية قال
 بئنه بريد سيكر لب يوم من هل انديه فبار فعنود مهم مسلم بن علفة،
 وسدد اس عصفه بالحش وكن اهل مدينة قد حفر و حنفا لاتقاء جيش بشام وحتى
 لا تكون معركة في شردعه، كي فعل سبي (ص) في وقعة لأحزاب جيش جمع بو
 سدد سركين عروها، وب وصل الجيش لي مشاب انديه اشار عبد ملك على
 معركة ب بريد في جهة شرقية ميا في مكان يدعى خرة، وصر هل المدينة على
 موقعهم من حكومة بن مسعود وكنت معركة بقي انتهت بريد هلها بئنه بكافؤ
 اعوين بعد لمع جيش بئنه نحو من ثلاثين بئنه وعدد مقاتلين من عدييه م
 يجاور لأعين وفسو من صحابه الرسول (ص) كثر من ثمانين صحاب وسعة
 من أولاد بها حريين والأبصار (كثر من عشرة آلاف من مسائر لاس كي كند
 ذلك المصدر كي أخصت أحد ثبلك معركة، واهب صراف جيشه ثلاثة ايام
 كي أمره حميد هند وأبي صفية فلم تة ثابوشث بئنه حرمة من حره الاسلام لا
 وانتكوها حتى ان المرأة ونساء كذا ثبود ببحراب سوب الله (ص) فلا ينورع
 العزة من ان يرتكوا معهن في مسجد الرسول وعمره ما يشهور

ودخل شامي على امرأة من ساء لأبصار حدثت لعهد بالولادة وهي تخصص
 طفلاً لم تنحدر خمسة عشر يوم من عجره فلم تجد في بيها شيئاً وظنت منها مالا
 فصالت به والله ما برك ب لئوه ثبث، فحدثت انطمن من على ثديها وصر به

(١) أنظر ح ٨ من كتابه وسببه لاس كثر.

اخاطب فتاثر لحمة ردمعه في نحاء الرب، لي كثير من أمثال هذه الجرائم التي ارتكبتها حلفه المستعير في مدينة الرسول مع المهاجرين والأنصار وسائهم باسم الاسلام وباسم محمد رسول الاسلام والعدل والرحمة والانسانية

وجاء في البداية والنهاية لأس كثير وساريج يعصوي وعبرها ن انب امراء تولدت في ملك الله من غير روح وطيب من مستعير ن يجسدوا بمعهم ليريد من هم عبيده ولاسرته لا يملكون من أمرهم شيئاً، ومن امسح عن فؤله هذه السبعة كان حر وه القتل، صاحب كان أو من أولاد النصحاة والأنصار واحفادهم الذين احتضروا الرسول ودعوته وباصروه على قريش وطواعينها في بدر وأحد ولاحزاب وغيرها من معاركه مع الشرك والوثنية

ومن غير مستعير ان يكون ما فعله ابن ميسون حميد الشرك والوثنية مع الحسين وبنيه وأخوته وأنصاره وسائهم في كربلاء وما فعله في المدينة مع الأنصار وشيوخهم وسائهم من قتل وهب وساحة للأغراض قد كان لشهيد عي كان يكنه من كره وحقد للعلويين من نبيه محمد وللمهاجرين والأنصار الذين وسروا في أعيامهم وحوائجهم وأسرته في سر وعريف من المعارك التي حاصروها أي حاسب محمد وعلي (ع) خيبة الاسلام من الشرك والوثنية وإحاطة يوم كان أبو سفيان وأسرته من أبرز المدوليين بالاسلام ومهميرهم وتزيينهم بحكم توبته وشأنه لي حاب مه ميسون في إنسانية واصحابي قد غلبته عادات نصية وأطبع هل البداية الذين يسمون النار على جميع مهميرهم وأبوهمهم ولا ينفصون عنه عندما تنافس لهم، نظروف بحال من الاحول كما اشرب الى دنت خلال الفصول سابقة

ان الجرائم التي ارتكبتها حميد هند ومن ميسون ومعوية في كربلاء مع الحسين وأسرته وفي مدينة الرسول مع المهاجرين والأنصار وسائهم لا شيء لا لاهم تكروا عليه بحيرة وستحماقه بالاسلام وهمه ومعدساته وتكرامه الانسان لا تختلف هي كان يرتكبه حدود الامويين في حروبهم وعروضهم للبلاد والشرك والكفر، وم يعد عريب عن موسى بن نصير الذي رجع من الاستدلس بجر وراء ثلاثين الف عدو ومئات الآلاف من الأسرى والأدعر من ملك البلاد، ولا بد وان يكون وراء سبي كل فتاة قصة طريفة من الحب ومضك الدماء وانتهاء الخرمات، ومع كل نبت الجرائم التي لم يحدث لتاريخ بأسوأ منها ولا تشبه هذا كسوا يدعون حمية الاسلام واسم بشرور دين محمد والرحمة والانسانية، ومن المؤسف ان سري أكثر الكتاب لعرب يجحدون بني أمية وموحاتهم التي استعمروا فيها الشعوب وانتهكوا

فهي الحرمات ومركزها للاسلام صورا عصرية فيها لم يحدث لتاريخ ناموسها وما
عرف لاسد في تاريخ الطويل افسح لها كما تحدثت عن هذه ناحية خلال
المفصول السابقة

ومها كان الحال فيما نهى موسم من عقبه من حرب المدينة حوج منها كما
أمره يريد من معاهه باتجاه مكة المكرمة خوف من اسير وكان قد عصم بها والعب
الاساس حونه وفي الطريق ليها ساءت حالته الصحية فاستدعى الخصى من شبر
وولاه من الحش وأوصاه بمصارمة من اسير وأر يصنع مكيفين ما صعبه بأهل
المدينة ثم خرجت معه فذهب الخصى حيث توفي فمعدت أم ولد ليريد من عب
الله من دمه فبشه من قبره وحسنه في ذلك المكان واحتمل عليه الناس برحمته
بالحجارة، ولد يلتم الخصى من ثمر ما فعلوا به رجع ووراه في قبره وقيل حافة عن
رحمته كما نص على ذلك يعقوب في تاريخه

ولم أشرف ابن عمر بحشه على مكة استغاث اسير لمقاومته واشتد من
معه مع العزة في حرم وخارجه وقلع أهل الشام الكعبة بالنيران فأحرقوها، وكان
عند الله من عمر أبي قحافة بن اسير دا توافف الحريقان يسدي أهل الشام
بأعلى صوته يا أهل الشام هذا حرم الله الذي كنال مأمنا في خاهية بأمن فيه
الطير والنصيد وثقوا الله في حرمة، ويردون عليه لصاعه لظاعه لكره لكره، فلم
يرالو بعددوب الكعبة سرهم حتى أحرقوها وكان ذلك سنة ٦٣ للهجرة

وقال المسعودي في محمد الثاني من مروج الذهب ان الخصى من اسير ومن
معه من أهل الشام نصبوا المنبر والعزرات على مكة وسجدوا من الخيال
ولفحاح وبن ليريد ومعه المنبر من أبي عبيد لشهني قد ريعه عن شروط شرطه
عنه كد من حملته لا يعصي به من ولا يخالف له أي فاجالت أحجار المسجون
وعزاد وليران وليند وعبره من بحرقاب على الكعبة وما رلوا بقصوها حتى
هدمت واحتلقت وشند الأمر عن بن الزبير وأهلي مكة وفي ذلك يقول أبو حرة

من غير شس ما تولى قد أحرق المقام والمضى
وكان ذلك لثلاث حروب من ديع الاول قبل وفاة يريد بأحد عشر يوما على
حد تعبر المسعودي في مروجه

وحالال أيام من معارك حس الشام مع من ليريد في مكة هناك يريد من

معاوية في موضع من بلاد الشام يقال له حورين في صفر من سنة ٦٤ ونهى حبر
وفاته لعائله الخصاص من غير فحاول عث أن يستره عن الجيش بتلايد في القصور
واستحجاب ونكر حبر وفاته اسشر وشاع ولم يعد سرا يمكن الاحتفاظ به، وما ان بلغ
امره الجيش حتى ذاب فيه الحاذق ورأى الخصاص من لمح ان يرجع من معه إلى
لشام يرى مصير الخلافة وحول مع من الربير ان يذهب معه إلى الشام وتعهده له
باليعة فرفض ابن الربير صبه وبقي معتصما في مكة واسشر دعائه في البلاد وباليعة
أكثر الأمصار، كما تابع من الشام معاوية بن يزيد وكان شام لم يتجاوز العشرين
من عمره، وبعد بام قلائل من بيعة وقف حطيط بين الجماهير من الأمويين
وعبرهم وقال بعد تاريخ حدي معاوية من هو أول من الخلافة وأحق بها ثم منه
من رسول الله وركب بكم ما تعبدون حتى انته مينته وصور رهيا في فرة بسيرة
وأسير، لأحدثه وحرثه، وقبل ان يرحل عن هذه لاني قلد الامر أبي فصار سبر
بجرمه ودونه من عظم الامور على سوء مصرعه وقبح نفسه وقد قتل عترة
لرسول وأباح مديسه وهدم الكعبة، ومضى يقول الله وليب عنيكم وتقلدت أمر
بس في دن احسنه مركتها نرجل قوي كسما يركب أبو بكر لعمر من الخطاب وان
شتم مركتها بسكم شورى في تركها ابن الخطاب ويس فيكم من هو صالح لها،
ثم ان المنر ودخل مريه، فابهم سو أمية عمر الفصوص بأنه هو يدي رس به
لوهده بمصير على بن أبي طالب على غيره ولم يقبلوا به عمرا ودعوه حيا

وظل من يريد مصر على رايه بالموعم من إصرار أهله ردويه عليه بالعدو.
عن موقفه من الخلافة وكان رده لاجبر عليهم من لدنا لو كانت معي فقد نيت
مها خطا ودر وان لم يكن كذلك فحسب أن أبي سفيان عنها ما صابوا، ثم دخل
مركله ولم يخرج منه الى ان مات بعد أربعين يوما على وفاة بيه وقيل أربعة اشهر،
وقد تاح موقفه هذا له عوه من الرحر ان سطو وتسع في مختلف نصوص لا صبي
بعد الخلاف لدى صهر في وصايد للأمويين عليها ونهى، أسبلاء مروار في الحكم
عندها، ولم يكن مروار في مصبه وحاصره ما يجعه ممر من المسبيين فأبوه الحكم
كدر صره رسول الله ولعيه وهو م يكن في اوساط المسلمين يتمتع بصفه تؤهله لئلا
مها مركته، ولم يس به المستصوب به كان محراة لسياسة عثمان بن عفان التي
يعجب عليه براني اعلم وأثارت عصب الجماهير الذي ودى بحانه كسما يسر له
امر به في بادئ موافقه من غير المؤمنين في بصرة وحصن وقتله خديه طلحة
في بصرة بعد انتهاء معركة نهضة سحريرض على عثمان، وفي لوقت دنه فابهم

يرون بيعتهم لمروان مستمرا، استحکم الاموي الذي عاش منه الامويون عو نة
 معاوية رجلانيه ويريد وعبيد لله من مرحانه، وفي الوقت نفسه قد كان ابن الزبير
 معروفا في اوساطهم بأصله وبما كان يصممه من سوء وشم لعنويين واهشحيين
 واشياهم وم نعت عنهم موقفه في البصرة و تحياده اسافر لمعاوية خلال الاعوام
 العشرين التي قضاها في الحكم، ومع ذلك فقد كانوا يرونه أهوا بشريين وبيعته
 أهوا البيعتين ويعتدون بأنه مستر وقوفهم الى حصة في تلك الفترة نهضلا منهم
 يكون به عليه، في حين هم لو يدعوا مروان بن الحكم مستر بيعتهم له امتداد
 للدولة الاموية التي أسسها معاوية ومن ابو حبيب التي يحب عندهم الانتم بها

لقد تولت الاحداث وتراكمت في تلك الفترة من دبح الاسلام ومبات
 معاوية الذي تارك الدولة معككة لاواصل تحادتها لاطباء ومصالح من جميع
 الجهات، فاشبعه برودون ثو متاح لهم في تكون ميادة المويين، وأكثر مسلمين في
 الحجاز والبصرة وغيرهما يريدونها لاس الزبير وقد بايعوه وقادوا نطاعته وم يبق في
 جانب الامويين سوى اشام وجهاتها، وقد انقسم لحرب لاموي على نفسه فخرج
 لسعيي يريد، خالد بن يزيد، واعرج المرواني يريد، لرعيمة مروان بن الحكم،
 وفي الوقت نفسه يعرض اليك لاموي بعض انصراعات القسبة في بلاد الشام
 وأدى انجبار الامويين نفسه دون حري الى وقوف بعض القبائل الى حبيب ابن
 الزبير بقيادة الصالحا بن قيس، وكاد الراح الاول من كل ذلك هو بن الزبير
 واستقام له الامور في اكثر مناطق وانعوصم الاسلامية في ذلك العراق،
 ولكن موقف العربيين وبخاصة الشيعة لم يكن من قساع سلامه موفقه
 وحلاصه، من كان كما يبدو لمخصص من حكم الامويين كما ذكرنا وبسظار لوقت
 مناسب، وقد فقد تصور بيعته عندما خرج محتار من بي عبيدة في الكوفة بدعو
 لي آل عبي (ع) وحمل يسع قبه حسين وديعوا لمحار والفر حونه، ثم لم يمس
 بعد ان حانت امهم نفس لمحار ان راسبو عبد الله بن مروان وسعدوه على
 مصعب بن زبير الذي كان يقود المعركة ضد المحار والبصرة وحمل منهم حسم
 حاصر المحارسة لاف في محره واحدة، بعد من انعرب وأربعة لاف من
 أموال الدين كانوا ياصرون احركات اشيعيه، بالاصحاه ان مثات الفتر الذين
 سقطوا خلال المعارك التي دارت بينهم وبينه

وجاء في تاريخ الطبري وغيره د عبيد لله بن عمر فان لمصعب بن الزبير
 امت القاتل في عداة وحده ستة الاف مسلم، عشي د استطعت، فكان به

كانوا كفرة محرقة، فقال ابن عمر والله لو قتلت عددهم غلبا من نراث بيت
لكان ما اتيت به سرقاً وعظيماً.

ثورة التوابين

لقد سفس الشيعة هلاك يريد من معاوية وموقف اسه معاوية من الخلافة وإدانته الصريحه فاصححه لآليه وحده وبكائه على مصيرهم انبياء بجرأة في اقرضه ايديها كمن أكذب ذلك جميع المصادر اي وصف حانه عندما وقف فوق سرابشام ليعبر بأر الخلافة ليست به ولا لاسرته ، كان العراق لدي يمثل لشيعه عاليه سكانه بعد ان هزته بجررة كربلاء قد مر الى ابن اسير نصصه اقوى المعاصرين لحكم الامويين وتتحاً من سد الى مصره لكثرة من فيه عن بني ملزمه بيعة الامويين ، ولكن موت يزيد وحنيفته معاوية كاد صدمه عظيمه به فحقت نصصه ولاست سطره وأصبح الموقف فيها مصعب كعمره من لاظفر، ومع ذلك فقد ظل فيها امير بعثه قصيره ثم حد سطره في اصعب ذلك بأمر بالشيء ولا بعضي ويرى بري مرد عليه ويأمر بحس المحظي ، فيحار بجز أعونه وبينه ، وبلغ من استحقاقهم به به كان ذا صعد من بحصونه ، خجاره ويسونه ، وم يجمع رأي هل ابصرة الا على بد صاعه من لويه ، ورت عامه ناس ان في نصه حكم من وباد الضعيف ما يهددهم بخطر ، لخروج

وفضلت الشيعة الى الاخف من قبلي ليهض بهم فأن عليهم ، فذاو است صيدنا ، فذل يست سيدكم ، سيدكم لشططنا ، كان من . باد قد عن عمر من

(١) انجد الثاني من الاممه والسياسة لابن قتيبه ص ١٩

سعد أميراً على الكوفة، فوقفت الكوفة في الطريق وحرح ساؤها ساكنات نائحات
 يذبهن الحسين ومن قتل معه في كربلاء فأُلبس بكؤوس شعور أهل الكوفة فأسرعوا
 إلى طرده من القصر وقالوا لبلال واحد لا حاجة لنا في بني أمية ولا في إمارة ابن
 مرجانة واحتاروا أميراً على الكوفة عامر بن مسعود وكنوا بذلك إلى ابن الزبير
 فأقرهم على اختيارهم وظن ابن مسعود أميراً عليها حتى عرله ابن الزبير وولى
 مكانه عبد الله بن يزيد.

وكانت الحركة الزيرية تنلمس قسماً أي حركة تهدف إلى مساواة الأمويين،
 وقد شاء الله لها أن تجد أميتها في حركة التوابين وكان الشيعة قد أحسوا بالخطأ
 الفادح بحد لا لهم الحسين (ع) ورأوا في هذا الخذلان لا يعمل إلا قتل من قتله أو
 القتل في سبيله وأكثروا من الكاء على حسين وسماهم التوابين، وكان الدم
 قد سيطر عليهم منذ دخل موكب رؤوس والسبايا إلى الكوفة وشاهدوا رأس
 الحسين ورؤوس أخوته وأبصاره على برصاح ورسب وأحوايتها بأذات صائحات
 وزين العابدين (ع) مكلاً بالحديد، وصمموا يومذاك على الثورة والانتقام من قتله
 وساعد عليه، ولما أحس ابن زياد بذلك وقف على مسر الكوفة يتحذاهم ويصف
 الحسين بصفات لا تليق إلا به **لَمْ يَكُنْ يَسْتَعْمِلُهُ وَاسْطَلَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ**، فوقف عند
 الله بن عفيف الأسدي من **مِنْ تِلْكَ تَجْصِيعِ وَفَائِدَةِ الْكُذَّابِ** ابن الكذاب ابن
 وأسوك ومن استعملك وأبوه يا عدو الله تقتلون السيبر وأساء النيس وتتكلمون
 بكلام الصديقين، فأمر ابن مرجانة باعتقاله وقتله

واجتمع زعماء الشيعة بعد ذلك يشاورون فيما بينهم واستقر رأيهم أخيراً أن
 يركبوا إلى الهندوه تخبياً لشر ابن زياد في أن يتهياً الطرف المناسب على أن يستمر
 العمل في جو من السرية التامة

وكان الذين ترعموا حركة التوابين خمسة من زعماء الشيعة المعروفين بولائهم
 لعلي وآل علي (ع) وهم سليمان بن صرد الخراعي وهو صحابي قد أدرك النبي
 (ص) كما جاء في ترجمته، والمسيب بن نجية الغزالي وعبد الله بن سعد بن فضيل
 الأزدي وعبد الله بن وائل التميمي وروعة بن شداد البجلي، وكلهم عاصروا علياً
 (ع) واشتركوا معه في معاركه مع النكثيين والقسطين والمارقين وكانوا يجتمعون بين
 الحين والآخر في منتهى التكم والحذر ويكون على الحسين ويعلمون ندمهم على
 تخاذلهم في نصرته ويعاهدون الله على الأخذ بشأره ولو أدى ذلك إلى إبادتهم عن
 آخرهم، وانضم إليهم عبد الله بن عبد الله المري وكان كلياً اجتمعوا يقول: ما

عذربا وقد خذلنا ابن أول القوم إسلاماً وإن بنت رسول الله حينما قلت حماة
وكثرت هداته من خذله وليه وقتله عدوه فويل للقائل وملامة للخاذل إن الله لم
يجعل لقاتله حجة ولا لخادله معذرة إلا أن يماض الله في التوبة فيجاهد القاتل
وينابذ القاسطين فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويقبل العثرة أنا ندعوكم إلى
كتاب الله وستة نبيه والطلب بدماء أهل بيته ولي جهاد المحليين والمارقين فإن قتلنا
فما عند الله خير للآرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا.

وكان هؤلاء الزعماء مجتمعون في العال مع من يأوي إليهم ويعلمون إلى
وفائه وإخلاصه في منزل سليمان بن صرد ويناويون على الكلام ويعلمون بلهجة
واحدة بدمهم على تحاذلهم وعدم وفائهم بما عهدوه عليه في رسائلهم التي أرسلوها
إليه يعدونه فيها بالنصر والتصحية في سبيله.

وبالرغم من أن حركتهم قد بدأت خلال الأشهر الأولى من السنة التي قتل
فيها الحسين (ع) ولكن ظهورها قد تأخر ولم يعلنوها في وقتها لعدم تواضع الأحرار
المناسبة لها، وبقيت في طي الكتمان إلى شهر ربيع الأول من سنة ٦٤ هجرية بعد
أن بلغهم نأ وفاة يزيد بن معاوية وخلال تلك الفترة كانوا يستعدون للحرب
ويجمعون الأموال والأسلحة ويهيئون الرجال والانصار، وقد وصف الطبري حالهم
بقوله: كان أول ما ابتدئوا من أمرهم سنة إحدى وستين السنة التي قتل فيها
الحسين هو جمع السلاح وأدوات الحرب ودعوة الناس في السر إلى الطلب بدم
الحسين والاحد بثاره، وكان يجيهم القوم بعد القوم والشعر بعد الشعر ولم يرأوا على
ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية، فكتب سليمان بن صرد إلى شيعة المدائن وكانوا
قد انتقلوا إليها من الكوفة وإلى شيعة البصرة يستنهضهم للاحد بثار الحسين والثورة
على بني أمية فأجابوه إلى ما دعاهم إليه وأظهروا استعدادهم لذلك، واعتبر
التوابون وفاة يزيد وما تبعها من انقسام الأمويين وتناحرهم على السلطة فرجا
وفرصة تتيح لهم التحرك والتجاهر بدعوتهم فبشوا دعائهم في الكوفة وراح زعماء
الثورة مجتمعون بالناس يدعونهم للخروج معهم والتوبة إلى الله من خذلانه وظلوا
يتوافدون عليهم حتى اجتمع حولهم ١٦ ألف رجل كانت روح كربلاء تدفعهم إلى
التكفير عن تحاذلهم والاستماتة في هذا السبيل.

وكان من المفروض أن يرتاح ابن الزبير لهذه الحركة ويتظاهر بتأييدها
ومناصرتهم لأن حركة من هذا النوع ضد الأمويين ستصرفهم عنه، وسينصرف هو
بدوره لتقوية جيشه وتوطيد دعائم نفوذه استعداداً للمعركة المقبلة معهم.

وكان قد تولى أمر الكوفة لابن الزبير يومذاك عبد الله بن يزيد الانصاري وتولى بجباية خراجها ابراهيم بن محمد بن طلحة، والصريقات يشتركان في مقاومة الامويين ويختلفان في الهدف والغاية، فثوار ينادون بثارات الحسين وابن الزبير وأنصاره ينددون بقتلة الحسين ولكنهم يعملون للتخلص من الامويين وتوطيد الحكم لمصلحتهم وكانوا يرون ان الشيعة اذا نجحوا في ثورتهم سيكونون أهون عليهم من الامويين، ومع ذلك فقد رجح جماعة من وجهاء الكوفة المناوئين للشيعة وعمن اشتركوا في مجزرة كربلاء رجحوا لعبد الله بن يزيد الانصاري الذي كان يعمل لمصلحة ابن الزبير ان يهاجم التوايين ولا يسمح لهم باعلان الثورة ولكنه كان حكيما في تصرفه وموقفه من الثوار فرد عليهم بقوله: الله بيسا وببهم ان هم قاتلونا قاتلناهم وان تركونا لم نطلبهم وليس لدينا ما يجمع من حروجهم على من قاتل الحسين لعن الله قاتليه وطالبيه، هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم وامثالكم قد توجه اليكم من الشام واصبح على مسيرة يوم من جسر مسج فقتاله والاستعداد له اولى وارشد من ان تهملوا بآسكم بينكم ليقتل بعصكم بعضاً فيلقاكم عدوكم عدا وقد انهككم القتال وتلك والله اميته

لقد نجح ابن يزيد عامل ابن الزبير في موقعه هذا لانه يعلم بأن ابن زياد لم يكن يقصد الكوفة لقتال الشيعة ولا لحرب التوايين، بل يقصدها لارجاعها الى حظيرة الدولة الاموية وطرد الزبيريين منها ومن العراق بكامله، وهو لا يضمن فيها لو دخل ابن زياد العراق او الكوفة واشترك معه في حرب ان تكون المعركة لصالحه لعدم استمرار الامور في الكوفة لصالحهم وأنصار الامويين لا يفلون عن أنصارهم، فكانت حركة التوايين فرصة لصعد ابن زياد عن الكوفة بدون ان يجرؤ هو وأنصاره ساكنا والرابح الوحيد من لم يشترك بها لا سيما وان الزبيريين وأنصارهم ينظرون الى الشيعة والامويين بعين واحدة وفي الوقت ذاته يرون الامويين اشد خطرا عليهم من الشيعة من حيث اهم يملكون من لقوة لا يملكه الشيعة

لقد عزم قادة الثورة على الخروج وأخذوا يستعرضون ما تيسر لهم من المقاتلين فوجدوه قليلا لا يتفق مع ما شاهدوه وسمعوه من الناس فبعثوا دعائهم الى الشيعة يدعونهم الى الخروج فلم يستجب لهم سوى اربعة آلاف مقاتل محرروا بهم الى الخيلة وأقاموا بها ثلاثة ايام وأنصارهم يجربون الكوفة يطالبون من عاهدتهم ويأبىهم على الخروج الى الحبيبة فلم ينحسب بهم سوى الف مقاتل آخرين فتردد سليمان بن صرد بالخروج بهم، ولكن المسيب بن نجية قال له: رحمك الله انه

لن يفعل الكاره للقتال ولا يقاتل معك لا من اخرجته المية فلا تنتظر احدا وجد في امرك، فأتخذ ابن صرد نصيحته وترك الخيار لمن معه في الخروج او الرجوع الى الكوفة.

واقترح عليه أحد زعماء الثورة عبد الله بن سعد بن نعييل ان يرجع الى الكوفة لقتال من باثروا القتال مع عمر بن سعد ندلا من المجارفة بهذا العدد والسير به الى قتال اهل الشام فرفض سليمان بن صرد رأيه وخرج بمن معه وساروا باتجاه كربلاء لزيارة مشوي الحسين (ع) فأقاموا بها يوما وليلة يكون ويذهبون ويطلبون من الله مسحاه التوبة في رثي في يوم اكثر ما كيا منه وهم يقولون . رسا لقد خدلتنا ابن بنت سينا فاعمر لنا وتب علينا نك انت الثواب الرحيم وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين فان لم تعمر لك وترحمنا نكون من الخاسرين، وكان الرحام على القبر أشد منه عند الحجر الاسود بمكة على حد تعبير بعض المؤرخين.

ومن كربلاء اتجه التوابون عبر العروات حتى انتهوا الى مدينة هيت وخرجوا منها باتجاه قرقيسيا وكان فيها ظفر و زفر بن الحارث الكلابي وكان يعمل لمصلحة ابن الزبير فساعدهم ووضع لهم سوقا لياخذوا منه ما يحتاجون اليه في طريقهم وأخبرهم بتحركات ابن زياد في ثلاثين نف مقاتل من الشام وبصحهم بأن يسبقوه الى عين الوردة ويسرلوا عريها ويجمعوه من ورائهم لتحمي ظهورهم، وعندما التقى الجيشان في عين الوردة بعد حصة يوم من بروجهم بها طلب منهم ابن زياد ان يستسلموا ويأبىوا لعبد الملك بن مروان حيث انتهت السلطة بموت ابيه مروان بن الحكم اليه، فرفض قادة التوابين هذه الفكرة وطلبوا من جند الشام ان يخلعوا عبد الملك ويصموا الى التوابين لقتال لاميين والبريين وتسليم الخلافة لآل الرسول كما جاء في أسناد الاشراف للبلاذري، فرفض أهل الشام هذا الرأي وقابلوه بنوع من السحرية وأصر كل منهم على لقتال في سبيل العاية التي خرجوا من أجلها.

وبدأت المعركة بين فريقين غير متكافئين لا في العدد ولا في العتاد، ومع ذلك فقد صمد التوابون لأهل الشام وقتلوا قتال الاسود الصواري وفتكوا بهم فتكا ذريعا وكادت المعركة ان تنتهي لمصحبته لولا الببال التي امهالت عليهم من كل جانب وأصيب قائدهم سليمان سهم كسب به نهاية حياته، وأخذ الراية من بعده المسيب بن نجية وكان من أسطل الكوفة فحمل بمن معه على أهل الشام وهو يقول:

قد علمت مبالغة الدوائب واصحة اللات والثرائب
اني عداة الروح والمقاسات أشجع من ذي لبدة موائب

فقابل القوم قتال الاسطال وما قتل استمات اصحابه وهاجموا أهل الشام
محموم من لا طمع له في الحياة، وهاجمتهم جنود ابن زياد من جميع الجهات وهم
يسادون: الحنة الحنة الى النقي من اصحاب ابي تراب الجنة الحنة الى الترابية،
وتقدم بحورهم عند الله بن سعيد بن يعيل بن نقي من التوابين ولكن جنود ابن
زياد كاثروهم وشتوا لهم، وفي المراحل لاحيرة من المعركة وبعد ان صرع اكثرهم
حاهم من البصرة والمدائن حمسائة درس بقيادة المتقي بن محرم وسعيد بن حديفة
وهم يقولون ربما اقلنا تعريطا في مصره ابن ست سبك فقد نسا اليك، فقيل لعبد
الله بن سعيد وهو يصول ويجول عن نقي معه من الشيعة لقد حاهك المدد ولحق
سا احواسا من البصرة والمدائن، فقال يا احدا لو كان محيتم ونحن من الاحياء،
هاشركوا في المعركة وناشروا القتال بقلوبهم العامرة بالتصوى وبموسمهم المطمئنة لما
أعده الله للشهداء وكان اول من استشهد منهم كثير بن عمرو المدي كما أصيب
مهم جماعة، وما قتل عبد الله بن سعيد بن يعيل وصرع اكثرهم اسحب رفاعه بن
شداد من المعركة وفي الحويث العدي بن نقي مهم فطلب مهم أهل الشام ان
يسحبوا من المعركة ويكفوا عن القتال، وانتهت المعركة لمصلحة أهل الشام ورجع
من نقي من التوابين وهم قلة كل ان مصره وهم يكون لاهم لم يحققوا الهدف
الذي حاربوا من احله كانوا يعصلون اموت على رجوعهم سالمين

وأسدل الستار على هذا الفصل من جهاد الشيعة، وكان من المروص على
قادة الحركة ان يعملوا برأي عبد الله بن سعيد بن يعيل الذي أشار عليهم بملاحقة
قتلة الحسين في داخل الكوفة الذين باشروا معركة الطف ومارسوا جميع فصولها،
ولو فعلوا ذلك وانتظروا الوقت المناسب لمهاجمة أهل الشام لكان أحدى لهم من
الخروج هذا العدد اليسير لمقاتلة جيش محرم بكل ما تحتاجه الحرب من أجهزة
وأعتدة وأموال ووراءه دولة كادت على استعداد لان تمده بعشرات الالوف من
المقاتلين وبكل أنواع الاعتدة

لقد كانت حركة التوابين كما يبدو من ظروفها وملاساتها حركة عاطفية أدت
بهم الى الانتحار بدافع التكبر عن تحادهم ووقوفهم مكتوفي الايدي من تلك
المجورة الرهبة في كربلاء على يد أهل كوفة امهم، وما يرجع ان التوابين لم

يضعوا في حسابهم غير الموت لا اعتدادهم بأنه هو الطريق الوحيد للتكفير عن موقفهم المتخاذل من أهل بيت نبينهم (ص) هو ذلك العدد القليل الذي استجاب لهم من أصل ١٦٠٠٠ كانوا قد اظهروا استعدادهم للانضمام اليهم، ذلك لأن الأهل الانتحارية لا يقدم عليها إلا القليلون في كل زمان ومكان.

وكما يمكن أن يعزى فشل تلك الحركة إلى عدم التخطيط والاستعداد الذي يتناسب مع ضخامة المعركة وشراسة العدو بالإضافة إلى تعلل السواحي العاطفية على قاداتها ومديرها مما جعلهم يجازفون بحياتهم وحياة أنصارهم ويقاثلون بأربعة آلاف مقاتل ثلاثين ألفاً ووراءهم عشرات الألوف من جند الشام، كما يمكن أن يعزى فشلها لذلك كله يجب أن لا ننسى أن التكتلات الشيعية كانت ثقيلة على الزبيريين وأبصار الأمويين في داخل الكوفة والعريقان كانوا يحاذرون من قوتها واتساعها فليس من العجيب أن يكون لها صانع في تخدير الجماهير عن الانضمام لتلك الحركة لأن الزبيريين لا يرون للعلويين مديلاً وأبصار الأمويين في الكوفة كانوا يرون نجاح حركة التوأمين من أشد الإخطار عليهم لأنهم اشتركوا مع الأمويين في جورهم ومطاردتهم للشيعية منذ أن تأسست دولة الأمويين وحتى مجزرة كربلاء التي قامت على سواعد أنصارهم من أهل الكوفة، فليس بغريب ولا يبعد على أنصار الأمويين والزبيريين في العراق أن يتغلغلوا في أوساط الشيعة لبعث روح التخاذل وتخديرهم من المصطفى فيما كان يخطط له قادة التوأمين

ولا أحسب أن للمختار الثقفي صلة فيما انتهى إليه مصير تلك الحركة ولا في بعث روح التخاذل بين أنصارها كما يرى بعض الساجدين من العرب والمستشرقين ولعلنا سنحاول معالجة هذه الناحية خلال حديثنا عن ثورة المختار الآتية.

ثورة المختار بن عبيدة الثقفي

لقد تركت مجزرة كربلاء وما رافقها من الحرائم التي ارتكبتها الامويين من تخليل بالقتل وسلب ولهب وسبي لسان رسول الله (ص) أثرا في نفس كل مسلم وعملت الجباهير للثورة ودفعت بهم في الطريق الدامي الطويل طريق النضال بعد ان كان الامويون بقيادة معاوية يحاولون ان يترعوا الروح المضالية التي بعثها وعرسها الاسلام في نفوس المسلمين فجاءت ثورة الحسين (ع) اهى ثورة بالعزم والتصميم في المضي بالنضال الدامي الى سبيله وحق النصر او الشهادة.

لقد رفض الثائرون في كربلاء جميع التعويضات والمغريات التي بذلت لهم من أجل تحرير الأمة من الظلم والصف والجور ولم يستهدفوا من ثورتهم ان يحكموا الناس ولا مغباً لأنفسهم وانما استهدفوا تحرير مجتمعهم من اولئك الطغاة الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، وبلا شك فان جميع الانتماصات والثورات التي حدثت بعد مصرع الحسين كان مبعثها تلك الروح الحديدية التي بثتها ثورته الدامية في نفوس الجباهير وقد استفاد منها حتى أعداء اهل البيت كابن الزبير وأمثاله وان لم تكن ثورته امتدادا لثورة الحسين ومن تلك لفصيلة، لانه كان يعد العدة ويعمل للسلطة قبل مصرع الحسين (ع) وكانت أطباعه الشخصية هي التي دفعته على التحرك، وكان يرى الحسين ماضيا خطيرا على تحركاته كما ذكرنا خلال الفصل السابق، فلما بلغ مقتل الحسين اهالي مكة اتجه اليه اهلها وقالوا له: اظهر بيعتك فلم يبق احد ينافسك ويخاف منه عليك، فقال لاصحابه: لا تعجلوا، وظل معتصما بالكعبة يتظاهر بالزهد والتقوى، ولم يكن منه هذا الموقف الا ليأخذ مقتل

الحسين اثره لدامي في نفوس المسلمين ونستعر لقيمة علي الحكم الاموي من اجله، ولما وجد ان المسلمين بكل فئاتهم يتمثلون من تلك الحرية وبرون فيها حدثا يهدد مصير الامة وكيانها، واحس بأن الكثيرين من المسلمين أصبحوا يفتشون عن بديل للامويين، أظهر دعوته ووجد في الحديث عن الحسين ولبائكي عليه من أشد الأسلحة فك، راح يتكلم عليه ويسدد بقائمه ويستد دعائه في أنحاء الحجاز والعراق وأوصاهم بالترحم على الحسين ولتديد بقتليه فكان لثورة حسين وما نتج عنها أكبر الأثر في إيقاف مجهر المسممة والقصف على روح التواكل والخروج والتسليم للحاكمين وأصبح الشعب المسلم قوة معاة للانحاز بين الحين والأخر وكانت ثورة المدينة وما رفقها من خرائم ولاستحقاق مقدسات الاسلام، وحملت بعدها ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخرمي الانتحارية، وكان المحار في جميع هذه المراحل يعد العدة بثورة ويعمل بحكمة وروية بحاجتها، وقبل الحديث عنها لا بد من الإشارة الموحدة عن شأنه والمرحل التي مر بها قبل ان يتولى قيادة الثورة على الحكم الاموي.

فقد جاء في الحلقة السادسة من اعلام العرب للدكتور علي خرطوطي ان والده أبا عسدة بن مسعود قد اعتنق الاسلام وأخلص له وكان شقيقه عروة بن مسعود من السابقين للاسلام خلال حصار الطائف وان أبا عبيدة قد اشترك في معارك المسلمين مع الفرس وختاره عمر بن الخطاب للقيادة بأندى في ميادين القتال شجاعة وستسالا قل بطيرهما في تريح المعارك ومات ابو عبيدة شهيدا على شاطئ الفرات في سبيل الاسلام بعد ان هجم عليه قبل ان يصر من القبة الي كان الفرس يستخدمونها في معاركهم يومذاك وداسه الغيل بأقدامه وتولى القيادة بعده سبعة من أبناء ثقيف على التوالي كان أولهم ولده جبر وقتلوا من بعده، وأصاف الى ذلك ان أم جبر روحة ابى عبيدة كانت قد رأت في مامها ان رجلا يزل من السماء ومعه انه فيه شراب من الحنة فشرب منه ابو عبيدة وابنه جبر وجماعة من اهله. اما ابنه المختار فلم يتحدث المؤرخون عنه في مطلع حياته ولم يهتموا بتاريخه الا بعد ان ظهر على مسرح الأحداث في العراق خلال الحكم الاموي مما جعل مهمة الباحث عن حياته في طموته وشأنه صعبة وعسيرة

وبلا شك ان ولادته كانت في مدينة لطائف حيث كانت موطن اهله وعشيرته، ويمكن ان نستنتج من المصادر التي تعرضت لتاريخ وفاته بأن ولادته كانت في السنة الاولى للهجرة، لان أكثر المصادر تدعي انه قتل سنة ٦٧ وهو في

السابعة والستين من عمره ولازم ذلك ان ولادته كانت في السنة الاولى من هجرة الرسول (ص) وأمه دومة امرأة عربية قد اشتركت مع زوجها في المعارك خلال معاركه للفرس وتلفت مصرعه ومصرع وبنه حبر بصر وثبات واحتستها عند الله، وكان المختار يومذاك في الثالثة عشرة من عمره، وقد بذت عليه علائم النجابة وهو في حداثة سنه، ويروي بعض المؤرخين هذه المأساة ان اياه جاء به الى امير المؤمنين (ع) وهو صبي فأجلسه في حجره ومسح رأسه وهو يقول: يا كبس يا كبس.

وقد استنتج بعض الباحثين من هذه الكلمة ان علياً (ع) كان يعبر بها عن محآت المستقل وبما يظهر له من بطولات وحكمة سياسية وآراء وتصرفات سديدة رشيدة كالاخذ بشارت اهل البيت وملاواة المعتصمين لحقوقهم ونراثهم، وليس ذلك سعيد ان صح ان امير المؤمنين قد وصفه بذلك، كما استنتج منها فريق آخر بأنها تشير الى فريق الكيسانية التي وصح المختار بوانها كما يدعون

لقد كان المختار معاصراً للمعيرة من شعبة الثقي وكنا من البرز من اجنهم تلك القبيلة واشترك في الدهاء والذكاء ولكن المعيرة سحر دهاء ودكاه للمكر والخداع والنفاق كما وصفه أكثر المؤرخين، وقد جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي في وصفه لو ان مدينة لها ثمانية ابواب لا يمكن الخروج من باب منها الا بمكر واحتيال لخرج المعيرة من ابوابها كلها، ومع انه كان يملك القدرة على المكر والمراوعة والاحتفال فقد عاش ناعماً للحاكمين يستعمل طموحه ودهاءه وديبه ليكون مقرباً منهم او متولياً لهم على بعض المقاصات، ورافق معاوية خلال الفترة التي حكم فيها الناس وحاراه في كل موافقه من امير المؤمنين وكان من مستشاريه المفضلين، ولم يحدث التاريخ عنه انه وقف موقفاً شريفاً مع أحصامه وأحصام أسياده، ولم يكن يهتم الا برضاهم ليعهدوا اليه بحكم بعض العواصم الاسلامية يهر من حلالها على رؤوس الجماهير.

وقد وصفه المستشرق (فلهورن) في كتابه احزاب المعارضة في صدر الاسلام بقوله لم يكن المعيرة يعمل على استئصال نشر في بدايته وقبل ان يستفحل بل كان يتركه يشتد ويعظم لانه كان يعرف بأنه لا يعيش حتى يواحه هذا الخطر بعد استفحالها، ويهتم مع ذلك بحياته تركا الاحطار ليتداركها من يملأه

ويعزو المستشرق (بركليان) مواقف معيرة الى انه كان رجلاً انتهازياً لا ذمة له ولا ذمام، فقد رجح معاوية ان يعهد بالخلافة لولده يزيد ليولي الكوفة وكان طامعاً

بها وهي العقبة الاولى التي يجب تدليلها لسحاح هذه المعركة، وعندما أشار على معاوية بذلك كان معاوية يجب ان يسمع من أنصاره ومعاويه رأياً من هذا النوع فرجحه له المغيرة وقال . لقد وضعت رجلي معاوية في غرر يتحط فيه ومع ذلك فقد تعهد له بتدليل ما يعترضه من الصعوبات في الكوفة

اما المختار الثقفي فقد احتار للبرغ أهداه طريق الكفاح والثورة بدلا من التناق والمراوغة واعتمد في كل ما كان يضمح اليه على ذكائه وسبقه وجهوده فكان طريقه طويلاً وشاقاً ومحمولاً بالمخاطر ولاهوال وظل يحمل سيفه يجاهد به حتى اللحظات الاخيرة من حياته شأن الاباة ولا يظال في مختلف العصور .

لقد كان معارضاً للحكم الأموي وسياسة الأمويين وتسلطهم منذ دخل معترك السياسة، هذا بالإضافة الى نشيجه وولائه لأهل البيت (ع) ووقف الى جانب مسلم بن عقيل في الكوفة ودعا الناس الى الالتحاق بالحسين وبصرته، وتعرض بسب ذلك لسجون الأمويين ومعتقلاتهم وتعذيبهم، ولقد حارب الأمويين مع ابن الزبير حينما فر من ابن زياد من الكوفة والتحق به في مكة وفيها اشترك مع المكيين في صددهم عن الكعبة التي كانت هدفاً لسياراتهم ووسائل الدمار التي استعملوها للاحجار على حركة ابن الزبير قبل ان يستعمل امرها، وحارب قتلة الحسين والحشيش الأموي الذي فاته ابن زياد لاسترجاع العراق الى الحكم الأموي، كما حارب الزبيريين ولم يصرعه في ميدان القتال على أيديهم، وكان قد ناصرهم بالامس القريب على الأمويين بالحجار وغيره من المناطق

لقد كان المختار من ابي عبدة يعمل بمهارة وتخطيط محكم في ميادين السياسة وكان سياسياً ناجحاً وموهوباً وطلاً من أبطال التاريخ لم يحترف سياسة اللب والدوران والمراوغة والتناق وغيرها من الصفات التي اشتهر بها معاوية بن هند وقريبه المغيرة بن شعبه وأمثالهما، واحترق العراق لمخططاته السياسية حيث كان اكثر أهلها يوالون البيت العلوي الذي شب وشأ على موالائه ومباهضة اعدائه، ولأنه كان علوياً ومطبوغاً على الولاء هذا البيت فقد حبكت حوله مجموعة من الأساطير والاكاذيب اشترك في وضعها وصياغتها وبستها اليه اعداء العلويين من الأمويين والزبيريين، كما وضعوا مئات الاحاديث في فصل الصحابة ووضعوا في مقابلها المئات من الاحاديث والتهم التي تسيء الى علي وسيد، فكانت مصانع الحديث العاملة لمصلحة الحاكمين تنسج لهم ما يشاؤون ويشتهرون، وكان عروة بن الزبير احد أبطال تلك المصانع وأحياناً كان يسد موضوعاته لحالته عائشة .

لقد حارب المختار دولة الامويين منذ مطلعها بقيادة معاوية وظل يحاربها حتى قضي على ابن زياد في معاركه معه في اموصل وعلى اعدائه ممن اشتركوا في معركة كربلاء، وحارب ابن الزبير وقضى على نفوذه في الكوفة وغيرها وكانت نهايته على يد الزبيريين وقتلوا معه نحو من سبعة آلاف من المسلمين، وحينما عاتبهم عبد الله بن عمر كان جواب قائد المجرة مصعب بن الزبير انهم مسحرة كفرة.

لقد سبوا اليه السحر والكفر وانه كان يخاطب الملائكة ويدعي انهم كانوا يحاربون معه الى جانب جنوده وان جبرائيل كان يسزل عليه بشكل طائر، الى غير ذلك من المقالات التي ظهرت بعد عصره كما ألصقوا به الفرقة الكيسانية لان علياً (ع) مسح على رأسه وهو في مطلع صباه ووصفه بالكياسة.

ان الذين يضعون عشرات الاحاديث في فضل معاوية ويروون عن النبي (ص) انه كان يقول: ان الله يدي معاوية منه يوم القيامة ويجلسه الى جانبه ويغلقه بيده ثم يحمله الى الناس كالعروس لانه حارب علي بن ابي طالب ليس بغريب ولا بعيد ان يسبوا للمختار الكفر والسحر وادعاء الوه والربوبية لانه حارب اخصار معاوية الذي يدنيه الله اليه ويحمله للناس واعذاه علي وآل علي وقتل قتلة الحبيب وحارب ابن الزبير الذي لم يختلف عن معاوية والامويين في شيء ومخاصة فيما يعود الى العلويين، وقد اضطهدهم خلال الفترة التي حكم بها العراق والحجاز واعلن البراءة من علي وآل علي ورك الصلاة على النبي (ص) في حطبة الجمعة محتجا لذلك بان اهله يشمخون بأبوابهم عند ذكره والصلاة عليه.

لقد كان المختار من أقطاب الشيعة في عصره ولم يكن عثمانيا كما سب اليه ذلك بعض الباحثين لا شيء الا لانه وقف موقفا سلبيا من الحسن بن علي (ع) حينما صالح معاوية وطلب من عمه سعد بن مسعود الثقفي ان يسلمه لمعاوية كما ترعم بعض الروايات، ولو افترضنا صحة الرواية فهي لا تثبت كونه عثمانيا ماليا للامويين لان اكثر الشيعة يومذاك وقفوا من الحسن موقفا يتسم بالصلاة والقسوة بما فيهم حمر بن عدي وسليمان بن صرد الخراعي وأمثامها وكاسوا يسمونه مذل المؤمنين وقال له بعضهم: ليتك مت ومثاء، الى غير ذلك من مقالاتهم التي لو صحت لا تتعارض مع تشيعهم وولائهم الاكيد لاهل البيت (ع) ولا تعدوا ان تكون نزوة من نزوات الغضب على صلحه لمعاوية وتبارله عن الحكم للامويين اعداء الاسلام، فلو صح عنه ذلك يكون كغيره من زعماء الشيعة الذين استبد بهم

الغضب وحرهم الى الاسراف في اليوم والعتب المر الذي لا يصدر الا من المحب في العالب
ومما يؤكد صلاته في التشيع ن زيد بن ابيه حينما كتب الى معاوية بشأن حجر وأصحابه وانهم خلعوا الطاعة وكهروا كهرة صلحاء كما جاء في كتابه اليه وأشهد على ذلك جماعة من وحوه الكوفة ثم يزيد صلاته في تشيعه ان المختار رفض التوقيع على الكتاب بالرغم من تهديد زياد ووعيده.

لقد اشتهر المختار بالتشيع لاهل البيت مد دعومة أطماره ولكنه انصرف عن السياسة والمعارضة السنية لمعاوية لانه كان قويا واستعمل سياسة السطش والقتل والتكيد بالشيعية وحتى ممن يتهم بالتشيع بعد ان وجد ان المعارضة لا تحدي شيئا، وقد كان الإمامان الحسن والحسين يوصيان الشيعة بالخلود الى السكينة بانتظار الوقت المناسب، وخرج من الكوفة الى ضيعة له خارجها، ولم يرجع الى الكوفة الا بعد ان دخلها مسلم بن عقيل موقدا من الحسين (ع) لشيعتها، وحينما دخلها مسلم بن عقيل برل عليه ضيعة فرحب بقدمه ومضى يدعو الناس الى البيعة للحسين ولروم طاعته، وكان مسلم كلما اجتمع عليه جماعة في دار المحار قرأ عليهم كتاب الحسين وجاء فيه انه قد أجابهم الى ما يريدون ن التزموا بالعهود التي قطعوها على أنفسهم وندرعوا بالنصر الحمير عن مكافحة أعدائهم، وفي اجتماع حاشد في دار المختار وقف عاصم بن ابي شبيب يشكرى احد رعياء الشيعة وقال مسلم بن عقيل أما بعد فاني لا احرك عن لباس ولا أعلم ما يظنون عليه ولا أعرك فيهم ولا أحدث اليك الا عن نفسي، فوالله لا احسبكم اذا دعوتكم ولا عاتس معكم عدوكم ولا صر من سبني دونكم حتى الفى الله لا أريد بذلك الا ما عند الله وتناع خطاء يعلمون عن تأييدهم للحسين ويحثون مسلم بن عقيل على الكتابة اليه ليحصل لقدم عبيهم، ومضت لوفود تتوالى بالقدم الى دار المختار مرحلة برسول الحسين يساعونه عن الدعوة الى كتاب الله وسنه رسوله وجهاد الظالمين ومساعدة المستضعفين ومحرورين وقسمة الهى بين المسلمين بالسوية ورد المطالم الى اهلهما وبصرة أهل البيت على من نصب لهم العدو والعصاء، وبلغ عدد من تابعه خلال أيام معدودات في دار المختار خمس وعشرين

الها أو اربعين الها كما في رواية الشعمى

(١) انظر ص ٢٦٤ من المجلد الرابع من تاريخ الطبري

(١) انظر الحلقة السادسة عشر من اعلام العرب ليدكتور عبي الخراطولي

لقد اختار مسلم بن عقيل مبعوث الحسين الى الكوفة دار المختار الثقفي ونزل عليه صيفاً وانطلق من داره بث دعوة للحسين ويتقل البيعة له، مع العلم ان الكوفة كانت منحصر للحكم الاموي وتحت سيطرة الامويين، وفي الكوفة من الزعماء الذين كانوا الحسين يطلبون منه التعميل في القدوم اليهم وبما هدوه على نصرته وقتال أعدائه، وبين هؤلاء من هم أعرس المختار وأصبح حاكماً منه لانتسابهم الى العشائر القوية عدداً وعتاداً، ولم يكن المختار ممن كاتبه بهذا الخصوص فلماذا والحال هذه قد اختار دار المختار على دور اولئك الزعماء وفصله عليهم؟ هذا السؤال ربما يعترض الباحث وهو يستعرض أوصاف الكوفة الخرجية خلال حديثه عن ابن عقيل وموقف الكوفة منه يومذاك

ويعزو بعض الباحثين في هذا الموضوع احبار مسلم لدار المختار الى ما كان بينهما من روابط المودة والصدقة القديمة منذ نعومة أظفارهما والى تشجيع المختار وولائه الاكيد لاهل البيت (ع) وإحلاصه لمبادئ الشيع بالاصافة الى مصاهرة المختار لوالي الكوفة السهمان بن بشير حيث كان رجلاً لعمرة بت السهمان مما يجعله في مأس من الوالي ما دام مقبلاً في دار صهره

والذي أراه ان الدافع الرئيسي لنزول مسلم بن عقيل صيفاً على المختار هو ولاؤه الاكيد للعلويين وعمله بالدعوة للصاميتين في سبيل انتمال السلطه اليهم بالاصافة الى ما اشتهر به من الكياسة وبعد النظر والمقدرة الفائقة على إدارة شؤون الثورة بحرم وروية، اما الصدقة والمودة البعيدة الأمد بينهما منذ نعومة أظفارهما اي منذ الطفولة كما يدعي الخراطولي فليس في المصادر التي تعرضت لتاريخها ما يشير الى ذلك، هذا بالاصافة الى العارق لكثير بينهما في السن، فلقد كان المختار في الستين من عمره يومذاك ومسلم بن عقيل في حدود الاربعين، وكان ابن عقيل يعيش في الحجاز واس عيلة الثقفي في لعراق

ومهما كان الحال فلقد استمرت بوفود تتدفق على دار المختار مرحةً بقدوم رسول الحسين مما دعا أنصار الامويين في الكوفة الى التخوف من حدوث بعض المفاجآت التي تسيء اليهم وانهموا السهمان بالصعف لعدم وقوفه في وجه المد الشيعة الذي كان يتدفق الى دار المختار، وحيثما راحوه بتدارك الموقف قبل ان يعلت الزمام من يده رد عليهم بقوله: لأ أكون صعيماً في طاعة الله أحب الي من

أن اكون قوياً في معصيته وما كنت لأهتك سترأ ستره الله .

وبعد ان وجدوه مصراً عن التعاصي عما يجري داخل الكوفة لمصلحة العلويين كتبوا الى يزيد بن ميسون يشكون فيه تحادل النعمان وتعاضيه عن مسلم وأنصاره ودعائه وحددوا له نقاط الصعف في سياسة النعمان وتصرفاته، فقرر ابن معاوية عندما أحيط علماً بواقع الحال استند بن النعمان بن بشير وغيره وإقصائه عن الكوفة، ولم يكن ابن مرجانة داحلاً في حسابه وكان يكرهه على حد تعبير بعض المؤرخين، واستشار أنصاره فأشاروا عليه بعيد الله وقالوا له : لو كان أبوك حياً لا يعدوه، وبعد حوار طويل بينه وبين مستشاريه برز عبد رعتهم وتعاضى عما كان يجده عليه في نفسه وولاه الكوفة مع البصرة وأمره بأن يضرب بيد من حديد على المناوئين لسياستهم وأنصار العلويين، وخرج ابن مرجانة من البصرة يجد السير في طريقه الى الكوفة فدخلها متكرراً فطه الدس وهو في طريقه الى القصر الحسيني من علي (ع) فتعالت أصواتهم بالهتاف له والترحيب بفدومه وأياما انجبه ببصره لا يجد سوى الأوجه المستشرة والأصوات تتعالى من هنا وهناك : مرحبا بك يا ابن رسول الله فدمت حير معدم على أهلك وأنصارك وشيعتك، فهاله هذا المشهد واعتاط منه ولكنه استطاع ان يكبت عصبه وعندما أشرف على باب القصر أراح اللثام عن وجهه وقال : شامت الوجوه فابفرج عنه الناس وتعرفوا عنه، وبعد ان حط رحاله في القصر اجتمع اليه أنصار الأمويين وجمع من الناس فأحد يهدد ويتوعد ويث دعائه وأنصار الأمويين في الكوفة يحوون الناس من شره وحييا بلغت احساره الى أن عقيل رحمه الله عذر بيت المختار والتجأ الى دار هاني بن عروة المرادي وكان من أبرر أشرف الكوفة ورعيائها وله ولعشيرته وحليقاتها منزلة في الكوفة ليست لأحد سواهم، وكان مع ذلك من المعروفين بالتشيع والولاء لأمير المؤمنين (ع) وقد شاركه في جميع مواقفه من معاوية وغيره كما يصفه المؤرخون وانتهت المأساة بما جرى لمسلم وهاني بن عروة وبالتالي بمصرع الحسين (ع) في كربلاء على يد أهل الكوفة من كاتبوه ومن لم يكاتبوه بقيادة ابن زياد وأنصاره .

وبعد من أكثر المصادر القديمة ان المختار لم يشترك مع الماصرين له في كربلاء بالرغم من انه كان متحمسا للدعوة الى الحسين (ع) والظاهر انه كان يرى ان ماصرته لا تجذبه نفعاً وان جميع العوامل والظروف قد تجمعت لترسم تلك المأساة على صعيد كربلاء فأثر ان يتروى ليعمل للانتقام من قاتليه .

المختار وعبد الله بن الزبير

لقد خرج المختار من سجن ابن زياد في الكوفة الى الحجاز وهو يقول . والله لأقطعن انامل ابن زياد ولاقتلن بالحسين بن علي عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا . وكان ابن الزبير قد رفع رأسه وعادت اليه كل أمانيه وأحلامه بحروح الحسين الى العراق ومصرعه على ثرى الطف والحجاز هو البلد الاول الذي حمل لسواه المعارضة للدولة الاموية بعد مقتل الحسين بن علي لذي أثار غضب الجماهير من اولاد المهاجرين والانصار والسجادة وعلمه وأخوانه يعدون روح الثورة عواقبهم الملهية لأحاسيس الجماهير وعصمهم فكانت ثورة المدينة من اسرار ما أنجته تلك المواقف بالرغم من انها لم تأخذ الطبع الثاري ، وتركت معارضة الحجاز للحكم الاموي بشخص ابن الزبير الذي اصبح سيد الموقف يومذاك بعد مجزرة كربلاء التي أصبحت سلاحاً ماضياً بيده وصول به ويجول على الامويين كما كان معاوية وصول ويجول بقميص ابن عفان ، وحلا له ميدان السياسة ، ولم يكن المختار ممن يجهل نوايا ابن الزبير وأطماعه وحفله على البيت العلوي ، ولكنه لم يجد سبيلا لمحاربة الامويين والانتقام من قتلة الحسين الا بالالتجاء الى اقوى المعارضين لدولتهم ، اما العراق فمجال العمل فيه متعذر في تلك الفترة بعد تلك الصدمة العنيفة التي هزت كياناتهم وقضت على اعز ما لهم وأغلى أمانيهم لا سيما وان ابن زياد في تلك الفترة كان يقص يد من حديد على العراق بأسجعه ، واتسع سياسة القتل والتعذيب والاعتقالات بدون رحمة مما أدى بأهل العراق الى ان يخلدوا الى الهدوء ولو لفترة يستردون فيها أعاسهم للاهية ويجمعون فيها شتاتهم وفلولهم الضائعة .

لقد كان المختار عميقاً في تفكيره بعيداً في نظراته الى مجاري الاحداث ونتائجها يعرف ابن الزبير أكثر من أي إنسان آخر ولكن المخطط الذي وضعه في حسابه قد فرض عليه ان يلتجئ الى ابن الزبير سيد الموقف يومذاك، لإضعاف الامويين وخلق جو من الاضطرابات والفوضى في مختلف المناطق وبخاصة العراق معقل التشيع، وذلك لا يكون بدون التحرك ولو في الحجاز وشر الدعاة في بقية الامصار وقبل مضي بعض الوقت الذي انتهى فيه للعراق وللکوفة بالذات التي يمثل الشيعة غالبية سكانها ان تستعيد أنفاسها وتجمع شملها وفلولها ليثبتم فيها على الامويين والزبيريين في صفقة واحدة ليحقق ما عاهد الله عليه من الأخذ بشار الحسين وأهل بيته وإعادة الحكم العلوي الى العراق اذا نيسر له ذلك

لقد لازم المختار الثقيفي ابن الزبير في الحجاز وحته على الخروح وإعلان نفسه حاكماً، وأن يقود الحجاز في طريق ثورة وتعهده بمساندته، قامتع ابن الزبير من اجابته وطلب منه التريث وظل يراقب ويتظاهر بالتقوى والزهد في الخلافة ويتباكى على الحسين ويلعن قائله ليستدر عطف الجماهير ويعمق الصراع بينها وبين السلطات الحاكمة في الحجاز.

وظلت الأمور تسير لمصلحته وبخاصة بعد حرمة الامويين في المدينة وما تلاها من الهجوم على مكة واستخفافهم بالكعبة، وحينها رأى ان الجماهير المسلمة قد أصبحت معاً لمصلحته وافق على البيعة وطلب من المختار بالذات ان يبايعه وأظهر حرصه على بيعته لانه كان يعرف ميول المختار كما كان المختار يعرفه، وفي الوقت ذاته كان يرجو ان يسخره لاقناع صهره عبدالله بن عمر بالعدول عن بيعة يزيد والانضمام اليه، وبالفعل لقد طلب المختار من شقيقته صفية ان تقنع زوجها بابن الزبير ولكنها لم تنجح كما ذكرنا من قبل ووافق المختار على البيعة لابن الزبير بشروط رفضها ابن الزبير اولاً، وأخيراً وافق عليها وكان من أسرها ان لا يقضي ابن الزبير امراً دونه وأن يكون أول داخل عليه ويستعين به على أفضل أعماله، وأصبح وزيراً لابن الزبير في جميع أموره

وحدث ابن الاثير في المجلد الرابع من الكامل ان المختار لازم ابن الزبير وشهد معه معاركه مع الحصين بن غير وأبلى معه احسن البلاء وقاتل أشد قتال كما وصفه ابن كثير في البداية والنهاية بذلك وأصاف انه كان وفياً لابن الزبير، ولكن ابن الزبير لم يف بما وعده به فحقد عليه ولكنه لم يجهر بمشاعره نحوه، وفي الوقت ذاته كان على صلة بأهل الكوفة، ولما تبين له ان الشيعة في الكوفة على استعداد

للأحد بشار الحسين (ع) لو تيسر لهم الزعيم الذي يجمعهم تحت لوائه توجه الى الكوفة وكان سليمان بن صرد ومن معه من تنوامين يستعدون لقتال الامويين قتلة الحسين فلم يشترك معهم وانتهت حركتهم على النحو الذي ذكرناه وعادت فلولهم تبحث عن زعيم جديد فوجدت أميتها في شخص المختار فانضموا اليه واستمر المختار في تحركه حتى استقطب اكثر الشيعة وكان يترحم على سليمان بن صرد في مجالسه ويقول: لقد قضى ما عليه وقد توفى الله وجعل روحه مع ارواح الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد جاهر المختار في الدعوة الى العلويين وأحد البيعة لهم وحمل يتصل بهم بين الحين والآخر ولكن اكثر المصادر تشير الى ان الامام علي بن الحسين قد رفض عروض المختار، فقد جاء في مروج الذهب للمسعودي انه اتصل بعلي بن الحسن بصفته من سلالته الرسول وابن الحسين لسدي يطالب شأره وكتب اليه كتابا بخصوص البيعة له وأرسله اليه مع أمور كثيرة على حد تعبير المسعودي، ولكن الإمام علي بن الحسين رفض عروض المختار وأمواله فاتجه الى عمه بن الحنفية، فكان حواره: "اني احب ان يبصر ما الله ونيهك من منك دماء ولست أمر بحرب ولا باراقه الدماء، كما جاء ذلك في سيف الاشراق بللاذري ايضاً

وعلى تقدير صحة الرواية فقد امتناع الإمام السجاد عن تلبية طلب المختار ورفضه للاموال التي أرسلها اليه يمكن ان يكون لعدم أطمئنا لمواقف العراق كما يمكن ان يكون لخراقة موقفه الواقع بين عشرين من أشرم خلق الله وعلى ما بينهما من عداوة وتراحم على السلطة فكلهما يكيدان للعلويين، والامام يعيش في الخمار مطلق الدعوة الربرية كما وان حوب ابن الحنفية الذي تمى فيه الانتقام ممن قتلهم وأراق دماءهم، وفي الوقت ذاته متصل من راقاة الدماء والحرب لا مصدر له الا الخوف من ابن الزبير، ومن الخائر ان يكون المختار قد أشاع في أوساط الشيعة ان ابن الحنفية قد أرسله وزيراً أو أميراً ليجمع الشيعة على مساعدته في القضاء على من اشترك في قتل الحسين وأصحابه.

وبعد ان استعمل امر المختار في الكوفة عزل ابن الزبير عنها عامله عبدالله ابن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة وولاه لعبدالله بن مطيع، ولكن ابن مطيع لم يكن خيراً من سلفيه فسار في الكوفة مسيرة اغصبتهم فحقنوا عليه وعلى ابن الزبير والتفوا حول المختار وما لبث ان اتسع نفوذه فأخرج منها ابن مطيع، وجاء في المرويات انه دفع اليه مائة ألف درهم فخرج من الكوفة واعتزل السياسة، وانضم

الى المختار ابراهيم بن الاشتر وحضره عراقي وسائر الامصار عدا الحجاز والبحرية
وبلاد الشام للمختار الثقفي كما جاء ذلك (في ص ٣٠٠) من الاحبار الطوال
للمدينوري .

ودخل المختار قصر الامارة لأول مرة وسط يده يطلب البيعة من الناس على
كتاب الله والطلب نثار أهل البيت ومبصرة من بناصرهم ، وفرق ما وحده من
الاموال في بيت المال بالسوية من غير ان يفرق بين عربي وعجمي مما جعل الموالي
يلتفون حوله ويتعاونون في طاعته ، هذا بالإضافة لسياسته التي تطوي عمل التودد
لبني هاشم والعلويين وقد اثار سياسته لاقتصادية غضب الاشراف عليه واعتبروا
مساواتهم بالموالي اعتصاما لحقوقهم ، فانهز الاشراف ومن التف حولهم حلول الكوفة
من الحنيد والمقاتلين الذين سرحهم بعبدة ابراهيم بن الاشتر الى الموصل لقتال
جيش الشام بقيادة ابن رباد فثاروا عليه وتكلم شعث بن رعي مع المختار وعرض
عليه مطالبهم فوعده المختار بتفصيلهم عن المولى اذ عاهدوه على قتال الامويين
والبربريين ومناصرة العلويين فرفضوا اقتراح المختار وانهزوا فرصة وجود الجيش
خارج الكوفة بقيادة ابن الاشتر فحاصروا علم المختار وحاصروه في قصر الامارة
واحتلوا المراكز الرئيسية في الكوفة وسيطروا على كثر أحيائها ، فعث المختار برسول
الى ابن الاشتر وكان لا يزال قريباً من الكوفة ليحبره بكل ما حدث وبأمره بالرحوع
بمن معه من الجيش الى الكوفة بأقصى ما يمكن من السرعة ، وفي مساء اليوم الثاني
كان ابراهيم الاشتر وجيشه يحوم شوارع الكوفة وعسكر بجوار مسجده ودار
المعركة بين الفريقين وكانت تتبععتها لمصححة المختار خلال ساعات معدودات وقتل
منهم خمسمائة وأسر نحو من مائتين وفر الساقون لخارج الكوفة ، وكان السبب في
هذه المعركة تعصب العرب على المولى نفي استعلاها الامويون وقتلة الحسين (ع)

وجاء في الاحبار الطوال للمدينوري (صفحة ٣١٦) ان الامويين وقتلة الحسين
كانوا السبب في هذه العتنة ون شمر بن ذي الخوش وعمر بن سعد ومحمد بن
الاشعث وأحاه قيس بن الاشعث كانوا قد فروا من الكوفة عندما دخلها المختار
ودعا الشيعة للانتقام من قتلة الحسين وعندما بلغهم حروح الناس على المختار في
الكوفة رجعوا اليها وجعلوا يحرسون الناس وقادوا المعركة مع الامويين صده وكان
مصير معركتهم الفشل كما ذكرنا .

(١) أنظر الخوارج والشيعة للمستشرق فلهورن والاحبار الطوال وغيرها

المختار وقتلة الحسين (ع)

لقد رأى المختار بعد ان تبين له ان لامويين وقتلة الحسين (ع) كانوا وراء تلك المعركة التي انتهت بانتصاره على عرب الكوفة رأى ان يعجل بالقضاء على من اشترك في مجزرة كربلاء فأعلن الحرب عليهم وصار هو ومعه عرفة من الجيش في جهة وابراهيم بن الاشتر ومعه بقية الجيش في جهة اخرى ومادى مادييه في الكوفة. من اعلق يده فهو آمن الا من اشترك في قتل حسين، وأطلق العنان لهم ليستقموا من قتلته وقال لاصحابه: اطلقوا في قتل آل بيت الرسول فانه لا يسوع في الطعام والشراب حتى اظهر الارض والمصر منهم. وتعالى الصباح من كل جانب. يا لثارات الحسين، وصاح انصار الامويين يا لثارات عثمان، وكان هذا الداء سباً في تفرق بعض انصارهم وفي مقدمة من اسحب من المعركة رفاعه بن شداد وقال: ما لنا ولعثمان والله لا اقاتل مع قوم يعالون بدم عثمان، واستطاع المختار ان يأسر في اليوم الاول من المعركة خمسمائة رجل ود عرصو على المختار وحدان من اشترك منهم في معركة الطلح مائتين وثمانية وأربعين رجلاً فقتلهم عن آخرهم وأطلق سراح من بقي منهم، وذهب رجال المختار يميناً وشمالاً يسحبون عن بقية القتل، وكان كل واحد منهم قد هباً لنفسه محباً واحتمى فيه، ولكن الموالي كانوا يراقبون تحركاتهم وتنقلاتهم فاستخرجوهم من محائبهم وقتلوهم وحتى ان بعض النسوة كن يخبرن عن ارواجهن، ومن هؤلاء زوجة خولي بن يزيد الاصمحي الذي اختر رأس الحسين وفصله عن جسده الشريف، وحسباً ادخلوا الرؤوس الى الكوفة ادخله عليها فنفرت منه وقالت: والله لا يجتمع رأسي ورأسك على وسادة واحدة، وقد احتبأ في داره في محل بعيد عن الاظار، ولما هاجم انصار مختار داره ولم يجدوه فيها سألوها

عنه زوجته فقالت: لا أحري ابن هو، وأشارت لهم بيدها إلى مكانه فاستخرجوه من المكان الذي أرشدتهم إليه وأقبلوا به إلى المختار فرددّه في بيته فقتله إلى جانب أهله وهم يظفرون إليه ثم دعا ببار وأحرقه ولم يبرح المكان حتى صار رماداً، ثم قبض على عمر بن سعد وقتله واحترأ رأسه ووضع بين يديه وأحضر ابنه حفصاً ووضع الرأس بين يديه، وقال له: أنعرف هذا الرأس؟ فقال: نعم ولا خير في العيش بعده، فقال له: ومن أنأك أنك تعيش من بعده، وأمر بقتله ووضع الرأس بين يديه وبكى، ثم قال: هذا برأس الحسين وهذا برأس علي الأكبر، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع فريش ما وموا أثلة من أنامله^(١).

وجاء في الإخبار الطوال للدينوري أن المختار أمر أبا عمرة بأن يجمع له ألف عامل من العمال ويتبع دور من خرج لقتل الحسين (ع) ويهدمها، وكان أبو عمرة عارفاً بهم فجعل يتبعهم في أحياء الكوفة ويهدم ويقتل من وجده منهم، ومضى المختار يطاردهم حتى لم يبق منهم أحد إلا فرّ أو قتل، والتجأ الفارون إلى ابن الزبير وإلى الأمويين، ثم استأجر المختار نوادب من ساء الكوفة يدين الحسين (ع) ومن قتل معه على باب عمر بن سعد ليحرك عواطف الشيعة ضد الأمويين وأنصارهم وبعضهم حوله ليل أهدأهم، وبعث المختار في طلب حكيم السنسي وكان قد سلب العباس بن علي بقدر مصرعه فقبض عليه انتصار المختار وقتلوه فقل رحوعهم إليه مخافة أن يتشمع به أحداً ويسلم من القتل، وطلب زيد بن ورقاء قاتل عبدالله بن مسلم فقتلوه وأحرقوه، كما قتلوا شمر بن ذي الجوشن وقد قصوا عليه بعد أن هزم من الكوفة فاصداً مصعب بن الزبير، وحاول أن يقاومهم ولكنهم تعلبوا عليه وأردوه صريعاً ثم أحرقوه وقصوا على ابن أنس وكان قد ارتزع بونس الحسين عنه فقال لهم المختار: افطعوا يديه ورجليه، وتركوه يضطرب حتى مات.

وحاء في البداية والنهاية لاس كثير أن المختار كان يعاقب كل إنسان حسب جرميته وبقي عليه رأس الأفعى عبيد الله بن زياد، وكان قد اتجه لتحرير العراق من الزبيريين والشيعة عن طريق الموصل بقيادة جيش كبير من جند الشام قد أعده عبد الملك بن مروان لهذه العاية، وحيثما بلغت أخباره المختار جهّز جيشاً مؤلفاً من سبعة آلاف مقاتل لمقاتلته قبل أن يجتاز حدود العراق، واضطر إلى إرجاعه لاجتماع

(١) المجلد الرابع من الطبري ص ٥٣٣.

الفتنة التي امتثلها أشراف الكوفة بسب موقف المختار من الموالي وإنصافه لهم كما ذكرنا، وبعد أن قضى على الفتنة كُرِّ راحماً ملافاً ابن زياد وكان قد احتل الموصل وخرج المختار مع الجيش إلى المدائن وبقي فيها يتلقى أخبار المعركة ونتائجها، وعندما التقى الجيشان على صفاف نهر الخرار في صواحي مدينة الموصل، تقدم عمر بن الحباب السلمي أحد القادة الكبار في جيش ابن زياد من إبراهيم بن الأشتر وعرض الانصياع إليه عن معه، وكان قيسياً حاقداً على الأمويين لأنهم يومذاك كانوا يقربون ويجارون الكليين اليمنيين ويتجاهلون أنخصمهم القيسيين، وأحر ابن الأشتر بأنه على مسيرة ابن زياد واتفق وإياه على أن يهرم بمعه من المعركة عندما يلتقي الجيشان وقد ابن الحباب خطه عندما احتدمت المعركة بين الطرفين وذلك في مطلع سنة ٦٧ هجرية وجعل الأشتر يحرص جيشه على القتال ويذكرهم بما فعل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من القتل والسي والاسر وما إلى ذلك من الحرائم.

ورحمت الطرفان بصراوة بالغة واستمر القتال حتى امتلأت ساحة المعركة بالقتلى من الطرفين، وكان أكثرهم من جيش الشام، واستطاع ابن الأشتر أن يهزم بجيشه جموع أهل الشام بالرغم من أنهم كانوا يسعون عشرة أصناف حشود المختار على حد تعبير المؤرخين، وذلك بفضل مهارة القائد وحسن حيله الشيعي في عاليته بعد أن كان خصمهم الدود الذي ثوى قتال الحسين وكانت المحررة بتوجيهاته، في ساحة المعركة وسقط في ميدان القتال أكثر قادهم ومهم ابن مرجانة وفر الساقون بعدما شاع نأ مصرعه ومضى جيش العراق في أثرهم أينما حلوا وانجهوا، وبلغ الحال بهم أنهم كانوا يلقون انصهم في نهر الخرار على أمل النجاة من العراقيين فيموتون خرقاً، وانتهت المعركة بتلك الهزيمة المسكرة بني لم يحدث التاريخ بأسوأ منها، وطلب الأشتر جثة ابن زياد واحتر رأسه وأحرقها وورع القادة من أنصاره عن المدن المتاحة للموصل لإدارة شؤونها وملاحقة فلول الأمويين ودخل المدينة فاستقبله أهلها استقبال الفاتحين وأرسل للمختار بשרه بانتصار جيشه ومصرع ابن مرجانة وأرسل الرأس ومعه بقية رؤوس القادة

وجاء في حياة الإمام زين العابدين لساعدي عن المهدي بن عمر أنه قال: حججت في السنة التي ظهر فيها المختار ودخلت على الإمام زين العابدين، فقال لي: يا مهدي ما فعل جرملة بن كاهل؟ فقلت: تركته حياً يرق، فرفع الإمام يديه وقال: اللهم أدقه حر الحديد اللهم أدقه حر لسان، ومضى المهدي يقول: قلما

رجعت الى الكوفة ذهبت لزيارة المختار وكان في صديقاً فوجدته قد ركب دابته
فركبت معه حتى اتى الكساسة فوقف ينتظر شيئاً وكان قد وجه الشرطة في طلب
حرملة بن كاهل فلما وقف بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكنني منك، ثم دعا
بالحرار وأمره بأن يقطع يديه ورجليه ونحرمة قصت عطف يديه ورجليه وأحرقه بعد
ذلك، فقلت بعدما رأيت ذلك يا سبحان الله، فالتفت الى المختار وقال: مم
سحت يا منهال؟ فقصصت عليه ما سمعته من الامام زين العابدين (ع) ودعائه
على حرملة فقال لي: والله عليك لقد سمعت ذلك، فقلت: اي والله، فنزل وصلى
ركعتين وصام بهاره شكراً لله على ستجاة دعاء الامام علي بن الحسين على يديه

وجاء في تاريخ اليعقوبي وغيره ان مختار الثقفي أرسل رأس اس رباد ورأس
اس سعد الى علي بن الحسين في المدينة وقال للرسول: اذا دخلت المدينة وبلغت
دار علي بن الحسين ورأيت أبوابه قد فتحت ودخلها الناس فادخل عليه بالرأسين
فانه في ذلك الوقت يوضع له الطعام ليأكل هو ومن يدخل عليه.

فأقل الرسول نحو المدينة بهذا السير فلما انتهى اليها مضى الى بيت
الامام (ع) ولما فتحت الابواب ودخل الناس لتناول الطعام نادى بأعلى صوته: يا
أهل بيت السوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي اننا رسول المختار بن أبي عبيدة ومعي
رأس اس مرحانة وعمر بن سعيد، فصح من في ليلدار وتعالى الصراح منه وانتشر
الخبر بسرعة في دور بني هاشم ولم تزل امرأة في دورهم الا صرحت، ثم دخل
ووضع الرأسين بين يدي الامام (ع) فلما رأها قال: أبعدهما الله الى النار، وأصاف
اليعقوبي الى ذلك ان علي بن الحسين لم ير يوماً قط صاحكاً منذ قتل ابوه الا في
ذلك اليوم

وكان له ابل تحمل العاكهة من بلاد الشام الى الحجاز فأمر تلك العاكهة
وورعها على اهل المدينة ثم خرج الله ساجداً يدعو للمختار ولكل من ناصرهم على
قتال أعدائهم.

وعندما علم ابن عباس بذلك قال: حراء الله عما وعى رسول الله خير جراء
المحسنين لقد اخذ بثأري وأدرك وترى، كما حر محمد بن الحنفية ساجداً شكراً لله
وقال: جزاه الله خير الجراء لقد درك لنا ثأري ووجب حقه على كل من أولده عبد
المطلب بن هاشم، ومضى يقول: اللهم احفظ اسراهم بن الاشر وتصره على

(١) أنظر المختار الثقفي للخرطوبلي ص ٢٠٣.

الاعداء ووفقه لما تحب وترضى واعمر له في لأخرة والاولى

وجاء عن فاطمة بنت علي (ع) كما في كتاب محمد بن الحنفية للهاشمي انها قالت: ما تخصبت امرأة من العنويات ولا انحالت في عيسها مرودا ولا ترجلت حتى يبعث المختار برأس عبيد الله بن رباد الى مدينة، وأكد مصموم هذه الرواية الامام الصادق (ع) كما جاء في رواية المرزباني عنه^(١).

وبلا شك فان المختار قد ادخل اسرور على أهل البيت وترحم عليه الامامان الباقر والصادق ونزله لمام الصادق من كل م سب اليه، وجاء عن عبد الله بن شريك العامري انه قال: دحسا على ابي جعفر الباقر (ع) يوم الحجر وهو متكئ وقد أرسل الى الخلاق فقدمت بين يديه اد دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمعه وقال له من انت؟ قال انا للحكم بن المختار وكان متاعدا من ابي جعفر (ع) فمد يده اليه حتى كاد يغمده في حجره فقال له الحكم: اصلحك الله ان الناس قد اذكروا في ابي وقالوا والعول كثير يقولون به كذاب ولا تأمرني بشيء الا قلته، فقال الامام: يا سبحان الله لقد احببني ابي ان مهر امي كان مما بعث به المختار اولم بين ثورنا وقتل قانليا وطلب دماءا رحمه الله.

ومضى يحدث عن حصائمه وقال في حتام حديثه رحم الله اباك رحم الله اباك ما ترك لنا حقا عند احد الا طلبه، اما ما جاء عن ريس العاصدين (ع) في حقه فلا مصدر له ان صح سوى النحاشي من شر الامويين والبربريين الذين كانوا يلاحقون الشيعة وأئمتهم ويسومونهم سوء لعذاب^(٢).

(١) أنظر رجال الكشي ص ١١٥.

موقف المختار من الزبيريين ونهايته

لقد ارتفعت أسهم المختار كثيراً في لاوساط الاسلاميه وبخاصة بعد نجاحه في معركة الموصل والقضاء على ابن زياد وقادة جيشه واحتلال الموصل ومناطقها، وأصبح مستهدفاً للأمويين والزبيريين وكلاهما يحاذران من نفوذه المتزايد واتساع سلطته، ولكن الزبيريين كانوا يروون أحضر على نظامهم وأمانهم من الأمويين في العراق لأنه كان يعمل من أجل الدولة العلوية وعياصمتها الكوفة، والتف حولهِ الشيعة والموالي جساً إلى جيب، وهم يشكلون العَدَد الأكبر من سكانه، وكان ابن الزبير ينظر إلى معارك المختار مع الأمويين في الموصل بعين مليئة بالسرور، لأن الحرب الصروس التي وقعت بينهما ستؤدي في النهاية إلى أضعاف الفريقين، وأياً كان المهزوم أو المقتول فهو من أحصائه، للداء.

وحينما علم بمصرع ابن زياد وهزيمة الأمويين قوت عينه لأن ابن زياد كان من أعظم قادتهم وأشرسهم، وأصبح الصرع يبه وبين المختار على العراق في تلك الفترة من الزمن لأن عودة الأمويين إلى العراق بعد تلك النكسة التي مُيت بها جيوشهم في الموصل ليست بالأمر اليسير، لشي يمكن تجاهله.

وبالرغم من الانتصارات الواسعة التي حققتها المختار في العراق على من ثمرد عليه من رعياء العرب كرهاً بالموالي الذين قرَّبهم وساراهم بغيرهم، وعلى الأمويين في معاركه معهم في الموصل فقد كان يحذر من الزبيريين ويراقب تحركاتهم ورأى نفسه في أمس الحاجة إلى مهادنتهم ولو لفترة من الزمن يستعيد فيها قوته ويال فيها جنته قسماً من الهدوء والراحة حتى لا يمس من القتال ويدب الوهن والتخاذل في

صفوفه ويصنعوا معه كما صنعوا مع عبي وحسن ومن عقيل بالأمس، لا سيما وأن فريقاً من الزعماء الذين يمثلون المعارضة سياسته لا يزالون في الكوفة يترقبون الفرصة لدوثوب عليه، والتحق بعضهم إلى ابن الزبير وانضموا إلى أنصاره يعدون العدة للثورة ورأى أن يبعث برسالة إلى ابن الزبير جاء فيها: فإن ترد مراجعتي ومناصحتي لك فعلت، وكان المقصود منها كما جاء في الكامل لابن الأثير أن يهدئه لالتحاق ما كان يعمل لتحقيقه وإحارته وتجنباً من أن يرسل جيشاً إلى الكوفة ويصططه إلى حرب طاحنة ليست من مصيحتة في ذلك الوقت^(١).

وكان رد ابن الزبير أن أرسل عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ليتأكد من صدق نوايا المختار عاملاً له على الكوفة وأعطاه أربعين ألف درهم، ولما دخل الكوفة استقر رأي المختار أن يصرفه عنها بالحسنى كما أخرج منها عبد الله بن مطيع من قبل فاستدعى رائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وأمدّه بحمسة مائة فارس وطلب منه أن يعرض على الولي الجديد هذا المبلغ لقاء انصرافه من الكوفة، وإن رفض أحرجه بقوة السلاح. فتردد ابن عبد الرحمن أولاً في قبول المبلغ وأخيراً أثر السلامة عندما أحس بأن رائدة بن قدامة مستعد للمقاومة ورجع إلى البصرة فأقام فيها إلى جانب ابن مطيع.

وعاد المحار إلى محاولة ثابته لخداع ابن الزبير كما جاء في الكامل لابن الأثير فأرسل إليه بخره بأنه قد مهد سلطانه على لعراق وطلب منه أن يقره على حكمه برولاً عند الأمر الواقع، واقترح عليه أن يمدّه بمليون درهم ليستعين بهذا المبلغ على الرجوع إلى الشام لقتال الأمويين، ولكن ابن الزبير وكأبه قد أدرك ما يهدف إليه المختار من محاولاته هذه فرفض اقتراحه وفضل المختار يترقب الفرص ليعيد على ابن الزبير طلب الهدنة، وصادفته الفرصة بعد أن أرسل عبد الملك جيشاً بقيادة عبد الملك بن الحرث لمهاجمة وادي القرى في الحجاز فاستعدها المختار وأعاد الكرة على ابن الزبير يعرض عليه المساعدة فاصطط ابن الزبير إلى الترحيب بذلك بشرط أن يأخذ له البيعة في العراق فاستدعى قائدته شرحبيل بن ورث الحمداني وأمدّه بثلاثة آلاف جندي وأمره بالرجوع إلى المدينة ونزاعها من ابن الزبير، وبما أن ابن الزبير لم يكن مطمئناً للمختار وبحاف عذره اتحد جميع لاحتياطات لإحباط محاولاته فأعد

(١) أنظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٠٣ رأس الأشراف ج ٥ ص ٢٤٥

جيشاً من ألفي مقاتل بقيادة العباس بن سهل للدفاع عن المدينة وأمره بأن يستدعي
البدو والأعراب ويتقدم بهم نحو المدينة وأن ينضم إلى حشد المختار إذا ثبقت من
إخلاصهم ويشاركوا جميعهم في حرب الأمويين في وادي القرى، والا قاتلهم
ومنعهم من احتلال المدينة، وما وصل ابن ورس قائد المختار بمن معه المدينة
والتقى بابن سهل قائد ابن الربير طلب منه الانضمام إليه لمساعدته على الأمويين
الغزاة فرفض ابن ورس طلبه واستمهله ليكتب إلى المختار بهذا الخصوص فأدرك
العباس بن سهل أهداف المختار من إرسال جيشه وبقي يراقب تحركاتهم بدقة
وحذر شديدين كما يدعي المؤرخون، وحلال إقامة جيش المختار في المدينة فقد ما
كان معهم من المؤن فاضطروا إلى طلب المساعدة من الربيرين فأمدوهم بالمؤن
والأغنام وما يحتاجون إليه وانصرف جماعة من الحدة إلى دبح الأغنام وسلحها
تاركين أسلحتهم وراءهم، فانهز العباس بن سهل هذه الفرصة وفاحاهم بالهجوم
عليهم على حين غفلة فانتدب شرحبيل بن ورس أصحابه فلم يجمع إليه في تلك
اللحظات أكثر من مائة منهم ودارت معركة بين الفريقين وانصرجت عن مقتل
سعين ممن كانوا مع ابن ورس ومائتين من بني الحدة، وفر الباقيون إلى هنا وهناك
لا يدرون أين يتوجهون وهلك معظمهم من الجوع على حد تعبير ابن الأثير في
المحلة الرابع من الكامل.

وانتهى ابن الربير بعد هذه المحاولة من المختار إلى اصطهاد العلويين وبخاصة
محمد بن الحنفية للشهي من المختار ومثل أدوار الأمويين معهم بالروح والأسلوب
نفسه وحصرهم في شعب رصوي وصيق عليهم كما فعلت قريش مع الهاشميين
والمسلمين الأوائل في مطلع الرسالة، ونجى المختار لنجدتهم حينما علم بذلك
بواسطة جيش أرسله من الكوفة بقيادة عبد الله الحنظلي فاستخرجوا العلويين وابن
الحنفية من الشعب وحاولوا الاقتصاص من الزبيريين وأنصارهم فرفض ابن
الحنفية ذلك تخرجاً من الفتنة ورافقة الدماء

وظلت الأمور تتأرجح بين المختار وس الزبير وتسير من سيئ إلى أسوأ وأصبح
المختار ينظر ابن الربير أشد خطراً عليهم من الأمويين، ورأى عند ذلك أن يرسل
إلى البصرة والياً قوياً من خلص أنصاره ومعاونيه وبعد توطيد الأمور فيها يتجه إلى
الكوفة وجهاتها من المناطق التي تحصص لحكم المختار، ولم يجد لهذه المهمة غير أخيه
مصعب بن الزبير فأرسله إلى البصرة سنة ٦٧ من هجرة الرسول (ص) وعندما
دخلها خطب الناس وأعلن بحصون حشد كبير من أهلها عن انتهاء عصر الضعف

والتساهل، وهاجم المختار هجوماً عيباً صاعقاً ولم يترك لقباً من ألقاب السوء إلا وألصقها به، والتفت إلى أهل البصرة قائلاً: بلعي أنكم تلقبون أمراءكم وقبل أن تلقوني فإني قد لقيت بمسي بالخزرة، واستغنى شدته وقسوته الهاربون من الكوفة فالتفوا حوله يستغيثون به ويطلبون منه أن يخرج بهم لقتال المختار وبعد أن وجد الأجواء مهيأة لذلك استدعى المهلب بن أبي صفرة وكان وجهه لقتال الخوارج فهادتهم وأقبل بمن معه إلى البصرة فأرسله إلى الكوفة في جيش قد أعد له لذلك وأحسن عذته وصمم إليه أولئك اسدين يرحوا من الكوفة هرباً من المختار، ولما بلغت أخبارهم المخار جمع حمله وأنصاره وولى عليهم أحمد بن شميظ ولما التقى الحيشان على مشارف الكوفة وأصبحا وجهاً لوجه صلب منهم قائده الكف عن إراقة الدماء والتسليم للمختار على أن تكون الخلافة فيما يتفقون عليه من آل الرسول (ص).

وكان من الطبيعي أن يرفض ابن الزبير هذا العرض وأمر قائده المهلب بالمحجم فهاجمهم وهم يقولون لأهل الكوفة: كموا عن القتال ولا تقتلوا أنفسكم من أجل هؤلاء العبيد يعمون بذلك الموالي، وتقدم الزبيريون في المحجم حتى كادوا أن يلحقوا امرئة بأهل الكوفة، واستعاد الموالي والشيعنة نشاطهم ودف فبهم الحماس في تلك اللحظات واهلوا عليهم جرحهم ورماحهم وسهامهم كالسيل الحارف وعاد الموقف لمصلحة المختار وجيشه واهرم أنصار ابن الزبير ولم يثبت منهم سوى الفرسان، وكانوا لا يدركون منهم، لا قتلوه ولم يقبضوا على أسير إلا الحقوه به، ولكن سرعان ما دارت الدائرة على جيش المختار واستطاع ابن الزبير أن يجمع فلول جيشه المشاة والفرسان ويهجم بهم جماعة المختار واستولى الحماس على عرب الكوفة الذين التحقوا بابن الزبير وقتلوا قتلاً شديداً واستمر القتال الضاري حتى ساحت الأرض بالدماء، وامتلات أرض المعركة بجثث القتلى وكان أكثرهم من الموالي وأبدى المختار شجاعة فائقة بعد أن قتل قائده ابن شميظ، ولما أحس أنصاره بأن المعركة تسير بسرعة لمصلحة ابن الزبير وأن الهزيمة لاحقة بهم لا محالة أخذوا يتسللون إلى ابن الزبير الواحد بعد الواحد يطلبون منه الأمان لهم ولأسراهم، ودخل ابن الزبير بجيشه حتى أصبح على أبواب الكوفة وأخذوا يضيّقون على المختار ويمنعون عنه المدد والمؤن، ولم يبق معه إلا عدة آلاف من الموالي ومئات قليلة من العرب، وكان أكثر من معه من العرب والزعماء قد تسللوا إلى أسراهم واعتصموا في بيوتهم كما هي عادتهم مع العلويين وأصبحت حالة المختار تزداد

سوءاً لحظة بعد لحظة، وبلغ الحال بالناس أنهم كانوا إذا خرجوا من القصر يرمونهم من فوق السطوح بالماء والأوساخ، وكانوا يقتاتون على ما يأتيهم من النساء في منتهى التكتم والسرية.

واستمرت الحرب في الشوارع كحرب العصابات لمدة أربعة أشهر كما يدعي بعض المؤرخين، فكان يخرج من معه من القصر بين الحين والآخر فيصطدم بجماعة ابن الزبير ثم يرجع اليه، وعندما تقلم ابن الزبير نحو القصر وأصبح في حوار نذب المختار أصحابه وقال لهم: إن الحصار لا يريدكم إلا ضعفاً فابزلوا بنا حتى نموت كراماً، فامتنعوا عن الخروج معه، وأحيراً خرج ومعه سبعة عشر رجلاً لا غير ومضى يضرب بسيفه حتى قتل وكان مصرعه في ١٤ رمضان من سنة ٦٧

وحاء في مروح الذهب للمعري أنه خرج من القصر وركب بغلة شهاء ومضى يضرب بسيفه حتى قتل منهم جماعة ثم حمل عليه رجل من بني حيفة فصرعه وتكاثر عليه أصحاب مصعب ونظموه سيوفهم، وأمر ابن الزبير بقطع كفه وسمرها بمسار إلى جانب المسجد على أحد تعبير الراوي وبقيت إلى أن حاء الحجاج ابن يوسف والياً عليها لعمد المثلث (س. مروان) فأمر برعها، ودخل مصعب القصر واستسلم كل من فيه من المقاتلين ونزلوا على حكمه ومع ذلك فقد قتلهم عن آخرهم ومضى يتبع الشيعة وأصل الحصار حتى قتل في صحوة يوم واحد سبعة آلاف من الشيعة والموالي والتقى بعد ذلك بعد الله بن عمر فقال له أنت القاتل سبعة آلاف إنسان في صحوة يوم واحد؟ فقال له إهم سحرة كفرة، فقال له ابن عمر: لو قتلت عدتهم من غم أبوك لكان سرفاً

وجاء في تاريخ اليعقوبي أنهم كانوا قد حاصروا من في القصر ولم يتمكن ابن الزبير من احتلاله فأعطاهم اليهود والمؤثيق وكتب لهم كتاباً عاهد الله فيه أن لا يمسهم بسوء فمكثوا من القصر فدخله ولما استسلموا قتلهم عن آخرهم وكانوا سبعة آلاف رجل من الشيعة والموالي ومضى يتبع الشيعة فقتل منهم عدداً كبيراً ولم تشاهد الكوفة حتى في عهد رباد وأنه عيّد الله فترة أسوأ من تلك الفترة التي عاشتها خلال الأشهر الأولى من احتلال الزبيريين لها^(١).

وبلغ به الحال أنه بعد أن قتل المختار وقتك به حاول قتل نسائه فقد

(١) أنظر ص ١٥٧ من المجلد السابع تاريخ الطبري

(٢) اليعقوبي ج ٣ ص ١٠ طبع الجف.

استدعاهن إليه وطلب منهن البراءة منه وهددهن بالقتل إن لم يستحسن إلى طلبه، فاستجابت له إحدهن وتبرأت منه ما رأت، السيف فوق رأسها وامتنعت اثنتان مهراً وهما بنت سمرة بن جندب وابنة النعمان بن شير الأصمري وقالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله كان صائماً بهاره وقائماً ليله قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله (ص) وأصرتا على موقفهما فأودعهما في السجن وكتب إلى أخيه بشأنهما فكتب إليه إن رجعتا عما هم عليهما وتبرأتا منه فحل سبيلهما وإلا هاتلتهما، ولما هددتهما بالقتل ترجعتا سنة سمرة خوفاً من القتل وأصرتا سنة النعمان بن شير على موقفهما وقالت: شهادة أرقها في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها أنها موتة ومن ورائها الجنة والله لا أفصل على ولايتي لعلي من أبي طالب شيئاً اللهم أشهد أني منعة لسيفك وابن بنت وأهل بيته وشيعته، ثم ترحمت على زوجها ولم تتبرأ منه فقتلها مصعب بن الزبير وكنت كما يقول اليعقوبي أول امرأة ضربت عنقها صبراً وقال عمر بن أبي ربيعة المحرومي في رثائها

إن من أعجب الأعاجيب عدي . قتل بسوء حرة عطل
قتلوها بغير حرم أئنه . إن الله درها من قتل
كُنَّ القتل والقتال عليهما . وعمل الغايات حر الديول

لقد قتل ابن الزبير سبعة آلاف في غداة يوم واحد من شيعة علي (ع) بالإضافة إلى ألوف القتل الذين صرعهم في ضواحي الكوفة وشوارعها لأنهم سحرة كفرة كما جاء في حواره لعبد الله بن عمر حينما لامه على إسرافه في إراقة الدماء، فبأي شيء يعتذر عن قتله لامرأة أشهدت الله ورسوله على نفسها والسيف مسلط على رأسها إنها على دين محمد من عبد الله ومنعة له ولأهل بيته ومع ذلك لم يحترم الإسلام الذي هو عن ترويع النساء وإن شتمن أعراض القادة وسبب الأمراء كما كان النبي (ص) يؤكد على قادة جيوشه بذلك.

لقد كان المختار ومن معه من الشيعة سحرة كفرة نظر ابن أخت عائشة لأهم كانوا موالين لأهل البيت وقتلوا قتلة الحسين وبني وإخوته وأبصاره، وكذلك زوجة المختار لأنها كانت تحمل هذه الروح السريثة الطيبة فهي ساحرة وكافرة تستحق القتل والتعذيب.

إن ابن هند وابن ميسون وجلادهم كزياد ابن أبيه وعبيد الله وأمثالهما لم يصنعوا مع الشيعة أكثر مما صنعه الخوارج بربريون، ولو كان الحسين في الكوفة

حينما دخلها ابن الزبير فكان ساحراً كامراً نظره مستحقاً للقتل وأسوأ أنواع التعذيب والتعذيب.

ولا فرق بين ابن الزبير والأمويين إلا أن ابن الزبير كان يصدر الأوامر للجلاذية بقتل الصالحاء من الرجال والنساء وإبادة الشيعة من إحدى زوايا الكعبة وهو متقمص لباس العباد والراهبين، وأولئك يصدرون الأوامر للجلاذية بالقتل والظلم والجور من على مواثد الخمر وسدوات القمار ومن بين أحضان النفايات والراقصات.

لقد تنفس الشيعة خلال تلك الفترة القصيرة التي ظهر فيها المختار بن أبي عبيدة الثقفي وذاقوا طعم الراحة وأحسوا بوحودهم وبخاصة بعد أن أصابوا ثأرهم من قتلة الحسين (ع) وبنه وأنصاره وسطع نجم المختار في جميع الأوساط الإسلامية بعد أن قتل ابن زياد ومن اشترك معه في بجرة الطف التي هزت العالم الإسلامي على اختلاف اتجاهات المسلمين ونوعتهم، وبرر كبطل من أبطال التاريخ الذين حارموا الظلم والظالمين من أجل الحق والعدل وكرامة الإنسان.

لقد تنفس الشيعة في عهد المختار بعد خمسة وعشرين عاماً من حكم معاوية وولده وأسرته وذاقوا فيها كل أنواع الإثني والشر والخور، وحيّم في أوساطهم حو من التفاؤل الحذر بعودة الحكم العلوي إلى العراق بواسطة جهود المختار وتفانيه في هذا السبيل، وسرعان ما تسدّت أمامهم وحيّم التشاؤم في أوساطهم محل التفاؤل بعد أن تكتلت قوى الشر والعي من ها وهاك لإحباط محاولاته والقضاء عليه، وطويت بمصرعه صفحة ناصعة من صفحات الانتصارات الشيعية لتحل محلها صفحة سوداء عاتية بقيادة ابن الزبير شقيق العائد بالبيت الحرام لا تختلف في ظلامها الدامس عن تلك الصفحات التي كانت تحيّم عليهم في عهد زياد وأبيه وغيرهما من الجلاذيين والعراصة.

وبغياب المختار عدوا الأمويين والبربريين عن ساحة الصراع استمر الصراع بصراوة بالغة بين الأمويين بقيادة عبد الملك وريث العرش الأموي وبين الزبيريين بقيادة عبد الله بن الزبير، وكانت الأحداث تتلاحق بينهما بأقصى حدود السرعة وانجبه الحزب الأموي بكل قوته لانتراع العراق من ابن الزبير واستطاع عبد الملك بذهائه وكياسته أن يشتري زعماء العراق بالوعود والأموال كما كان يصنع أسلافه من قبله، وعندما التقى عبد الملك بحج معه من جنود الشام بمصعب بن الزبير ومن معه من

أهل العراق في دير الجاثليق القريبة من ألبار واستمرت الحرب بينهما تفرق عن مصعب أكثر أصحابه، وكانت ربيعة في طبيعة المشقير عليه وهجموا عليه وهو جالس على سريريه وقتلوه واجتز رأسه عبيد الله بن زياد بن طبيان وقدمه لعبد الملك ومضى بجيشه حتى دخل الكوفة وجلس في قصر الإمارة مزهواً ورأس مصعب بين يديه وذلك في أواخر سنة ٧٢ هجرية كما نص على ذلك البعقوبي في تاريخه، ودخل عليه عبد الملك بن عمير اللخمي وقد أخذته نشوة النصر والطمر، فأراد كما يبدو أن يضع حداً لنشوته وغروره، فقال له: لقد دخلت هذا القصر ورأيت رأس الحسين بن علي بين يدي ابن زياد، ثم دخلته فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ودخلته مرة ثالثة فوجدت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير وها أنا أرى رأس مصعب بين يديك، فارتاع عبد الملك من حديثه وبدأ عليه الانفعال ثم خرج مسرعاً منه وأمر بهدمه^(١). وبحلول سنة ٧٣ أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي في عشرين ألف مقاتل إلى ابن الزبير في الحجاز واشتدت المعارك بينهما على مشارف مكة ولم يزل يرميهم الحجاج بالمنجنيق حتى مهدمت الكعبة ودث التحاذل بين أنصار ابن الزبير وراحوا يتفرقون عنه ولما أيقن أن الحرب ستكون لمصلحة جيش الشام وأنه لم يعد يملك السيطرة على جيشه دخل على أمه واستشارها فيما يصنع، ويروي المؤرخون أنها لم ترحح له الاستسلام بما دأب يعتقد عليه بحق في موافقه ونددت جميع عاوفه فرجع إلى المعركة ومضى يقتل بمن بقي معه حتى قتل^(٢) وانتهى عصره دور الزبيرين الذي اقتصص مسيرة الدولة الأموية التي أسسها معاوية بن أبي سفيان لتبقى لأحفاد أمية ينزوي على سبيل الرسول برو القردة كما أحبر عنهم الرسول (ص).

(١) أنظر المجلد الثالث من تاريخ البعقوبي ص ١٢ طبع النصف الأشرف

(٢) المصدر السابق ص ١٣ و ١٤.

موقف الحجاج بن يوسف من الشيعة

لقد انتهت معارك الأمويين مع ابن الزبير بمصرعه على يد الحجاج بن يوسف وولاه المراق وحاول عبد الملك أن يقبض من العلويين موقفاً يختلف عن موقف أسلافه الأمويين فأوصاه بأن يحفر دماء بني عبد المطلب وينجسها ولا يسيء إليهم وقال له، كما يروي المؤرخون: **إني رأيت آل أبي سفيان لما ولغوا فيها لم يلبثوا إلا قليلاً وقد اشتد السلاء على الشيعة في عهده** ووصف الإمام الباقر حال الشيعة في عهده كما جاء في المجلد الثالث من شرح النهج بقوله: **ثم جاء دور الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل طمة وتهمة حتى إن الرجل كان يتمنى أن يقال له رنديق أو كافر ولا يقال له شيعي، وجاءه الشرطة برجلين من الشيعة فقال لأحدهما: تبرأ من علي بن أبي طالب، فقال له: ومادا فعل حتى أتيتك منه؟ فرد عليه بقوله: قتلتني الله إن لم أقتلك فاحتر لنفسك قطع بدليك أو رحليك، فقال له الرجل: اختر أنت لنفسك أي قتلة تريد أن تقتل بها عدواً هاتفتني بمثلها فإن الله سيجعل لي القصاص منك وسأفعل بك ما تفعله بي الآن، فأمر الحجاج بقطع يديه ورجليه وصلبه، وأمر أن تضرب عتق الثاني بعد أن رفض البراءة من علي وآل علي (ع).**

وطلب من أصحابه أن يأتوه بأحد أصحاب علي (ع) فقالوا له: لا نعلم أحداً أطول صحبة له من مولاة قبر، فأرسل في طلبه وقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، فقال له: تبرأ من دين علي، فرد عليه بقوله: إن دللتني على دين أفضل من دينه تبرأت منه، ثم قال له: اختر أي فتنة أحب إليك، فقال: أخبرني أمير المؤمنين علي (ع) بأي ساقط ذبحاً على يد أشقى الرية، فأمرهم أن يذبحوه كما تذبح الشاة.

وطلب كميل بن زياد وكان شيخاً كبيراً ومن خواص أمير المؤمنين ففر منه فجعل يعاقب عشيرته وحرمهم من العطاء حتى ساءت حالتهم، فلما رأى كميل ذلك وطس نفسه على الموت واستسلم له وقال: لقد أخبرني سيدي أمير المؤمنين بأنك قاتلي فاقض ما أنت قاص به عذو الله وبعد القتل الحساب، فأمر جلاديه بقتله فقتلوه.

وطلب سعيد بن جبير وكان تابعياً معروفاً بين الصالحاء بالعفة والزهد وعلم التفسير ويسمى جهنم العلماء ولا يصلي إلا خلف الإمام زين العابدين فأخذه خالد ابن عبد الله القسري وأرسله إلى الحجاج فبما رآه سأله عن اسمه قال: سعيد بن جبير، فقال: بل شقي من كبر، ثم سأله عن أبي بكر وعمر أمهما في الجنة أو النار؟ فرد عليه بقوله: لو دخلت الجنة عمت من فيها، ولو دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها.

فقال له: ما تقول في الخمساء؟ قل: لست عليهم بوكيل، فقال له: أيهم أحب إليك؟ فقال: أرضاهم لله، فقال: أيهم أرضى لله؟ قال: علم ذلك عند ربي يعلم سرهم وجواهرهم، فأمر جلاديه ^{بقتله}

وقال ابن الأثير في الكامل: كما سقط رأس سعيد بن جبير إلى الأرض هتلاً ثلاثاً أفصح بواحدة ولم يفصح بالثانية والثالثة ومضى يقول: لقد التسن عقل الحجاج بعد قتله لسعيد بن جبير، فكان يقول: قِيدُوا قِيدُون، وإذا نام يرى سعيداً في منامه أحداً بمجامع ثوبه وهو يقول: يا عذو الله فيم قتلتي

وحاء في مروج الذهب للمسعودي أن الحجاج بن يوسف قد رَوَّحَ عبد الله بن هاني أحد خواصه بنت أسباط بن حارثة وابنة سعيد بن قيس الهمداني وكان دميماً شديد الأدمة مجدوراً مائل الشدق أحمر العينين، فقال له الحجاج يوماً: لقد زوّجتك ابنة سيد فزارة وابنة سيد اليمانية ولست أهلاً لذلك، فقال له: إن لنا مناقب ليست لأحد من العرب سواها، فرد عليه الحجاج بقوله: وما هي مناقبكم؟ فقال: ما سب عثمان أحد في نواديبنا، فقال: منقبة والله، قال: وشهد منا مع معاوية في صفين سبعون رجلاً وما شهد منا مع أبي تراب إلا واحد، فقال الحجاج: منقبة والله، وما تزوج منا أحد من امرأة تحب أبا تراب، فقال: منقبة والله، وما منا امرأة إلا ونذرت إن قُتل الحسين أن تنحر عشر جزر، قال الحجاج: منقبة والله، ومضى يقول: وما منا رجل عرص عليه شتم أبي تراب إلا شتمه وزاد عليه الحسن والحسين وأمهياً فاطمة بنت رسول الله فقال الحجاج: منقبة والله.

وأضاف إلى ذلك المسعودي لقد تأمر المحلحاح على المسلمين عشرين عاماً وأحصى من قتله صبراً من المسلمين عدداً من قتل في حروبه يبلغ مائة وعشرون ألفاً، وكان في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهم ستة عشر ألفاً كن مجردات عاريات، وكان يحبس النساء ورجال في حبس واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من حرارة الشمس ولا من انظر والبرد في الشتاء، وكان السجن في حبسه يسود ويصبح كأنه رجي، وحسب علامة فجاءت أمه بعد مدة تتفقد، فلما قدم إليها أنكرته وقالت: إنه ليس بولدي، وحيثما تأكدت منه شهقت وماتت كمدماً لسوء حاله^(١).

وكان أكثر القتل والمساكين من الشيعة ولا ديب لهم إلا لإصرارهم على تشيعهم وموالاتهم لأهل بيت نبيهم (ص) وقد اعترف هو نفسه بهذه الحقيقة حيث قال هم حينما أراد أن يذهب إلى الحجاز كما جاء في شرح الحج: يا أهل الكوفة إني أريد الحج وقد استحلقت عنكم ولدي عمداً وأوصيته أن لا يقبل من محسكم ولا يتجاوز عن مسيتكم ويكمي دليلاً على ذلك أن الرجل من أهل الكوفة كان يفصل أن يتهم بالكفر والردة ولم يوصف بالشيعة، ومن أجل تلك العتائ التي ارتكها مع الشيعة كان مكرماً ومعظماً عند أعدائكم والأمويين وقد ولاه بالإضاعة إلى العراق بلاد فارس وكرمان وخراسان وسجستان وأوصى به أولاده من بعده كما جاء في تاريخ ابن الأثير فقال لأولاده أوصيكم بتقوى الله وإكرام الحجاج فإنه وقد لكم المار ودوح البلاد وأدل الأعداء.

هذا المطلق كان الحاكمون يحكمون لبلاد ويقتلون العباد قابس الزبير وهو في الكعبة يتظاهر بالعبادة ويصدر الأوامر لأحبه مصعب ليقتل عشرات الألوف من الشيعة لأنهم لم يتأوا من علي بن أبي طالب ويأمره بقتل روجة المختار لأنها أصرت على ولائها لعلي وآل علي ولم تكفر روحها، وعهد الملك بفتح وصيته لأولاده بتقوى الله ثم يأمرهم بإكرام الحجاج الذي قتل مائة وعشرين ألفاً من صلحاء المسلمين ووضع في حبسه خمسين ألفاً من الرجال وثلاثين ألفاً من النساء، فالتقوى عند الحكام والطفاة وفراغة العصور هي أن يقتل ويسلب ويسجن ويصلب كل من أنكر عليهم جورهم وطغيانهم وإذلالهم لعباد الله واستهتارهم بالقيم والمقدسات، ومضى أولاد عبد الملك وأحفاده على الخط الذي رسمه لهم فأكرموا الحجاج وأمثاله

(١) أنظر ج ٢ من المروج ص ١٥٢ و ١٧٥ وتاريخ ابن الجوزي وغيرها.

من الجلادين لأنهم يوطدون لهم المناير ويقتلون ويصلبون كل من لم يبارك تصرفاتهم وحوورهم ويتبرأ من علي وأبناء علي (ع).

ومع كل ذلك فلقد استمرت الانقسامات واستهان الكثيرون من الناس بحياتهم في سبيل الحق والمبدأ والعقيدة فذروا على الظلم والظلميان وخلعوا طاعة الأمويين وجلادهم، كثورة عبد الله الحارود التي اشترك فيها الموالي ضد الحجاج وقادته الأمويين بالاصابة الى عدد كبير من رحلات العراق بما في ذلك الفقهاء والقراء كما جاء في المجلد الثالث من العقد الفريد لابن عبد ربه وغيره من المجاميع.

وثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث التي انضم اليها الشيعة والقراء والعباد وحتى الخوارج والمسيحيون كما نص على ذلك الديوري في الأخبار الطوال وقد سمي نفسه بناصر المؤمنين وبلغ عدد المقاتلين معه مائة ألف مقاتل نصفهم من الموالي، ويظهر من الأصحاب في الأغلب أن الكوفة خرجت معه عن بكرة أبيها ولم يبق من وحوهم وقرائهم أحد إلا خرج معه لكثرة ما عانوه من جور الحجاج وظلمه وكان عامر الشعبي أحد الفقهاء يومذاك وأعشى همدان أحد الشعراء ممن خرج معه وكان في شعره يمدح ابن الأشعث ويحرض أهل الكوفة على القتال والمضي في الحرب بلا هوادة، وقد ألحقوا بالحجاج وجيشه الهزيمة وكبدوه مئات القتلى، ولولا جيش الشام الذي أمده به عبد الملك والمعريات التي بذلها لعص زعماء الكوفة لقصى على نفوذ الأمويين وعلى الحجاج وجيشه، وكانت المعركة الحاسمة بين الطرفين في دير الحجاجم بعد أن استغاث حجاج بعبد الملك وأمدّه بجيش كبير من الشام لمصلحة الحجاج بعد أن تولى جند الشام إدارة المعركة ودبّ التخادل في صفوف العراقيين، فكانت الهزيمة بقمة عن الموالي وبدأت فترة جديدة من التعديب والاضطهاد أقلقت عبد الملك واضطرته إلى أن يسدي استيائه من تصرفاته ويبعث إليه يلومه ويوضحه كما جاء في مروج الذهب للمسعودي والتبيه والإشراف للطبري.

وثورة يزيد بن المهلب وكان قد تغلب على البصرة وانضم اليه بطبيعة الحال الموالي والمضطهدون وأعداد كبيرة من الشيعة الذين كان الارهاق والظلم يدفعان بهم إلى الانضمام لكل نائر على الأمويين وجلادهم. وثورة مطرف بن المغيرة بن شعبة التي قام بها سنة ٧٧ من الهجرة وكان قبلها والياً للحجاج على المدائن، وفي الوقت ذاته كان كما يبدو من مواقفه أشرف من أبيه المغيرة الذي كان يحايي الأمويين

على دينه وقومه ويخدمهم بكل ما يدره من الوسائل حتى النفس الأخير من حياته لقاء مصالحه الخاصة .

أما ولده مطرف فلم يستطع أن يصبر على الظلم الفادح الذي أنزل به الحجاج بالمسلمين فترك المدائن وأعلن الثورة بمكة ومن أحبابه من أصحابه وكتب إلى سويد بن سرحان الثقفي وبكر بن هارون السجستاني أما بعد فإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى جهاد من انحرف عن الحق وسأثر بالقيء وترك حكم الكتاب فإذا ظهر الحق ومع الباطل وكانت كلمة الله هي العليا جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة ليختار المسلمون لأنفسهم فمن قبل هذا ما كان أحناءاً في دينا وولياً في عيانا ومماتنا ومن رد علينا ذلك جاهدناه وستصرون الله عليه

وقد أراد الخوارج أن يصمم إليهم فمتنع عن ذلك ودعاهم إلى كتاب الله وسنة نبيه والثورة على الظلم والظالمين ، ومضى يدعو إلى كتاب الله والثورة على الظلم والظالمين وجمع الأمويين ، إلى غير ذلك من الانتصافات التي كانت تحدث بين الحين والآخر منذ محررة كربلاء وحتى أعطت لدولة الأموية أحر أنفاسها على يد أبي مسلم وأعوانه دعاة العلويين يومذاك وكانت تلك الانتصافات على اختلاف أهداف قادها تقوم على سواعد الشيعة من العرب والموالي الذين يشكلون العدد الأكبر من جنودها ومقاتليها

ولا شك فإن استجابة الجماهير المسلمة من الشيعة وغيرهم لثورة ابن الأشعث وابن الحرود وابن المهلب وابن المعيرة وغيرهم وإن لم يكن لتلك الانتصافات الطابع الشيعي بصفه الذي كان لثورة التوابين والمختار إلا إن لماعة لاستجابة الجماهير لها لم يكن سوى تلك الروح الثورية التي شنتها ثورة الحسين الدامية في بؤس الجماهير لتفصي عن روح لتواكل والخسوع والاستسلام للحاكمين ، ولتضع من بني الإنسان قوة معاة وعن أهبة الامحار في وجه الظلمة والحائرين ومراعاة العصور في كل أرض و زمان ، فقد قوصت عروش الأمويين وأقلقت العباسيين وبقيت مستمرة نعر عن نفسها في امحارات عاصفة مرة هنا ومرة هناك ولا تزال وستبقى عمية بالعطاء والمثل وحديثاً طلياً على لسان الأحيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

(١) أنظر الطبري ثورة مطرف بن المعيرة ومروج الذهب والبدابة والنهاية وغيرهما من النجاسات

ثورة زيد بن علي بن الحسين

لقد كان زيد بن علي من الدعاة إلى الحق والعدل ومحاربة الظلم والجور والتسلط فكانت دعوته امتداداً لدعوة جده الرسول (ص) وثورته قساً من ثورة جده الحسين (ع).

لقد قال حينها خرج لجهاد الطغاة والظالمين: إني أدعوكم إلى كتاب الله وإحياء السنن وإمارة البدع فإن تسمعوا يكن حبراً لي ولكم وإن تأسوا فليست عليكم بوكيل.

وقال لجماعة من أصحابه: أما ترون إلى هذه الثريا أترون أن أحداً يراها؟ فقالوا له: لا يا ابن رسول الله، فقال: وجدت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع وأتقطع قطعة قطعة وأن يجمع الله بين أمة محمد على الحق والهدى^(١).

من أهل هاتين الخصلتين كان يعمل حفيد سيد الشهداء زيد بن علي وعلى خطى جده المصطفى وآبائه الأظهر كان يسير ليجمع أمة محمد على الحق والعدل وإمارة البدع التي حاربها الإسلام وقضى عليها لفترة من الزمن وأعادها الأمويون بأسوأ مما كانت في جاهلية هند وأبي سفيان وأبي جهل وغيرهم من طغاة قريش وبني أمية. من أجل ذلك كان يتحرك حفيد علي (ع) ويتمنى أن يصلح الله أمة محمد ويجمعها على الحق ولو سقطوا من الثريا ونقطيع جسمه قطعة قطعة.

إن هذه الروح الخيرة السحبة بالهدى في سبيل أمة محمد ليست إلا قساً من

(١) أنظر تاريخ ابن كثير ومقاتل الطالبين.

روح جده أبي الحسن علي (ع) الذي كان يقول يوم كانت قوى الشر تتكالب على اعتصام حقه . والله لأسألك ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن جور إلا علي خاصة، ولم يكن يعني سلامة أمور المسلمين سوى اجتماعهم على الحق والعدل ومحاربة الظلم والعدوان، وبالحق والعدل واستقامة الأمور وانتظامها وتنظيم المجتمعات وبعث الخير والأمن والسلام جميع الناس بلا استثناء ويتحقق الهدف الأسمى من رسالة محمد الذي بعث رحمة للعالمين .

إن محاولة الإصلاح هذه التي حمل عاها ريد بن علي بن الحسين سليل العترة الطاهرة هي التي اضطرتته أن يستجيب لشبهة الكوفة ليقاتل بهم أولئك الذين أحيوا البدع المستكرة الكريمة وأماتوا لسنن المشرقة النيرة، ولكن هؤلاء الذين نزل عند رغباتهم خذلوه وأسلموه وأولئك فتوه ليذهب مع قافلة الشهداء التي خرجت من بيت علي وفاطمة لتضعص كبرياء الحاكمين ومراعاة العصور في كل أرض و زمان .

وقبل الحديث عن ثورته وما زالفها من الحرائم لا بد من الإشارة ولو بأقصى ما يمكن من الإيجاز إلى نشأته ونشأته العلمية والاجتماعية التي أهلتها لأن يكون مصدراً لفرقة من فرق المسلمين لا تزال تقادسه وتتسبب إليه مذمة بأنه هو الذي احتط لها هذا المذهب العقائدي ووضع أصوله ومبادئه وترك مجموعة من علمه الغرير في أصول الاسلام وفروعه كما يدعون لا تزال من أوفر مصادرهم حظاً بعد كتاب الله .

لقد ولد ريد بن علي حميد عبي والحسين والبصرة الزهراء سنة ثمانين من هجرة الرسول (ص) كما يستفاد من اتفاقهم على تاريخ وفاته وعمره يوم استشهاده، فلقد أجمعوا على أنه قتل في عهد هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ للهجرة وأن عمره يوم مصرعه اثنان وأربعون عاماً ولأرم ذلك أن يكون مولده سنة ٨٠ من الهجرة .

وجاء في مقدمة المجموعة التي جمعها الواسطي من آثاره ونسبها إليه أن ولادته كانت سنة خمسة وسعين من الهجرة ولأرم ذلك أنه حين وفاته كان في السابعة والأربعين، وأضاف أنه حينما ولد جاء البشير إلى الإمام السجاد يخبره بولادته فأخذ المصحف يتفأل فيه عن مصيره فكانت الآية : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾، وفتح مرة ثانية فكانت الآية الأولى :

الصمحة ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾، وفتحته مرة ثالثة فحاءت الآية ﴿وفضّل الله المجاهدين على القاعدین﴾ فطواه وقال: عرائني عن هذا المورد الحديدي إنه من الشهداء في سبيل الله.

أما والدته فهي سندية اشتراها المحتار بن أبي عبيدة من السبي الذي غنمه المسلمون من حروبهم لتلك البلاد وأهداها إلى الإمام علي بن الحسين (ع) فتزوجها وأولدت له ريذاً رحمه الله، في ظل هذه السوحة الكريمة ترعرع زيد بن علي (ع) وفي البيت الذي انتشر منه لعلم وتوارثه المسمون حلماً عن سلف نشأ وورث العلم عن أبيه وحده وروى عن أبيه في مختلف المواضيع وطبل يتابع دراسته مصرفاً نكله إلى العلم حتى سطع بحمه وأصبح بعد أبيه وأخيه الباقر (ع) من أكبر المراجع في شتى الميادين وأحاط بمختلف الاتجاهات والترعات الفقهية والعقائدية، وكان عصره بداية لانطلاقة جديدة في التفسير والمعتقدات والآراء العربية التي كانت وليدة احتلاط المسلمين بغيرهم من الأمم التي عراها لحاكمون وأحضعوها لسلطانهم، ولأرم أحياه القرم مؤسس جامعة أهل البيت التي رحل إليها طلاب العلم والحديث من مختلف الجهات وتولت الدفاع عن الإسلام ومعتقداته ونصبتها مما أدخله عليها أنصار الحاكمين وشعوب الذين وحدوا الفرصة مهياً لهم بمساعدة الحكام لتث سبوتهم وأفكارهم التي تنسب إلى الإسلام ولا تحدم سوى مصالح الحاكمين، فاستعاد من علمه وأفكره ورأته في شتى المواضيع

قال الشيخ محمد أنور مهرة في كتابه زيد بن علي: لقد أجمع الذين عاصروه على أنه كان عالماً عريض العلم محيطاً بشتى العلوم الإسلامية كاللغة والتفسير وغيرها ورواياً لحديث أهل البيت وغيرهم، وأصاف إلى ذلك أن شيوخ الفقه في الكوفة تتلمذوا عليه بما فيهم أبو حنيفة الذي تتلمذ عليه مسنن

وحاء في الروض الصير عن أبي حنيفة أنه كان يقول: شهدت زيد بن علي فما رأيت في زمانه أفتقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً وكان منقطع النظر

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط للحسين بن زيد وهو يعظه ويصححه بأن يسلك طريق سلته من مائة وعشيرة وأنه قد توالى لك آباء وأن أدنى آياتك زيد بن علي الذي لم أر قبلاً ولا في غيرنا مثله، وحاء عن الإمام الرضا

(ع) المعاصر للمأمون أن ريد بن علي كان من علماء آل محمد (ص) وكان سفيان الثوري يحدث الكوفة وواعظها كما جاء في حياة الإمام ريد لأبي رهرة إذا ذكر زيداً يكنى على ما فقد العلم بفقده وعلى ما فقد التقى والفصل باصاته إلى غير ذلك مما جاء عن الأئمة (ع) وغيرهم حول مكانته العلمية في جميع الأوساط الإسلامية.

وكان على اتصال بواصل بن عصفاء شيخ المعتزلة يباشره في بعض أفكارهم وشطحياتهم ويحلّه أس عطاء بصته واسع الأفق محيطاً بأكثر الأفكار والآراء الجديدة، ولم يكن معتزلياً في آرائه وأفكاره كما يذهب لذلك بعض الباحثين والمؤلفين في الشرق والمذاهب الإسلامية ومجرد الالتقاء معهم في بعض الأفكار والآراء لا يعني أنه قد انحرف بين صفوفهم لأن ريد بن علي قد أخذ عن أبيه وأخيه النضر وعن أحدهم الدين وصنعوا أصول العقائد من ظهور المعتزلة بأرائهم ومعتقداتهم التي تختلف في أكثرها عما تنفقه الشيعة عن أئمتهم (ع).

لقد كان ريد بن علي يتنقل في البلدان ويلتقي بعلمائها فالتقى بواصل بن عطاء في البصرة أكثر من مرة وكان لقائه به لقاء مذاكرة لا لقاء تلمذة ودراية كما يدّعي بعض المؤلفين كما التقى بغيره من الفقهاء والمحدثين في البصرة والكوفة وأحدوا عنه من مختلف المواضيع

العمل في ميدان السياسة

لقد كانت الدعوة الى العلويين في عصر زبد بن علي تنمو وتزداد في جو من التكتّم والسرية بعد فشل الانتفاضات التي ظهرت في عهد عبد الملك بن مروان وحليفته يزيد بن عبد الملك واتسعت في عهد هشام بن عبد الملك، وكانت الكوفة المقر الرئيسي من بين مدن العراق للدعوة ومنها انتقلت الى خراسان وذهب إليها الدعاة مستترين بالتجارة حتى لا يكشف حيلهم لأبصار الأمويين في تلك البلاد.

وقد جاء في الكامل لابن الأثير أن مبرة داعي الهاشميين وجه في سنة ١٠٢ هجرية رسله إلى خراسان للدعوة الى العلويين فترامت أحوارهم الى الوالي فقبض عليهم فأنكروا التهم الموجهة إليهم وادعوا بأنهم دخلوا البلاد للتجارة ولا شأن لهم بالسياسة، ولم يطلع سراحهم إلا بعد أن تعهد له جماعة من ربيعة بكل ما يصدر منهم^(١)

وما كانت عين هشام بن الحكم لتغفل عن كل ما يجري في العراق وغيره من المناطق الإسلامية وقد أوصى عامله على العراق خالد القسري بأن يراقب وفود العلويين الى الكوفة بدقة بالغة وينظر إليهم نظرة الحريص المتيقظ والعدو المتريص وهو يعرف حب الساس لهم وتأثيرهم البالغ على الجماهير ولا يزال موقف وفود الحجاج في الطواف من رين العابدين يحز في نفسه ولا يكاد ينساه، فقد رآه يطوف حول الكعبة والجماهير تنشق بين يديه صفين خاشعة ليمر في طوافه بدون ازعاج ويستلم الحجر الأسود وكأن الكعبة حالية إلا منه، وهو واقف لا يستطيع الحركة

(١) الكامل ج ٥ ص ٣٨٢.

من كثرة الزحام لم يستعد من إمارته ولا من جسده وجلالته المحييين به، وظلت عيه يومذاك تراقب السجاد وتظر الى حشوع تلك الحشود لهذا البيت بآلم وحقد بالعين، ولم يستطع حتى بعد أن تسنم العرش الأموي أن ينسى تلك الصورة التي أزعجته يومذاك وأخرجته عن اتزانه ومروته فراح يسأل عنه بلعة الحاقد الذي يمزق الحقد أحشائه، فرد عليه المرردق وعرفه به في قصيدته المشهورة

لقد كان هشام بن الحكم مطمئناً لسير الأمور في العراق بسب الرقابة الشديدة التي فرضها ولاته في البصرة والكوفة مصدر التحركات الشيعية وعندما علم أن زيد بن علي المرموق في جميع لأوساط الإسلامية يتردد على الكوفة بين الحين والآخر، والناس يلتفون من حوله يشكون إليه ظلم الأمويين وما لاقوه من عسف وحور وتشريد من ولاتهم ويدعونه إليهم، تندد أحشائه وحل محل الخوف والقلق وأصبح كل همه أن يراقب ريداً وتصرفاته ويتابع تحركاته ونمى لور أنه يجد سبيلاً لالقاء القبح عليه ورجه في أحد سجونه ومعتقلاته، ولكنه لم يجد سبيلاً لذلك ما دام لم يتظاهر بالخروج عن الطاعة فانجه الى التشيع على العلويين وإثارة الفتنة فيهم بالمدينة ووجد سبيلاً لذلك بالخلاف الحاصل بين بني عمومته على ولاية الأوقاف والصدقات

فقد جاء في الكامل لابن الأثير أن زيدا كان يبه ويين جعفر بن الحسن بن الحسن السبط خلاف على مظارة أوقاف علي (ع) في المدينة، ولكنه لم يكن حاداً بينهما وحيثما انتقل الخلاف بعد وفاة جعفر الى خلاف بين أخيه عبدالله وبين زيد بن علي (ع) انتهز خالد بن عبد الملك بن الحارث الوالي على المدينة هشام الفرصة ليزيد النزاع احتداماً وترى المدينة الشتائم يتداولها زيد وابن عمه وكان عليه أن يتولى الفصل بينهما في هذا الخلاف، ولم اجتمع واحتدم النزاع بينهما اندفع عبد الله بن الحسن وقال لزيد بن علي ما أنت ودك يا ابن السديّة، فصحك زيد وقال، قد كانت أم اسماعيل أمة ومع ذلك فقد صبرت بعد وفاة سيدها إذ لم يصبر غيرها يعني بذلك فاطمة بنت الحسين (ع) لأنها تروحت بعد وفاة زوجها الحسن الثاني بن الحسن السبط (ع)، ثم بدم عن جوابه هذا لأن فاطمة عمته وامتنع من الدخول عليها حياء منها فأرسلت إليه وقالت يا ابن أخي إني لأعلم أن أمك عندك كأمر عبد الله عنده، وقالت لأنها عبد الله: بشما قلت في أم زيد أما والله لنعم دحيلة القوم كانت.

أما خالد بن عبد الملك فلقد أراد أن يستمر النزاع بينهما ويستحكم ويزداد

تعقيداً وطلب منها أن يحضرا مجلسه في اليوم التالي وقال: لست لعبد الملك إن لم أفصل بينكما، وباتت المدينة تعلو كالمرحل عن حد تعبير الراوي والناس يتحدثون بهما وحلس خالد والناس من حوله فدعا بهما على أمل أن تشتد الأزمة بينهما وراح يجهد هذه العاية، فأدرك زيد بن عبي عابته وانتعت الى عبد الله بن الحسن وقال اعتق زيد كل ما يملك أن حاصمت الى حد بن عبد الملك، وأقبل على خالد وقال له: لقد جمعت ذرية رسول الله (ص) عن أمر ما كان ليجمعهما عليه أبو بكر وعمر بن الخطاب

لقد كان من المبرور على الوالي أن يفهم عد هذا الحد بعد أن تارل زيد عن حقه لأن عمه ولكنه بقي مصراً على موقفه من التحرش بهما لينقى الساب مفتوحاً لقائة السوء في آل الرسول، ونعت الى ناس وحعل يحرصهم على زيد قائلاً أما هذا السفية أحد؟ فكلم رجل من أولاد الأنصار وقال لزيد يا ابن أبي تراب ويا ابن الحسين السعية أما ترى للمولي عليك حقاً ولا طاعة؟ فرد عليه زيد بقوله إنا لا نحب مثلك، فعل له الأنصاري. ولم لا نحبني وأبي حبر من أسك وأمي حبر من أمك؟ فتصاحك زيد عند ذلك وقال يا معشر المهاجرين والأنصار هذا الدين قد ذهب، فابري إليه عبد الله بن واقد وكان من ذرية عمر بن الخطاب وقال له. كدبت يا ابن العيطان فوالله هو خير منك مصاً وأناً وأماً، ثم أحد كفا من الحصى وصر به الأرض وقال. والله ما لنا على هذا من صبر

وجاء في كامل ابن الأثير في معرض حديثه عما كان يحاوله هشام بن الحكم من امتهان زيد وادلاله إن زيد بن علي وداود بن عبد الله بن العباس ومحمد بن عمر بن علي (ع) ذهبوا الى العراق وكـ نوالي عليه خالد بن عبد الله القسري فأكرم وعادتهم وأجارهم بما لديه من الأمور كما حرت على ذلك العادة، ثم عادوا الى المدينة، ولما علم هشام بذلك عزله عن الكوفة وولاه ليوسف بن عمر الثقفي، فدعى أن حالداً انتاع أرضاً من زيد في المدينة بعشرة آلاف درهم ثم ردها عليه فكتب هشام بن الحكم الى عامل المدينة وأمره بأن يسيرهم إليه فاستدعاهم وطلب منهم المسير الى الشام بمقابلة هشام وكان عليهم أن يلسوا طلب النوالي حتى لا يتعرضوا للعقوبة وحيماً دخلوا على هشام بن عبد الملك اعترفوا بالجائزة وأكروا البيع الذي ادعاه ابن عمر الثقفي واستحلهم فحلفوا له ثم

أرسلهم الى الكوفة لقناسة خالد القسري بقصد التحرش بهم وإهانتهم وايدائهم فساروا على كره منهم فقاتلوه ورجعوا الى المدينة .

وفي رواية ثانية أن يوسف بن عمر ادعى بأن خالد القسري قد أودعهم أموالاً من بيت المال فأحضرهم هشام بن الحكم الى الشام ثم سبّهم الى العراق، وفي العراق قال يوسف بن عمر لزيد . إن عليك أن ترد الأموال التي استودعك إياها خالد القسري . فقال له كيف يودعني الأموال وهو يسبّ أناثي على منبره ، فأرسل الى خالد القسري وأحضره لقناسة زيد بن علي ، فقال ليوسف بن عمر : أتريد أن تجمع إناثاً الى إثمك كيف مستودعه وأنا أشتم اساءه وأشتمه على المسر وأوالي أعداءهم .

وجاء في رواية المقرئ في حطه أن زيد بن علي أقام في الكوفة أياماً بعد أن اتضحت براءته ولم يجدوا سبيلاً عليه ، وكان فيها يتصل بالشيعة وهم يناشدونه في حلواتهم أن يسير إليهم ويعدونه بانتمائي في سبيله ففعل راجعاً الى المدينة وفيها هو بالقناسة لحق به جماعة من أهل الكوفة واستجاروا به من جور الأمويين وظلمهم الذي لا يطاق وأعادوا الكرة عليهم يطلبون منه الرجوع الى الكوفة ويؤكدون له أن أربعين ألف مقاتل مسهرون سيوفهم بين يديه حتى النفس الأخير من حياتهم وأعطوه العهد والميثاق على ذلك . فقال لهم إني أخاف أن يفعلوا معي كما فعلتم مع أناثي ، فحللوا به الايمان لمعلظة على أن يجاهدوا بين يديه ويعملوا من سالم فاستمهلهم ومضى في طريقه الى المدينة

ولما اشتد ايداء خالد بن عبد الله له ذهب الى الشام يشكو هشام بن عبد الملك ، وفي الشام بقي أياماً يستأذن هشاماً للدخول عليه فلم يأذن له ، وكان يكتب له في أسفل الأوراق التي كان يرسلها إليه ، يكتب له في أسفلها : ارجع الى خالد ابن عبد الملك في المدينة ، وأخيراً وبعد لالاح والتمني عليه وافق على دخوله عليه فأوصى هشام بن الحكم من في مجلسه بأن لا يمسحوا له ليفى واقفاً بين يديه يقصد بذلك إدلاله واحتقاره ، وعدم رآه في مجلسه بادره بقوله : ما فعل أخوك البقرة؟ يعني بذلك الإمام محمد بن عبيد الله ، فرد عليه ريد بقوله : أنت تسميه البقرة ورسول الله قد سماه الدقر لشدة ما احتجنت لتخالصه في الأحره كما حالته في الدنيا وستره البار ويرد الحجة ، فالتفت إليه هشام وقال : بلعي أنك تذكر الخلافة ولست هناك وأنت ابن أمة ، فرد عليه ريد بحضور ذلك الحشد من أهل الشام بقوله : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغيابة ، لقد كانت أم اسماعيل أمة لأم

إسحاق فلم يجمع ذلك أن بعث الله منها نبياً وجمعه أنا للعرب وأخرج من صلبه
خير الأنبياء وأخرج من إسحاق القردة والخمارير، فغضب هشام وأمر بضربه ثمانين
سوطاً، ولما أخرج زيد من مجلسه قال: ما أحب امرؤ الحياة إلا ذل، ومثل بالآيات
التالية:

شرده الخوف وأزرى به	كذلك من يكره حر الجلال
مخرق الكمين يشكو الجوى	تنكبه أطراف مر حداد
قد كان في الموت له راحة	والموت حتم في رقاب العباد
أن يحدث الله له دولة	يترك آثار العدى كالرماد

ويروي ابن الأثير أن هشام بن الحكم لما أمره بالخروج من مجلسه وشتم أمه
قال له زيد بن علي: ساحرح ولا أكون إلا حيث تكره.

(١) أنظر تاريخ الشام لابن عساكر وكامل بن الأثير والمقد الفريد وتذكرة الخواص ومروج
الذهب للمسعودي.

الإعداد للمعركة التي كانت بها نهايته

لقد خرج ريد من علي من مجلس هشام بن عبد الملك إلى العراق بعد أن أخرج وأودى في كرامته ومروءته وأيقن أن هشام وحلاديه سيلاحقونه أينما ذهب ويتحدونه بكل أنواع الأذى والإهانة حتى ولو جلس في بيته وأغلق عليه بابه.

وكان قد نصحه جماعة من الهاشميين والعلويين بعدم الركون والاطمئنان لأهل الكوفة وإلى عهودهم ومغرياتهم وذكرهم بما فعلوه مع جديده علي والحسين وعمه الحسن السبط (ع) ومع غيرهم من الثائرين، وقال له داود بن علي بن عبد الله بن العباس: يا ابن العم إن هؤلاء يعرومك من نفسك أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك عمياً والحسن من بعده بعد أن بايعوه، ثم وثبوا عليه واستزعوا رداءه وطعموه في محبه، أوليس قد صربوا جدك الحسين ثم خذلوه واسلموه ولم يكتفوا بذلك حتى قتلوه فلا تأت الكوفة إني أخاف عليك إن ذهبت إليهم أن لا يكون أحد أشد عليك منهم

كما نصحه غيره من العلويين بمثل ذلك ولكن تحرشات الأمويين به وملاحقتهم له من مكان إلى مكان وإصرار أهل الكوفة عليه، ومغرياتهم التي بذلوها له وعهودهم التي ألزموا أنفسهم بها كل هذه العوامل مجتمعة جعلته يستهين بالحياة في سبيل الحق والمدأ والعقيدة كما صنع جده الحسين من قبله ويستجيب لطلبهم ويذهب إلى الكوفة لإعداد العدة لقتال الطغاة والظالمين

لقد دخلها متحمياً وكان يستقل من مرسل لأحر والشيعة يختصمون إليه بالروح والعزيمة نفسها التي كانوا يقاتلون بها مسم من عقيل رسول الحسين، وكما بايعوا

مسلياً للحسين (ع) على كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين وإصاف المحرومين والدفاع عن المستضعفين وبصرة الحق وأهله بايعوه على ذلك أيضاً وأخذ على كل واحد منهم عهد الله وميثاقه ليعين بيعته له بكل مودتها حتى بايعه على ذلك أربعون ألفاً في الكوفة وانضم إليهم جماعة من وسط والمدائن وغيرها كما نص على ذلك ابن الأثير في تاريخه والأصفهاني في مقاتل لطائين

وفيما هو يعد العدة للمعركة وبهت أنصاره لها حياءه كتاب من عبد الله بن الحسن المثني، وكان أكبر منه سناً يقول فيه: أما بعد فإن أهل الكوفة نفخ في العلامية حور السريرة هرع في الرجاء حزع عند اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايهم قلوبهم ولقد تواترت إلي كتبهم بدعوتهم فصممت عن بدائهم وألست قلمي عشاء عن ذكرهم يأساً منهم وإطر حاً لهم، وهم كما قال لهم أمير المؤمنين ع، من أبي طالب: إن أهملتكم حضنتم وإن حورنتم حرنتم وإن اجتمع الناس على إمامة طعنتم وإن أجبتهم إلى مشقة فكسبتم^(١).

ومع توالي تلك النذر والتحذيرات عليه من القريب والبعيد فلم يتراجع عن موقفه ومضى يعد العدة للمعركة ويقول: إني أمرؤ ساموت إن لم أقتل مقدياً نحدي الحسين (ع) الذي تواتت عليه البشائر والتحذيرات من غدر أهل الكوفة من كل جانب فرفضها وقال: لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً.

وبقي زيد بن علي يجمع الناس ويعيّنهم للمعركة بصعدة أشهر على حد تعبير بعض المؤرخين واتفق مع رعياء أصحابه على الخروج في مستهل صفر من سنة ١٢٢ ولكن الأبناء بعد أن تواتت على هشام بن الحكم بما انتهى إليه الحال في الكوفة كتب إلى يوسف بن عمر الثقفي كتاباً جاء فيه: إنك لعافل عن زيد بن علي الغارز ذنبه في الكوفة يبايعه أهلها غير عبيء بك ولا بحمدك، فإذا أتاك كتابي فأنح في طلبه واعطه الأمان وإن أبي عليك وقتته إن طعرت به فإنه لذلك مستحق

فأنجى الوالي لطلبه والبحث عن مكانه، وكان لا بد لزيد أن يظهر ويتحلى عن تكتله مخافة أن يؤخذ على حين غرة فدعى أتباعه الذين بايعوه بالأمن القريب على الموت ولكنهم ما إن رأوا الراي يشتد في طلبهم وسمعوا التهديد والوعيد حتى دب الوهن والضعف والتخاذل بينهم وراحوا يتلمسون مخرجاً من بيعته ومن

(١) ابن الأثير ج ٥ ص ٨٧.

عهودهم التي عاهدوا الله عليها، فأثروا عجاجة في تلك الساعات الحرجة والظروف القاسية صاعبها كما لا أستعد عقول أساس قد اندسوا في صفوفهم لتشتيت شملهم وتفتيت نكتلهم وتصامهم وإغراء الجهة الموالية له بأنه يرى رأي المعتزلة فيمن سبق جده من الخلفاء.

إن أهل الكوفة يعرفون جيداً رأي زيد بن عبي وائائه في الصحابة وأبي بكر وعمر بالدات ويعرفون أنه ليس من أخلاقهم الإساءة إلى زعماء الصحابة بالقول أو الفعل وقد أقام بينهم مدة من الزمن ولم يتحدثوا معه في هذه النواحي الحسنية، ويعلمون أن الدين يقتضيهما زيد ويقاتونه والدين قاتلهم من قبله جده الحسين ليسوا كأبي بكر وعمر، ولم يقف منهم هذا الموقف من أجل الخلافة والسلطة بل من أجل الحق والعدالة والمستضعفين ومن أجل كرامة المسلمين التي داسوها بأقدامهم.

لقد اجتمعوا عليه وهو في أخرج الظروف وأدقها يسألونه عن أبي بكر وعمر ابن الخطيب وما عساه أن يقول فيها يومذاك والعالم الإسلامي يحلها ويقدر سيرتها بعد أن وجد من الأمويين ما وجده ولاقى من ظلمهم وجورهم واستتارهم ما لا فاء، وكل كلمة تصدر منه بالحرفين يستعملها الأمويون للتشجيع عليه وتبرير مواقفهم المعادية له ولأبائه وأجداده.

لقد كان رحمه الله متزناً وحكيماً في أحسنه كهم وهم يلحون عليه لانتزاع كلمة منه تسيء إليهما فقال لهم إني ما سمعت أحداً من آياتي ينرا منها وأشد ما أقوله فيمن ذكرت: إنا كما أحق الناس بهذا الأمر ولكن القوم استأثروا علينا ودفعوا عنه ولم يبدع ذلك عبداً كعراً وقد تولوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة وأن هؤلاء الدين نقاتلهم ليسوا كأولئك، وإني أدعوكم إلى العمل بالكتاب وإحياء السنة وإمارة البدع فإن تسمعوا بك حيراً لي ولكم وإن تأبوا فليست عليكم بوكيل، فرفضوه ورفضوا بيعته^(١).

هذا الإحراج لزيد بن علي في تلك الساعات الحرجة وسيوف الأمويين مشهورة فوق رأسه يبدو كما ذكرنا أنه كان مقصوداً لتفتيت الجهة الموالية له إذا رفض تكفير الخلفيتين أو تفسيقهما وإن استجاب لطلبهم استغل حوائه الأمويون

(١) أنظر ابن الأثير وابن كثير ج ٥ ص ٣٣٠، ومن أجل ذلك كان الرفض من صفات الشيعة عند خلافة السنة ولا يزالون يصنعونهم بالرفض لأنهم رفضوا الانقياد لزيد

وأنصارهم لتبرير ملاحقته وقلته، لأن الرأي العام الإسلامي وإن كان إلى جانبه ولا يساند الأمويين فلا يتحمل العظمى في الخبيعتين والاساءة اليهما.

ومهما كان الحال فلقد كان هذا الموقف المشين من أصحابه والعدو متاهب للمعركة بجنود الشام والمواليين للأمويين من أهل العراق هو الذي اضطر زبداً إلى مقابلة القوم قبل الموعد الذي كان قد عبّنه للثورة ودعا الذين بايعوه على الموت إلى الخروج وأخذ ماديه ينادي: يا منصور يا منصور وهو الشعار الذي كان قد اتفق عليه مع الشيعة فلم يستحب لدعوته من الأربعين ألف سوى ٢١٨ رجلاً وقيل أربعمائة وجعل أنصاره ينادون: يا أهل الكوفة اخرجوا من الدل إلى العز وإلى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا ديب، فلم يسمعوا لهم وبقي زيد بن علي بمن معه في ساحة المعركة لم يتضعص وهو يقول: لقد فعلوها حسبيبة أما والله لأقاتلن حتى الموت.

وتقدم حميد علي (ع) بهذا العدد اليسير الذي لا يساوي عدد أصحاب جده في معركة بدر إلى مقارعة تلك الحشود التي أرسلها هشام من الشام لقتاله فاقتتلوا قتالاً شديداً وثبت لهم زيد بن علي وأنصاره حتى هزمهم وقتلوا منهم سبعين رجلاً وأخيراً تجمععت قلوبهم المهزلة وجعلوا يرمونهم بالسهام والحجارة كما فعل أسلافهم مع جده الحسين في كربلاء، ويبدأ يطاردونهم بمن معه إذ انفصل رجل من أصحاب يوسف من عمر من بني كلب وتقدم من زيد حتى أصبح قريباً منه فشتم علياً والرهراء فاطمة بصعفة المصطفي فعصب زيد وبكى حتى انتلت لحية الكريمة والتفت إلى من كان معه وقال: أما فيكم أحد يعصب لفاطمة بنت محمد، فالتفت سعيد بن خيثم إلى مولى له كان معه سيف صغير يستتره تحت ثيابه فأحذه منه ومضى يستر خلف الطارية^(١) حتى أصبح حلف بكلي، وكان قد تحول عن فرسه وركب بغلة على حد تعبير الراوي فجرد السيف وصربه على عنقه فسقط رأسه بين يدي البغلة، فلما رأى ذلك أصحاب زيد حملوا على القوم واستنقدوه من أيديهم وجامعوا به سالماً فقتله زيد بن علي بن عيسى وقد جزاك الله خيراً لقد أدركت ثارها ونلت شرف الدنيا والآخرة ودخرهما.

وسار زيد بمن معه وهو يقول: والله لو كنت أعهد عملاً أرضى الله من قتال هؤلاء لفعلته وقد كنت هيتكم أن تتبعوا مدبراً ونجهروا على جريح وتفتحوا باباً،

(١) النظارة فرقة من الجيش كانت تسمى بهذا الاسم

ولكني بعد أن سمعتهم يسبون علياً فانتروهم من كل وجه وحيث وجدتموهم فوالله لا ينصرفي رجل عليهم اليوم إلا أحدث بيده وأدخلته الجنة.

لقد وعدهم زيد بن علي (ع) بذلك بعد أن سمع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري يروي عن النبي (ص) أنه كان يقول: إن زيدا بن علي وأصحابه يتحطون رقاب الناس يوم القيمة ويدخلون الجنة بغير حساب.

واستمر القتال يشتد بين الفريقين وأصحاب زيد على قلة عددهم وكثرة عدوهم يكرون على تلك الحشود فيفرون من بين أيديهم وزيد رحمه الله في مقدمة أصحابه يمثل بقول القائل:

أذل الحياة وعز المهت وكلا أراه طاماً وبلا
فإن كان لا بد من واحد فسيري إلى الموت صبراً جميلاً

وفيا هو يقاتل ويشد عليهم ويهزمون بين يديه أصابه سهم في جبهته ونفذ فيها فتراجع هو وأصحابه وظن أصحاب يوسف بن عمر الثقفي أنهم أرجأوا القتال إلى الليل فأدخله أصحابه بيتاً من بيوتهم واستدعوا له طبيباً يقال له شقير كان يعالج الحرحى فقال له: إن برعت السهم لم يأسك أحاف عليك الموت، فرد عليه زيد بن علي قاتلاً الموت أهول علي من ألامه من الألام، فلما انتزع السهم من جبهته فاصت روحه الكريمة وانتهت المعركة بوفاته.

لقد استشهد زيد رحمه الله في المعركة ومات في ميدان القتال ومرمى السهام شجاعاً أياً من أهل الحق والمستضعفين وكرامة الإنسان وإحياء السنن وإمارة البدع واختار الموت على الحياة مع الظالمين وبال ذلك درجة لا ينالها إلا الصديقون والشهداء المقربون، وساهم مصرعه في نجاح الدعوة التي قضت على الأمويين بعد عشرين عاماً من مصرعه كما كان لحده الحين الدور الأكبر في كل ما حدث بعد مجررة كربلاء من ثورات وانتصافات أفصت مصاحج الظالمين من أمويين وعباسيين.

لقد كانت ثورة زيد بن علي ثورة الفقهاء والقراء والمحدثين وأهل التقوى والصلاح على حد تعبير الشيخ أبو زهرة في كتابه الإمام زيد بن علي، وأضاف إلى ذلك أن بعض المؤرخين يقول إن الدين قاتلوا مع زيد بن علي كانوا من القراء والفقهاء، وكان أبو حنيفة يقول لقد صامى حروجه حروح جده رسول الله (ص) يوم بدر، ولما قيل له: لماذا تخلفت عنه ما دمت ترى أن ثورته كانت بهذا

المستوى أجاب: لقد حبستني عنه ودائع الدس، لقد عرضتها على ابن أبي ليلى فلم يقل فحفت أن أموت وتضيع الودائع على أصحابها

وفي رواية ثانية عنه أنه قال: لو علمت أن الدس لا يجذوبه كما خذلوا جده لخرجت معه وقد أغنته بمالي وأرسلت إليه عشرة آلاف درهم^(١).

وجاء في مقاتل الطالبين أنه أرسل مع أحد الفقهاء الذين خرجوا مع زيد رسالة لزيد وقال له: قل لزيد لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك لتستعين بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح^(٢).

كما جاء في مقاتل الطالبين حول مدبه أن أصحابه كانوا في حيرة من ذلك وأخيراً اتفقوا على دفعه في جدول ماء يعرف بالعباسية فاطلقوا به إليها ودفعوه بها وأحروا عليه الماء وكان معهم عبد سندي فأحبر الحكم بن الصلت بذلك وانتهى الخبر إلى يوسف بن عمر فبعث الحجاج بن القاسم في جماعة إلى ذلك المكان فاستخرجوا منه ريذاً ووضعوه على ظهره وحملوه إلى القصر فلما وصلوا إليه ألغوه عن ظهره فحرق كاهه حل على حد نصير الراوي، فصله يوسف بن عمر بالكناسة بعد أن فصل رأسه عن مدبه وأرسل الرأس إلى هشام بن عبد الملك فصله هشام على مدخل قصره كما صلب معاوية بن أسحاق وزيد الهدي ونصر بن خزيمة العسبي وبقي مصلوباً إلى أيام الوليد بن يزيد، فلما ظهر يحيى بن زيد بالخوزجان كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر كتاباً يقول فيه: إذا أتاك كتابي فاسطر عجل أهل العراق فاحرقه واسعه في اليم سماً، فأمر يوسف بن عمر فأنزله عن الجذع وأحرقه ثم حمل رماده في سفينة ودرأه في المرات وصدقت فيه نوءة جده رسول الله حيث روى الرواة عنه أنه قال: يقتل رجل من أهل بيتي ويصلب لا ترى الجنة عين رأت عورته، كما روى الرواة عن علي (ع) أم أحبر عنه ووصف مصرعه وما يجري عليه بعد القتل وما أعده الله له ولأبصاره يوم القيامة من الأحر العظيم والدرجات الرفيعة^(٣).

(١) مناقب أبي حنيفة لابن البزازي ج ١ ص ٥٥

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٤٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٩٧ و ٩٨ و ص ٨٨

انحاضة يحيى بن زيد

يقول السيد عبد الرزاق في كتابه «زيد بن علي» أن زيدا لم يتحلف إلا بأربعة أولاد، هم يحيى وأمه ربيعة بنت أبي هاشم، وعيسى أمه أم ولد نوبية واسمها سكن والحسين ذو النعمة وعبد وهو أصغرهم، وربيعة أم يحيى هي التي عنها أبو ثميلة الأساري بقوله وهي تلهب على ولدها بعد أن اختفى على أثر مصرع أبيه:

فلعل راحم أم موسي والمدي محيي من لحج حشم مزيد
سيسر ربيعة بعد حزن فؤادها يحيى ويحيى في الكتاب مرتدي

لقد اتفق الرواة على أن يحيى حين مصرع أبيه كان شاباً في مطلع شبابه ولم يكن قد تجاوز العشرين من عمره وهو أكبر إخوته الأربعة كما يبدو من ترجمة أبيه وقد اشترك مع أبيه في معاركه مع الأمويين في الكوفة وحينما قتل أبوه ضاقت عليه الكوفة واشتد به الوجد والألم من موقف أهلها مع أبيه فعزم على الخروج ولم يبق معه من أهل الكوفة سوى عشرة، فقال له سلمة بن ثابت: النجاة قبل الصبح.

ومضى سلمة يقول: فخرجنا من الكوفة قل مطلع الفجر، فلما تجاوزنا الكوفة سمعنا الأذان فأسرعنا في السير مخافة أن يدركنا الطلب وكنت كلما استقلت قوماً استطعمتهم فيطعموني الأرغفة فأطعمته وأصحابه إياها، ومضى يحيى بمن معه من المدائن وهي إذ ذاك طريق الساس إلى خراسان وبلغ ذلك يوسف بن عمر فسرّح في طلبه جيشاً بقيادة حريث بن أبي جهم الكلبي وخرج منها يحيى متجهاً إلى الري قبل أن يدركه الطلب، وانتقل من الري إلى سرخس فنزل ضيفاً على يزيد بن عمرو التيمي وأقام عنده نحواً من ستة أشهر، واجتمع إليه أناس من الخوارج

يسألونه أن يخرج بهم لقتال بني أمية ووحيد من تصميمهم على القتال ما يشجعه على موافقتهم لولا أن يريد بن عمرو التيمي هاه عن ذلك وقال له . كيف تقاتل بقوم تريد أن تستظهر بهم على بني أمية وهم يبرأون من جدك علي وأهل بيته ، فرفض طلبهم ورددهم رداً جميلاً وخرج من سرخس الى بلخ ونزل فيها على الخريش بن عبد الرحمن الشيباني وبقي عنده الى أن هلك هشام بن عبد الملك وتولى السلطة من بعده الوليد بن يزيد وعندما علم يوسف بن عمر بتحركات يحيى كتب الى عامله على خراسان وطلب منه أن يرسل الى الخريش لاعتقال يحيى وقتله ، فأرسل مصر بن سيار عامل خراسان الى عقيل بن معقل الليثي وهو عامله على بلخ أن يأخذ الخريش ولا يعارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه يحيى بن زيد ، فاستدعاه عقيل بن معقل وضربه ستمائة سوط وقال له : والله لأزهق نفسك أو تأتيني يحيى ، فرد عليه بقوله : والله لو كان تحت قدمي هاتين ما رفعتها عنه ، فاصنع ما أنت صانع ، فوثب قريش بن الخريش وقال لعقيل بن معقل حينما وجد منه التصميم على قتل أبيه : لا تقتل أبي وأنا أتبك يحيى ، فوجه معه جماعة فدخلهم عليه وكان في بيت في جوف بيت فاعتقلوه واعتقلوا معه يزيد بن عمرو ومولى لعبد القيس كان قد رافقه من الكوفة وأرسلهم عقيل بن معقل لنصر بن سيار فوصلوه في السجن مقيداً بسلسلة من الحديد ، ولما أطلق سراحه نصر بن سيار اجتمع جماعة من مياسير الشيعة الى الحداد الذي فك القيد من رجله وسألوه أن يبيعهم الحديد الذي كان مقيداً به وتنافسوا على شرائه حتى بلغت قيمته عشرون ألف درهم ففصله قطعة قطعة ووزعه عليهم فانخدعوه خواتيم يتركون بها .

واستدعى نصر بن سيار يحيى إليه بعد أن أطلق سراحه وأوصاه بتقوى الله وحذره من الفتنة ، فقال له يحيى . وهل في أمة محمد (ص) فتنة أعظم مما أنتم عليه من سفك الدماء وأخذ ما لستم له بأهل ؟ فلم يجبه ابن سيار بشيء وأمر له بألفي درهم ونعلين وطلب منه أن يلتحق بالوليد بن يزيد في الشام .

وخرج يحيى من خراسان قاصداً سرخس ومنها الى ابرشهر ومنها الى بيهق ورجع منها يحيى الى ابرشهر ومعه سبعون رجلاً من أصحابه وفيها حصلت معركة بينه وبين أنصار الأمويين بقيادة عمرو بن زرارة كما جاء في مقاتل الطالبين اشترك فيها عشرة آلاف مقاتل وخرج إليهم في سبعين فارس فهزمهم بهذا العدد اليسير وقتل قائدهم ابن زرارة وغنم كل ما كان في معسكرهم ومضى في طريقه الى

الجوزجان، فأرسل نصر بن سيار مسلم بن أحوز في ثمانية آلاف من جيش الشام لقتال يحيى وأصحابه وعلى الجوزجان يومذاك حماد بن عمر السعدي والتحق يحيى ابن زيد أبو العجّارم الحنفي والخشخاش الأزدي، واحتدمت المعارك بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام بلياليها حتى قتل أصحاب يحيى بأجمعهم وأصيب يحيى بنشابة في جبهته أردته صريعاً وجاءه سورة بن محمد أحد القادة في جيش الأمويين فاحترق رأسه وصاب يحيى على باب مدينة الحورحان وبقي مصلوباً حتى خرج أبو مسلم الحراساني فأنزلوه وكفّوه ودهنوه وتبع أبو مسلم قتله ولم يدع أحداً قدّر عليه ثم حضر مع ذلك الجيش يومذاك إلا قتله. أما رأسه فقد أرسل إلى نصر بن سيار وأرسله ابن سيار إلى الوليد بن يزيد في الشام، فأرسله الوليد إلى أمه ربيعة في المدينة فصاحت حينها نظرت قائلة: شردنموه عي طويلاً وأهدنموه إلى قتيلاً، وكادت أن تموت كمداً وعماً وكان مصرعه سنة ١٢٥ بعد مضي ثلاث سنوات على مصرع أبيه وفي تلك السنة التي قتل فيها لم يولد مولود في حراسان وجهاتها إلا وسُمي يحيى ولما تقلص ظل ابن سيار عن حراسان أقام سوتها النياحة عليه لمدة سبع أيام^(١).



(١) أنظر زيد بن علي لعبد الرزاق المقوم ومقاتل الطالبين للأصفهاني وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ويصحيح المودة ومروج الذهب في أخبار الوليد بن يزيد.

ثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وأبي مسلم الخراساني

لقد جاء في تاريخ ابن واضح اليعقوبي أن زيد بن علي لما قتل في الكوفة وكان من أمره ما كان تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر من أتيتهم ويميل معهم وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية وأحرامهم وما مالوا من آل الرسول (ص) حتى لم يبق ولد إلا مشا فيه هذا الخبر وظهر في كل مكان واتسع بمصرع ولده يحيى بن زيد وظهر الدعاة في كل بلد لأهل البيت^(١) وظهر على المسرح السياسي أحد أحفاد أبي طالب وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار وقاد الشيعة ضد الأمويين.

لقد دخل الكوفة حفيد جعفر الطيار هو وأخوته سنة ١٢٦ ليطالب العطاء من واليها يوسف بن عمر، وأقام في الكوفة مدة من الزمن وتزوج مائدة حفيد شبيب بن ربيعة التميمي، وانتهز شيعة الكوفة اضطراب شؤون الخلافة في الشام بعد وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك فاجتمعوا على عبد الله بن معاوية وبايعوه كما بايعه سائر أهل الكوفة وخرجوا معه بعد ذلك لقتال أهل الشام الذين كانوا مع يوسف ابن عمر في الحيرة وذلك في شهر المحرم سنة ١٢٧ كما جاء في تاريخ الطبري، وحيثما شب القتال بين الطرفين واشتدت معارك تحمل أكثرهم عنه ولم يثبت معه سوى ربيعة وجماعة ممن اشتركوا في المعارك مع زيد بن علي فقاتلوا بشجاعة وبسالة عدة أيام في شوارع الكوفة إلى أن جاءهم الأمان من يوسف بن عمر وأذن لعبد الله

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٦٦ طبع السيف

ابن معاوية بالانسحاب من الكوفة، فارتحل عنها ماراً بالمدائن الى بلاد فارس وانضم إليه جماعة من الموالي ولعييد من الكوفة وغيرها واستقر به المقام أولاً في أصفهان، ثم ارتحل عنها سنة ١٢٨ الى صطخر في اقليم فارس وسيطر على منطقة واسعة وتجمع حوله جماعات مختلفة الميول والانتماءات كالشيعة والعباسيين والخوارج وحتى من الأمويين الظالمين في عطاءه، ولكن دولته هذه صاحبة الخنسيات المختلفة ما لبثت أن انهزمت أمام حدود مروان الثاني آخر حكام الأمويين في معركة جرت بين الطرفين في سنة ١٣٠ وقرّ هو الى كرمك ومنها الى هراة وهو يأمل أن يجد ترحيباً من أبي مسلم الخراساني ولكن أبا مسلم أمر بالقص عليه ومن معه فأرسل إليهم وهم نيام من وضع على وجوههم غطاء وصمط عليه حتى ماتوا وكان له في هراة قبر يروره الناس كما يدعي فلهوزن في كتابه أحزاب المعارضة السياسية^(١).

وحاء من بعد جميع تلك الثورات العاشلة شيعية كانت أو غيرها التي سفكت فيها دماء الشيعة، حاء العباسيون ليحموا فوائدها وثمارها على حساب العلويين منتهى السرعة والسهولة

لقد كان العباسيون يطمحون الى الحكم يهينون الجماهير للشورة عندما بدأ الضعف والانهيار يدب في حزم الدولة الأموية من جراء تلك الثورات المتلاحقة وحرائهم التي أهكت الشعوب وشعرتهم بالكراهية لهم والحقد عليهم ولكن دعائهم لم يجدوا المجال مهياً لهم بدون الشيعة فحاولوا استمالة الشيعة من العرب والموالي الى حابهم فأعلنوا أنهم لا يسعون الى الخلافة ولا يطمعون بها وأنهم يعملون لتخلص من الحكم الأموي وإعادة الخلافة لأحد أهراد البيت النبوي وكانوا يمررون الى ذلك بالرضا من آل محمد (ص) فاستجاب لهم الشيعة، واختار الموالي لشردعوتهم حراسان وجهاتها لعدم ثقتهم بشيعة العراق بعد غددهم بعلي والحسن والحسين وريد بن علي والمختار الثقفي وغيرهم، هذا بالإضافة الى أن موالي حراسان كانوا أكثر تضامناً واتحاداً من شيعة العراق، وكانت منطقة خراسان من أهم مواطن الموالي في عهد الأمويين ومن أكثر المناطق تدمراً من الحكم الأموي وتطلعا الى مقعد يخلصهم مما يعاسون من ظلم وحرور واستغلال وأصبحت تلك المنطقة من بلاد فارس كالحشيم المهياً للاشتعال بين لحظة وأخرى.

(١) أنظر أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام عن تاريخ الطبري وابن الأثير.

وقد انتهز هذه الفرصة اخارث بن مريح فقام بثورة عنيفة سنة ١٢٦ وانضم إليه كثير من الموالي وحمل يدعوا الى العمل بالكتاب والسنة ومناهضة الأمويين ويتظاهر بأنه صاحب الرايات السود والمقد المنتظر، وأدرك نصر بن سيار خطورة الموقف فأرسل إليه يعرض عليه أن يمحه حميئة رأس من الغنم ومائتي بعير بالإضافة الى الأموال والسلاح مقابل التزامه السكينة، ولكنه رفض هذا العرض لأن أنصاره كانوا جنادين في ثورتهم ولم يتمكن من إقناعهم، وعاد ابن سيار ليعرض عليه أن يولييه ما وراء الهر ويدفع له ثلاثمائة ألف درهم فأصر على موقفه، وتناظر هو وابن سيار واتفقا على تحكيم مقاتل بن حبان والجهم بن صفوان ليفصلا بينهما فحكما على نصر بأن يعتزل ويترك الأمر للمسلمين شوري ليحتاروا لأنفسهم، ومن غير المعقول أن يخضع نصر بن سيار لحكمهما وجهز جيشاً لقتاله وانتهت حركته بقتله سنة ١٢٨»

وكان من نتائج هذه الثورة انقسام العرب عن أنفسهم وإثارة روح العصية القلبية بالإضافة الى أنها بعثت الأمان في نفوس الموالي بالقضاء على الأمويين فازداد نشاطهم في هذا السيل

وكان انتشار العصية القلبية بين عرب خراسان من العوامل التي ساهمت في إصعاقهم مما شجع الموالي على المضي في الثورة، فقد تولى نصر بن سيار الحكم في خراسان وكان مصرياً وظل أربع سنين لا يستعمل في خراسان إلا المصريين ويقربهم إليه فأثار تصرفه هذا حقد اليميين عليه ومساعدتهم لكل ثائر، وفي وسط هذه الصراعات والتقطبات ظهر أبو مسلم الخراساني فقام بالدعوة لآل البيت متحداً من هذه الدعوة ستاراً يحفي من ورائها آمه الفارسية وإرحاع مجدهم بالانتقام من العرب كما يدعي بعض الباحثين وإن كنت في شك من ذلك وأرجح أنه كان يعمل للعلويين، ومهما كان الحال فليقد سارع مولي خراسان الى الانضواء لحركته منذ البداية، وكان من أقطاب دعوته فخطبة بن شبيب لطائي أحد الدعاة للهاشميين فخطب في موالي خراسان بقصد إثارتهم عن الأمويين وتحريك النعرة الفارسية ضد العرب، فقال: يا أهل خراسان هذه بلادكم وكانت لأبائكم فكانوا ينتصرون على عدوهم بعدلهم وحسن سيرتهم فلما غيروا وبدلوا وصلوا سحق الله

(١) أنظر العراق في ظل العهد الأموي للحرطري ص ١٨٦ ص الطبري ج ٨ ص ٢١٩ وج ٩ ص ٧٦ وص ٧٣ المصدر نفسه.

عليهم واستزعمها منهم وسلط عليهم اذل أمة كانت عندهم فغلبوهم على بلادهم واستنكحوا ساءهم واستعبدوا اولادهم وكاسوا يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم، فلما غيروا وبدلوا وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة الرسول (ص) سلطكم عليهم لينتقم منهم بكم وينالوا جزاء ما حته أيديهم بسيوفكم ورماحكم.

وهذه المبادرة من قحطبة تؤكد أن الدين حملوا لواء الثورة كانوا من الموالي الشيعة ولو كانوا من غيرهم لما حاطهم بهذه الدعة ولا بهذه القسوة الجارحة، وفي الوقت الذي ظهرت فيه الثورة في حرس الداعية إلى آل بيت النبي (ص) لقيت تأييداً وقبولاً من موالي العراق لأن زعيمها أبو مسلم من الموالي ويرجع أصله إلى بلدة سواد الكوفة كما يدعي أبو اسدء في كتابه المختصر في أخبار الشر، والكوفة كانت قل ظهوره مركزاً لجميع الانتفاضات الشيعية الداعية إلى العلويين صد الحكم الأموي لأنها لاقت من حورهم ما لم تلاقه أي بلد غيرها وظلت مصدراً لجميع الانتفاضات حتى لفظت الدولة الأموية أحر أساسها في معركة الراب في جمادى الآخرة سنة ١٣٢، وكان الحركة الشيعية في أواخر العصر الأموي أكثر الأثر في زوالها، وأصبحوا يركنون إلى كل ثائر ويسيطرون على إعادة الخلافة للعلويين بعد الصدمات العنيفة التي اعترضتهم بمصرع الحسين وأصحابه ومثل التوايين والمحار الثقفي ومصرع زيد وغيره من الثائرين.

وكان رعياء الثوار على ما بينهم من خلاف في النزعات والاتجاهات يتحدون آل بيت النبي (ص) رمراً أو ستاراً لحركاتهم وانتفاضاتهم التي كانت تقوم على سواعد الشيعة من العرب والموالي، كما فعل أحر الدعاة أبو مسلم الخراساني الذي استطاع بهم أن يمهّد الطريق لثورته وسيطر على خراسان وجهاتها بمن معه من الموالي وشيعة العراق الذين أخرجوا من العراق قسراً في عهد زياد والحجاج وغيرهما من الولاة الذين أخرجوهم لينخلصوا من جميع العناصر التي كانت تشكل خطراً عليهم بالإضافة إلى من فروا من الظلم والجور إلى تلك البلاد

لقد استطاع أبو مسلم أن يتغلب على بلاد خراسان وأن يهزم ابن سيار هذا ونصر بن سيار يكاتب مروان الملقب بالحمار ويستجده وهو لا يجيبه لأنه كان في شغل عنه بالحروب والفتن التي انتشرت هنا وهناك، وظل يلح بأن يمدّه بالجيش

(١) أنظر الكتاب المذكور ج ١ ص ٢٠٨

حتى أحابه بجواب بدت عليه دلائل، ببأس، فعاد ابن سيار يستجد بعمر بن هبيرة
 الفزاري عامل مروان على العراق، فلم يجبه عمر على كتابه وكان في شغل عنه
 بأحداث العراق، فاضطر ابن سيار أخيراً إلى التحلي عن خراسان وانسحب بها
 بمن معه قاصداً بلاد الري ومنها إلى سلوة بين همدان والري فمات فيها كمداً على
 حد تعبير المسعودي في مروحه وسلمت بلاد إيران لأبي مسلم.

ولما اطمأن أبو مسلم إلى نجاح تحركاته وحلت البلاد من الأمويين وأنصارهم
 عين الولاية في المناطق التي احتلها وانجبه إلى عراق وكن شعاره الطلب بدم الحسين
 ودماء أهل بيته والدعوة إلى الرضا من آل محمد (ص) ويخفي وراء دعوته هذه
 الدعوة إلى العباسيين على حد تعبيرهم لأنه كان على يقين من أنه لو تجاهر بما كان
 يحميه لكان مصير دعوته الإحراق والقتل كغيرها من الانتفاضات كما يدعي بعض
 الباحثين، هذا وأبو سلمة خلال أحد قادة الثورة الكبار كان يعمل باخلاص
 للعلويين وفوجيء حيناً وقف أبو مسلم يذيع لأبي العباس الملقب بالسفاح وكان
 مختفياً بالكوفة ولم يظهر إلا بعد أن أصبحت الدعوة وأبعت ثمارها ونمت البيعة في
 العاشر من المحرم والشيعة يحتفلون بمضمار الحسين (ع) يومذاك كما جاء في الأحبار
 الطوال للدينوري، ووقف داود بن علي بن عبد الله بن العباس يلقي خطابه على
 حشود الشيعة الذين يعملون ويجهدون لمصلحة العلويين لا للعباسيين، يقول يا
 أهل الكوفة لم يبق فيكم بعد رسول الله (ص) إلا علي بن أبي طالب (ع) وهذا
 القائم بينكم يعني بذلك أبا العباس لسفاح كما جدد أبو مسلم ورفاقه من العادة
 والموالي أيضاً ودهشوا لهذه المفاجأة لأن ولاءهم لآل بيت النبي (ص) هو الذي
 حركهم وجعلهم يتفانون في حروبهم مع الأمويين، وراح العباسيون ودعاتهم بعد
 أن تكشفت نواياهم يتظاهرون بخدمة العلويين وأهم سيردون الحق لأهله من آل
 بيت النبي خوفاً من تراجع الشيعة من العرب والموالي قبل القضاء على الأمويين مما
 يسر لهم إقبال الموالى والشيعة على تأييدهم من غير أن يفكروا بأنهم يناصرون قوماً
 سيضطهدون العلويين ويلاحقونهم بكل أنواع الأذى في كل صقع كما فعل
 الأمويون معهم من قبل، وأصبح الشيعة يعتقدون اعتقاداً راسخاً كما يقول فلهورن

(١) وعندما نجحت الثورة كان أول ما قام به أبو العباس هو ملاحقة القادة الكبار الذين
 يعملون لمصلحة العلويين وكان أبو سلمة خلال الضربة الأولى من أولئك القادة، قتله
 مزار بن أنس الصفي بأمر السفاح وأجبه منصور كما قتلوا أبا مسلم لهذه العلية كما لا
 أستبعد.

في كتابه أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام أن إرجاع الحق لأصحابه الشرعيين لا يمكن أن يكون ويتم إلا في المصطفى بالثورة إلى نهايتها وأن الحق لا بد وأن يروح لأهله، وفي الوقت ذاته كانوا يرون أن العباسيين أهون عليهم من الأمويين الذين كانوا يحكمون بروح أبي جهل وأبي سفيان وغيرهما عن وقفوا للدعوة منذ أن بزغ فجرها بقيادة محمد بن عبد الله (ص) بالمرصاد ولم تكن تلك الحركة التي كان البعض من قادتها يضمرون غير ما يظهرون بنظر الشيعة إلا حلقة جديدة في سلسلة الحركات الشيعية التي كانوا يؤررونها منذ مطلع العهد الأموي وحتى ذلك التاريخ.

ومهما كان الحال فلقد قامت ثورة أبي مسلم على سواعد الشيعة لاعادة الحق لأصحابه والانتقام ممن قتل الحسين وبه وأصحابه وروع ساءهم وأطفالهم وأباد الآلاف من شيعتهم وأصحابهم لا شيء إلا لولائهم لعلي وآل علي (ع) وكان هذا الشعار يمداه بالزخم والعزيمة الصادقة حتى بعد أن تكشفت نوايا قادتها واستمرت المعارك بين الشيعة بقيادة أبي مسلم وغيره من الدعاة، وبين فلول الأمويين تتلاحق والهزائم تتوالى على الأمويين في جميع الجبهات، كحلال تلك الفترة استطاع مروان ابن محمد الحاكم الأموي الملقب بالخباز أن يعقل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله الملقب بالإمام بعد أن عثر على كتاب فيه لأبي مسلم الخراساني يحثه على المضي في الثورة والإسراع في الإحهاز على من بقي من الأمويين وقادتهم فوضعه في سجنه لفترة قصيرة مع بعض الهاشميين، وأخيراً وضع على رؤوس الهاشميين الوسائد وأجلس عليها جماعة من حلاذيه إلى أن ماتوا، أما إبراهيم بن محمد فقد وضع رأسه في جراب فيه نورة مسحوقة وطل بضرب إلى أن خدت أنفاسه وفارق الحياة على حد تعبير المسعودي في مروحه.

وكانت معركة الزاب بعد سلسلة من المعارك آخر محاولة قام بها الأمويون وحشدوا لها جميع ما لديهم من عند وعتاد سنة ١٣٢ ولكنها لم تكن أنجح من غيرها وانفجرت عن هزيمة مروان بن محمد بمن بقي معه هزيمة لم يحدث التاريخ بأسوأ منها.

ولنستمع إلى المسعودي وابن واضح اليعقوبي وهما يتحدثان عن تلك الهزيمة التي كانت بها نهاية دولة بني عروش حكامها بدماء العلويين ومن كان يدين بالولاء لهم من صلحاء المسلمين وإهانت بسبوف شيعتهم لتحل محلها دولة مثلت مع أحفاد علي وشيعتهم ومحبيهم الأدوار بعسها التي مثلها الحزب الأموي الحاكم

مع علي والحسين وسيعنتهم وأنصارهم من قتل.

فقد جاء في مروج الذهب وتاريخ ليحقوي وغيرهما أن مروان بن محمد قد انهزم في معركة نهر الزاب بعد أن قُتل أكثر من معه من الجيش وغرق في نهر الزاب خلق كثير ممن كانوا معه وكان فيهم عرق من بني أمية ثلاثمائة غير من عرق من سائر الناس، وانجى مروان فيهم بقي معه نحو الموصل فمَنَعَهُ أهلها من دخولها فانجى إلى حران وكانت داره بها وعياله يقيمون فيها.

ومضى المسعودي يقول: أنه حين أُرِيْن لعن علي بن أبي طالب عن المهاجر في يوم الجمعة كما كانت العادة أصراً أهل حرب على منته ولعمري وقالوا: لا صلاة إلا بلعن أبي تراب، وأقاموا على ذلك إلى أن كانت هزيمة الأمويين وظهور المسودة، وأضاف إلى ذلك أنه خرج مع أهله ونسبه وسائر بني أمية من حران إلى نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين وعبد الله بن علي يسير في أثره، وفي طريقه حاصر دمشق وفيها الوليد بن معاوية بن عبد الملك في خمسين ألف مقاتل ففتحها وأسر جماعة من أحفاد عبد الملك بن مروان وأرسلهم إلى أبي العباس في الحيرة فقتلهم وصلبهم فيها كما قتل من بني أمية وغيرهم خلقاً كثيراً على محمد بن عبد الله المسعودي في مروج، ومضى في طريقه إلى نهر أبي فطرس فقتل جماعة ممن كانوا مع مروان الحمار وأمر من بني أمية بصعاً وثمابين رجلاً وكان قد جمعهم في مكان خاص وأمرهم بالدخول عليه وأعد لكل رجل منهم رجلين يحملان العمود، وحينما دخلوا عليه أطرق ملياً فقام أحد الشعراء وأشد أبياتاً جاء فيها:

أما الدعاء إلى الخناد فهاتم وبسرو أمية من كلاب النار
وكان النعمان بن يزيد بن عبد شمس جالساً إلى جانب عبد الله بن علي،
فالتفت إلى الشاعر وقال: كدبت يا ابن سحابة، فرد عبد الله بن علي قائلاً: بل صدقت يا أبا محمد أضر لقولك، ثم التفت عبد الله بن علي إلى الأمويين وجعل يذكرهم بقتل الحسين وبنيه وأخوته وأنصاره وما جرى لأهل بيته من الإهانة والسبي والإذلال وصفق بيديه فصرخ الغوم رؤوس الأمويين بالعمد التي أعدوها لذلك فماتوا عن آخرهم فاداه رجل من أقصى القوم

عبد شمس أسوك وهو أسوب لا نسايدك من مكان بعيد
فالقرايات بيضا واشجيات محكمات القسوى بعقد شديدا
فقال له عبد الله: هيهات هيهات قد كان ذلك ولكن قطعه قتل الحسين بن

علي وسبي نسائه وأطفاله، ثم أمرهم فسحبوا وطرحوا عليهم البسط وجلس بمن معه عليها ودعا بالطعام فأكلوا وقال يوم كيوم الحسين ولا سواء، ثم دعا بذلك الرجل الذي أنشد البيت وقال.

ومدحله رأسه لم يذنه أحد بين الفريقين حتى لزه القرن
وأمر بضرب عنقه.

وجاء في البداية والنهاية لاس كثير أن عبد الله بن علي عندما احتل دمشق أباح القتل فيها ثلاث ساعات وأنه قتل جمعا كبيرا من الأمويين يقدر بعشرات الألوف عند هرب بالرملة وسط عليهم الأبطاع ومد عليها سباطا وأكل هو ومن معه وهم يخنلجون تحتها وتبع قبور حكامهم فشتها وأحرق ما وحده فيها من العظام غير أنه لم يجد في قبر يريد شيئا من المعصم وغيرها سوى خط أسود على مساحة القبر كأنه خط الرمياد ووجد جسد هشام بن الحكم على حاله وكان قد طلي بمعدن خاص يحفظه من الاهتراء فجلده ثمانية جلدة ثم أحرقه، ويعمل بعض المؤرخين جلده بأنه فعل ذلك به لأنه كان قد قتل أم زبير بن علي بالرتا حيسا وقف بين يديه وقال له: أخرج يا ابن الرابية، وقيل إنما فعل به ذلك انتقاما لأبيه علي بن عبد الله لأن هشاماً كان قد جلده ثمانية سوطا.

وحاء في تاريخ اليعقوبي عن عبد الله بن علي أنه قال لقد كان أبي يصلي في بعض الأيام وعليه إزار ورداء فسقط الرداء عن ظهره فرأيت في ظهره آثار السباط فلما فرغ من صلاته قلت له. يا أبت جعلني الله فداك ما هذا الذي أراه في ظهرك؟ فقال إن الأحول يعني هشاماً أحدي ظلماً وعدواناً وجلدي ستين سوطاً، ومضى عبد الله يقول كما يدعي الراوي فعاهدت الله إن ظفرت به أن أصربه بكل سوط سوطين^(١).

وكان مروان قد اسحب من هرب أبي فطرس باتجاه مصر فمضى في أثره صالح ابن علي بن عبد الله فأدركه في قرية بوسير من بلاد مصر وجرت بين الفريقين معارك طاحنة كانت بها نهاية مروان وأكثر من كان معه من الأمويين وغيرهم.

وجاء في تاريخ اليعقوبي أن ولديه عبيد الله وعبد الله ليلة قتل توجهها مع

(١) أنظر المجلد الثاني من تاريخ اليعقوبي طبع النجف ص ٩٢ و ٩٣ والمجلد الثاني من مروج الذهب.

جماعة من أنصارهما والأمويين نحو الصعيد ومنه إلى بلاد النوبة فأكرمهم ملك النوبة ولكنه لم يوافق على بقائها في بلاده فخرجوا منها باتجاه اليمن وفيها هم يسرون إليها ومعهم بعض عائلات الأمويين خلا عن الطريق ومات أكثرهم من الجوع والعطش، حتى كان الرجل يبذل في تمويه ويشرب من بوله ولم يبق على النساء ما يستر أحسامهن، إلى غير ذلك مما جاء في تاريخ العقب وغيره في وصفه للحالة السيئة التي اعترضت مسيرتهم وكانت لها نذبتهم، ومضى عامر بن اسماعيل أحد القادة الذين كانوا مع صالح بن علي يتبع فلول الأمويين وعائلاتهم فأسر نساء مروان وبناته ومن كان معهم من الأمويات والحواري وأرسلهن لعبد الله بن علي ابن عبد الله بن العباس، وعندما دخلن عنده طلبت منه ابنة مروان الكبرى العفو والصفح فأخذ يستعرضهن جرائم الأمويين مع الهاشميين والعلويين ماراً بجرائمهم مع ابن أخيه إبراهيم الإمام وزيد بن علي وولده يحيى بن زيد ومسلم ابن عقيل حتى انتهى إلى الحسين بن علي فأسهب في عرض جرائمهم معه ومع أبنائه وبني إخوانه وعموته وأنصارهم وسبى سائلهم من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام وما جرى لهم من تحقير وتعذيب وانتهاك وإدلال وما إلى ذلك من الإهانة والإساءة لجندهم الرسول الأمين (ص).

وأضاف إلى ذلك: لو أردنا أن نعلمكم بأعمالكم لا نستقي منكم أحداً صغيراً كان أو كبيراً، فكيف سأت مروان وطعن العفو عما مضى فعما عهن ورددتهن إلى حوران حيث كانت مقرراً مروان بن محمد الملقب بالهمار^(١).

وتقلص مصرع مروان الهمار ظل دولة أسسها معاوية بن أبي سفيان قبل تسعين عاماً لتبقى إرثاً لأحفاد أمية، ويدعي بعض الرواة أن الآية من سورة القدر «ليلة القدر خير من ألف شهر» تشير إلى الزمان الذي تعيشه تلك الدولة التي لم تترك حرمة من حرمت الإسلام إلا وداستها ووطئتها بأقدامها ولا لوناً من ألوان التعذيب والتنكيل بالعلويين والأبرياء من صلحاء المسلمين إلا ومدرسته، وحقت لأبي سفيان وحرره جميع ما كان يحكم به ويعمل من أجله ولكن الله الذي يهمل أحياناً ولا يهمل كان لهم بالمرصاد.

لقد تقلص ظلها بعد تسعين عاماً عن إنشائها لتحل محلها دولة كان قادتها

(١) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٤٥ وأنصار السابقة.

ودعائها يلبسون المسوح ويتباكون على الاسلام وآل بيت الرسول (ص) ليستقطبوا
الجماهير ويحققوا أكبر الانتصارات وتم لهم ذلك على حساب العلويين وحينما
استتب لهم الأمور مثلوا الأدوار نفسها وأساءوا منها مع الإسلام ومقدساته، ومع آل
الرسول بالذات الذين كانوا يتباكون عليهم ويتظاهرون بالدعوة اليهم وينادون في
معاركهم يا لشارات الحسين، وكاد الناس أن ينجأهوا جور الأمويين وظلمهم
بجانب ما لاقوه من الظلم والجور والاستهتار بالقيم والمقدسات وتقتيل العلويين
ومطاردتهم حتى قال قائلهم:

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار
ومنه سبحانه نستمد التوفيق والعون لإخراج الحلقة الثانية من الانتفاضات
الشيعية إنه قريب مجيب.



مصادر الكتاب

للطبرسي	القرآن الكريم
المقمي	مجمع البيان
الرازي	تفسير الميزان
لابن الأثير	تفسير
ابن الأثير	الكامل
الطبري	تاريخ
المسعودي	تاريخ
اليعقوبي	تاريخ
للأصفهاني	تاريخ
لابن كثير	مقاتل الطالبين
للقرشي	البداية والنهاية
للمؤلف	الإمام الحسن
للدكتور علي الخرطوبلي	سيرة الأئمة الاثني عشر
من سلسلة أعلام العرب	العراق في ظل العهد الأموي
للدكتور علي الوردي	المختار الثقافي
للشيخ محمد أبو زهرة	وعاظ السلاطين
للشيخ محمد مهدي شمس الدين	المذاهب الإسلامية
للبغدادي	الحكم والإدارة في الإسلام
	الفرق بين الفرق

الحركات السرية في الإسلام
حجر بن عدي الكندي
مناقب أبي حنيفة
ينابيع المودة
أنساب آل أبي طالب
الأخبار الطوال
أحزاب المعارضة السياسية
بلاغات النساء
صبح الأعشى
الإمامة والسياسة
ثورة الحسين
الشيعة والحاكمون
زيد الشهيد
بين التصوف والتشيع
حليف مخزوم
أدب الشيعة
الحضارة الإسلامية
زينب الكبرى
وفاة زينب
ضحى الإسلام
الإمام زيد بن علي
الخطوط
ميزان الاعتدال
المدخل الى علم أصول الفقه
تاريخ الفقه الإسلامي
المستقصى
حياة أبي حنيفة
أهل البيت
تاريخ التمدن الإسلامي

لمحمود اسماعيل
للمسيد محمد جواد فضل الله
لابن البزازی

للدينوري
في صدر الاسلام
لطيفور

لابن قتيبة
للشيخ محمد مهدي شمس الدين
للمرحوم الشيخ محمد جواد مغنية
للمسيد عبد الرزاق المقرم
للمؤلف
لصاحب الدين شرف الدين
للدكتور عبد الحسين طه
للمستشرق آدم مئز
لعبد العزيز سيد الأهل
للشيخ فرج القطيفي
لاحد أمين
لأبي زهرة
للمقريري
للذهبي
لمعروف الدواليبي
للدكتور محمد يوسف موسى
للفزالي
لأبي زهرة
لتوفيق أبو علم
لجرجي زيدان

للمؤلف

- ١ - عقيدة الشيعة الإمامية
 - ٢ - تاريخ الفقه الجعفري
 - ٣ - المبادئ العامة للفقه الجعفري
 - ٤ - الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة
 - ٥ - نظرية العقد في الفقه الجعفري
 - ٦ - دراسات في الكافي للمكافئ والصحيح للبخاري
 - ٧ - المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري
 - ٨ - الأحاديث الموضوعة
 - ٩ - الولاية والشفعة والإجارة من الفقه الإسلامي
 - ١٠ - سيرة المصطفى
 - ١١ - سيرة الأئمة الإثني عشر
 - ١٢ - بين التصوف والتشيع
 - ١٣ - أصول التشيع
 - ١٤ - الوصايا والأوقاف وإرث الزوجين
 - ١٥ - الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ
 - ١٦ - من وحي الثورة الحسينية
 - ١٧ - نظريات جديدة في الفرق والمذاهب الإسلامية
 - ١٨ - أصول الفقه الجعفري
 - ١٩ - صور مشرقة من وحي الإسلام
- طبعة ثانية
طبعة ثالثة
طبعة ثالثة
طبعة ثالثة
طبعة ثانية
طبعة ثالثة
طبعة ثالثة
طبعة ثالثة
طبعة ثالثة
طبعة خامسة
طبعة خامسة
طبعة ثالثة
طبعة ثالثة
طبعة ثانية
طبعة رابعة
طبعة ثالثة
طبعة ثانية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف